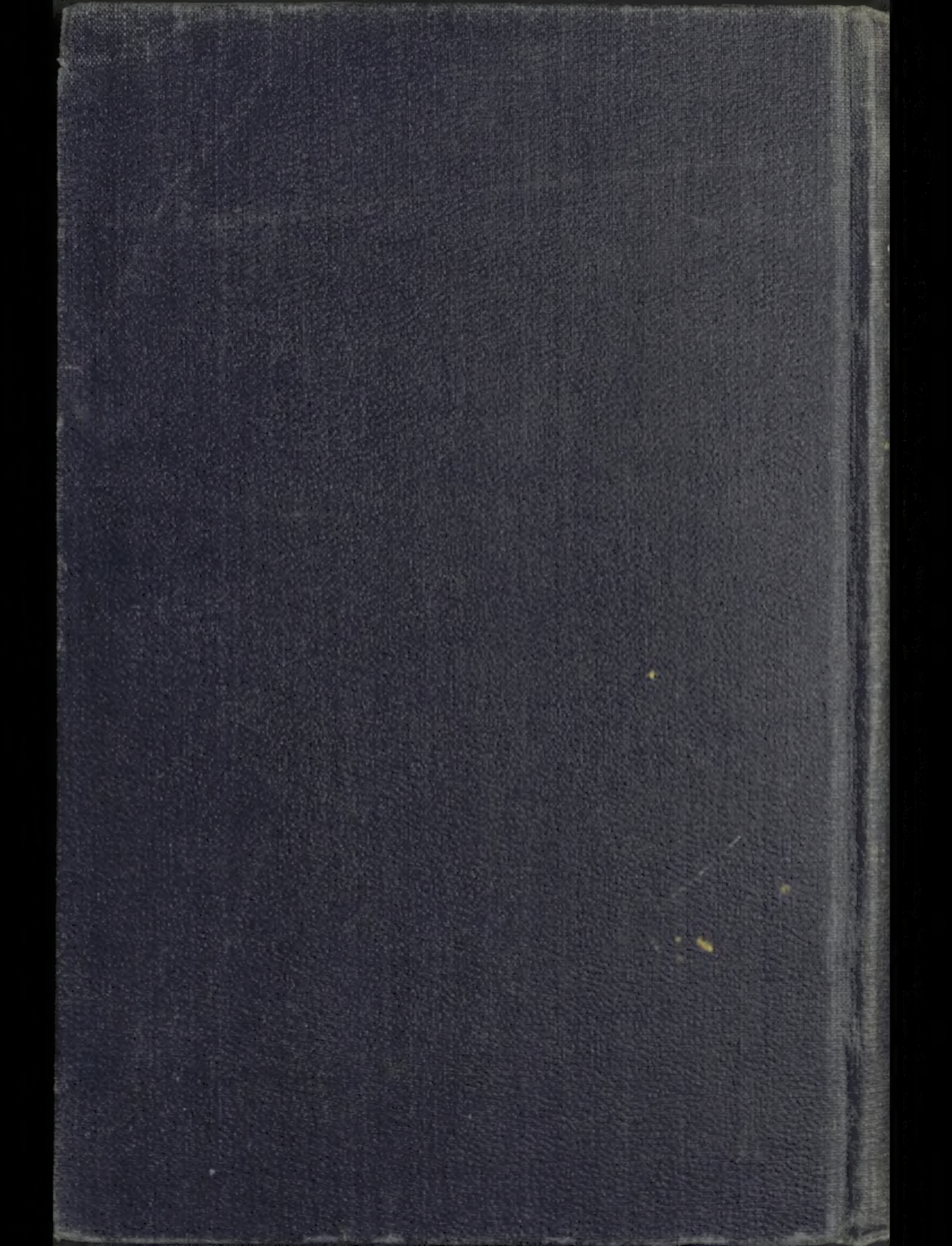

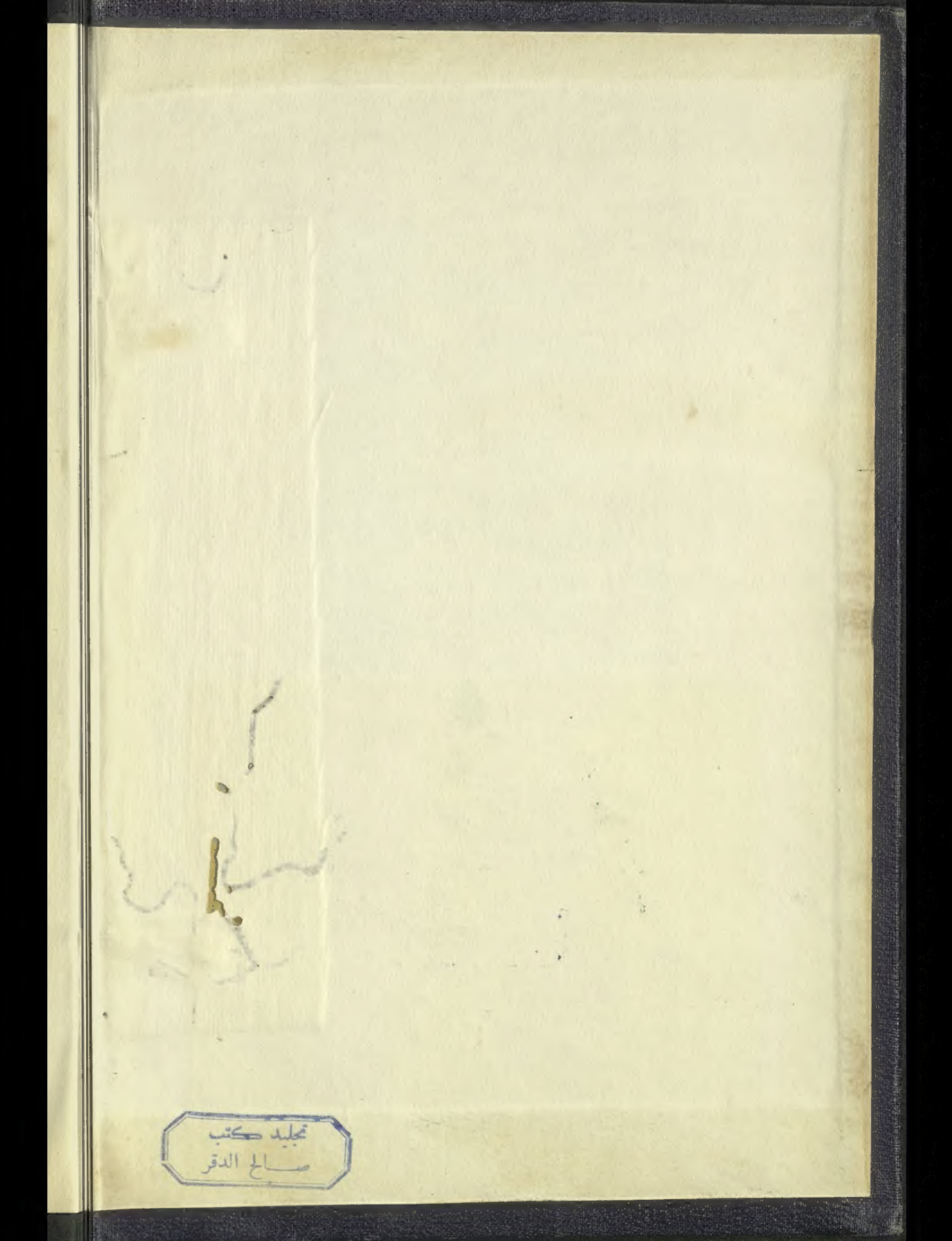
تجليد كتب
صالح الدقر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله كما أثنى على نفسه فالعبد لا يحصى ثناء على ربه والصلاة والسلام على أفضل خلقه سيدنا محمد وآله وصحبه آمين ﴿وبعد﴾ اعلم أيها المطلع على هذا الكتاب ينبغي ان تنظر بعين الانصاف وتدع التعنت والاعتساف وقد علم من كلام سيد المرسلين ان الحق ضالة المؤمن أينما وجده التقطه ثم ليعلم ان الوهابية حنابلة المذهب متابعون لمذهب الامام المبجل أبي عبد الله الامام أحمد بن حنبل في الأصول والفروع والاعتقاد والمعاملة والحدود وغيرها مستمدين ذلك من كتاب الله عز وجل وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وسنة أصحابه والتابعين لهم باحسان ولا يخرجون عن ذلك يوالون في الله ويعادون فيه وأما نسبة الوهابية لهم فلكون الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله اشتهر بالدعوة الى الله سبحانه وتعالى واخلاص العبادة له وتنفيذ الاحكام الشرعية المبسوطة في كتب الحنابلة من جلد الزاني البكر وتغريبه بعد ثبوت البينة ورجم المحصن وقطع يد السارق وغير ذلك من الاحكام حسده بعض معاصريه ولقبه وأتباعه بالوهابية ليعمى على الناس انهم ليسوا على سنة وانما هم من جنس أهل الطرائق والابتداعات الذين شرعوا في دين الله ما لم يأذن به الله والا فالشيخ نفسه له المصنفات العديدة في الاصول والفروع والاعتقاد فمن الفروع * كتاب آداب المشي الى الصلاة اختصره من كتاب الاقناع للعلامة والحبر الفهامة الشيخ موسى الحجاوي الحنبلي آخر المجتهدين من الحنابلة * وله كتاب اختصره من الشرح الكبير والانصاف وقد اختصر سيرة ابن هشام وله غير ذلك كما ستقف على البعض في هذا الكتاب ومن أراد الاطلاع على منشئه وسيرته فلينظر تاريخ الشيخ العلامة حسين ابن غنام الاحسائي وقريبا يطبع مختصره بحول الله وقوته فمن اطلع عليه بانصاف انكشفت له الحقائق وعلم كذب ما افتراه عليه أهل الافك والبهتان فالواجب على المسلم ان لا يغتر بما افتراه المفترون وليذكر قوله عز وجل يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ان تصيبوا قوما بجهالة الآية فالحق اذا تكلم به الوهابي لا يرد لكون النسبة وهابيا فالحق لا يعرف بالرجال وانما يعرف الرجال بالحق وتركوا النسبة لاسم الشيخ نفسه حيث يكون محمديا وأتباعه محمدية لأن فيها نوع مدح لمشاركته لاسم النبي صلى الله عليه وسلم فلا يتطرق اليه الذم والسب فما ربك بغافل عما يعملون وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون * ويجب على كل مسلم أن لا يرد قول الله أو رسوله أو بعضه اذا خالف هواه أو مقلده لان الله تعالى يقول فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم قال بعض السلف أتدري ما الفتنة الفتنة الشرك لعله اذا رد بعض قوله يقع في قلبه شيء من الزيغ فيهلك ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك أنت الوهاب ربنا لا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رؤف رحيم وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين

حرره الفقير صالح بن دخيل
الله ابن جار الله من
آل سابق

هذا كتاب التوضيح عن توحيد الخلاق في جواب أهل العراق وتذكرة أولي الالباب في طريقة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى وجميع المسلمين آمين

م

تأليف الشيخ الامام العالم العلامة سليمان
ابن عبد الله ابن الشيخ محمد بن عبد
الوهاب أجزل الله لهم
الاجر والثواب
بمنه وكرمه
آمين

الطبعة الاولى

بالمطبعة العامرة الشرفية سنة ١٣١٩
هجريه على صاحبها أفضل الصلاة
وأزكى التحية

الحمد لله مكمل الدين وناصره ومظهر الحق بسيف الوحى فيه الشرك والباطل قامعه الذى أتم علينا
وافر نعمته وتفضل فرضى لنا الاسلام دينا بكمال منته وأمرنا أن نستهدبه صراطه المستقيم لعظم شأنه
وشرفه وأوضح لنا قواعد دينه الاسلام وملته ونصب رايات الهدى فهى تنادى لدار الخلد من
جنته المتحبب الى خلقه بفتح أبواب رحمته والمحسن الى أهل ملته الحنيفية بترادف أنواع الخير من
نعمته وميسر لمن اختاره بنصرة دينه أسباب علو الهمة ومانحهم باقامتهم عليه كشف كل شدة
وغمه والملهم لتوحيده حمدا موافيا لنعمه ومكافئا لمزيده وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له
شهادة تنفع قائلها يوم وعده ووعيده وأشهد أن محمدا عبده ورسوله وحبيبه وخليله اللهم فصل
وسلم عليه وعلى آله وأصحابه صلاة وسلاما دائمين متلازمين ما استدار الزمان فى تكوره وتكويره
(أما بعد) فان الله عز وجل خلق السموات والارض وما فيهما من الآيات ليعرف وتعلم حكمته
وقدرته فيعبد وحده لا يشرك به ويكون الدين كله بانواعه له مختص بجلاله وذلك معلوم ضرورة
قال الله تعالى الله الذى خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن يتنزل الامر بينهن لتعلموا ان الله على
كل شئ قدير وأن الله قد أحاط بكل شئ علما وقال عز من قائل وما خلقنا السموات والارض وما
بينهما الا بالحق وقال تعالى جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس والشهر الحرام والهدى
والقلائد ذلك لتعلموا أن الله يعلم ما فى السموات وما فى الارض وان الله بكل شئ عليم وقال تعالى وما
خلقت الجن والانس الا ليعبدون فاخبر سبحانه ان القصد بالخلق والامر ان يعرف باسمائه وصفاته

ويعبد

ويعبد وحده لا يشرك به وان يقوم الناس بالقسط وهو العدل الذي قامت به السموات والارض كما قال جل ذكره لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط ومن أعظم القسط التوحيد بل هو رأس العدل وقوامه وان الشرك لظلم عظيم فالشرك أظلم الظلم والتوحيد أعدل العدل وأوجب الواجبات وأفرض الطاعات ولما كان الشرك بالله منافيا بالذات لتوحيده تعالى واخلاص العبادة له كان أكبر الكبائر على الاطلاق وحرم الله الجنة على كل مشرك وأباح دمه وماله لاهل التوحيد وان يتخذوهم عبيدا لهم لما تركوا القيام بعبوديته وأبى الله سبحانه ان يقبل من مشرك عملا أو يقبل فيه شفاعة أو يستجيب له في الآخرة دعوة أو يقبل له فيها عثرة فان المشرك أجهل الجاهلين بالله حيث جعل له من خلقه ندا وذلك غاية الجهل به كما انه غاية الظلم منه وان كان المشرك لم يظلم ربه وانما ظلم نفسه وقد أرسل سبحانه وتعالى رسله الى خلقه وأنزل كتبه ليعلموا ذلك ويتقنوه اقامة للحجة عليهم كما قال عز من قائل ولقد بعثنا في كل أمة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة وقال تعالى انا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده وأوحينا الى ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وعيسى وأيوب ويونس وهرون وسليمان وآتينا داود زبورا الى ان قال رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل فدين الرسل واحد لم يختلفوا في شيء من أصله وانما تحصل الفترة بين الرسولين فيندرس الدين أو بعضه فيجهل ويترك وقد بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم الى الخلق على فترة من الرسل وأهل الارض مقتهم الله عربهم وعجمهم الا بقايا من أهل الكتاب ماتوا أو أكثرهم قبل مبعثه صلوات الله وسلامه عليه والناس اذ ذاك أحد رجلين اما كتابي معتصم بكتاب اما مبدل أو مبدل ومنسوخ والدين كله أو بعضه مجهول متروك وأمي من عربي وعجمي مقبل على عبادة ما استحسنه وظن أنه ينفعه من نجم أو وثن أو قبر أو تمثال أو غير ذلك والناس في جاهلية جهلاء من مقالات يظنونها علما وهي جهل واعمال سيئة يحسبونها صلاحا وهي فساد وغاية البارع منهم علما وعملا ان يحصل قليلا من العلم الموروث عن الانبياء المتقدمين قد اشتبه عليه حقه بباطله أو يشتغل بعمل القليل منه مشروع وأكثره مبتدع فهدى الله الناس بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم وبما جاء به من البينات والهدى هداية جلت عن وصف الواصفين وفاقت معرفة العارفين حتى حصل لأمته المؤمنين عموما وأولي العلم منهم خصوصا من العلم النافع والعمل الصالح والاخلاق العظيمة والسنن المستقيمة ما لو جمعت حكمة سائر الامم علما وعملا الخالصة من كل شوب الى الحكمة التي بعث بها صلى الله عليه وسلم لتفاوتا تفاوتا يمنع معرفة قدر النسبة بينهما والآيات القرآنية والاحاديث النبوية تدل على ذلك ولله الحمد والمنة (وقد روى) مسلم في صحيحه عن ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله زوى لي الارض فرأيت مشارقها ومغاربها وان أمتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها وأعطيت الكنزين الاحمر والابيض واني سألت ربي لامتي ان لا يهلكها بسنة عامة وان لا يسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم وان ربي قال يا محمد اذا قضيت قضاء فانه لا يرد واني أعطيتك لامتك أن لا أهلكهم بسنة عامة وان لا أسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم يستبيح بيضتهم ولو اجتمع عليهم من بأقطارها أو قال من بين أقطارها حتى يكون بعضهم يهلك بعضا ويسبي بعضا ورواه أيضا البرقاني في صحيحه وزاد وانما أخاف على أمتي الائمة المضلين واذا وقع عليهم السيف لم يرفع الى يوم

القيامة ولا تقوم الساعة حتى يلحق حي من أمتي بالمشركين وحتى تعبد طوائف من أمتي الاوثان وانه سيكون في أمتي كذابون ثلاثون كلهم يزعم انه نبي وأنا خاتم النبيين لا نبي بعدي ولا تزال طائفة من أمتي على الحق منصورة لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله تبارك وتعالى فملك الامة لاقطار الارض ثم افتراقهم الحاصل لهم والاختلاف بينهم محقق مضبوط محفوظ عن النبي صلى الله عليه وسلم من غير وجه وكان صلى الله عليه وسلم يحذر أمته منه لينجو من شاء الله منهم (فمن) عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال خط رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا ثم قال هذا سبيل الله ثم خط خطوطا عن يمينه وخطوطا عن شماله وقال هذه السبل المتفرقة وعلى كل سبيل منها شيطان يدعو اليه ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون رواه الامام أحمد وغيره ومع ان الله تعالى حذرنا هذه السبل فقضاؤه سبحانه نافذ بما أخبر به رسوله صلى الله عليه وسلم بما سبق به علم الله تعالى حيث قال الصادق المصدوق فيما خرجاه في الصحيحين عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه قالوا يارسول الله اليهود والنصارى قال فمن وروى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تقوم الساعة حتى تأخذ أمتي مأخذ القرون شبرا بشبر وذراعا بذراع فقيل يارسول الله فارس والروم قال ومن الناس الا أولئك فاخبر صلى الله عليه وسلم انه سيكون في أمته مضاهاة لمن سلف من الامم اليهود والنصارى وهم أهل الكتاب وفارس والروم وهم الاعاجم وقد كان صلى الله عليه وسلم ينهى عن التشبه بهؤلاء وهؤلاء وليس اخبارا عن جميع الامة بل قد تواتر عنه عليه الصلاة والسلام انه لا تزال من أمته طائفة ظاهرة على الحق حتى تقوم الساعة وأخبر ان الله لا يجمع هذه الامة على ضلالة وان الله لا يزال يغرس في هذا الدين غرسا يستعملهم فيه بطاعته وفي الصحيحين عن عقبة بن عامر أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج يوما فصلى على أهل أحد صلاته على الميت ثم انصرف الى المنبر فقال اني فرط لكم واني شهيد عليكم واني والله لأنظر الى حوضي الآن واني أعطيت مفاتيح خزائن الارض أو قال مفاتيح الارض واني والله ما أخاف عليكم أن تشركوا بعدي ولكن أخاف عليكم أن تنافسوا فيها وفي رواية ولكني أخشى عليكم الدنيا أن تنافسوا فيها وتقتتلوا فتهلكوا كما هلك من كان قبلكم قال عقبة فكان آخر ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر فعلم بخبره الصادق أنه في أمته قوم مستمسكون بهديه الذي هو دين الاسلام محضا وقوم منحرفون الى شعبة من شعب اليهود أو النصارى والمشركين وفي حديث الثوري وغيره عن عبد الرحمن بن زياد بن أنعم الافريقي عن عبد الله بن يزيد عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليأتين على أمتي ما أتى على بني اسرائيل حذو النعل بالنعل حتى ان كان منهم من أتى أمه علانية كان في أمتي من يصنع ذلك وان بني اسرائيل افترقت على اثنين وسبعين ملة وتفرقت أمتي على ثلاث وسبعين ملة كلهم في النار الا ملة واحدة قالوا من هي يارسول الله قال ما أنا عليه اليوم وأصحابي (رواه أبو عيسى الترمذي) وقال هذا حديث غريب مفسر لا نعرفه الا من هذا الوجه وهذا الافتراق مشهور عن النبي صلى الله عليه وسلم من حديث أبي هريرة وسعد بن أبي وقاص ومعاوية وعمرو بن عوف الأشجعي وغيرهم فعن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تفرقت

اليهود على احدى وسبعين فرقة أو اثنين وسبعين فرقة والنصارى مثل ذلك وتفرقت امتى على ثلاث وسبعين فرقة رواه أبو داود وابن ماجه والترمذى وقال هذا حديث حسن صحيح وعن معاوية بن أبى سفيان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أهل الكتاب افترقوا فى دينهم على اثنين وسبعين ملة وان هذه الامة ستفترق على ثلاث وسبعين ملة يعنى أهل الاهواء كلها فى النار الا واحدة وهى الجماعة وقال انه سيخرج فى أمتى أقوام تتجارى بهم تلك الاهواء كما يتجارى الكلب بصاحبه فلا يبقى منه عرق ولا مفصل الا دخله والله يا معشر العرب لئن لم تقوموا بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم لغيركم من الناس أحرى أن لا يقوم به هذا حديث محفوظ من حديث صفوان بن عمرو عن الازهر بن عبد الله الرازى عن أبى عامر عبد الله بن لحى عن معاوية رواه عنه غير واحد منهم أبو اليمان وبقية وأبو المغيرة ورواه الامام أحمد وأبو داود فى سننه وقد روى ابن ماجه هذا المعنى من حديث صفوان بن عمرو عن راشد بن سعد عن ابن عوف بن مالك الاشجعى ويروى من وجوه أخر فقد أخبر صلى الله عليه وسلم بافتراق أمته على ثلاث وسبعين فرقة والثنتان والسبعون لا ريب انهم الذين خاضوا كخوض الذين من قبلهم ثم هذا الاختلاف الذى أخبر به النبى صلى الله عليه وسلم اما فى الدين فقط واما فى الدين والدنيا معا ثم قد يؤول الى سفك الدماء لاجل الدنيا فقط أو لها وللدين معا أو للدين فقط وهذا الاختلاف هو ما نهى عنه الله فى قوله سبحانه ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم الآيات وقوله ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم فى شئ وقوله وان هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون وقوله شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى ان أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم اليه الله يجتبى اليه من يشاء ويهدى اليه من ينيب وما تفرقوا الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ولولا كلمة سبقت من ربك الى أجل مسمى لقضى بينهم وان الذين أورثوا الكتاب من بعدهم لفى شك منه مريب فلذلك فادع واستقم كما أمرت الآية ومنشأ هذا الاختلاف وأصله اما من جهة عدم العمل بالعلم كالذى يعرف الحق من الباطل ويميز بينهما ولا يتبع الحق علما ولا قولا ولا عملا وأما من جهة العمل بلا علم فيجتهد فى أصناف البدع بلا شريعة من الله ويقول على الله بلا علم (فالاول) من مشابهة اليهود الذين قال الله فيهم ان الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس فى الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون (والثانى) من مشابهة النصارى الغالين فى الدين والقائلين فيه غير الحق والضالين عن سواء السبيل وقد ابتلى الله طوائف من هذه الامة من المنتسبين الى العلم بما ابتلى به اليهود من الرياسة وحب الدنيا وايثارها وكتم الحق فان هؤلاء المنتسبين الى العلم تارة يكتمون العلم بخلا به وكراهة أن ينال غيرهم من الفضل ما نالوه وتارة اعتياضا برياسة أو مال فيخاف من اظهاره انتقاص رياسته أو ماله وتارة يكون قد خالف غيره فى مسئلة أو اعتزى الى طائفة قد خولفت فى مسئلة فيكتم من العلم ما فيه حجة لمخالفه وان لم يتيقن أن مخالفه مبطل ولهذا قال عبد الرحمن بن مهدى وغيره أهل السنة يكتبون ما لهم وما عليهم وأهل الهوى لا يكتبون الا ما لهم وكان السلف منهم سفيان بن عيينة وغيره يقولون ان من فسد من علمائنا ففيه شبه من اليهود ومن فسد من عبادنا ففيه شبه من النصارى وليس الغرض من هذا تفصيل ما يجب وما يستحب وانما الغرض التنبيه على منهاج الحق المتبع وهو ما كان عليه النبى صلى

الله عليه وسلم وأصحابه وفي قوله عليه الصلاة والسلام فيما رواه العرباض بن سارية السلمي رضي الله
عنه عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فان
كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار رواه أبو داود والترمذي وقال حديث صحيح
ورواه ابن ماجه وفيه قال صلى الله عليه وسلم قد تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ بعدي عنها
الا هالك وروى أبو هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني خلفت فيكم ما لم تضلوا
بعدهما ما أخذتم بهما أو عملتم بهما كتاب الله وسنتي ولن يفترقا حتى يردا على الحوض وانظر بعين
الانصاف الى ما تشعب فيه الناس وضيعت بهم البدع كتاب الله وسنة نبيه وراء ظهوره زاعمين ان كتاب
الله ما بقي من حكمه الآن الا مجرد التلاوة باللسان وأما فهم معانيه وتدبره والعمل بما فيه فلا وصول لاحد
اليه وكذلك الاحاديث فالقرآن مصرح بنقيض قولهم ورد حججهم قال تعالى كتاب أنزلناه اليك
مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الالباب وقد قال تعالى أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها
وقال تعالى وانه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد وقال
تعالى ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر وقال تعالى قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء
والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى أولئك ينادون من مكان بعيد فهذا كله مشعر بان
القرآن محفوظ ومصون عن التبديل والتغيير ونسخ جملة وعدم فهم معانيه وتدبره فانه للذين آمنوا
نور وهدى ولم ينزله الله الا للعمل به وذلك متوقف على معرفة معانيه وكذلك الاحاديث فانها تفسر
القرآن كما أن بعضه يفسر بعضا وقد فسره الصحابة رضي الله عنهم وتفقهوا في الدين منه كما تفقهوا من
السنة وكذلك كتب الائمة الاعلام الذين يؤخذ بأقوالهم من أهل الملة الغراء والمحجة البيضاء المفسرين
له والمؤولين لمعانيه والجامعين للاحاديث النبوية المفارقين كل فرقة غوية ليس في أيديهم منها
الا مجرد تلاوتها من غير تذكر لها ولا فهم فيها ولا عمل بمعانيها بل استغنوا عن ذلك كله بزخرفات المبطلين
واتباع حجج المبطلين واتباع الهوى وذلك كله من عموم البلوى حتى كتب الفقه التي في أيديهم
و يزعمون العمل بها وبما فيها انما يأخذون منها ومن معاني ما تضمنته ما كان موافقا لتحذيق الكلام
والتشدق به من تعلم الدعاوى والخصومات وتعليمها وأما العبادات والحدود فانما تتلى باللسان تلاوة
وقل ما توجد عند فقيه مستجمع لها بل ان وجدت فهي عند الخواص من ذوي الثروة يساطرها
مخزونة عنده من غير انتفاع بها ولا عمل بمعانيها بل تفخرا وتكبرا وحب رياسة وهو لا يعلم اسمها
ولا اسم مؤلفها وينضاف الى ذلك عداوة الحق ودحضه وايثار الباطل وحبه احتلالا بالقلوب العوام
وجمع الحطام ففي جامع الترمذي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم يخرج في آخر الزمان قوم يختلون الدنيا بالدين ويلبسون للناس مسوك الضأن من اللين
ألسنتهم أحلى من السكر وقلوبهم قلوب الذئاب يقول الله عز وجل أبي تغترون وعلي تجترئون فبي
حلفت لابعثن على أولئك منهم فتنة تدع الحليم فيهم حيرانا (وذكر) ابن أبي الدنيا من حديث جعفر
ابن محمد عن أبيه عن جده قال قال علي كرم الله وجهه يأتي على الناس زمان لا يبقى من الاسلام الا
اسمه ولا من القرآن الا رسمه مساجدهم يومئذ عامرة وهي خراب من الهدى علماؤهم شر من تحت أديم
السماء منهم خرجت الفتنة وفيهم تعود (وذكر الاوزاعي) عن حسان بن عطية أن النبي صلى الله عليه
وسلم قال سيظهر شرار أمتي على خيارها حتى يستخفي المؤمن كما يستخفي المنافق فينا اليوم ومنشأ ذلك

وسببه انما هو الاعراض عن منهاج الرسول وما كان عليه هو وأصحابه صلاة الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين والاقبال والانقياد الى طاعة هذا العدو المبين الذى توعدو حدواجتهد فى قوله لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولاتجد أكثرهم شاكرين وقد قال تعالى ولقد صدق عليهم ابليس ظنه فاتبعوه الافريقا من المؤمنين فلذلك حصل الران والغمرة ووحدت الغفلة فانعكس الامر وهجر ما الله به أمر وارتكب ما عنه نهى وزجر فصار المعروف منكرا والمنكر معروفا واتبعت الاهوا وعمت البلوى فالآمر بالمعروف ينكر عليه والمتبع لهواه المنقاد الى الباطل والمتمسك به يجل ويوقف بين يديه وقد آل ذلك الى عمى القلوب والجهل بما هو من العبد مطلوب (حتى اذا أوجد الله رجلا) أحيابه قلوبا قد انعكفت وانهمكت فى أنواع باطل مضاد للحق متناول للشرك الاكبر فما دونه فبصرهم به وأنقذهم منه ونهاهم عنه ثم قادهم الى سبيل الخير والنجاة الذى هو منهاج نبيهم وأصحابه وما أنزل القرآن لاجله (قام عليه) أهل الاهواء فجرحوه وبدعوه ومنهم من جعل اليهود والنصارى أخف شرا منه ومن أتباعه بلاتدبر ولاتذكر ولاتفكر فى الآيات القرآنية والاحاديث النبوية ولا فى كلام الائمة الاعلام ممن سلف من الانام وما حصل لهم وعليهم من الاذى فى ذات الله تعالى حسدا وبغيا ما الاجل حق عملوا به وقالوه ونهوا عن ضده واجتنبوه أو لتصنيف صنفوه أو على غير ما شئ من ذلك أسلفوه وانما هو بسبب عدم موافقتهم لهم فيما اعتادوه (ومن تأمل) أحوال السلف وما جرى عليهم من أنواع البلوى اما قتلا واما حبسا أو نفيا أو ضربا بالابتلاء لو ذكرت أسبابه على تفاصيلها وذكر عدد من ابتلى ممن سلف لاحتمل ذلك مجلدات ضخام ولكن لنا فى الاختصار أسوة (علم علم اليقين) ان الله سبحانه يبتلى أحبابه ابتلاء له فيه حكمة ولو لم يكن فيه الارفع المقامات أو تكفير السيئات خصوصا هذا التوحيد فانه سبحانه من حكمته لم يبعث به نبيا قط الاجعل له أعداء يؤذونه كما قال تعالى وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا شياطين الانس والجن يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا (ولما كان العلماء ورثة الانبياء) جعل الله لمن كان منهم عاملا بعلمه مهتديا بقول الله متبعا السنة رسول الله صلى الله عليه وسلم عدوا من الانس والجن يؤذونه ويشوشون عليه اتباعه ويردون عليه ما قال عن الله ورسوله قوله وهذا كله من الله عدل اذفيه رفع درجات الانبياء واظهار مقامهم صلوات الله وسلامه عليهم وتكفير سيئات هؤلاء العلماء ورفع درجاتهم وتعظيم أجورهم رضى الله عنهم ولذلك قال تعالى ولوشاء ربك ما فعلوه ومع ذلك فلابد من نصر ما جاءت به الرسل الذى عملت به هؤلاء العلماء ودعت اليه قال تعالى انا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد وقال تعالى ثم ننجى رسلنا والذين آمنوا كذلك حقا علينا ننجى المؤمنين فمن صبر من هؤلاء العلماء المذكورين نصره الله كما نصر رسله وهذا مصداق قوله تعالى يريدون ليطفؤا نور الله بافواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون وهكذا لم تزل السلسلة فى صعود وهبوط الى ان حل بهذا الرجل ما حل بالاسلاف الذين خلوا من قبله من صالح سلف الامة وخيارها لكن قد هدى الله به أمما ضلالا منهمكة فى أكبر الكبائر على الاطلاق فحاز من الاجر العظيم مغنما لقوله صلى الله عليه وسلم فيما صح عنه من دعا الى هدى كان له من الاجر مثل أجور من تبعه من غير ان ينقص من أجورهم شئ أخرجه مسلم وابن ماجه والترمذى من حديث أبى هريرة رضى الله عنه فلله الحمد والمنة * وقد وردت اليه أسئلة من علماء الحرمين والشام وأقطارها وعلماء

نجد وسكانها وعلماء الاحساء واتباعها متعلقة بكشف أحواله وما يدعو الناس اليه من توحيد الله واخلاص العبادة له ومتضمنة للسؤال عن بيان ما يدعيه وما يقوله وما دليله فيه فاجابهم باجوبة من الكتاب والسنة واجماع صالح سلف الامة ما بمثلها يهتدى المهتدون وعليها يقف المنصفون وبها يأخذ المستدلون فهدى الله به من اهتدى وخاض فى لجج طغيانه من شقى ولو ذكرنا ما حصل من ذلك على التفصيل اللائق لطال الفصل وانعكس الوصل ولكن يكفى اللبيب ما قد شاع عنه وذاع وتقطعت به الاسماع من انه يدعو الناس الى توحيد الله وحده لا شريك له فى عبادته ومعاملته واخلاص وحدانيته وعبادته بانواعها له وحده ليكون الدين كله له وهذا ما دعت اليه الرسل وأنزلت به الكتب * وقد وردت اليه رسالة تنسب الى عبد الله أفندى الراوى البغدادى خطيب المسجد المنسوب للوزير سليمان باشا وقيل لعبد القادر الجيلى رحم الله روحه ونور مرقده وضريحه وكان ارسالها بامر الوزير سليمان باشا المقيم فيه الآن هداه ربنا الرحمن فى السر والاعلان ومضمونها ان التوحيد انما هو مختص بمعنى الربوبية فالاله اسم مختص بالخالق الرازق الضار النافع وهو الله ولا يكون اسما لغيره الا ان اعتقد ان ذلك الغير يوجد ذلك الضر والنفع اعتقادا علميا مع اعتقاد ذلك الغير أيضا شريكا لله حتى يطلق على ذلك المعتقد اسم المشرك واسم الكفر الموجب لسفك دمه وخلوده فى النار فاما من قال بلسانه لا اله الا الله محمد رسول الله وآمن بالله واليوم الآخر ثم دعا غير الله من ولى أو ملك أو نبى بشئ لا يقدر عليه الا الله تعالى واعتقد فى ذلك الغير انه يضر وينفع فهو يعتقد فيه ذلك الذى لا يقدر عليه الا الله ولكن لا يعتقد انه شريك لله بل اذا سئل فقيل له أالله شريك قال لا ولكنى أدعو هؤلاء اقربهم وصلاحهم فهم يكشفون شدتى ويفرجون كربتى وأطلب منهم شفاعتهم فان ذلك لا يخرج عن الملة بل فيه مجرد الحرمة والاثم فقط ثم استثنى جواز سؤال الشفاعة منهم فى هذه الدار وانه ان دعاهم لشفاعتهم له وطلبها منهم لا بأس بذلك وفيها أيضا ان تارك الصلاة عامدا لا يكفر فلا يقتل وفيها أيضا جواز شد الرحال الى زيارة القبور وانه قريب من الواجب حيث كانت قبور الانبياء وفيها مسائل ومسائل واعتراضات كما سنذكرها ان شاء الله تعالى وقد أرسلها الوزير المكرم لننظر فيها ثم نجيب عنها فنقول بعد الاستعانة بالله والاتكال عليه والبراءة من الحول والقوة ﴿اما قولكم بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله أحمده وأستعينه وأستغفره وأعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات اعمالنا من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له ونشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وجنده وحزبه وعلى من تبعهم باحسان وقفى اثرهم الى آخر الزمان﴾ فنقول هذا الابتداء بالبسملة والحمدلة والاستعانة والاستغفار والاستعاذة بالله من شرور النفس وسيئات الاعمال والاخبار بان من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له والشهادة بان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله والاخبار بارساله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وانشاء الصلاة عليه وعلى آله وأصحابه وجنده وحزبه ومن تبعهم باحسان وقفى أثرهم الى آخر الزمان مشروع للتأسى بالكتاب العزيز ومأمور به فى قوله صلى الله عليه وسلم كل أمر ذى بال لم يبدأ فيه باسم الله فهو أبتر وفى رواية فهو أجذم وفى رواية فهو أقطع والابتر فى اللغة مقطوع الذنب والاجذم مقطوع الانف والاقطع مقطوع اليد أطلق الشارع صلى الله عليه وسلم كلا منها فى الحديث على ما فقدت البركة منه تشبيها له

عاد فقد ذنبه الذي به تكمل خلقته أو من فقدت يداه اللتان يعتمد بهما في البطش ومحاولة تحصيل ما يروم تحصيله فاطلاق كل منها في هذا على وجه التشبيه البليغ والاستعارة ومعنى ذلك في هذا المعنوي ناقص البركة فهذا حث منه صلى الله عليه وسلم على الابتداء بالبسملة التي هي سبب لتمام البركة في كل ما يهتم به شرعا ولما كان الحديث واردا بالابتداء بالبسملة فكذلك الحمدلة ولذلك المصنفون يجمعون بينهما لكن الابتداء بالبسملة حقيقي وبالحمدلة اضافي ليندفع التعارض والاسم مشتق من السمو وهو العلو أو من السمة وهي العلامة وفيه ست لغات كما هي مبسوطة في محالها من مطولات ومختصرات وشرفت سينه للتمييز بينه وبين الفاصل للميم عنه ولذلك كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يضرب الناس على توفيره وعلى مد الالف المتصلة به قدام الباء التي قد وضعت عوضا عن الالف المتصلة بالباء في حال انفرادها عن السين كما في باسم ربك وأفردت نقطة الباء التي تحت الاسم اشارة الى تفرده تعالى بالالوهية والوحدانية ودورت ميمه اشارة الى احاطة مملكته سبحانه وتعالى جميع الكائنات فاجتمع فيه معنى الالوهية والربوبية ثم هذا المبدوء به المذكور في صدر المقدمة يحتاج كل ذاكر له وقائل به الى علم معانيه والعمل بما يدعيه فان معنى قول القائل بسم الله أي أستعين وأتبرك بكل اسم للذات الاقدس المسمى بهذا الاسم الانفس الموصوف بكمال الانعام وما دونه فالباء متعلقة بمحذوف مقدر بقوة المذكور وكونه فعلا أولى لان الاصل في العمل وعمل الاسم بالحمل عليه وخاصا من مادة المفعول أولى أيضا فمريد السفر يقدر بسم الله أتبرك وأستعين به على السفر والمؤلف يقدر على التأليف فهو في معنى أسافر أو أؤلف ونحو ذلك لما فيه من الاستعانة والتبرك في جميع أجزاء العمل بخلاف الابتداء والافتتاح سواء قلنا معنى الباء الاستعانة أو المصاحبة او التعدية وكونه مؤخرا عن لفظ بسم الله أولى أيضا ولا يجوز بينهما والاولى تأخيره عن الرحمن الرحيم لمن أتى بهما وذلك لان رتبة العامل التقديم فتأخيره لنكتة وهي افادة الاهتمام مطلقا والاختصاص والحصر غالبا وهو من حصر القلب ان كان المشركون يتبركون بأسماء آلهتهم وما يعبدون من دون الله أو من قصر الافراد ان كانوا يتبركون بالابتداء بأسماء الله وأسماء آلهتهم واستظهره السعد وغيره فلذلك وجب على الموحد قصر الاستعانة والتبرك على اسم الله تبارك وتعالى أي الاتيان بما يفيد ذلك وان لم يلاحظه أو لم يعرفه ولا ينفي عنه كون المتكلم لا يعتقد ذلك لعدم اطلاعه عليه ومعرفته اياه اذ الجهل بالشئ لا يزيل حكمه وأما قوله تعالى اقرأ باسم ربك فللاهتمام بالقراءة لخصوص المحل فان أول هذه السورة أول ما أنزل من القرآن واقرأ فيها راجع للبسملة لانها بعض ذلك الاول ومقدمة عليه فهي أول آية نزلت على الاطلاق كما اقتضى الاختصاص والحصر اياك نعبد واياك نستعين والمعنى نخصك بالعبادة والاستعانة فلا نعبد الا أنت ولا نستعين الا بك ففي تقديم اسم الله اهتمام به للتعظيم واختصاص أيضا وحصر للذوق السليم وتنبيه على انه ينبغي للعابد أن يكون نظره ابتداء الى المعبود ثم الى العبادة لا من حيث انها عبادة صدرت عنه بل من حيث انها نسبة شريفة اليه ووصلة بينه وبين معبوده وقدمت العبادة على الاستعانة لتوافق رؤس الآي ولان تقديم الوسيلة التي هي القربة والاعمال الصالحة على طلب الحاجة أدعى الى القبول والاجابة وللاشارة الى انه لا توجد العبادة من العابد الا مع الاستعانة ولذلك قيل ان الواو للحال وكرر الضمير اشارة الى حصر الاستعانة به تعالى وذكر اسين بسم للفرق بين التيمن واليمين (والله) أصله الاله زيدت فيه اللام وشددت وحذفت همزته فصار الله وهو علم على ذاته تعالى وتقدس

يوصف ولا يوصف به (والرحمن الرحيم) اسمان بنيا للمبالغة من رحم كالغضبان من غضب والعليم من علم والرحمن أبلغ من الرحيم لان زيادة البناء تدل على زيادة المعنى وانما قدم والقياس يقتضي الترقي لانه صار كالعلم من حيث انه لا يوصف به غيره تعالى لان معناه المنعم الحقيقي البالغ في الرحمة غايتها وذلك لا يصدق على غيره أو لان الرحمن لما دل على جلائل النعم وأصولها ذكر الرحيم ليتناول ما خرج منها فيكون كالتتمة وفي ايثار هذين الوصفين المفيدين المبالغة في الرحمة اشارة لسبقها وغلبتها على اضدادها وعدم انقطاعها (فلينظر القائل) بسم الله أهو عامل بمعناه لقصره الاستعانة والبركة على اسم الله خاصة فلا يعتقد معنى ذلك في غيره تعالى كما كان يعتقده المشركون في آلهتهم ولا يرضى به اذ وان اشعر تقديم العامل بالاحتمال فاعتقاده باق على حاله أو هو يعتقد ذلك المعنى في غير الله مع كونه انما ذكر اسم الله خاصة أو لم يعتقده لكنه يرضى به من غيره فهذا لم يقصر الاستعانة والبركة على اسم الله وان أتى بما يفيد ذلك لفظا لان عقيدته أفسدت عليه (ومعنى الحمد لله) أي جنس الوصف بالجميل أو كل فرد منه مملوك أو مستحق للمعبود بالحق المتصف بكل كمال على الكمال والحمد هو الثناء بالصفات الجميلة الاختيارية والافعال الحسنة المرضية سواء كان في مقابلة نعمة أم لا وفي الاصطلاح فعل ينبئ عن تعظيم المنعم بسبب انعامه على الحامد أو غيره والشكر لغة هو الحمد اصطلاحا ومعناه اصطلاحا صرف العبد جميع ما أنعم الله به عليه لما خلق لاجله قال تعالى وقليل من عبادي الشكور وبين الحمد والشكر اللغوي عموم وخصوص من وجه فان الحمد مورده خاص ومتعلقه عام والشكر مورده عام ومتعلقه خاص كقوله

أفادتكم النعماء مني ثلاثة * يدي ولساني والضمير المحجبا

(ولينظر القائل الحمد لله) أيضا هل هو خص بالمعبود بالحق المتصف بكل كمال على الكمال بما هو حق له فما كان من جلب نفع أو كشف ضر فلا ينسبه الا اليه تعالى ويثني عليه به لانه المنعم الحقيقي وغيره وان أسدى معروفا فالثناء عليه مجاز لان الله هو الخالق لذلك الغير وهو المعطي له ما أسداه وحببه اليه وقواه عليه فهو سبحانه المعطي المانع الضار النافع وازمة الامور كلها في يده ومرجعها اليه فصار معنى الحمد مختص لله تعالى بهذا الاعتبار وان أثنى على الناس خيرا أو هو ينسب شيأ من ذلك لغيره تعالى فقد عدل به وان كان الحمد لله لفظا فان كان قد خص المعبود بما هو حق له فقد أتى بمعنى أحمده لان معناه أصفه بجميع صفاته التي كل منها جميل وأثني عليه بها فان رعاية الجمع أبلغ في التعظيم وهذه الصيغة يدل معناها على ايجاد الحمد الذي هو الثناء على الله بجميع المحامد لا الاعلام بذلك وان لم يخصه تعالى بما هو حقه لم يأت بالمعنى وانما هو مجرد لفظ خال منه (ومعنى) أستعينه أي أطلب المعونة في أموري كلها منه فانا متوكل عليه ومتبرئ من حولي وقوتي ولا أرضى من نفسي ولا من غيري الا بذلك فان عمل به فقد أتى بمعناه والا فهو مجرد لفظ (ومعنى) أستغفره أي أطلب منه المغفرة ثم ان كان المستغفر قد فعل ذنبا أقلع عنه وندم عليه وعزم أن لا يعود اليه فذلك توبة والا فهو مجرد دعاء والمستغفر المقيم على ذنبه كالمستهزئ بربه (ومعنى) أعوذ أي ألوذ وأتحصن وأعتصم وأستجير بالله من شر هذه النفس الامارة أن تصدني عن فعل ما أمرت به أو تحملني على فعل ما نهيت عنه فيحصل لي الشر من قبلها لانها قد حسنت لي سيآت الاعمال فاعوذ بالله من شرها ومن سيآت أعمالها (فعلامة) الصدق في ذلك فعل المأمورات واجتناب المنهيات والانقياد الى قول الله والاتباع لدين

محمد

محمد بن عبد الله والا فهو مجرد لفظ خال من معناه (ومعنى) من يهد الله فلا مضل له أى من يرشده الله الى سبيل الرشاد وهو الصراط المستقيم الذى أنعم الله به على النبيين والصديقين والشهداء والصالحين فلا محيد له عن ذلك ومسهل الهداية دخول الدليل الى الفؤاد والانبساط له كما يراد ثم خفة الطاعة بعد القيام بمعنى الشهادتين والجد على الخروج من ساحة الاضاعة ونور البصيرة وجلاء عين السريرة والسلوك فى مدارج السالكين ومناهج المتقين والسفر الى أعلى عليين ومحبة أرحم الراحمين والاقتداء بافضل المرسلين وأما من كان من الضالين أى الهالكين الغائبين عن الهدى الزائغين عنه بتقدير الله عليه ذلك فلا هادى له مصداقه قوله تعالى من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا بل قلبه عن الحق مقفل قد نابذ جميع أوامر الله عز وجل وانتقش فى خاطره الكثيف بغض الحق وأهله وامتلأ قلبه وقالبه بحب الباطل وأهله والشيطان وحزبه والتلذذ بكل نوع من الطغيان فنفرت منه كل جارحة عن حزب الرحمن لاشئ أحب اليه من اطفاء نور الايمان وتكثير جند الطغيان وفى المعنى يقول الرحمن ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء وهذه الآية على هؤلاء أشد بلية وأجل رزية فانهم يحاولون بجدهم وجهدهم اغواء المؤمنين ونقض عهدهم مع الموحدين ليرجعوا الى ماهم عليه من الباطل والطغيان ومن ذاق طعم الايمان لان يقذف فى النار أحب اليه من أن يعود فى الكفر بعد ان أنقذه رب العالمين لحلاوة الايمان لالذمنها عند الموحدين ثم النصر والتأييد لهم فى كل حين وحزب الشيطان يريدون أن يطفؤا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون والمهتدى اذا صارت نفسه لوامة خاف من مورثات الندامة لحزن على مافات وخاف مما هو آت ومقام الخوف من أجل المقامات ولمن خاف مقام ربه جنتان وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هى المأوى وقد أخبر صلى الله عليه وسلم انه أخوف الامة لمولاه فلينظر الانسان من أى الفريقين هو أمن حزب الرحمن أم من أولياء الشيطان الذين لم ينقادوا لاتباع ماجاءت به الرسل فقلب قلبه عن الحق بعدم الانقياد كما قال تعالى ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة وكقوله كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون فجعل علة التقليب والطبع عدم الانقياد لاتباع ماجاءت به الرسل وذلك انه تعالى قد فطر عباده على الهدى فمن بقى على الفطرة وقبل ماجاءت به الرسل زاده هدى ولطفا وتوفيقا ومن غير الفطرة وعاند ماجاءت به الرسل ولاه الله ماتولى وأصلاه جهنم وساءت مصيرا ويسره للعسرى وخذله (ثم ليعلم) ان ارادته تعالى الخير من عباده وارادته الشر لا يستلزم وقوع المراد منهم ضرورة انه أراد ذلك منهم مع بقائهم مختارين كما أراد الايمان منهم فهو أراد وقوع الخير منهم وهم مختارون فقد يقع ما أراده تعالى منهم وقد يتخلف هذا بخلاف ما يريده تعالى من أفعاله فانه لا يتخلف عن ارادته وقوع مراده مثل قوله تعالى انما قولنا لشئ اذا أردناه أن نقول له كن فيكون بخلاف الاول ومنه يريد الله أن يتوب عليكم فان المراد يريد منكم ان يتوب عليكم فيتوب عليكم أى يتقبل توبتكم الا ان مع ارادته تعالى الخير لعبده يكون أقرب الى فعل ما أراده منه لانه من اللطف وعكسه ارادته بعبده الشر (اذا عرف هذا) فليجعل هذا البحث نصب العينين فقد زلت بجهله عوالم وتهاوش حوله طوائف ولم يقع لهم محررا مقررا (ومعنى نشهد) أن لا اله الا الله وحده لاشريك له أى أذعن بقلبى واعترف بلسانى وأعمل بمقتضى ذلك ان لا معبود بحق فى الوجود الا الله فمن عبد من دونه أو معه فعبادته زور وظلم وبهتان وانا برئ من العابد

وعبادة المعبود واشتقاق الاله من اله وهو الذى تألهه القلوب بالمحبة والتعظيم والاجلال والخوف والرجاء والالتجاء والتوكل والانابة وذبح النسك (قال تعالى) ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله فالمحبة التى فى الله غير التى كحب الله لان الاولى محمودة شرعا كما فى حديث السبعة الذين يظلهم الله تحت ظل عرشه يوم لاظل الاظله والثانية تالله تالله ان كنا لفى ضلال مبين اذ نسويكم برب العالمين وكذلك الخوف فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين والتوكل وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين وقوله تعالى ان صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لاشريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين فهذا كله يفيد الحصر ثم استعمل فى كل ما يعبد مما تقدم ذكره من دون الله أومعه فنفى ذلك بلا النافية للجنس وأثبت الالوهية لمستحقها وهو الله بالا المفيدة للحصر (وحده) أى حال كونه منفردا بها عما سواه (لاشريك له) حال ثانية مؤكدة للاولى أى لاشريك له فى هذه الالوهية التى نفيت عن غيره واختصت بجلاله وعظمته فالعبادات بانواعها له خاصة به ليس لاحد منها شئ ألبتة فهذه الكلمة الطيبة التى قد قامت بها الارض والسموات وفطر الله عليها جميع المخلوقات وعليها أسست الملة ونصبت القبلة ولاجلها جردت سيوف الجهاد وبها أمر الله سبحانه جميع العباد وهى فطرة الله التى فطر الناس عليها ومفتاح عبوديته التى دعا الامم على ألسنة رسله اليها فهى كلمة الاسلام ومفتاح دار السلام وأساس الفرض والسنة ومن كان آخر كلامه لا اله الا الله دخل الجنة ضد الكلمة الخبيثة التى كالشجرة الخبيثة اجتثت من فوق الارض مالها من قرار فهى خراب الكائنات وعليها تثبت انواع المنكرات وبها أوجد الذل والصغار ولاجلها فتحت أبواب النار فكل من لم يعمل بمعنى هذه الشهادة التى قد شهد بها فهو كاذب فى ادعائه اياها كما كذب الله الذين شهدوا بالرسالة فلم يعملوا بمعناها (وان محمدا عبده ورسوله) أى اشهد ان محمدا عبده ورسوله فمحمد اسمه صلى الله عليه وسلم وكنيته أبو القاسم وسمى به لكثرة خصاله الحميدة سمى به قبله سبعة عشر شخصا على ما قاله ابن الهائم عن بعض الحفاظ بخلاف أحمد فانه لم يسم به قبله عبده قال أبو على الدقاق ليس شئ أشرف ولا أتم للمؤمن من الوصف بالعبودية ورسوله الى كافة الخلق والرسول انسان ذكر أوحى اليه بشرع وأمر بتبليغه أخص من النبى فبينهما عموم وخصوص مطلق يجتمعان فى مادة وينفرد أحدهما فى أخرى وهو الذى أرسله الله رحمة للعالمين وقدوة للعاملين ومحجة للسالكين وحجة على المعاندين وحسرة على الكافرين (أرسله بالهدى ودين الحق) الذى هو التوحيد بين يدى الساعة بشيرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا فانعم به على أهل الارض نعمة لايستطيعون لها شكورا فامده بملائكته المقربين وايده بنصره وبالمؤمنين وأنزل عليه كتابه المبين الفارق بين الهدى والضلال والغى والرشاد والشك واليقين فشرح له صدره ووضع عنه وزره ورفع له ذكره وجعل الذلة والصغار على من خالف امره وفرض على العباد طاعته ومحبته والقيام بحقوقه وسد الطرق كلها اليه والى جنته فلم يفتح لاحد الا من طريقه فهو الميزان الراجح الذى على أخلاقه وأقواله وأعماله توزن الاخلاق والاقوال والاعمال والفرقان المبين الذى باتباعه يتميز أهل الهدى من أهل الضلال فلم يزل صلى الله عليه وسلم مشمرا فى ذات الله لايرده عنه راد صادعا بامره لايصده عنه صاد صادع الى ان بلغ الرسالة وأدى الامانة ونصح الامة وجاهد فى الله حق الجهاد فاشرقت برسالته الارض بعد ظلماتها وتألفت به القلوب بعد شتاتها وامتلأت به الدنيا نورا وابتهاجا

ودخل الناس فى دين الله أفواجا فلما أكمل الله به الدين وأتم به النعمة على عباده المؤمنين استأثر به ونقله الى الرفيق الاعلى والمحل الاسنى وقد ترك أمته على المحجة البيضاء والطريق الواضحة الغراء فصلى الله وسلم وملائكته وأنبياؤه ورسله والصالحون من عباده عليه كما وحد الله وعرف به ودعا اليه ومن لازم صحة هذه الشهادة الايمان بما أرسل به وهو التوحيد قولا وعملا واعتقادا وتصديقه بجميع ما أخبر به والا فهو مكذب (ودين الحق) هو التوحيد المنصور لقوله تعالى (ليظهره) أى يعليه ويعزه (على الدين كله) سائر الاديان المخالفة لدينه (صلى الله وسلم عليه) قال الازهرى معنى الصلاة من الله الرحمة ومن الملائكة الاستغفار ومن الآدمى التضرع والدعاء بخير وقال أبو العالية صلاة الله ثناؤه عليه عند الملائكة وصلاة الملائكة الدعاء والسلام اما بمعنى التحية أو بمعنى السلامة من النقائص والرذائل وتستحب الصلاة عليه بتأكد وتتأكد كلما ذكر وقيل بوجوب الصلاة عليه كلما ذكر اسمه (وعلى آله) وهم فى مقام الدعاء أتباعه على دينه عند أكثر أهل العلم قال تعالى ويوم القيامة ادخلوا آل فرعون أشد العذاب أى اتباعه وقيل هم الاتقياء من أمته وأما فى مقام الزكاة فهم أقاربه المؤمنون من بنى هاشم والمطلب ابنى عبد مناف وقدموا على الصحب للامر بالصلاة عليهم واضافته الى المضمر جائزة عند الاكثر وعمل أكثر المصنفين عليه ومنعه جمع منهم الكسائى والنحاس والزبيدى (وصحبه) جمع صاحب وجمع الصحب أصحاب والصحابى من لقى النبى صلى الله عليه وسلم واجتمع به مؤمنا ومات على ذلك وعطفهم على الآل من عطف الخاص على العام وفى الجمع بين الصحب والآل مخالفة للمبتدعة لانهم يوالون الآل دون الصحب (وجنده) هم خاصته من المؤمنين (وحزبه) المعاونين له بالنصرة (وعلى من تبعهم باحسان) لم يغير ولم يبدل واسيرتهم الحسنى (وقفى أثرهم) على السيرة المحمودة (الى آخر الزمان) فمن لم يتبع بل غير وبدل فهو مبتدع وقد أثنى الله على الذين يطلبون المغفرة من ربهم لانفسهم ولمن سبقهم من المؤمنين فقال تعالى والذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رؤف رحيم فهذا هو المطلوب بعكس ما عليه أهل الاهواء من الوثوب على مسبة الخلق الذى جاء من عند الله فهو له غير محبوب وتفريق كلمة المؤمنين وسب أكابر الصحابة والتابعين

وما أمروا الا ليستغفروا لهم * فسبوا كراما سبهم لم يحلل

وقد قال الامام مالك رحمه الله من أصبح وفى قلبه بغض لاحد من الصحابة فقد أصابته الآية يعنى قوله تعالى ليغيظ بهم الكفار * وصرح بعض الحنفية بتكفير الرافضة لسبهم الصحابة فقال صاحب تبيين المحارم فصل واعلم ان الروافض كفار عندنا لانهم يسبون أبا بكر وعمر رضى الله عنهما وكذا من أنكر خلافتهما يكفر عندنا فى الاصح وقد أثنى الله سبحانه على السابقين من الاولين والتابعين لهم باحسان الى يوم الدين فى قوله تعالى والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم وانما المتبع لهم العامل بمناهجهم والمقتدى بهديهم هو الذى لم يحدث فى الدين ولم يغير ما جاءت به سنة سيد المرسلين وأما قولكم (وبعد فلما ان ورد كتابكم الى حضرة سليمان باشا وطلبتم منه ان يجمع علماء مملكته لينظروا فى كتاب الشيخ محمد بن عبد الوهاب كى يطلعوا على ما انطوى عليه من الاحكام ويميزوا ويبينوا ما يستوجب النقض والابرام صدر منه الامر الواجب القبول والاتباع وأشار الى واشارته

حكم وطاعته غنم فامتثالا الامر نظرنا فيه فبعد ان طالعناه وفهمنا فحواه وجدناه كتابا جامعا الشتات من المسائل مشتملا على عدة رسائل لكنه قد جمع فيه بين غث وسمين وقوى وواهين ووجدنا أحواله أحوال من عرف من الشريعة شطرا ولم يمعن فيها نظرا ولا قرأ على أحد ممن يهديه الى النهج القويم ويدله ويوقفه على العلوم النافعة التى هى الصراط المستقيم) فنقول (وبعد) هذه الكلمة يؤتى بها للانتقال من غرض الى غرض آخر ويندب الاتيان بها فى الخطب والمكاتبات كما كان صلى الله عليه وسلم يأتى بها فى خطبه ومكاتباته رواه عبد القادر الرهاوى فى الاربعين له عن أربعين صحابيا وأول من تكلم بها داود صلى الله عليه وسلم فهى فصل الخطاب الذى أوتيه والصحيح انه فصل الخصومات كما عليه جل العلماء وقيل أول من تكلم بها يعرب بن قحطان وقيل قس بن ساعدة وقيل غير ذلك وهى من الظروف التى تقع على الزمان والمكان ويجوز هنا ارادة كل منهما وهى مبنية على الضم لنية معنى المضاف اليها ويجوز نصبها لنية لفظه كما لو ذكر وان لم ينو شئ من ذلك جاز تنوينها نصبا أو ضما والواو نائبة عن أما وأما نائبة عن مهما والاصل مهما يكن من شئ بعد الحمدلة الى آخره (فلما) أو غير ذلك (ان ورد) من ورد الشئ الى مستقره أى وصل (كتابكم) أى مكتوبكم (الى الوزير) المذكور اسمه أعلاه وفقه الله وهداه وأصلح حوالنا واياه (وطلبتم منه ان يجمع علماء مملكته) أى دولته وسلطنته وهم علماء بلده المقيمون فيه (لينظروا فى كتاب الشيخ محمد بن عبد الوهاب) بن سليمان بن على بن محمد بن أحمد بن بريد بن مشرف بن عمر بن معضاد بن ادريس بن على بن محمد بن علوى بن قاسم بن موسى بن مسعود بن عقبة بن مسعود بن حارثة بن عمرو بن ربيع بن ساعدة بن ثعلبة بن ربيعة بن ملكان بن عدى بن عبد مناة بن تميم ولد سنة ١١١٥ دخل البصرة والحجاز وأخذ العلم عن جماعة منهم الشيخ على أفندى الداغستانى لما اجتمع به فى المدينة المنورة مجاورا بها شيخ مشايخ الشام بأجمعهم بعد الشيخ أبى المواهب والشيخ اسمعيل العجلونى فان أبا المواهب الكبير وهو المحدث عبد الباقى متقدم عليه والشيخ العجلونى كان فى عصره وأخذ أيضا عن عبد الله بن ابراهيم نزيل المدينة والمشهور بها وأخذ أيضا عن عبد اللطيف الاحسائى العفالقى وأخذ أيضا عن محمد العفالقى الاحسائى فقد قرأ على الشيخ عبد الله بن ابراهيم وأجازه من طريقين (أحدهما) عن ابن نصر الله عن الشيخ محمد البلبانى عن الشيخ أحمد بن على الوفائى المفلحى عن الشيخ موسى الحجاوى عن القاضى برهان الدين بن مفلح وهما عن والده نجم الدين بن مفلح عن والده القاضى صاحب الفروع عن جده عبد الله بن مفلح عن الشيخ تقى الدين أحمد بن تيمية عن شمس الدين بن أبى عمر عن عمه موفق الدين بن قدامة عن الشيخ عبد القادر الجيلى عن القاضى أبى يعلى المرداوى عن ابن حامد عن أبى بكر الخلال عن أبى بكر المروزى عن الامام أحمد عن سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن ابن عباس رضى الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عن جبرائيل عليه السلام عن رب العزة تبارك وتعالى (والثانى) عن عبد القادر التغلبى عن عبد الباقى أبى المواهب المحدث عن الشيخ أحمد الوفائى عن موسى الحجاوى عن أحمد الشويكى عن العسكرى عن عبد الرحمن بن رجب عن ابن القيم عن تقى الدين أحمد بن تيمية عن شمس الدين نجل أبى عمر عن عمه موفق الدين عن الشيخ عبد القادر الجيلانى عن أبى الوفا ابن عقيل عن القاضى أبى يعلى عن ابن حامد عن أبى بكر المروزى عن الخلال عن الاثرم عن الامام أحمد عن سفيان بن عيينة أيضا عن عمرو بن دينار عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم عن جبريل عليه السلام

عن

عن الله تبارك وتعالى وقد أجازه أيضا كل من الشيخ على افندى وعبد الله بن ابراهيم وعبد اللطيف العفالقى فى كل ما حواه ثبت الشيخ عبد الباقى أبى المواهب الحنبلى قراءة وتعلما وتعليما من صحيح البخارى بسنده الى مؤلفه وصحيح مسلم بسنده الى مؤلفه وشروح كل منهما وسنن الترمذى بسنده وسنن أبى داود بسنده وسنن ابن ماجه بسنده وسنن النسائى الكبرى بسنده وسنن الدارمى ومؤلفاته بالسند وسلسلة العربية بسندها عن أبى الاسود عن على بن أبى طالب كرم الله وجهه وكتب النووى كلها وألفية العراقى والترغيب والترهيب والخلاصة لابن مالك وسيرة ابن هشام وسائر كتبه ومؤلفات ابن حجر العسقلانى وكتب القاضى عياض وكتب القراآت وكتاب الغنية لعبد القادر الجيلى وكتاب القاموس بالسند الى مؤلفه ومسند الامام الشافعى وموطأ مالك ومسند الامام الاعظم ومسند الامام أحمد ومسند أبى داود ومعاجم الطبرانى كتب السيوطى فقه الحنابلة وسلسلتها وأصولهم ثم انه رجع الى نجد فوجد أهلها ضالين وعلى أصنام يعبدونها من دون الله عاكفين ما بين أشجار وأحجار وغيران وطواغيت من الانس والجان فاتنين ومفتونين فلم يسعه الا الصدع بالحق والاعراض عن المشركين والنصيحة لهؤلاء العاكفين عملا بنصيحة الدين وخوفا من حلول اللعنة الى يوم الدين ان الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس فى الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون فحتم عليه البلاغ والعلم والتعليم فشرع فى ذلك وهو على الله متوكل وبآيات الله متفكر وبحبله معتصم بعد ان طرا فى خلده وخطر فى هاجسه انه مما هم به على خطر وانه من ذلك على حذر فلما أن توكل على الذى ليس دونه مفر ولا يغنى عنه مقر كفاه ومنه وحماه فادركت العناية الالهية والهداية الربانية من أراد الله هدايته لاقامة دين الاسلام والتمسك فى سبل السلام أمير بلدته التى فيها محلته مرحوم الودود محمد ابن سعود فشرح الله لذلك صدره ويسر له أمره ففتحت عين بصيرته وانجابت غشاوة سريرته فسمع ووعى وذكر وأوعى وزادته العناية توفيقا والهداية فى قلبه ترقيقا فاجد وأمد وعن ساعده شمر واجتهد مقبلا على اقامة التوحيد وداعيا اليه العبيد فلذلك عاداه أهل هذا الباطل وأقاموا بأنواع العداوة عليه فاجمعوا أجدهم وجهدهم من خيلهم ورجالهم ومدافعهم التى هى غاية ماعندهم ليرجعوه هو واتباعه عن اقامة التوحيد والدعاية اليه واخلاص الوحدانية والعبادة كلها بأنواعها لله وحده الى ما كانوا عليه من الطغيان وعبادة الشيطان من الانس والجان فابى الله الا أن يتم نوره ولو كره المشركون ولم يزل ذوا العناية والهداية معتصما بحبل الله معد الأولياء الشيطان ما استطاع من قوة الآلات ومن رباط الخيل فى سبيل الله ممتثلا قوله تعالى فى الآيات البينات وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شئ فى سبيل الله يوف اليكم وأنتم لا تظلمون فاعز الله به الاسلام والمسلمين وألف به بين قلوب المؤمنين وظهر الحق وانتصر الدين وقمع الباطل وأولياءه المشركين وهكذا لم يزل الامر حتى توفاه الله اليه واختار له ما لديه من النعيم المقيم أبد الآبدين قال تعالى ومن يطع الله ورسوله ويخشى الله ويتقه فأولئك هم الفائزون وقال تعالى ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا فقام مقامه وانتصب انتصابه ناصر السنة والدين وخاذل البدعة والمشركين المجاهد فى سبيل الله

ايمانا واحتسابا والداعى الى الله ايحايا بحوله الاواه المعتصم بالله الحميد المحمود عبد العزيز بن محمد بن سعود فجاهد فى الله واجتهد وبذل نفسه لله وأعد فافشى الله به الاسلام وأوسعه واضمحل به الباطل وقمعه ولا قام صاحب باطل وهوى على اطفاء نور الله الا واهلكه الله فى ساعة قصيرة فلله الحمد والمنة حتى وقع فى الاسلام وقائع غرائب وعجائب كما مضى فى صدر سلف هذه الامة عينا بعين ومثلا بمثل ما لو جمع ذلك لاحتمل مجلدات لكثرة البلاوى والوقائع الغريبات بمعادات هذا الدين والتصديق والانقياد لقول أعدائه من شياطين الانس المفتونين اذ كالوا وكذبوا وشنعوا وسعوا لهم وان لم يحققوا ويتحققوا فقد آل الامر الى تجذيب النساء مع الرجال من تحت أستار الكعبة فى وقت الشريف مسعود فحبس وعذب وسرقن عن بلد الله الحرام من كان فيه تهمة من هذا الحق والتمسك به وانتساب اليه وغرب عداوة للدين وطواعية لشياطين الانس المعاندين بلا مراجعة ولا مفاكرة ولا عداوة دنيوية سابقة وانما هو عناد وطعن فى الحق المراد بلا تحقق ولا تذكر ولا تفكر ولما حذر الشيخ محمد بن عبد الوهاب عن هذا الشرك الاكبر فعنه أنذر وأقام عليه البراهين من القرآن والسنة وكلام الائمة فقرر وحرر أحب أن يجمع فيه كتابا مختصرا جامعا لمعنى دين الرسل من أولهم الى آخرهم ومعرفته ومعنى دين المشركين المتقربين الى الله ببعض الاشياء اليه من أعمال المعاندين بادلته الجامعة من الكتاب والسنة وكلام صالح سلف الامة وليس هو يدعو الناس الى التزام مذهب معين فيجمعهم عليه وينكر كلام واجتهاد الائمة المجتهدين من غيره ولا انه يدعى الاجتهاد بنفسه وانما يدعوهم الى العلم والعمل بمعنى هذه الكلمة الطيبة التى أرسلت بها الرسل وأنزلت فى تقريرها الكتب للعلم بها والعمل بمعناها وترك الكلمة الخبيثة عملها ومنشأها وسماه كتاب التوحيد فيما هو حق على العبيد وكشف شبه المرتاب فيما التبس عليه من الخطأ والصواب فشاع وذاع ونفع من الله نقاد وأطاع وقد أرسل نسخة منه ولى الامر المجاهد الاواه من ذكر اسمه المنيف أعلاه الى جناب العزيز المكرم سليمان باشا محبة اليه ونصيحة وحرصا عليه وفضيلة وليتأمل بعين الانصاف هو ومن كان عالما من أهل الانصاف فيعمل بعد تحققه ذلك باقامة الدين ويترك قول الشياطين المعاندين ويحقق التوحيد المطلوب من العبيد وما أصبح عليه غالب الناس من جعلهم من لا يدانى رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى خاطبه ربه فى قوله تعالى ولقد أوحى اليك والى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين بل لعله عدو لرسول الله صلى الله عليه وسلم بمنزلة رب العالمين والسموات السبع والارضين السبع ورب العرش العظيم فيعذرنا فى أمرنا ونهينا ولا يطيع الخصم فينا لان العاقل اللبيب اذا فهم ذلك وأتقنه تيقن ان أمرنا الذى قمنا به وباشرناه واجب ومحتم علينا قال الله تعالى الذين ان مكناهم فى الارض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الامور وقال تعالى كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر ولا منكر أعظم ولا أكبر من الشرك بالله ونحن قد مكننا الله فى الارض ولله الحمد فلا عذر لنا ومن لم يمكنه الله فيها ولم يقدر على اظهار ما طلب منه وجب عليه شرعا ان يأوى الى من ينصره حيث وجدو يعاونه على البر والتقوى (كى يطلعوا على ما انطوى عليه من الأحكام ويميزوا بين ما يستوجب النقض والابرام) أتى بكى التعليلية التى تفيد ان الاطلاع والتمييز علة لارسال الكتاب أى لم يرسل الا ليطلعوا عليه ويميزوا ما فيه مما يستوجب النقض والابرام فاما الاطلاع على ما فيه من الأحكام فنعم

والاحكام جمع حكم وهو ما شرعه الله من حلال وحرام ومكروه ومباح ومندوب والمقصود بها هنا أبوابه ومسائله الشاملة لذلك وبيان أصله المشتمل على التوحيد بأدلته التفصيلية وأما التمييز بين ما ذكره فليس هو علة للارسال اذ لم يرسل ليحرر ويعمر بل قد حرر وأمر عند شيوخ أفاضل وجهابذة أكابر منهم المشايخ الشاميون الشيخ علي أفندي الداغستاني الذي قد ذكرنا اسمه وابن عمه الشيخ عبد الكريم أفندي الداغستاني والشيخ محمد البرهاني والشيخ عثمان الديار بكري نزيل المدينة المنورة والشيخ محمد السفاريني نزيل نابلس وأرسل اليه بنسخة فأمرها وأقرها من غير مشايخه الذين قد ذكروا فإن منهم من أدرك كلامه وكلهم قد قرروه وحرروه وجوزوه ولكن عذرهم عدم انساعدهم في قيام ما تضمنه من اقامة الدين واخلاصه لرب العالمين وانه هو الذي يدينون الله به في انفسهم واهليهم واصحابهم من عشائرهم لكن لا يقدرون على نهي الناس عما اعتقدوه وعملوا به وقالوه لان ذلك يحتاج الى سيف قائم وامام عادل وذلك متعذر الآن الا بتوفيق الله وايجاده وانما أرسل الكتاب لامرين الاول ليحصل العلم عند الخاص والعام انا لم نقاتل الناس الا على اقامة دين المصطفى محمد صلى الله عليه وسلم من العلم بمعنى هذه الكلمة الطيبة والعمل بها وعمل سائر المعروف التابع لها من صلاة وزكاة كفعل أبي بكر الصديق رضي الله عنه مع المانعين لها والتعلم بما أوجب الله على عباده وما طلبه منهم وخلقهم له ونهاهم عنه وحذرهم منه فان الرجل من أهل هذا الزمان يشب ويشيب وهو لا يعرف المعروف بانواعه بل حتى التوحيد وضده وفروض وضوئه وصلاته وما يبطلهما لا يعلمه بل هو منهمك في القول والقيل بلا فائدة ولا عائدة وعلى ترك ضده المنافي لها وهو الشرك الذي قال الله ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وازالة سائر ما هو تابع لها من زنا وربا وشرب خمر ولواط وسائر المحرمات ومع ذلك نحن لا نكفر بالمعاصي كما توهمه مطيعو العدو وانما نكفر المشركين الذين كفرهم الله في كتابه المبين أو الراضين أعمالهم المظاهرين لهم علينا والمكفرين لنا بامرنا ونهينا لقوله تعالى انكم اذا مثلهم وقاتلهم عليه وعلى سائر أفعال المعروف والمتروك الثاني النصيحة لهذا الوزير الذي هو عندنا في محل حرصا عليه وشفقة منا اليه لودنا انه ما وددنا لانفسنا من أنواع الخير فيتأمل ويعمل ورجاء ان الله يهدي به خلقا كثيرا كما قال صلى الله عليه وسلم لعلي بن أبي طالب كرم الله وجهه والله لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم وليتأمل أيضا ببصيرة قلبه خير القرون المضية واهلها الذين قال عنهم النبي صلى الله عليه وسلم خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم والقول بانا لا نقدر على ذلك ليس بعذر سديد لان الله قال وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وقال تعالى لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة وقال صلى الله عليه وسلم فيما صح عنه عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ واياكم ومحدثات الامور فان كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار وليس له صلى الله عليه وسلم طريق ولاصحابه آخر ولا لاصحابه طريق ولنا آخر بل الطريق الذي فطر الله عليه الامة وامرها باتباعه واحد فالنبي صلى الله عليه وسلم يتقدمنا فيه ونحن نقتفي أثره وأثر صحابه كما كان عليه السلف الصالح والدنيا فانية مفروغ منها والامر اسرع من ذلك والعز بانواعه لم يوجده الله الا في الاسلام والاقامة عليه والذل والصغار والمحق في ضده قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى (صدر منه الامر الواجب القبول والاتباع وأشار الى واشارته حكم وطاعته غنم فامتثالا للأمر نظرنا فيه) صدر أي مضى من هذا

الوزير الأمر لعلماء مملكته لينظر وافى هذا الكتاب والله أعلم بنيته اذا وجب القبول والاتباع صفتان للامر ولاشك ان طاعة الأمير واجبة لكن فى غير المعصية وأشار الى فيه ان هذا المشار اليه يدعى انه من أجل علماء المملكة وأكبرهم قدرا عنده فلذلك خصه من بينهم فامتثالا لأمره نظرنا فيه يعنى والا لولا أمره لم ننظر فيه ولم نطالعه ولم نتأمله وهذا من أعظم التعصب وأكبر التوثب على الركون الى الرأى العقلى بلا حجة قطعية ولا دليل نقلى فهو من نوع التوكل على مجرد الرأى وذلك هو الموجب لقول الزور والبهتان والوقوع فى الاثم والعدوان اذ ما من مستغن برأيه عن مشاهدة الحق واتباعه والتأمل فى أحوال الاوقات عليه خير كثير ولم يحصل له ما خيل اليه مما يزعم انه لديه وهذا من العلم العقلى المخالف للدليل النقلى الناشئ عن الجهل الكلى قال تعالى انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم ان يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فأولئك هم الفائزون وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم عن ذلك انه اتباع هوى واعجاب فروى أبو ثعلبة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا ودنيا مؤثرة واعجاب كل ذى رأى برأيه فعليك بنفسك والترفع عن أخذ العلم والحق وعن سماعه وادعاء الانتهاء فيه والاستغناء عنه من أكبر العجب وهذا ادعاء فيما لا سبيل له اليه ولا ملك له فيه وان زعم كمال الفهم فيه والاطلاع عليه اذ ما من عالم الا وفوقه أعلم منه قال تعالى وفوق كل ذى علم عليم أى لكل ذى علم من المخلوقين أعلم منه حتى ينتهى العلم الى الله عز وجل ولذلك عتب الله على موسى عليه السلام حين قام خطيبا فى بنى اسرائيل فسئل هل أحد أعلم منك قال لا فقال الله بلى ان عبدنا خضرا هو أعلم منك فلا زال يطلبه حتى وجده ليأخذ عنه العلم ومن استغنى برأيه وزعم ان الباطل حق باستدلالاته التى قامت مخايل خفياتها الخالى فى ذهنه وقرب سرابها النائى فى ظنه فتخيل ان جميع معانيها وما فيها منسوبة عنه واليه ولم يعلم انها حجة عليه فقد أخطأ سبيل الرشاد وتعمق فى أنواع العناد مقلدا لما سمعه من عدو الحق بلا تحقق سمعت الناس يقولون شيئا فقلته والله تعالى يقول ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا وفى المسند للامام أحمد عن ابن عمر يرفعه الى النبى صلى الله عليه وسلم من تعظم فى نفسه واختال فى مشيته لقى الله تبارك وتعالى وهو عليه غضبان وقال صلى الله عليه وسلم ان شر الشر شرار العلماء وان خير الخير خيار العلماء رواه الدارمى فى مسند الفردوس وذلك لانهم سبب صلاح العالم واليهم تنتهى أمور الدنيا والدين وبهم الحل والعقد فاذا فسدوا افسدوا الناس كلهم وسبب فسادهم الضار بالخاص والعام متابعة الهوى وحب الرياسة والعجب بالرأى وقد يظهر للناس ما يدل على صلاحه من أمر ونهى وهو فى قيد هواه معجب فى نفسه ففى صحيح مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان أول الناس يقضى فيه يوم القيامة ثلاثة رجل استشهد فأتى به فعرفه نعمته فعرفها فقال ما عملت فيها قال قاتلت فيك حتى قتلت قال كذبت ولكن قاتلت ليقال هو جرىء فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى فى النار ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن فأتى به فعرفه نعمته فعرفها فقال ما عملت فيها قال تعلمت فيك العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن فقال كذبت ولكن تعلمت ليقال هو عالم فقد قيل وقرأت القرآن ليقال هو قارئ فقد قيل ثم أمر به

فسحب على وجهه حتى ألقى فى النار ورجل وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال كله فأتى به فعرفه نعمته فعرفها فقال ما عملت فيها فقال ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها الا أنفقت فيها لك قال كذبت ولكنك فعلت ليقال هو جواد فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى فى النار وفى لفظ فهؤلاء أول خلق الله تسعر بهم النار يوم القيامة وفى صحيح البخارى عن أسامة بن زيد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يجاء بالرجل يوم القيامة فيلقى فى النار فتندلق أقتابه فيدور كما يدور الحمار برحاه فيجتمع عليه أهل النار فيقولون أى فلان ما شأنك ألست كنت تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر قال كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه وأنهاكم عن المنكر وآتيه وسبب هذا انما هو اتباع الهوى والقصور على مجرد الرأى من أعظمه وان زعم العلم وادعاه ولذلك ذم الله سبحانه المعارضين للحق لما جاءهم بما قام فى أنفسهم من الادعاء للعلم والاستغناء به عما جاءهم قال تعالى فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم قال أهل التفسير يعنى رضوا عن ذلك بما عندهم من العلم فى زعمهم فرح استهزاء وضحك منكرين للحق وسماه سبحانه علما باعتبار ما قام فى ذهنهم واذ فهو أقبح الجهل والاستغناء بمجرد الرأى الخالى عن الدليل النقلى موجب للتعاون على الاثم والعدوان اللذين نهى الله عنهما فى قوله ولا تعاونوا على الاثم والعدوان واتقوا الله ان الله شديد العقاب والمعاونة عليهما من دحض الحق والعمل بنقيضه وهذا من تسويل ابليس وتحسينه ليدخل الانسان فى ملته فمن فعل فقد أحياها فصار من حزبه وأعوانه انما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير والمعاونة على الاثم طبقات أقبحها وأخشها ما يقع من العلماء وهى اما بالفعل أو بالقول فان كانت من الفعل فهى من أعظم الضرر على البقية وذلك ان العلماء اذا عملوا عملا ليس من الدين ولا سنة أفضل المرسلين صاروا سببا لاقدام العوام اليه ولعكوفهم عليه لاعتقادهم انه من الدين وانه مما يتقرب به الى رب العالمين وهذا السبب فى كل بدعة وما من فتنة فى الوجود تنشأ الا عنها وفى هذا المعنى يقول العزيز الحكيم فى التحذير من مخالفة أوامر من هو بالمؤمنين رؤف رحيم فليحذر الذين يخالفون عن أمره ان تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب اليم وقد أصيب الناس بفتنة أضرت بالخاص والعام ولم يرض أحد عن أحد غير معتقده ولم يزكه الا باتباع ما ارتكبه وهذا نوع من الزيغ وقد أخبر الصادق المصدوق ان هلاك من كان قبلنا بسبب الاختلاف وحذر أمته ان تصنع كما صنعوا فيقعوا فيما وقع فيه من مضى من الاسلاف قال صلى الله عليه وسلم دعونى ما تركتكم فانما أهلك من كان قبلكم كثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم فاذا نهيتكم عن شئ فاجتنبوه واذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم أخرجه الشيخان عن أبى هريرة رضى الله عنه وعن عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحدث فى أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد رواه البخارى ومسلم وفى رواية لمسلم من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد وهؤلاء المبتدعون يصيرون سببا الفتنة كل مفتون ويكون هذا منهم كاعطاء السيف لقاطع طريق المسلمين وكتذكار الجمر للجانين وكاغراق السفينة فى الماء وكاحراق المدينة فى النار وان كانت فى القول فهى أعظم ضررا من الفعل فانهم اذا أحلوا ما حرم الله أو حرموا ما أحل الله تبعهم العوام مقتدين بهم فبذلك يصيرون عاملين بالاثم ومعاونين عليه فحصل لهم كفلان من العذاب عن عدى بن حاتم رضى الله عنه انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ قوله تعالى اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله الآية فقلت يا رسول الله انا لسنا نعبدهم قال أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه ويحلون

ما حرم الله فتحلونه فقلت بلى قال تلك عبادتهم رواه الامام أحمد والترمذى وحسنه والتحليل والتحريم ليس قيد الوجود الاثم بل هو موجود بمجرد الامر والنهى المخالفين للدين ثم ان كان ذلك المأمور به فعله مكفرا او المنهى عن فعله تركه مكفر فله حكمه والا فهو ذنب ان لم يستحل ولهذا كان السلف يقولون احذروا من الناس صنفين صاحب هوى قد فتنه هواه وصاحب دنيا أعمته دنياه وكانوا يقولون احذروا فتنة العالم الفاجر والعابد الجاهل فان فتنتهما فتنة لكل مفتون فهذا يشبه المغضوب عليهم الذين يعلمون الحق ولا يتبعونه وهذا يشبه الضالين الذين يعملون بغير علم وقد وصف أئمة المتقين فقال وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون فبالصبر تترك الشهوات وباليقين تدفع الشبهات ومنه قوله تعالى وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر وقوله أولى الايدى والابصار ووصف بعضهم الامام أحمد رحمه الله فقال عن الدنيا ما كان أصبره وبالماضين ما كان أشبهه أتته البدع فنفاها والدنيا فأباها ومنه الحديث المرسل عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله يحب البصر النافذ عند ورود الشبهات ويحب العقل الكامل عند حلول الشهوات وقد دل قوله تعالى فاستمتعتم بخلاقكم على اتباع الشهوات وهو داء العصاة وقوله وخضتم كالذى خاضوا على الشبهات وهو داء المبتدعة وأهل الاهواء والخصومات وكثيرا ما يجتمعان فقل من تجد فى اعتقاده فسادا الا وهو يظهر فى عمله وقد دلت الآية على ان الذين قبلنا استمتعوا وخاضوا وهؤلاء فعلوا مثل أولئك لان قوله استمتعتم وخضتم خبر عن وقوع ذلك فى الماضى وهو ذم لمن يفعله الى يوم القيامة كسائر ما أخبر الله به عن الكفار والمنافقين عند مبعث النبي صلى الله عليه وسلم فانه ذم لمن حاله كحالهم وعمله يشبه عملهم الى يوم القيامة وقد أشار الى ذلك الامام البغوى والحافظ ابن كثير وغيرهما من المفسرين عند هذه الآية بحديث أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه المتفق عليه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم قلنا يا رسول الله اليهود والنصارى قال فمن وفى رواية أبى هريرة وهل الناس الا أولئك وقال ابن مسعود أنتم أشبه الامم ببنى اسرائيل سمتا وهديا تتبعون عملهم حذو القذة بالقذة غير انى لا أدرى تعبدون العجل أم لا وهذا أيضا يكون خبرا عن أمر دائم مستمر لانه وان كان بضمير الخطاب فهو كالضمائر فى نحو قوله اعبدوا واركعوا واسجدوا وآمنوا وكما ان جميع الموجودين فى وقت النبي صلى الله عليه وسلم مخاطبون بهذا الكلام لانه كلام الله وانما الرسول مبلغ فكذلك هو متناول لمن بعدهم الى يوم القيامة وهذا مذهب عامة المسلمين وان كان بعض من تكلم فى أصول الفقه اعتقد ان الضمير يتناول الموجودين حين تبليغ الرسول وان سائر الموجودين بعدهم دخلوا اما بما علماه بالاضطرار من استواء الحكم كما لو خاطب النبي صلى الله عليه وسلم واحدا من أمته وقصد غيره من سائر الامة واما بالسنة واما بالاجماع واما بالقياس فيكون كل من حصل فى هذا الاستمتاع والخوض مخاطبا بقوله تعالى فاستمتعتم وخضتم وقد توعد سبحانه هؤلاء المستمتعين الخائضين بقوله أولئك حبطت أعمالهم فى الدنيا والآخرة وأولئك هم الخاسرون فأخبر سبحانه ان فى هذه الامة من استمتع بخلاقه كما استمتع الامم قبلهم وخاض كالذين خاضوا وذمهم وتوعدهم على ذلك ثم حضهم على الاعتبار بمن قبلهم فقال عز من قائل ألم يأتهم نبأ الذين من قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابراهيم وقوم لوط وأصحاب مدين والمؤتفكات أتتهم رسلهم بالبينات الآية فطاعة الله

ورسوله

ورسوله وصف المؤمنين قال تعالى والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله ان الله عزيز حكيم وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ومساكن طيبة فى جنات عدن ورضوان من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم والاستمتاع بالخلاق والخوض وصف لمن فيه مشابهة للقرون المتقدمة وقد ذم الله من يفعل ذلك وأمر نبيه صلى الله عليه وسلم بجهاد الكفار والمنافقين بعد هذه الآية دليل على جهاد هؤلاء المستمتعين الخائضين ثم هذا الذى دل عليه الكتاب من مشابهة بعض هذه الامة للقرون الماضية فى الدنيا وفى الدين وذم من يفعل ذلك دلت عليه أيضا سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتاول الآية على ذلك أصحابه رضى الله عنهم فعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال لتأخذن كما أخذت الامم من قبلكم ذراعا بذراع وشبرا بشبر وباعا بباع حتى لو ان أحدا من أولئك دخل جحر ضب لدخلتموه قال أبو هريرة اقرؤا ان شئتم كالذين من قبلكم كانوا أشد منكم قوة الآية قالوا يارسول الله كما صنعت فارس والروم وأهل الكتاب قال فهل الناس الاهم وعن ابن عباس رضى الله عنهما فى هذه الآية انه قال ما أشبه الليلة بالبارحة هؤلاء بنو اسرائيل شبهنا بهم وعن حذيفة بن اليمان قال المنافقون الذين منكم اليوم شر من المنافقين الذين كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم قلنا وكيف قال أولئك كانوا يخفون نفاقهم وهؤلاء أعلنوه وقد جاءت السنة بالاخبار بتشابههم فى الدنيا وذم ذلك والنهى عنه وكذلك فى الدين فمن الاول ما فى الصحيحين عن عمرو بن عوف من حديث أبى عبيدة بن الجراح رضى الله عنه حين بعثه النبى صلى الله عليه وسلم الى البحرين الحديث بتمامه ومن الثانى ما روى ابن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليأتين على أمتى ما أتى على بنى اسرائيل حذو النعل بالنعل الحديث حتى فى الرياسة وحب الدنيا وايثارها ﴿فبعد ان طالعناه وفهمنا فحواه وجدناه كتابا جامعا الشتات من المسائل مشتملا على عدة رسائل﴾ الضمير فى طالعناه يرجع الى الكتاب المذكور أى نظرنا فيه وفهمنا فحواه أى معناه ومذهبه فيه وما يميل اليه وقوله وجدناه من وجد الشئ اذا علمه وأحس به كتابا أى مكتوبا جامعا أى حاويا الشتات من المسائل جمع مسئلة من السؤال وهو ما يبرهن عنه فى العلم مشتملا حال من الضمير فى وجدناه على عدة رسائل ﴿ومنها كتاب التوحيد﴾ وقول الله تبارك وتعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وقوله تعالى ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ثم أتى فيه باحاديث من الصحيحين وبوبه أبوابا على تراجم معلومة وأحاديث منهما منقولة ﴿ومنها كتاب الكبائر﴾ وقول الله تبارك وتعالى ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيآتكم الآية وبوبه أبوابا على تراجم معلومة وأحاديث من الصحيحين مشهورة منقولة ﴿ومنها كشف شبه المرتاب﴾ مصدرة فى معرفة حقيقة التوحيد وما هو حق الله على العبيد وكيفية الشرك الذى قال الله عنه ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وكيف كان صفة شرك الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وانهم مقرون بتوحيد الربوبية وان قصدهم شيأ يتقربون به الى الله من خلقه يدعونهم ويرجونهم ويتوكلون عليهم لشفاعتهم لهم زاعمين رضاء الله القرب اليه فضرهم ذلك وأفسد عليهم ﴿ومنها شرح

الكلمة الطيبة ﴾ بمعناها المراد من لفظها والكلمة الخبيثة التى ضد الطيبة ودلائلهما وانهما لا يجتمعان وان معنى الاله هو المعبود سواء كان بحق أو بباطل وان من جعل بينه وبين الله من خلقه وسائط يدعوهم ويرجوهم ويتوكل عليهم ويتقرب بهم فقد جعلهم آلهة مع الله كقول بنى اسرائيل لموسى اجعل لنا الها ﴿ ومنها كلام الامام أحمد ﴾ فى عدة وريقات كتبهن رسالة له فى مسابقة المأموم امامه فى الصلاة ﴿ ومنها ﴾ رسالة له متعلقة بسيرة الاولين ومعرفتهم للدين وفعلهم مع المعاندين المخالفين ﴿ وله رسالة فى الجهاد ﴾ وفضله وكيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه يجاهدون ﴿ وفيه رسائل غير ذلك ﴾ متعلقة بالتوحيد وغيره من مسائل الدين ﴿ لكنه قد جمع فيه بين غث وسمين وقوى ووهين ﴾ هذا استدراك من قوله كتابا جامعا أى لكنه يعنى الشيخ محمد بن عبد الوهاب قد جمع فيه أى فى كتابه المتقدم ذكره بين غث عنى به الجاف الهشيم الذى لا طعم فيه بدليل ما يقابله فى قوله وسمين أى جمع فى هذا الكتاب بين ما هو خالى المعنى المراد من الترجمة التى عقدت لاجله فما قصده فيها هو معلوم لا تؤدى تلك الترجمة وما تضمنت معناه بل ما قام فى ذهنه واستدل عليه به فدليله خال مما أراده ليس فيه منه شئ وبين ما هو موافق لما أراده فمعناه فيه موجود موافق وقوله وقوى ووهين عطف مغاير أى جمع فى هذا الكتاب أيضا بين قوى وهو ما ليس فيه شئ يوجب ضعفه ووهين هو الضعيف الذى فيه شئ يوجب نقصه عن درجة ما قبله أشار بذلك هذا المعترض الى أنه ناقد بصير مميز بين الاشياء المتضادة والمتوافقة وما تؤدية من المعانى المتغايرة أو المتناسبة وما يراد منها وما متعلقها أو نتيجتها وبين ما فيه قوة وضعف وصحة وبطلان وانه قد نقد هذا الكتاب فوجده كما وصفه ونحن نقول من تأمل كلامه الآتى علم يقينا ان ليس عنده من ذلك الا مجرد الادعاء اذ هو الجامع للمتضادين جنسا وهو المازج للصفتين نوعا وهو الخابط فيه خبط العشوى فلم يفرق فيه بين الجنسين ولم يميز بين النوعين لعدم معرفته الدين مع قصد الاولين واقرارهم برب العالمين فان قصدهم القرب اليه والتحصيل لما لديه لكن ضرهم جهل الكيفية التى يكون بها التعبد أجل مطلوب ومقربا الى المحبوب لكن من له اطلاع على أصحاب التصانيف الحسان وما حصل لهم وعليهم من الاقران علم يقينا ان ما كان أولا فهو بالاولى وقوعا فى آخر الزمان وما أحسن ما قيل فى ذلك

وعين الرضى عن كل عيب كليلة * كما ان عين السخط تبدى المساويا

ومن رزق التوفيق هدى الى الصواب ومن استفتح فقد نجح فيرزق العلم بقول الله وبما جاء عن محمد رسول الله مشروح الصدر للايمان على نور من ربه يعرف الحق ويقود اليه ويعرف الباطل ويذود نفسه وغيره عنه ﴿ ووجدنا أحواله أحوال من عرف من الشريعة شطرا ولم يمعن فيها نظرا ولا قرأ على من يهديه الى النهج القويم ويدله ويوقفه على العلوم النافعة التى هى الصراط المستقيم ﴾ الضمير فى وجدنا أحواله يرجع الى الشيخ محمد بن عبد الوهاب أحوال من عرف من الشريعة أى المشروعة التى شرعها الله على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم شطرا شطر المكان جهته وشطر الشئ والمتاع ضعفه وشاطر الوادى جانبه كشاطئه ومعناه انا وجدنا أحوال هذا الرجل أحوال الذى عرف من الشريعة شطرها أى جهتها التى تؤدى اليها أو بعضها التى فى أوليها ولذلك قال ولم يمعن فيها نظرا يعنى لم يصل الى معناها الكلى بعد ان عرف الجهة التى هى اللفظ وملخصه انه قد عرف لفظ الكلام من الكتب ولم يفهم المعنى

ونحن نقول من تامل القرآن وآياته البينات وسبب انزاله وموضوعه وسنة النبي صلى الله عليه وسلم وهديه وما ارسل به وسنة أصحابه ومن تبعهم باحسان فهم يقينا ان ما قاله الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأمر به ودعا اليه هو عين ما تضمنه القرآن من توحيد الله الذى هو حقه على العبيد وما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وأئمة الدين بعدهم وانه بذلك قد علم الشريعة وحققها وأمعن نظره فى سنة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ومن تبعهم باحسان وقررها وأظهرها فان آيات الله دالة على وحدانيته تعالى فى ألوهيته وتفرده فى معاملته مما هو حق على عبيده فانزاله سبب لمعرفة حق الله تعالى وتقدس واخلاص الدين كله له وحده وهذا موضوع القرآن مع كونه مصرحا بان الاولين مقرون ومعترفون لله بالخلق والرزق والاماتة والاحياء والتدبير والضر والنفع وانما قصدهم الجاه والقربة بواسطة ووسيلة من المخلوقين أو صورهم توصلهم الى غاية قصدهم ومطلوبهم قل من يرزقكم من السماء والارض أمن يملك السمع والابصار ومن يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ومن يدبر الامر فسيقولون الله وقال فى موضع آخر قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم الى ان قال سيقولون لله قل من بيده ملكوت كل شئ وهو يجير ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون سيقولون لله ثم قال بعد تقريرهم واقرارهم بأن ملكوت كل شئ بيده الملك الحق ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله وقال تعالى قل أرأيتكم ان أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة أغير الله تدعون ان كنتم صادقين بل اياه تدعون فيكشف ما تدعون اليه ان شاء وتنسون ما تشركون وقال تعالى واذا مسكم الضر فى البحر ضل من تدعون الا اياه ووصف الانسان بانه اذا مسه الضر دعاه واذا كشفه عنه أشرك معه سواه قال تعالى واذا مس الانسان ضر دعا ربه منيبا اليه ثم اذا خوله نعمة منه نسى ما كان يدعو اليه من قبل وجعل لله أندادا ليضل عن سبيله قل تمتع بكفرك قليلا انك من أصحاب النار وهذه أقبح حالة اذا مسه الضر دعا لحاجته فاذا أنعم عليه مولاه جاءته الاستحالة وهم قالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى واشفاعتهم لنا عند الله فمن عرف لفظ هذه الآيات القرآنية ووفق لفهم معناها وانهم مقرون له تعالى بالربوبية علم ان هذا المقام لا نزاع فيه وانما اتخذوهم وسائط ووسائل بينهم وبين ربهم كما تكون الواسطة بين الملك ورعيته وهذه الوسائط التى يدعونها فى حال الرخاء فقط ويرجون شفاعتها وقت الشدة يسمونها الآلهة لتأله قلوبهم بها ورجاؤهم منها القرب والتقريب كما قالوا أجعل الآلهة الها واحدا على جهة ان ذلك لا يكون لانهم ظنوا ان الاله الواحد وهو الله لا يسع الخلق الا بآلهة معه يدخلون عليه بهم ويصلون الى قضاء الحوائج بشفاعتهم لديه ومنه قول بنى اسرائيل لموسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة قال أهل التفسير انهم لم يكونوا شاكين فى الدين وانما أرادوا شيئا يعظم عندهم وفى نفوسهم ويتقربون بتعظيمه وشفاعته الى الله تعالى وظنوا ان ذلك لا يضر فى الدين لشدة جهلهم ومن عرف وحقق معنى الشهادتين اللذين هما رأس الاسلام وقوامه شهادة أن لا اله الا الله وان محمدا رسول الله ثم شهد بهما لزمه العمل بمقتضاهما قولا وفعلا واعتقادا وترك المنافى والمناقض لهما قولا وفعلا واعتقادا فان معنى الشهادة لله بانه لا اله الا هو تتضمن اخلاص الالوهية له وحده فى عبادته ومعاملته فلا يجوز أن يتأله القلب غيره لا بحب ولا خوف ولا رجاء ولا اجلال ولا اكرام ولا رغبة ولا رهبة بل لابد أن يكون الدين كله لله كما قال جل ذكره وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله فاذا كان بعض الدين لله وبعضه لغيره كان فى ذلك من

الشرك بحسب ما كان لغيره ثم ان كان أصغر مثل الرياء فله حكمه وان كان أكبر مثل ما يأتي بيانه فله حكمه وكمال الدين كما جاء في الحديث الذي رواه الترمذي وغيره من أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الايمان فالمؤمنون يحبون لله والمشركون يحبون مع الله وهي الانداد التي ذكرها في قوله ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا الآية والشهادة بان محمدا عبده ورسوله تتضمن تصديقه صلى الله عليه وسلم في كل ما أخبر به وطاعته في كل ما أمر به فما أثبته وجب اثباته وما نفاه وجب نفيه كما يجب على الخلق ان يثبتوا لله ما أثبته لنفسه من الاسماء والصفات وينفوا عنه ما نفاه عن نفسه من مماثلة المخلوق فيخلصون من التعطيل والتمثيل ويكون في اثبات بلا تشبيه وتنزيه بلا تعطيل وعليهم ان يفعلوا ما أمر الله به وينتهوا عما نهى عنه ويحللوا ما حلله ويحرموا ما حرمه فلا حرام الا ما حرمه الله ورسوله ولا دين الا ما شرعه الله ورسوله ولهذا ذم الله المشركين في سورة الانعام والاعراف وغيرهما لكونهم حرموا ما لم يحرم الله وشرعوا دينا لم يأذن به الله كما في قوله تعالى وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا الى آخر السورة وما ذكره في صدر سورة الاعراف وكذا قوله تعالى أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله وقد قال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه فاخبر انه داع الى الله باذنه فمن دعا الى غير الله فقد أشرك ومن دعا اليه بغير اذنه فقد ابتدع والشرك بدعة والمبتدع يؤول الى الشرك ومن خاض كما خاض فيه الاولون فلم يعرف اللازم من الملزوم فقد جردهما من المعنى واذا كان سبب النزول أحوال مشركي العرب فالعام لا يقصر على السبب وكذلك الاحاديث الصحيحة كحديث معاذ بن جبل رضي الله عنه قال كنت رديف النبي صلى الله عليه وسلم على حمار فقال لي يا معاذ أتدري ما حق الله على العباد قلت الله ورسوله أعلم قال ان يعبدوه ولا يشركوا به شيئا أتدري ما حقهم عليه قلت الله ورسوله أعلم قال ان لا يعذبهم وفي لفظ ان لا يعذب من لا يشرك به شيئا وقلت أفلا أبشر الناس قال لا تبشرهم فيتكلوا أخرجاه في الصحيحين فانه قاض في الاخبار بلفظه عن حق الله على العباد من توحيده سبحانه واخلاص الالوهية له تعالى كما قال جل شأنه واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وقال تعالى ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت وقوله قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم الا تشركوا به شيئا فقد أكمل لنا ديننا وأتم علينا نعمته ورضي لنا الاسلام دينا وأمرنا أن نتبع صراطه المستقيم ولا نتبع السبل فتفرق بنا عن سبيله وجعل هذه الوصية خاتمة وصاياه العشر التي هي جوامع الشرائع التي تضاهي الكلمات العشر التي أنزل الله على موسى في التوراة وان كانت الكلمات التي أنزلت على نبينا صلى الله عليه وسلم أكمل وأبلغ وأتم ولهذا قال الربيع بن خيثم وعبد الله بن مسعود من سره ان يقرأ كتاب محمد الذي لم يفض خاتمه بعده فليقرأ آخر سورة الانعام قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم الا تشركوا به شيئا الى قوله وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله الآية وأمرنا أن لا نكون كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأخبر رسوله ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شئ وذكر انه جعله على شريعة من الامر أمره ان يتبعها ولا يتبع سبيل الذين لا يعلمون وقال تعالى وانزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب الى قوله واحذرهم ان يفتنوك عن بعض ما انزل الله اليك فامره ان لا يتبع اهواءهم عوضا عما جاءه من الحق وان كان

ذلك المتبع شرعا أو طريقا لغيره من الأنبياء فانه سبحانه قد جعل لكل منهم سنة وسبيلا ولكنه صلى
الله عليه وسلم حذره ربه أن يفتنوه عن بعض ما أنزل الله اليه واذا كان هذا فيما جاءت به شريعة
غيره فكيف بما لم يعلم انه جاءت به شريعة قط بل لم ينزل الله به الكتب ويرسل الرسل الا بتقبيحه
والانذار عنه وخبث فاعله والحكم عليه بالذل والصغار والخلود فى النار حتى قرر ذلك وحرر فى
كتب الفقه التى تداولها الأيدى لعلماء كل مذهب فانهم عقدوا فيه بابا للردة بعبارات مختلفة اللفظ
متفقة المعنى منها قولهم المرتد لغة الراجع يقال ارتد فهو مرتد اذا رجع قال تعالى ولا ترتدوا على أدباركم
فتنقلبوا خاسرين وشرعا الذى يكفر بعد اسلامه نطقا واعتقادا أو شكا أو فعلا وبعض هؤلاء الأئمة قال
ولو مميزا فتصح ردته كاسلامه وهم الحنابلة ومن وافقهم طوعا لا مكرها اذ فعل لداعى الاكراه
لا لاعتقاده ما أريد منه لقوله تعالى الا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان ولكن من شرح بالكفر
صدرا الآية الى أن قالوا أو أشرك بالله بان جعل بينه وبين الله وسائط من خلقه يدعوهم ويرجوهم
ويتوكل عليهم لقوله تعالى ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وقوله تعالى وقل
الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك فى الملك ولم يكن له ولى من الذل وكبره تكبيرا وهذا قد
أجمع عليه أئمة المسلمين وعلماء الدين ونعنى بهذا الاجماع ما قاله الامام الغزالى هو اتفاق أمة محمد
صلى الله عليه وسلم على أمر من الامور الدينية ولا عذر فى الجهل بعد الانذار بالكتاب والرسول وان
جادل وعاند وزعم انه محق فهو بنزول العذاب والبلاء مستحق وفى هذا يقول نبى الله هود على محمد
وعليه أفضل الصلاة وأتم السلام مخاطبا لقومه وقد أكثروا عليه فى ترك الآلهة وشددوا فى
لومه قد وقع عليكم من ربكم رجس وغضب أتجادلوننى فى أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله
بها من سلطان فهذه المجادلة بالباطل ووقوع الرجس والغضب هو الحامل عليها بعد أن تقدم
منهم السبب فلم يبق الا التوسل بالأعمال الصالحة كتوسل أهل الايمان فى قولهم ربنا اننا سمعنا
مناديا ينادى للايمان أن آمنوا بربكم فآمنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا الآيات وكتوسل أصحاب الصخرة
المنطبقة عليهم الحديث فى البخارى لانه تعالى وعد أن يستجيب للذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم
من فضله وكسؤاله بصفاته وأسمائه كالأدعية المعروفة فى السنن اللهم انى أسألك بان لك الحمد
أنت الله الحنان بديع السموات والارض يا ذا الجلال والاكرام وفى الحديث الآخر اللهم انى أسألك
بانك أنت الله الأحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد وفى الحديث الآخر أسألك
بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته فى كتابك أو علمته أحدا من خلقك أو استأثرت به فى علم
الغيب عندك فهذه الأدعية ونحوها مشروعة باتفاق العلماء وأما الاقسام على الله بمخلوق فهو
منهى عنه باتفاق الأئمة وهل هو نهى تحريم أو تنزيه على قولين أصحهما انه نهى تحريم وأما سؤاله
تعالى بمعاقد العز من عرشه فيأتى بحثه ان شاء الله تعالى ومن أثبت ما نفاه الله أو نفى ما أثبته الله
فى كتابه أو على لسان رسوله فقد ضل الطريق وأخطأ المعنى وان ادعى الحفظ والفهم عن عبد الله
ابن مسعود قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم أى الذنب أعظم قال أن تجعل لله ندا وهو خلقك
قال قلت ثم أى قال ان تقتل ولدك مخافة ان يطعم معك قال قلت ثم أى قال ان تزانى حليلة جارك
فأنزل الله تصديقها والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التى حرم الله الا بالحق
ولا يزنون رواه البخارى ومسلم عن عثمان بن أبى شيبة عن جرير فهذا الحديث الصحيح له معان

ودرجات على الترتيب فى عظم الذنب وأكبره جعل الانداد ومادونه وان كان ذنبا فليس مساويا له الا ان استحل فيوافقه فى اسم الكفر وجعل الند لله أكبر منه ولكن ليس على العبد أشد من دحض الحق والعمل بخلافه ومعاداته وأهله والقدح عليهم فيه فمعاداة الحق وأهله سنة متقدمة وعادة مطردة ولذلك لما أنزل الله على نبيه صلى الله عليه وسلم فاصدع بما تؤمر صدع بامر الله لا تاخذه فيه لومة لائم فدعا الى الله الكبير والصغير والحر والعبد والذكر والانثى والجن والانس فصدع بامر الله وصرح لقومه بالدعوة وباداهم بسب آلهتهم وعيب دينهم اشتد اذاهم له ولمن استجاب له وادعوا جهلهم وجنونهم وهذه سنة الله عز وجل فى خلقه كما قال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ما يقال لك الا ماقد قيل للرسل من قبلك وقال وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا شياطين الانس والجن وقال كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا ساحر أو مجنون الآية فعزى الله سبحانه نبيه بذلك وان له أسوة بمن تقدمه من الرسل وعزى سبحانه أيضا أتباعه وهم العلماء العاملون بامره الداعون الى شريعته بقوله سبحانه أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم الآية وقوله الم أحسب الناس أن يتركوا الى قوله أوليس الله باعلم بما فى صدور العالمين ﴿ومن تامل سياق هذه الآيات وما تضمنته﴾ من العبر وكنوز الحكم علم ان الناس بين أمرين اما أن يقول أحدهم آمنا واما ان يأبى فيستمر على السيئات من مخالفة دين الرسل فمن قال آمنا ابتلاه ربه واختبره ليتبين الصادق من الكاذب ومن لم يتبع دين الرسل فلا يحسب انه يفوت الله ويسبقه فمن آمن بالرسل واتبع دينهم واهتدى بهديهم عاداه أعداؤهم عن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله تبارك وتعالى قال من عادى الى وليا فقد آذنته بالحرب وما تقرب الى عبدى بشئ أحب الى من أداء ما افترضته عليه ومازال عبدى يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى بها وائن سألنى لأعطينه ولئن استعاذنى لأعيذنه وما ترددت فى شئ انا فاعله ترددى عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته أخرجه البخارى فى صحيحه فى باب التواضع من كتاب الدقائق ومن كان طالبا للرتبة العلية تنقل فى المقامات العلوية وفارق كل فرقة غويه ومن كان من حزب الشيطان يعود شيطانا وان كان فى صورة الانسان ﴿ولا قرأ على من﴾ أى على الذى ﴿يهديه الى النهج القويم﴾ يعنى انه لم يقرأ على شيخ يرشده الى الطريق الذى لا عوجاج فيه وقد تقدم فى ترجمته ذكر اسمه عدة مشايخه الذين قد اجتمع بهم وأخذ عنهم اجازة ودراية ﴿ويدله ويوقفه على العلوم النافعة التى هى الصراط المستقيم﴾ الدليل لغة هو المرشد وهو الناصب والذاكر وما به الارشاد واصطلاحا ما يمكن التوصل بصحيح النظر فيه الى مطلوب خبرى وفاقا وقيل الى العلم به فخرج الأمارة قال الاصوليون لابد للمستدل من دليل ونظر وعلم قال الامام أحمد الدال هو الله والدليل هو القرآن والمبين الرسول صلى الله عليه وسلم والمستدل أولوا العلم هذه قواعد الاسلام والنظر هو الفكر لمعرفة مطلوب من تصور أو تصديق والعلم هو حكم الذهن الجازم المطابق الموجب فلا طريق الى معرفة الله والى الوصول الى رضوانه والفوز بقربه ومجاورته فى الآخرة الا بالعلم النافع الذى بعث الله به رسله وأنزل به كتبه فهو الدليل عليه وبه يهتدى فى ظلمات الجهل والشبه والشكوك ولهذا سمى الله كتابه نورا لانه يهتدى به فى ظلمات الجهل والوهم قال الله تعالى قد جاءكم من الله نور وكتاب يهدى به الله من

اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم ومثل النبي صلى الله عليه وسلم حملة العلم الذي جاء به بالنجوم التي يهتدي بها في الظلمات ففي المسند للامام أحمد عن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان مثل العلماء في الارض كمثل النجوم في السماء يهتدى بها في ظلمات البر والبحر فاذا انطمست النجوم أوشك أن تضل الهداة وما دام العلم باقيا في الارض فالناس على هدى وبقاء العلم ببقاء حملته العاملين به فاذا ذهبت حملته أومن يقوم به وقع الناس في الضلال كما في الصحيحين عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله عز وجل لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من صدور الناس ولكن يقبضه بقبض العلماء فاذا لم يجدوا عالما اتخذ الناس رؤساء جهالا فسئلوا فافتوا بغير علم فضلوا وأضلوا وذكر النبي صلى الله عليه وسلم يوما رفع العلم فقيل له كيف يذهب العلم وقد قرأنا القرآن واقرأناه نساءنا وأبناءنا فقال النبي صلى الله عليه وسلم هذه التوراة والانجيل عند اليهود والنصارى فماذا تغني عنهم شيأ فسئل عبادة بن الصامت رضي الله عنه عن هذا الحديث فقال لو شئت لاخبرتكم باول علم يرفع عن الناس الخشوع وانما قال عبادة هذا لان العلم قسمان أحدهما ما كان ثمرته في قلب الانسان وهو العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله المقتضية لخشيته ومهابته واجلاله والخضوع له ورجائه ومحبته ودعائه والتوكل عليه ونحو ذلك مما هو عبادة مختصة بجلاله فهذا هو العلم النافع كما قال ابن مسعود رضي الله عنه ان أقواما يقرؤن القرآن لا يجاوز تراقيهم ولكن اذا وقع في القلب فرسخ فيه نفع وقال الحسن العلم علمان علم اللسان فذلك حجة الله على بني آدم وهو كما في الحديث القرآن حجة لك أو عليك وعلم القلب وهو العلم النافع لتأيد صاحبه عن جميع المهالك وهذا لا يمكن الا باصلاح تلك المضغة التي قد نص عليها النبي صلى الله عليه وسلم في قوله ألا وان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب أخرجه البخاري ومسلم من رواية الشعبي عن النعمان بن بشير وقد أرشد الله نبيه صلى الله عليه وسلم الى الهدى والعلم وأمره أن يسأله منه عند الاختلاف فيه رغبة اليه سبحانه واعراضا عن المشركين الذين قال الله عنهم واذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة واذا ذكر الذين من دونه اذا هم يستبشرون وقال ذلكم بانه اذا دعي الله وحده كفرتم وان يشرك به تؤمنوا فالحكم لله العلي الكبير فروى مسلم وأبو داود وغيرهما عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا قام يصلي من الليل يقول اللهم رب جبرائيل وميكائيل واسرافيل فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلف فيه من الحق باذنك انك تهدي من تشاء الى صراط مستقيم وذلك أن الله يقول كان الناس أمة واحدة أي فاختلفوا وقد قيل انا كذلك في حرف عبد الله فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وما اختلف فيه الا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق باذنه والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم والهداية تورث الالهام من ذي الجلال والاكرام وهو نفث في الروع من المولى الكريم لذوي الاستسلام ويعقبه السكينة معنى ينزله الكريم المنان والطمأنينة نتيجة السكينة اذا قوي اليقين يأمن بها العبد اذا ذعر غيره من العبيد في مظاهر الانتقام والمجاهدة لاعداء كلمة الاسلام فالشيخ محمد بن عبد الوهاب قد هدى فاهتدى وهدى الله به من اهتدى بعد الاسترشاد

الى الرشاد والانحياد عن أهل الفساد وهو لا يفتر عن الاوراد فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد فى السموات والارض وعشيا وحين تظهرون يخرج الحى من الميت و يخرج الميت من الحى و يحيى الارض بعد موتها وكذلك تخرجون ماشاء الله كان ومالم يشأ لم يكن ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم سبحانك لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل ابراهيم انك حميد مجيد اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل ابراهيم انك حميد مجيد السلام على النبى و رحمة الله و بركاته وكذا لا يفتر أبدا الاوقت نوم أودرس لكن لغربة الاسلام أنكر عليه وللحسد والبغضاء عودى ونسب كل فعل قبيح اليه ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وحسبنا الله ونعم الوكيل وما أحسن ماقيل فى ذلك

أقول الله ربى والاسلام * دينى والقرآن لى امام
مقتديا باحمد وآله * مخالفا وثف الكفر فهل ألام
قد غاض دين الله كل كافر * ليس له بحبله اعتصام
أصم أعمى ماله معرفة * الا عما تغذى به الاجسام
قد جهل القرآن من شقائه * ففاته بجهله المرام
يالائمى انى أطعت أمره من * عصيانه سبحانه حرام
مستمسكا بالعروة الوثقى التى * ليس لها يالائمى انفصام
أدعو الى القرآن من لم * يتبع آياته وكلها أحكام
عاديتنى والله قد أكرمنى * أفق فداعى الله لا يضام
تريد ان تطفى نور خالقى * ونوره غايته الاتمام *
والحق كالشمس اذا ما أشرقت * أنوارها انجلى عنها الظلام
وفضله سبحانه اذا أتى * عبدا فلا ترده الأنام

﴿وفى ذلك أيضا﴾

ان الاله على نصرى لمقتدر * فما أبالى باعدائى ولو كثروا
اذا تجمروا على ظلمى فانى * باقوى من هم انتصروا
ان المشركين قوم لا عقول لهم * يلغيهم الجهل فى الكفر الذى حذروا
أمرتهم باتباع الذكر فامتلؤا * غيظا فهل آمنوا بالله أم كفروا
لا يستجيبون للداعى اذا سمعوا * ولا يرون سبيل الرشد لو نظروا
ولا يعون فما نصح بنافعهم * كأنهم بيننا من جهلهم بقر
انى لارجو الاله ان يصيبهم * بنقمة منه لا تبقى ولا تذر
ياصم يابكم ياعمى الكتاب * هدى للمتقين وعلم ليس ينحصر
فاتلوه و تبعوا آياته ودعوا * مذاهب السفه انها ضرر
اتهجرون كتاب الله و يلكم * هل فارس نفسا لكم قوم له هجروا
لقد مرقتم من الاسلام فانتبهوا * فليس ترك كتاب الله يغتفر
ماصح ايمان من لم يتبعه ولو * صلوا وصاموا وحجوا البيت واعتمروا

وقد أرسل اليه العالم العامل الفاضل المحقق المدقق شيخ جهابذة العلماء الاعلام في عصره رباني أهل وقته شيخ صنعاء اليمن وزبيدها عمدة دقيقها وجليلها محمد بن اسمعيل الامير أرجوزة يثني فيها على الشيخ محمد بن عبد الوهاب وعلى عقيدته ويشكره على أمره ونهيه وهي هذه

سلامي على نجد ومن حل في نجد * وان كان تسليمي على البعد لا يجدي
وقد صدرت من سفح صنعا سقى الحيا * رباها وحياها بقهقهة الرعد
سرت من أسير ينشد الريح ان سرت * الا يا صبا نجد متى هجت من نجد
يذكرني مسراك نجدا وأهله * لقد زادني مسراك وجدا على وجد
قفي واسألي عن عالم حل سوحها * به يهتدي من ضل عن منهج الرشد
* محمد الهادي لسنة أحمد * فيا حبذا الهادي ويا حبذا المهدي
لقد أنكرت كل الطوائف قوله * بلا صدر في الحق منهم ولا ورد
وما كل قول بالقبول مقابل * وما كل قول واجب الطرد والرد
سوى ما أتى عن ربنا ورسوله * فذلك قول جل يا ذا عن الرد
وأما أقاويل الرجال فانها * تدور على حسب الأدلة في النقد
* وقد جاءت الأخبار عنه بانه * يعيد لنا الشرع الشريف بما يبدي
وينشر جهرا ما طوى كل جاهل * ومبتدع منه فوافق ما عندي
ويعمر أركان الشريعة هادما * مشاهد ضل الناس فيها عن الرشد
أعادوا بها معنى سواع ومثله * يغوث وود بئس ذلك من ودي
وقد هتفوا عند الشدائد باسمها * كما يهتف المضطر بالواحد الفرد
وكم عقروا في سوحها من عقيرة * أهلت لغير الله جهرا على عمد
وكم طائفا حول القبور مقبلا * ومستلم الأركان منهن باليد
لقد سرني ما جاءني من طريقه * وكنت أرى هذي الطريقة لي وحدي
يصب عليه سوط ذم وغيبة * ويجفوه من قد كان يهواه عن بعد
ويعزى اليه كل ما لا يقوله * لتنقيصه عند التهامي والنجدي
فيرميه أهل الرفض بالنصب فرية * ويرميه أهل النصب بالرفض والجحد
وليس له ذنب سوى ان أتى * بتحكيم قول الله في الحل والعقد
* ويتبع أقوال النبي محمد * وهل غيره بالله في الشرع من يهدي
لئن عده الجهال ذنبا فحبذا * به حبذا يوم انفرادي في لحدي
سلامي على أهل الحديث فانني * نشأت على حب الاحاديث من مهدي
هم بذلوا في حفظ سنة أحمد * وتنقيحها من جهدهم غاية الجهد
وأعني بهم أسلاف سنة أحمد * أولئك في بيت القصيدة هم قصدي
أولئك أمثال البخاري ومسلم * وأحمد أهل الجد في العلم والجد
بحورا وحاشاهم عن الجزر انما * لهم مدد يأتي من الله بالمد
رووا وارتووا من بحر علم محمد * وليس لهم تلك الملل من وردي

كفاهم كتاب الله والسنة التى * أتاهم بها صحب الرسول ذو والمجد
أنتم أهدى من صحابة أحمد * وأهل الكسا هيهات ما الشوك كالورد
أولئك أهدى فى الطريقة منكم * فهم قدوتى حتى أوسد فى لحدى
وشتان ما بين المقلد فى الهدى * ومن يقتدى والضد يعرف بالضد
فمقتديا كن فى الهدى لا مقلدا * وخل أخا التقليد فى الاسر بالقد
وأكفر من فى الارض من قال انه * اله فان الله جل عن الند
مسماه كل الكائنات جميعها * من الكلب والخنزير والفهد والقرد
وان عذاب النار عذب لاهلها * سواء عذاب النار أو جنة الخلد
وعباد عجل السامرى على هدى * ولائمهم فى اللوم ليس على رشد
تناشدنا عنه نصوص فصوصه * تنادى خذوا فى النظم مكنون ما عندى
وكنت امرأ من جند ابليس فارتمى * بى الدهر حتى صار ابليس من جندى
فلو مات قبلى كنت أدركت بعده * دقائق كفر ليس يدركها بعدى
يلذون عند العجز بالذوق ليتهم * يذوقون طعم الحق فالحق كالشهد
نقول لهم ما الذوق قالوا مثاله * عزيز فلا بالشم يدرك والحد
فقشرهم بالكشف والذوق مشعر * بانهم عن مطلب الحق فى بعد
ومن يطلب الانصاف يدلى بحجة * ويرجع أحيانا ويهدى ويستهدى
وهيهات كل فى الديانات تابع * أباه كأن الحق فى الاب والجد
كذلك أصحاب الكتاب تتابعوا * على ملة الآباء قردا على قرد
وهذا اغتراب الدين فاصبر فاننى * غريب وأصحابى كثير بلا عد
اذا ما رأونى عظمونى وان أغب * فكم أكلوا لحمى وكم مزقوا جلدى
* هنيأ مريئا فى اغتيابى فوائد * فكل فتى يغتابنى فهو لى يهدى
يصلى ولى أجر الصلاة وصومه * ولى كل شئ من محاسنه يبدى
وكم حاسد قد أنضج الغيظ قلبه * ولكنه غيظ الاسير على القد
فدونكها تحوى علوما جليلة * منزهة عن وصف خد وعن قد
فلا مدحت وصلا لليلى وزينب * ولا هى ذمت هجر سعدى ولا هند
اليك طوت عرض الفيافى وطولها * فكم جاوزت غورا ونجدا الى نجد
أناخت بنجد فاستراحت ركابها * وراح خليا عن رحيل وعن شد
فاحسن قراها بالقراءة ناظما * عليها جوابا فهى من جملة الوفد
وقد طوّلت جبرا لضعف نظامها * كما ستر الوجه المشوه بالبرد
وصل على المختار والآل انهم * لحسن ختام النظم واسطة العقد

وقد صفحنا عن جوابها ايجازا واختصارا درا كالأمول وتحصيلا للسؤل فالشيخ محمد بن عبد الوهاب لما قام يدعو الناس الى اقامة سنة النبى صلى الله عليه وسلم ودينه وهديه لمقته وابه وبصحابه من بعده فيه وموا الشريعة اتى عليها من سلف من الامة عاداه الناس وآذوه ونسبوا كل

عقيدة باطلة وفعل قبيح اليه وانقسموا فيه بين مكفر ومخرج وأجلبوا بجيوشهم ومدافعهم عليه وما ذنبه الا أنه يدعو الى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة فهو الداعي اليه وهو القائم عليه ممتثلا قول الله تبارك وتعالى ومقتديا برسوله صلى الله عليه وسلم وبمن مضى من الصحابة والتابعين في اقامة الدين ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين * وقال تعالى ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال انني من المسلمين ومن أعرض ونأى بجانبه عن ملة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم نبي الرحمة الداعي الى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة فقد أخطأ وضل وأضل فالى أين العدول عن ملته أين تطلب النجاة في غير طريقته أيدعي مسلم اتباع من لا يشك انه على الصراط المستقيم وانه رسول رب العالمين أرسله بالهدى ودين الحق فيتركه ويتبع الشيطان الرجيم الذي قد أخبر الله عنه انما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير * وأما قولكم ﴿بل طالع بعضا من مؤلفات أبي العباس بن تيمية ومؤلفات تلميذه ابن القيم وقلدهما من غير اتقان مع انهما يحرمان التقليد وأخذ العلم من غير تسديد﴾ معناه ان هذا الرجل لم يقرأ على أحد من العلماء يدله على أمره ويساعده على قصده بل اكتفى عن ذلك بمطالعة بعض الكتب التي ألفها شيخ الاسلام تقي الدين أحمد بن تيمية وتلميذه أبو عبد الله ابن القيم فقلدهما فيما قالاه في كتبهما وهما لا يجوزان التقليد فأخذ العلم من المؤلفات بلا تسديد فنقول لا يلزم من مطالعة كتب الثقات وامعان النظر فيها وفي دلائل ما تضمنته وفهم معاني ما حكته عدم أخذ العلم عن أهله وممارسته وتكرار درسه ولا تنافيه بل أخذ العلم بحثا وتقريرا عن العلماء الثقات عند الخاص والعام والجهابذة الاعلام هو الحامل عليها وهو الدال اليها وفراسته وفهمه فيها هما الحاملان عليها وفهمه في كل فن هو الحامل على تمحيض أمره في نصحه وايجاد قصده القائم في ذهنه وهو المقتضي لأمره ونهيه * ودليل ذلك اعتناؤه بكتب الثقات من أولي العلم والرجوع الى الآيات البينات والاحاديث الصحيحة عند اختلاف الفهم أخذا من كلام الأئمة النقاد وما صححوه مما اتفقوا عليه أو اختلفوا فيه لا مدعي الاجتهاد وليس هو يدعو الناس الى الاتفاق في مسائل الفروع التي قد وقع الاختلاف فيها وانما يدعوهم الى العمل بما هو مطلوب منهم اتفاقا مما لا تقليد فيه وترك ما نهوا عنه كذلك والرجوع الى الكتاب والرسول والاجماع ليس بتقليد لقيام الحجة في ذلك اذ وجود الباري تعالى وتقدس وتوحيده واخلاص العبادة له والايمان برسالة محمد صلى الله عليه وسلم وبما جاء به لا تقليد فيه فتجب معرفة وجود ذات الله بصفات الكمال شرعا بالنظر في الوجود والموجود على كل مكلف قادر وهي أول واجب له تعالى وتقدس وكذلك وحدانيته وألوهيته فيستدل عليهما بمخلوقاته ومصنوعاته * قال تعالى وفي الارض آيات للموقنين وفي أنفسكم أفلا تبصرون فمعرفة ذلك ليست ضرورية بل نظرية بخلاف علمه سبحانه وتعالى بجميع مخلوقاته فليس هو بضروري ولا نظري ولا كسبي ولا استدلالي بل هو قديم باق ذاتي محيط بكل معلوم كلي أو جزئي على ما هو عليه فلا يتجدد بتجدد المعلومات ولا يتعدد بتعددها * قال الاصوليون التقليد لغة وضع الشئ في العنق محيطا به * واصطلاحا أخذ قول الغير من غير حجة والرجوع الى الرسول والى الاجماع ليس بتقليد لقيام الحجة * ثم قالوا وهل يصح ايمان المقلد على قولين للعلماء فعن الاشعري لا يصح ومن قال يصح يوجب عليه الاستدلال بالنظر والرجوع الى الدلائل الظاهرة والآيات الباهرة ثم ان من قام في

ذهنه دلائل قصده ومطلوبه فاراد اقامتها على ما ادعاه من كتاب الله وسنة رسوله وكلام الأئمة الاعلام فباحث وناقش ودل واستدل فتوافق هو وغيره فى الدليل والاستدلال والعقيدة فيما هو مطلوب لأمحال لا يلزم من ذلك التقليد لذلك الخبير بل ولا يؤديه معناه لوجهين * أحدهما ان كثيرا ما يوافق مجتهد مجتهدا وليس هو مقلدا له فيما قاله وانما هو موافق له فيه فالواقع انما هو اتفاقهما فى الحكم والدليل لا تقليد أحدهما الآخر فيه * وهذا مشاهد فى كلام الأئمة وتوافقهم فى المسائل الاجتهادية وقد وافق الامام الشافعى الامام زيد بن ثابت رضى الله عنهما مع ان الشافعى ليس مقلدا لزيد * الثانى ان تعريف التقليد هو أخذ قول الغير والعمل به من غير حجة للمقلد وانما هو اعتماد على قول مقلده وقصر على منطوقه ومفهومه بلا نظر فى دليله من ضعفه أو ترجيحه قاله الاصوليون * وقالوا يلزمه ان يقلد فى مسائل الفروع الارجح الفاضل عنده فيجتهد فى ذلك على الاصح * وأما توحيد البارى تعالى وتقدس فى معاملته واخلاص عبادته فلا تقليد فيه ألبتة وانما يقتدى اللاحق بالسابق فيه والاقتداء ليس بتقليد فكما ان شيخ الاسلام تقى الدين قد استدل فى وقته بالكتاب والسنة وبكلام صالح سلف الامة على التوحيد الذى هو وظيفة العبد وعلى الشرك ومعناه الذى هو ضد التوحيد وحرمه الله وأوهنه وعلق على وجوده عدم المغفرة فعودى وأوذى كذلك هذا الرجل لما قام بأمر اهل وقته باخلاص التوحيد لله وحده فلا يجعل حقه تعالى لغيره أو معه ومع غيره وميز لهم التوحيد من ضده وأقام عليه الدلائل والبراهين من الكتاب والسنة وكلام صالح سلف الأمة من غير تقليد لاحد فيه ان كان ولابد فهو نقل كلام لامام مجتهد حجة على من قلده ليعلم ذلك المقلد أنه قد خالف مقلده فيما قاله واعتقده نسبوه الى تقليد الشيخ تقى الدين فى التوحيد ولعل كلامه وافق كلام شيخ الاسلام تقى الدين فى شئ من ذلك حتى فى استدلاله فليس هو تقليدا له ولا أخذا منه * والشيخ تقى الدين وتلميذه رحمهما الله تعالى بل وغيرهما انما يحرمون التقليد فى توحيد الله ورسالة النبى صلى الله عليه وسلم وما علم كونه من الدين ضرورة كاركان الاسلام ويدعيان الاجماع على ذلك وعبارتهما التقليد السائغ فى المسائل المستفتى فيها وهى الاجتهادية وأما العقلية كوجود البارى تعالى وتوحيده والرسالة فلا تقليد فيها وكذا ما علم كونه من الدين ضرورة كأركان الاسلام اجماعا * وقال الشيخ تقى الدين فى كتابه اقتضاء الصراط المستقيم امسائل الفروع التى يسوغ الاجتهاد فيها والتقليد لاريب ان المجتهد فيها على أجر فان أصاب فله أجران وان أخطأ فله أجر وكذا المقلد له أجر على حسن قصده وعمله وانما انكارهما شديد على من أوجب اتباع طريقة شيخ من مشايخ الدين والصلاح كالشيخ عبد القادر والشيخ حيوه وأمثالهما * وكذلك من أوجب اتباع امام معين من أئمة العلم والدين والزم الناس الاقتصار عليه فى كل ما قاله أو أمر به ونهى عنه وعلى من عادى ووالى فى هذه المذاهب أو عليها كالأئمة الاربعة لما فيه من الترجيح قال ولكن طاعة الرسول انما تمكن مع العلم بما جاء به والقدرة على العمل به فاذا ضعف العلم والقدرة صار الوقت وقت فترة فى ذلك الامر وان كان وقت دعوة ونبوة فى غيره * وقال أيضا فى رسالته السفيه وكذلك التفريق بين الامة وامتحانها بما لم يأمر الله به ولا رسوله مثل أن يقال للرجل أنت شكيلى أو قرقندى أو نقشبندى فان هذه أسماء باطلة ما أنزل الله بها من سلطان وليس فى كتاب الله ولا سنة رسوله ولا فى الآثار المعروفة عن سلف الأمة لا شكيلى ولا قرقندى ولا نقشبندى والواجب على المسلم اذا سئل عن ذلك ان يقول لا أنا شكيلى ولا قرقندى ولا نقشبندى

بل

بل أنا مسلم متبع لكتاب الله وسنة رسوله * وقد روينا ان معاوية بن أبى سفيان سال عبد الله بن عباس رضى الله تعالى عنهما فقال أنت على ملة على أو على ملة عثمان فقال لست على ملة على ولا ملة عثمان بل أنا على ملة رسول الله صلى الله عليه وسلم * وكذلك كان كثير من السلف يقولون كل هذه الاهواء فى النار و يقول أحدهم ما أبالى أى النعمتين أعظم على ان هدانى الله للاسلام وان جنبنى هذه الاهواء والله تعالى قد سمانا فى القرآن المسلمين المؤمنين عباد الله ولا نعدل عن الاسماء التى سمانا الله بها الى أسماء أحدثها قوم وسموها هم وآباؤهم ما أنزل الله بها من سلطان بل الاسماء التى يسوغ التسمى بها مثل انتساب الناس الى امام كالحنفى والمالكى والشافعى والحنبلى أو انتسابهم الى شيخ كالقادرى والعدوى ونحوهم أو مثل الانتساب الى القبائل كالقيسى واليمانى أو الى الامصار كالشامى والعراقى والمصرى لا يجوز لاحد ان يمتحن الناس بها * ولا يوالى بهذه الاسماء ولا يعادى عليها بل أكرم الخلق عند الله أتقاهم من أى طائفة كان وأولياء الله الذين هم أولياؤه هم الذين آمنوا وكانوا يتقون كما قال تعالى ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون وقد أخبر سبحانه ان أولياءه هم المؤمنون المتقون وقد بين المتقين فى قوله تعالى ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم اذا عاهدوا والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون * والتقوى هى فعل ما أمر الله به وترك ما نهى الله عنه انتهى * وأما التقليد فى أصل الدين من التوحيد فقد أغنى الشارع صلى الله عليه وسلم بالتفصيل وبين الحق وسواء السبيل * ونص على ما يعصم من المهالك نصا قاطعا للعذر قال تعالى وما كان الله ليضل قوما بعد اذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون وقال تعالى اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا وقال تعالى لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وقال تعالى فانما على رسولنا البلاغ المبين وقال ان هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم وقال تعالى ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيرا لهم الآية والتى بعدها وقال تعالى قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام وقال أبو ذر رضى الله عنه لقد توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وما من طائر يقلب جناحيه الا ذكر لنا فيه علما * وفى صحيح مسلم ان بعض المشركين قالوا لسلمان لقد علمكم رسولكم كل شئ حتى الخراءة قال أجل * وقال صلى الله عليه وسلم لقد تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدى الا هالك * وقال ما تركت من شئ يقربكم الى الجنة الا وقد حدثتكم به ولا من شئ يقربكم من النار الا وقد حدثتكم به وقال ما بعث الله من نبى الا كان حقا عليه ان يدل أمته على خير ما يعلمه خيرا لهم وينهاهم عن شر ما يعلمه شرا لهم * وهذا يعلم تفاصيله بالبحث والنظر والتتبع والاستقراء والطلب لعلم هذه المسائل فى الكتاب والسنة وكلام صالح سلف الأمة فمن طلب ذلك وجد فى الكتاب والسنة من النصوص القاطعة للعذر فى ذلك ما فيه غاية الهدى والبيان والشفاء وذلك يكون بشيئين أحدهما معرفة معانى الكتاب والسنة والثانى معرفة معانى الالفاظ التى ينطق بها المختلفون حتى يحسن ان يطيق التمييز بين معانى التنزيل ومعانى أهل الخوض فى أصول الدين فحينئذ يتبين له ان الكتاب حاكم بين الناس فيما اختلفوا فيه كما قال تعالى كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين

ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وما اختلف فيه الا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق باذنه والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم وقال تعالى وما اختلفتم فيه من شئ فحكمه الى الله * وقال تعالى فان تنازعتم فى شئ فردوه الى الله والرسول وقال تعالى الم تر الى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا واذا قيل لهم تعالوا الى ما أنزل الله والى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا فكل العبارات من الالفاظ المجملة المتشابهة المشتملة على حق وباطل فكان السلف والأئمة ينهون عن اطلاق موارد النزاع بالنفى والاثبات لان فى اثباتها اثبات حق وباطل وفى نفيها نفى حق وباطل فيمتنع من كلا الاطلاقين تقليدا وغيره وليس ذلك لخلو النقيضين عن الحق ولا قصورا أو تقصيرا فى بيانه واغناه واقطع المادة بخلاف النصوص الالهية * فان فيها فرقين فرق الله بهما بين الحق والباطل ولهذا كان سلف الأمة وأئمتها يجعلون كلام الله وكلام رسوله هو الامام والفرقان الذى يجب اتباعه فيثبتون ما اثبت الله ورسوله وينفون ما نفاه الله ورسوله ويجعلون العبارات المجملة المحدثة المتشابهة ممنوعا من اطلاقها نفيا واثباتا لا يطلقون اللفظ ولا ينفونه الا بعد الاستفسار والتفصيل فاذا بين المعنى اثبت حقه ونفى باطله بخلاف كلام الله ورسوله فانه حق يجب قبوله وان لم يفهم معناه * وكلام غير المعصوم لا يجب قبوله حتى يفهم معناه وأما المختلفون فى الكتاب والمخالفون له فتجعل كل طائفة ما أصلته من أصول دينها الذى ابتدعته اماما لها تتبعه أو المجملات المتشابهات من الكتاب والسنة التى لا يجوز اتباعها بل يجب ردها الى المحكم * ويتعين حملها عليه فهم يتبعونها ابتغاء الفتنة ويحملونها على ما يوافق أصلهم الذى ابتدعوه وهذان الصنفان يشبهان ما ذكره الله تعالى فى قوله تعالى أفتطمعون ان يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون الآيات الى قوله فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون فان الله ذم الذين يحرفون الكلم عن مواضعه وهو متناول لمن حمل الكتاب والسنة على ما أصله من البدع الباطلة وذم الذين لا يعلمون الكتاب الا أمانى وهو متناول لمن ترك تدبر القرآن فلم يعلم الا مجرد تلاوة حروفه باللسان ومتناول لمن كتب كتابا بيده مخالفا لكتاب الله لينال به رياسة او جاها أو دنيا وقال هذا هو الشرع والدين كما لو قال هذا من عند الله وهذا هو معنى الكتاب والسنة وهذا قول السلف والأئمة وهذا هو أصول الدين الذى يجب اعتقاده على الاعيان والكفاية ومتناول لمن كتم ما عنده من معنى الكتاب والسنة لئلا يحتج به مخالفه فى الحق الذى يقوله وهذه الامور كثيرة جدا فى كلام أهل الاهواء جملة كالرافضة والجهمية وأهل الاعتقادات الفاسدة والبدع المضلة نسأل الله العفو والعافية * وأما قولكم ﴿فاحتاج الى تمييز الخطا عن الصواب والقشر عن اللباب وبيان ما عليه الفرقة الناجية وهم أهل السنة والجماعة كى يظهر الحق لقليل البضاعه﴾ هذا مفرع على قوله وأخذ العلم من غير تسديد معناه ان هذا الرجل لما لم يأخذ العلم عن تسديد احتاج الى تمييز الخطا الذى هو ضد الصواب عن الصواب الذى هو مطابق للحق أى احتاج الى من يميزه ذلك ويفرق له بينهما ويميز له أيضا بين ما التبس عليه من القشر الذى هو الظرف الساتر عن اللباب الذى قد ستره القشر فهو مظروف فيه استعار لفظ القشر واللباب للتشبيه والتكنية من عدم تمييز معانى المسائل التى يفصل بعضها عن بعض

في اللفظ والمعنى لاخذه العلم من غير تسديد والى من يميزله بيان ما عليه الفرقة الناجية وهم أهل السنة والجماعة من ضدهم وهم من ترك السنة وفارق الجماعة والعلة في اعتيازه التمييز بين هذه الاشياء المذكورة ظهور الحق بلا التباس بضده لقليل البضاعة من المعرفة بمعاني مسائل العلم قبل ظهور الحق له بالتمييز المذكور فنقول يكفي في تمييزه ومعرفته وادراكه في قصده ومرامه ما قد شاع عنه وذاع وتقطعت به الاسماع من أنه يدعو الناس الى سبيل النجاة والفوز الابدي وهو الصراط المستقيم الذي أمر الله تعالى عباده أن يسألوه اياه في كل صلاة والدليل على ذلك ان لا أحد كائنا من كان يفعل خصلة يحبها الله ويكرهها أهل الفساد والعناد الا ونسب ذلك الفعل والفاعل اليه فقيل له وعنه وهابي اوعارضي أو شرقي وهذا كقول كفار قريش لمن تبع ما جاء من عند الله انه صابئ وان كان ذلك الفاعل في نفس الامر عدوا ظاهرا او باطنا نسبوه اليه بفعله فلو لم يكن فيه من السمة والعلامة على فضله ومعرفته وتمييزه وهديه الا ذلك لكفى *ومناقب شهد العدو بفضلها *والفضل ما شهدت به الاعداء* فبذلك يستدل على فضله المستدلون ويهتدي بما دعا اليه المهتدون ويرجع الى اتباع الحق المهتدون ويكف عن خوضهم في طغيانهم الخائضون فان من رزق التوفيق تأمل بعين انصافه ما قاله هذا الرجل ودعا الناس اليه من الاخلاص لملك الناس فميز بينه وبين ما اعتقده أصحاب العقائد الفاسدة والبضائع من الدين الكاسدة الآمرين بالباطل والقائمين عليه والناهين عن سبيل الحق وما يوصل اليه وهم المجوزون لمن شاء ان يتخذ معتقدا من الخلق يدعوه ويرجوه عند الشدائد ويتوكل عليه عند أي شدة كانت يعتقد فيه لذلك نائيا كان معتقده أو قريبا* ومن يزعم أنه ذو نسك وعلم قال ان معناه وسيلة وهي جائزة مطلوبة وهذا منهم افهم أمروا بذلك وجوزوا الشرك ومن نهى عنه وتبرأ منه وعاداه وأهله خرجوه وبدعوه وقاتلوه زيادة على جنس المنكر الشامل لانواعه في بلد الله الحرام الذي قال الله فيه ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب اليم وغيره مما اكتسبوه واقروه ففرق حينئذ بين الباطل والحق فلم يرض من نفسه الا اتباع الحق قولا وعملا واعتقادا ودحض ضده كذلك لمن يا ان انضاف الى ذلك تأمل أحوال هؤلاء المشركين وما هم عليه من عدم الرضا الا باعتقادهم في معتقداتهم* وتأمل معنى قوله تعالى واذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة واذا ذكر الذين من دونه اذا هم يستبشرون فان هؤلاء المعتقدين اذا قيل لهم توبوا وارجعوا الى الله وادعوه واستعينوا به وحده واستغفروه ونظروا الى القائل بعين العداوة نظر المغشي عليه من الموت اشمأز لقوله وكراهة * وزعموا أنه قد سب الاولياء وانكر كراماتهم فان لم يذكر لهم شيئا من ذلك ولم ينكر عليهم بل اثنى عليهم وعلى عقيدتهم وان ما اعتقدوه في معتقدهم حق ولعله عدو نظاهر الفسق استبشروا وسروا واتخذوه صديقا لهم والايمان باليوم الآخر لا يعصم الا بوجود التوحيد الذي أرسل الله به الرسل وأنزل به الكتب لتكليفه على العبيد وقد صحح الله به عقائد كثيرة حتى من أعدائه ولله الحمد فهم مع شدة العداوة له اهدهم الاول اما تقليدا وجهلا أو تكبرا وتجبرا عن الحق الذي قاله ودعا اليه قد اكتسبوا منه وأخذوا عنه ولكن يسبونه ودينه وما أمر به عنادا وبغيا وحسدا كما حل بالاسلاف الذين مضوا قبله وذلك كله دليل على فضله وعلمه وانه قد ميز بين الخطأ والصواب وماز وفرق القشر عن اللباب لتفرقته بين ما أمر الله به العباد وأرسل به الرسل وأنزل به الكتب ومعناه وكيفيته وبين ما نهاهم عنه وعلق على وجوده عدم المغفرة مع انه كتب على نفسه الرحمة وبين ما غفر انه تحت مشيئته تعالى

ومعنى كل منها ثم انه دعا الناس الى الحق وأمر وقال مفرقا بين ما عليه الفرقة الناجية وونحهم بسيماهم وميزهم عن ضدهم فبينهم بعلاماتهم وانما الذى لم يميز بين معنى قوله وما فى تسطيره فهو الناقض لحكم الله ورسوله قولا واعتقادا مستدلا على ذلك بما يخالفه منطوقه ومفهومه لكن ضاقت عليه مدارج الادراك والشعور فعدل الى مجرد الادعاء بلا نور كما قيل الاقرع يفتخر بجمة ابن عمه وابن الحمقاء يذكر خالته اذا عيب بامه * وأما قولكم ﴿ وتقريعكم فى مقدمتكم التى قال فيها قائلكم فاقول وبالله التوفيق وبيده أزمة التحقيق أجمعت الفرقة الناجية المستثناة الذين قال النبى صلى الله عليه وسلم فيهم هم الذين على ما أنا عليه وأصحابى وهم الاشاعرة والسلف من المحدثين وأهل السنة والجماعة على حدوث العالم ووجود البارى وانه لا خالق سواه ﴾ فنقول معنى التوفيق تسهيل سبيل الخير والطاعة ضد الخذلان لانه حصول الشر والمعصية وأزمة الشئ ما يقوم بها او ينتهى اليها والتحقيق هو المعنى المطابق للحق وهو اسم مصدر حقق والواو فى قوله وبالله واو الحال وهذا اقرار القائل بلسانه فان صح اعتقاده حصلت الموافقة لقوله فيه الاقربه والا فهو مجرد لفظ * والاجماع لغة يطلق على معنيين أحدهما العزم كقوله فأجمعوا أمركم أى اعزموا ومنه لا صيام لمن لا يجمع الصيام من الليل * وثانيهما الاتفاق وحقيقة أجمع صار ذا جمع كالبن وأتمر * وفى الاصطلاح اتفاق خاص وهو اتفاق المجتهدين من أمة محمد صلى الله عليه وسلم فى عصر على أمر فلا يعتبر موافقة المقلد ومخالفته والمراد بقولنا فى عصر فى زمان ما قل أو كثر وقولنا على أمر يتناول الدينى والدنيوى ثم انه قد اختلف فى انه هل يشترط فى الاجماع وانعقاده حجة انقراض عصر المجمعين فمن اشترط ذلك لا يكفى عنده الاتفاق فى عصر بل يجب استمراره ما بقى من المجمعين واحد فيزيد فى الحد الى انقراض العصر ليخرج اتفاقهم اذا رجع بعضهم فانه ليس بالاجماع المقصود وهو ما يكون حجة شرعا وأيضا قد اختلف الاصوليون فى انه هل يجوز حصول الاجماع بعد خلاف مستقر من حى أو ميت أم لا فان جاز فهل ينعقد أم لا فمن قال يجوز أو قال يجوز وينعقد فلا يحتاج الى اخراجه عن الحد ومن يرى انه لا يجوز ولا ينعقد فلابد ان يخرجه عن الحد بان يزيد فيه ولم يستقر خلاف مجتهد وقال الغزالى هو اتفاق أمة محمد صلى الله عليه وسلم على أمر من الامور الدينية مستدلا بقوله صلى الله عليه وسلم لا تجتمع أمتى على ضلالة وبقوله لا تزال طائفة من أمتى على الحق حتى تقوم الساعة وبقوله يد الله على الجماعة من فارق الجماعة مات ميتة جاهلية واستدل الامام الشافعى على حجية الاجماع بقوله تعالى ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين بضمه الى مشاقة الرسول التى هى كفر فيحرم اذ لا يضم مباح الى حرام فى الوعيد واذا حرم اتباع غير سبيلهم فيجب اتباع سبيلهم اذ لا مخرج عن طاعة الرسول واتباع سبيل المؤمنين وهذا أصل كلى خال من معارض ظنى اذ متابعة الرسول شاملة لنصرته فى حياته أو شريعته بعده ولما به صاروا مؤمنين وهو التوحيد والايمان به لا مخصوصة بما لا يخرج عن شريعته * وقولكم ﴿ الفرقة الناجية المستثناة الذين قال النبى صلى الله عليه وسلم فيهم هم الذين على ما أنا عليه وأصحابى وهم الاشاعرة ﴾ هذا غلط ظاهر لوجوه (منها) ان هؤلاء المنتسبين الى عقيدة الاشعرى لم يرجعوا عنها كما رجع عنها وتاب وأقلع منها فانه اسمه على بن اسمعيل بن اسحق الاشعرى من ذرية أبى موسى الاشعرى رضى الله عنه وكنيته أبو الحسن ولد بالبصرة سنة سبعين وقيل ستين ومائتين وتوفى ببغداد ودفن بها سنة أربع وعشرين وثلاثمائة كما قاله ابن الصلاح وكان من تلامذة

المعتزلة كابي علي الجبائي ومال الى طريقة ابن كلاب واخذ عن زكريا الساجي أصول الحديث بالبصرة ثم انه رجع الى بغداد فتاب من عقيدته وانتسب الى الامام أحمد وغيره من السلف وانتصر لطريقة أحمد كما ذكر ذلك الاشعري في كتبه التي صنفها ومنها كتابه الابانة الذي سماه في أصول الديانة وكتابه الذي صنفه في اختلاف المضلين ومقالات الاسلاميين وكما قاله أبو اسحق الشيرازي انما حل الاشعري في قلوب الناس لانتسابه الى الحنابلة وكان أئمة الحنبلية المتقدمين كابي بكر عبد العزيز وأبي الحسين التميمي ونحوهما يذكرون كلام الاشعري ورجوعه وتوبته في كتبهم وتفقه على أبي اسحق المروزي الحنبلي وأخذ عن حنبلية بغداد أمورا من العقائد وسائر العلوم الشرعية وكان ذلك آخر أمره كما ذكره هو وأصحابه في كتبهم ومن أجل أصحابه القاضي أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني المتكلم فهو أفضل المتكلمين المنتسبين الى الاشعري ليس فيهم مثله لا قبله ولا بعده وقد تاب عن عقيدته وما يقوله أهل الكلام ورجع الى سلف الامة وخيارها ذكره ابن الصلاح والشيخ تقي الدين وغيرهما فالمنتسبون اليه لم يرجعوا كما رجع بل خاضوا في علم الكلام حتى زعموا ان النصوص عارضها من معقولاتهم ما يجب تقديمه وهم حيارى في أصول مسائل التوحيد ولهذا كثير منهم لما لم يتبين له الهدى نكص على عقبيه فاشتغل باتباع شهوات الغي في بطنه وفرجه أو رياسته ومالِه ونحو ذلك لعدم العلم واليقين بما كان عليه السلف الصالح وفي الحديث المأثور ان أخوف ما أخاف عليكم شهوات الغي في بطونكم وفروجكم ومضلات الفتن في قلوبكم وهؤلاء المعرضون عن الطريقة النبوية يجتمع فيهم هذا وهذا فهم بخلاف الفرقة المستثناة ﴿ومنها﴾ ان غالب ما يعتمدونه يؤول الى دعوى لا حقيقة لها أو شبهة مركبة من قياس فاسد أو قضية كلية لا تصح الا جزئية أو دعوى اجماع لا حقيقة له والتمسك في المذهب والدليل بالالفاظ المشتركة ﴿واذا كان فحول النظر﴾ وشياطين الفلسفة الذين بلغوا في الذكاء والنظر الى الغاية وهم ليلهم ونهارهم يكدحون في معرفة هذه العقليات ثم لم يصلوا فيها الا الى حيرة وارتياب واما الى الاختلاف بين الاحزاب فكيف غيرهم المقلدون لهم ممن لم يبلغ مبلغهم في الذهن والذكاء ومعرفة ما سلكوه أم كيف يكون هؤلاء المقلدون للمتكلمين الذين قد كثر في باب الدين اضطرابهم وغلظ عن معرفة الله حجابهم وأخبر الواقف على نهاية أقدامهم بما انتهى اليه من مرامهم حيث يقول

لعمري لقد طفت المعاهد كلها * وسيرت طرفي بين تلك المعالم
فلم أر الا واضعا كف حائر * على ذقن أو قارعا سن نادم

وأقروا على أنفسهم بما قالوه متمثلين به أو منشئين له فيما صنفوه من كتبهم كقول بعض رؤسائهم وهو الفخر الرازي

نهاية اقدام العقول عقال * وأكثر سعي العالمين ضلال
وأرواحنا في وحشة من جسومنا * وغاية دنيانا أذى ووبال
ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا * سوى أن جمعنا فيه قيل وقال

من الذين أثنى الله عليهم في كتابه وممن استثناهم النبي صلى الله عليه وسلم في جملة أتباعه وأحبابه لان هؤلاء داخلون في عموم قوله تعالى والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز

العظيم فهم ورثة الانبياء وخلفاء الرشد وأعلام الهدى الذين بهم قام الكتاب وبه قاموا وبه نطق الكتاب وبه نطقوا وقد وهبهم الله من العلم والحكمة ما برزوا به على سائر اتباع الانبياء وأحاطوا من حقائق المعارف وبواطن الحقائق مالو جمعت حكمة غيرهم اليها لاستحيا من يطلب المقابلة بعكس من نبذ الكتاب وراءه واستدل بقول الاخطل * فان من تأمل عقيدة المتكلم والمقابلة تأملا يميز به بين الضدين ويفرق فيه بين الجنسين * علم يقينا ان من أعرض عن الكتاب لم يعارضه الا بما هو جهل بسيط أو مركب فالاول كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيأ ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب والثاني أو كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض اذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور فاهل البسيط أهل الحيرة وأهل المركب أرباب الاعتقادات الباطلة التي يزعمونها عقليات ﴿ومنها﴾ ان الامام الشافعي رضي الله عنه تكلم على أهل الكلام ومن قلدهم فقال رحمه الله حكمي فيهم ان يضربوا بالجريد والنعل ويطاف بهم في القبائل والعشائر ويقال هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأقبل على علم الكلام والعقل فانهم أوتوا ذكاء وما أوتوا زكاء وأعطوا فهوما وما أعطوا علوما وأعطوا سمعا وأبصارا وأفئدة فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شئ اذ كانوا يجحدون بآيات الله وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن ومن كان عليما بذلك ظهر له من الفرقة المستثناة وكيف كان حذقهم وفضلهم وعلمهم وان من لم يقتصر على ما جاء عن الله ورسوله لم يزدد من الله الا بعدا فنسأل الله العظيم ان يهدينا صراطه المستقيم ﴿اذا عرف ذلك فنقول معرفين السلف﴾ وهم النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وأفضل الاصحاب الخلفاء الراشدون الذين قال النبي صلى الله عليه وسلم عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين بعدي عضوا عليها بالنواجذ واياكم ومحدثات الامور وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة ﴿ومنهم أيضا الائمة المجتهدون﴾ الذين يقولون الحق وبه كانوا يعدلون ثم من تبعهم باحسان وقفى أثرهم عاملا بطريقتهم الى آخر الزمان لم يغير ولم يبدل ما كانوا يقولون ويعتقدون وهؤلاء هم الذين نص عليهم النبي صلى الله عليه وسلم في قوله ما أنا عليه اليوم وأصحابي وكثير من المبتدعة الضالين يفضلون طريقة غيرهم ظانين ان طريقة السلف هي مجرد الايمان بالفاظ القرآن والحديث من غير فقه لذلك بمنزلة الاميين الذين قال الله فيهم ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب الا أماني وان طريقة غيرهم هي استخراج معاني النصوص المصروفة عن حقائقها بانواع المجازات وغرائب اللغات فهذا الظن الفاسد أوجب قول طريقة السلف أسلم وطريقة الخلف أعلم وأحكم فانه لا يجوز ان يكون الخالفون أعلم من السالفين فلم يعرف قدر السلف من هذا وصفه بل ولا عرف الله ورسوله والمؤمنين حقيقة المعرفة المأمور بها الان هؤلاء المحجوبين المنقوصين المسبوقين الحيارى لم يكونوا أعلم بالله وأسمائه وصفاته وأحكم في باب ذاته وآياته من السابقين الاولين من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان من ورثة الانبياء والذين الذين وهبهم الله علم الكتاب وحكمته وأحاطوا من حقائق معارفه وبواطن حقائقه ما عجز اولئك عن فهم معانيه وادراكه ثم كيف يكون خير قرون الامة انقص في العلم والحكمة لا سيما العلم بالله وأحكام أسمائه وآياته من هؤلاء الاصاغر بالنسبة اليهم أم كيف يكون المتفلسفة واتباعهم واليونانيون وورثة المجوس والمشركين وضلال الصابئين واشباههم واشكالهم أعلم بالله من ورثة الانبياء وأهل القرآن والايمان وقد استولى الضلال

والتهوك على كثير من المتأخرين بنبذهم كتاب الله وراء ظهورهم وإعراضهم عما بعث الله به محمدا من البينات والهدى وتركهم البحث عن طريق السابقين والتماسهم علم معرفة الله تعالى بصفات الكمال ممن لم يعرف الله بإقراره على نفسه وبشهادة الأمة عليه وبدلالات كثيرة منها انهم ينزهون وهم يكذبون وهذا الظن الفاسد أوجب تلك المقالة التي مضمونها نبذ الاسلام وراء الظهر وقد كذبوا على طريقة السلف وضلوا في تصويب طريقة غيرهم وسبب ذلك اعتقادهم انه ليس في نفس الأمر صفة دلت عليها هذه النصوص بالشبهات الفاسدة التي اشركوا فيها اخوانهم من المتفلسفين فلما اعتقدوا انتفاء الصفات في نفس الأمر وكان مع ذلك لابد للنصوص من معنى بقوا مترددين بين الايمان باللفظ وتفويض المعنى وهي التي يسمونها طريقة السلف وبين صرف اللفظ لمعان بنوع تكلف وهي التي يسمونها طريقة غيرهم فصار هذا الباطل مركبا من فساد العقل وانكار السمع فان النفي انما اعتمدوا فيه على أمور عقلية ظنوها بينات وهي شبهات والسمع حرفوا فيه الكلم عن مواضعه فلما انبنى أمرهم على هاتين القاعدتين كانت النتيجة استجهال السابقين الأولين واستبلاههم واعتقاد انهم كانوا قوما أميين بمنزلة الصالحين من العامة لم يتبحروا في حقائق العلم بالله ولم يتفطنوا لدقائق العلم الالهي وان غيرهم هم الفضلاء فقد حاز واقصب السبق في هذا كله ثم هذا القول اذا تدبره الانسان وجده في غاية الجهالة بل في غاية الضلال فهذا كتاب الله من أوله الى آخره وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم من أولها الى آخرها ثم كلام الصحابة والتابعين ثم كلام سائر الأئمة فان من اتبع غير سبيل المؤمنين ولاه الله ما تولى وأصلاه جهنم وساءت مصيرا فليس أهل السنة والجماعة الا السلف الصالح وذوو العقل الرجح والواقفون عند النص من كتاب الله وسنة رسوله مستغنين بهما عن كل هاجس وقول مخالف للكتاب والسنة مما هو عارض نائح فهم بحبل الله معتصمون وبكلام رسوله آخذون وعليه واقفون وبالعروة الوثقى مستمسكون والدليل على ذلك انهم في باب أسماء الله وصفاته وسط بين أهل التعطيل الذين يلحدون في أسمائه وآياته ويعطلون حقائق ما نعت الله به نفسه حتى شبهوه بالمعدوم وبالاموات وبين أهل التمثيل الذين يضربون له الامثال ويشبهونه بالمخلوق فتؤمن أهل السنة والجماعة بما وصف الله به نفسه وما وصفه به رسوله من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تمثيل وتكييف وهم في باب خلقه وأمره وسط بين المكذبين بقدر الله الذين لا يؤمنون بقدرته الكاملة ومشيئته الشاملة وخلقه كل شئ وبين المفسدين لدين الله الذين يجعلون العبد ليس له مشيئة ولا قدرة ولا عمل فيعطلون الأمر والنهي والثواب والعقاب فيصير وبمنزلة المشركين الذين قالوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شئ فتؤمن أهل السنة والجماعة بان الله على كل شئ قدير فيقدر ان يهدي العباد ويقلب قلوبهم وانه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن فلا يكون في ملكه ما لا يريد ولا يعجز عن انفاذ أمره وانه خالق كل شئ من الاعيان والصفات والحركات ويؤمنون ان العبد له قدرة ومشيئة وعمل وانه مختار ولا يسمونه مجبورا اذ المجبور من أكره على خلاف اختياره والله سبحانه جعل العبد مختارا بما يفعله فهو مختار مريد والله خالقه وخالق اختياره وهذا ليس لله نظير فان الله ليس كمثله شئ لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله وهم في باب الاسماء والاحكام والوعد والوعيد وسط بين الذين يجعلون أهل الكبائر من المسلمين مخلدين في النار ويخرجونهم من الايمان بالكلية ويكذبون بشفاعة النبي صلى الله عليه وسلم وبين المرجئة الذين يقولون ايمان الفاسق مثل ايمان

الانبياء والاعمال الصالحة ليست من الدين والايمان ويكذبون بالعقاب بالكلية فنحن من أهل السنة والجماعة بان فساق المسلمين معهم بعض الايمان وأصله وليس معهم جميع الايمان الواجب الذى يستوجبون به الجنة وانهم لا يخلدون فى النار بل يخرج منها من كان فى قلبه مثقال حبة من ايمان أو مثقال خردلة من ايمان وان النبى صلى الله عليه وسلم ادخر شفاعته لأهل الكبائر من أمته وهم أيضا فى صحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وسط بين الغالية الذين يغلون فى على رضى الله عنه فيفضلونه على أبى بكر وعمر رضى الله عنهما أو يعتقدون انه الامام المعصوم دونهما وان الصحابة رضى الله عنهم ظلموا وفسقوا وكفروا والأمة بعدهم كذلك وانما جعلوه نبيا وإلها وبين الجافية الذين يعتقدون كفره وكفر عثمان ويستحلون دمهما ودماء من تولاهما أو يستحلون سب على وعثمان ونحوهما أو يقدحون فى خلافة على وامامته وكذلك فى سائر أبواب السنة هم وسط لانهم مستمسكون بكتاب الله وسنة رسوله وما اتفق عليه السابقون الأولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان ﴿وقولكم على حدوث العالم ووجود البارى وانه لا خالق سواه﴾ فنحن نقول كل ما سوى الله وصفاته حادث والله سبحانه هو الذى أوجده وخلقه وابتدأه من العدم لم يخلق ذلك عبثا ولا لعبا بل بالحق والحكمة التى لولم يكن منها الا ليعرف بسائر صفات الكمال فيعبد وحده لا يشرك به ويكون الدين كله بانواعه له مختص بجلاله كما ان الأمر كله له تعالى فلا خالق لجسم ولا جوهر ولا عرض ولا شئ الا هو تعالى وجميع أفعال العباد كسب لهم وهى مخلوقة لله خيرها وشرها حسنها وقبيحها فالله خالق لا مكتسب والعبد مكتسب لا خالق وخلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار والرياح والسحاب وغير ذلك من الاجسام العظيمة دال على وحدانية الصانع فهو المتفرد بالالوهية كما انه متفرد بالربوبية فهو الخالق لجميع العوالم كلها وبه قامت الحوادث كلها اذ هو القادر على ان يمسك العالم كله فى قبضته كما جاءت به الآثار الالهية وكما قال تعالى وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون وقد ثبت فى الصحاح عن النبى صلى الله عليه وسلم من حديث أبى هريرة وابن عمر وابن مسعود وابن عباس ما يوافق مضمون هذه الآية وان الله تعالى يقبض العالم العلوى والسفلى ويمسكه ويهزه ويقول انا الملك اين ملوك الارض وفى بعض الآثار ويدحوها كما يدحو أحدكم الكرة وقال ابن عباس ما السموات السبع والارضون السبع وما فيهن وما بينهن فى يد الرحمن الا كخردلة فى يد أحدكم وهو تعالى لا خالق سواه وهذا مما أجمع عليه أهل الملل كلها فلم ينكر أحد انه خالق لجميع المخلوقات الا انه قد جرى للمعتزلة كلام فى خلق الانسان أفعال نفسه وخلافهم غير معتد به بعد قوله تعالى والله خلقكم وما تعملون وقوله أيشركون ما لا يخلق شيأ وهم يخلقون فان العبد غير موجد ولا خالق لافعاله لانه تعالى طعن فى ألوهية الاجسام بسبب انها لا تخلق شيأ فهذا يقتضى ان كل ما كان خالقا كان الها فلو كان العبد خالقا لافعال نفسه لكان الها ولما كان ذلك باطلا علمنا ان العبد غير خالق لافعال نفسه ومن الدليل على علم ذلك عند كل أحد تقرير الله الخلق واقرارهم بان الله هو الخالق وحده قال تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله ولذلك قرعهم سبحانه بالاستفهام الانكارى فى قوله عز وجل قل هل من شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده لكن لما كان بعضهم منكر المعاد الجسمانى أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم ان يقول قل الله يبدأ الخلق ثم يعيده ثم انه جرى كلام هل الخلق غير المخلوق أو هو

والجمهور يقولون الخلق غير المخلوق والفعل غير المفعول اذ الخلق مصدر والمخلوق هو المفعول والمصدر مغاير للمفعول لا نفسه وهذا قول جماهير الصوفية وأهل الحديث بل كلهم ولأصحاب مالك والشافعي وأحمد في ذلك قولان والذي عليه أئمتهم ان الخلق غير المخلوق وهو أيضا قول أكثر أهل الكلام وهو الذي حكاه البغوي عن أهل السنة ﴿وأما قولكم وانه قديم متصف بالعلم والقدرة وسائر صفات الكمال والجلال منزه عن سمات النقص﴾ فنقول انه تعالى قديم أزلي فان كل أزلي قديم ولا عكس فهو الأول ولا بداية والآخر ولا نهاية لم يزل ولا يزال سبحانه متصفا بصفاته العليا وأسمائه الحسنى فهو اله واحد لا شريك له في عبادته فلا يتجزأ في ذاته احد لا من عدم فرد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ولا معين له في خلقه ولا مثل له في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله حي موجود لم يزل ولا يزال ومتصف سبحانه بالعلم فهو عالم تعالى بعلم واحد قديم باق ذاتي محيط بكل معلوم كلي أو جزئي على ما هو عليه فلا يتجدد علمه تعالى بتجدد المعلومات ولا يتعدد بتعددها ليس بضروري ولا كسبي ولا نظري ولا استدلالي ومتصف بالقدرة فهو على كل شئ قدير وقدرته واحدة وجودية قديمة باقية ذاتية متعلقة بكل ممكن فلم يوجد شئ الا بها الا ان الفعل صفة والله قادر عليه لا يمنعه منه مانع وقد خلق المخلوقات فوجدت بالفعل الذي هو الخلق بقدرة الله تعالى والقدرة على خلق المخلوق هي القدرة على الفعل قال تعالى أوليس الذي خلق السموات والارض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وقوله أليس ذلك بقادر على ان يحيي الموتى وقوله انما قولنا لشئ اذا أردناه ان نقول له كن فيكون وقوله تعالى قل هو القادر على ان يبعث عليكم عذابا من فوقكم الآية ونحو ذلك مما فيه وصف الله بالقدرة على الافعال المتناولة للمفعولات وفيه بيان ان الخلق ليس هو المخلوق لان نفس خلقه السموات والارض غير السموات والارض ومتصف سبحانه بسائر صفات الكمال والجلال فهو تعالى مريد بارادة واحدة ذاتية قديمة باقية متعلقة بكل ممكن وهو تعالى حي بحياة واحدة وجودية قديمة ذاتية وهو تعالى سميع و بصير بسمع و بصر قديمين ذاتيين وجوديين متعلقين بكل مسموع ومبصر وهو تعالى قائل ومتكلم بكلام قديم ذاتي وجودي غير مخلوق ولا محدث ولا حادث بلا تشبيه ولا تمثيل ولا تكييف يسمعه منه أهل الجنة في الجنة اذا دخلوها والمراد بقوله تعالى ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث من جهة النزول لانهم لم يسمعوه قبل نزوله قط ولا يشبه كلام المخلوقين أو المراد بالذكر المحدث تذكير النبي صلى الله عليه وسلم فانه لم يذاكرهم قبل أنبائه أو نسبته الى الله تعالى لان المذاكرة من النبي صلى الله عليه وسلم لهم كانت بأمره تعالى ومنزه تعالى عن سمات أي علامات النقص فهو تعالى لا تحله الحوادث ولا يحل في حادث ولا ينحصر فيه فمن اعتقد أو قال ان الله بذاته في كل مكان أو في مكان فكافر بل يجب الجزم بانه تعالى بائن من خلقه مستو على عرشه من غير تكييف ولا تشبيه ولا تمثيل فالله تعالى كان ولا مكان ثم خلق المكان وهو تعالى كما كان قبل خلق المكان ولا يعرف بالحواس ولا يقاس بالناس ولا مدخل في ذاته وصفاته وأفعاله للقياس لم يتخذ صاحبة ولا ولدا وهو الغني عن كل شئ ولا يستغني عنه شئ ولا يشبه شيأ ولا يشبهه شئ فمن شبهه بمخلوقه فقد كفر وأما قوله تعالى ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم فقال ابن عباس ما من شئ تتناجى به صاحبيك الا هو رابعهم بالعلم يعني ان نجواهم معلومة عنده كما تكون معلومة عند الرابع الذي هو معهم ﴿وأما قولكم وان المعاد الجسماني حق وكذا المجازاة والمحاسبة والصراط والميزان وخلق الجنة والنار وخلود أهل الجنة

وخلود الكفار فى النار * فنقول هذا مما أجمع عليه المسلمون قاطبة وعلم من الدين ضرورة ان اعادة الاجسام على هيئتها قبل الموت مبعوثة ثم مجازاة ومحاسبة فهذا حق واجب الايمان به قال تعالى وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت بلى وعدا عليه حقا ولكن أكثر الناس لا يعلمون ليبين لهم الذى يختلفون فيه وليعلم الذين كفروا انهم كانوا كاذبين انما قولنا لشئ اذا أردناه أن نقول له كن فيكون وقال تعالى ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة والآيات والاحاديث فى ذلك كثيرة جدا منها حديث جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث كل عبد على ما مات عليه فالمؤمن على ايمانه والكافر على كفره وكذا حديث جبريل حين سأل النبى صلى الله عليه وسلم عن الايمان فعد منه الايمان باليوم الآخر والمجازاة على فعل الخير والشر قال تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وقال تعالى يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو ان بينها وبينه أمدا بعيدا ويحذركم الله نفسه وقوله تعالى يوم يبعثهم الله جميعا فينبئهم بما عملوا احصاه الله ونسوه والمحاسبة على ما مضى من جميع الاعمال حق قال تعالى يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية فاما من أوتى كتابه بيمينه الآية وقوله تعالى اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا وحديث من نوقش الحساب عذب رواه البخارى ومسلم من حديث عائشة رضى الله عنها فيحاسب المسلمون المكلفون الا من شاء الله أن يدخل الجنة بغير حساب وكل مكلف مسؤول ويسأل الله من شاء من الرسل عن الرسالة ومن شاء من الكفار عن تكذيب الرسل فالكفار لا يحاسبون ولا توزن صحائفهم قال تعالى فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا وان فعل كافر قربة من نحو عتق أو صدقة أو عمل حسن وفى له فى حياته الدنيا وليس له فى الآخرة جزاء عمل لكن نرجو أن يخفف عنه من عذاب معاصيه لحديث ثويبة حين أعتقها أبو طالب وكذا الصراط وهو جسر ممدود على ظهر جهنم مدحضة مزلة أحد من السيف وأدق من الشعر وأحر من الجمر عليه خطاطيف تأخذ الاقدام وعبوره بقدر الاعمال مشاة وركبانا وزحفا يمر عليه المسلم والكافر فيجوزه المؤمن كالبرق والريح واجاويد الخيل والركبان والمشاة فناج مسلم ومخدوش ومكردس فى النار قد روى ذلك عن النبى صلى الله عليه وسلم من غير وجه قال الفضيل ابن عياض رحمه الله تعالى فى وصفه الصراط انه سبع جسور فيحاسب العبد فى أولها على الايمان فان سلم ايمانه من النفاق والرياء والشك والعجب نجا والا تردى فى النار وفى الثانية عن الصلاة فان أداها مكملا شروطها وأركانها وواجباتها نجا والا تردى فى النار وفى الثالثة عن الزكاة فان اداها تامة بطيب نفس نجا والا تردى فى النار وفى الرابعة عن الصيام فان أداه تاما نجا والا تردى فى النار وفى الخامسة عن الحج والعمرة فان أداهما تامين بشرائطهما وأركانهما نجا والا تردى فى النار وفى السادسة عن الوضوء والغسل من الجنابة فان أداهما تامين نجا والا تردى فى النار وفى السابعة عن بر الوالدين وصلة الرحم والامر بالمعروف والنهى عن المنكر فان تم نجا والا تردى فى النيران * وكذا الميزان الذى توزن به الاعمال من الحسنات والسيئات وفيه النصوص القرآنيه والاحاديث النبويه فهو حق وله لسان وكفتان توزن بهما صحائف الاعمال قال ابن عباس رضى الله عنهما توزن الحسنات فى أحسن صورة وتوزن السيئات فى أقبح صوره وكذا خلق الجنة والنار وانهما موجودتان الآن فعن أبى سلمة وهو ابن عبد الرحمن عن أبى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال

لما خلق الله الجنة قال لجبريل اذهب فانظر اليها فنظر اليها ثم جاء فقال أى رب وعزتك لا يسمع بها أحد الا دخلها ثم حفها بالمكاره ثم قال يا جبريل اذهب فانظر اليها فذهب فنظر اليها ثم جاء فقال أى رب وعزتك لقد خشيت ان لا يدخلها احد فلما خلق النار قال يا جبريل اذهب فانظر اليها فذهب فنظر اليها ثم جاء فقال وعزتك لا يسمع بها أحد فيدخلها فحفها بالشهوات ثم قال يا جبريل اذهب فانظر اليها فذهب فنظر اليها فقال اى رب وعزتك لقد خشيت ان لا يبقى أحد الا دخلها رواه أبو داود والترمذى والنسائى قال الترمذى حسن صحيح ٭ وأخرج مسلم فى صحيحه من حديث أنس بن مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات وأخرجه أيضا فى صحيحه من حديث الاعرج عن أبى هريرة وقد ذكر بعضهم أن هذا من بديع الكلام وجوامعه الذى أوتيه صلى الله عليه وسلم من التمثيل الحسن وأن حفاف الشئ جانباه فكأنه أخبر صلى الله عليه وسلم أنه لا يوصل الى الجنة الا بتخطى المكاره وكذلك النار لا يوصل اليها الا بتخطى الشهوات وما تميل اليه النفوس وأن اتباع الشهوات يلقى فى النار ويدخلها وأنه لا ينجو منها الا من تجنب الشهوات ففى هذا الحديث حث على اجتنابها وعن سهل بن حوشب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال موضع سوط فى الجنة خير من الدنيا وما فيها وعن أبى سعيد الخدرى مرفوعا أن أهل الجنة يتراءون أهل الغرف من فوقهم كما تتراءون الكوكب الدرى الغابر فى الافق من المشرق أو المغرب لتفاضل ما بينهم قالوا يا رسول الله تلك منازل الانبياء لا يبلغها غيرهم قال بلى والذى نفسى بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين وعن البراء بن عازب ان النبى صلى الله عليه وسلم قال حين مات ابراهيم ان له مرضعا فى الجنة وعن أبى هريرة مرفوعا اشتكت النار الى ربها فقالت رب أكل بعضى بعضا فأذن لها بنفسين نفس فى الشتاء ونفس فى الصيف فاشد ما تجدون من الحر وأشد ما تجدون من الزمهرير وعنه أيضا مرفوعا ناركم هذه جزء من سبعين جزأ من نار جهنم قيل يا رسول الله ان كانت لكافية قال لقد فضلت عليها بتسعة وتسعين جزأ كلهن مثل حرها وحديث أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل أمتى يدخلون الجنة الا من أبى قالوا ومن يأبى قال من اطاعنى دخل الجنة ومن عصانى فقد أبى أخرجه البخارى فى صحيحه وخلود أهل الجنة فيها وخلود الكفار فى النار حق قال عز من قائل فاما الذين شقوا ففى النار لهم فيها زفير وشهيق خالدين فيها قال ابن عباس الزفير الصوت الشديد والشهيق الصوت الضعيف وقال مقاتل والضحاك الزفير أول نهيق الحمار والشهيق آخره اذا ردده فى جوفه وقال أبو العالية الزفير فى الحلق والشهيق فى الصدر خالدين فيها أى مقيمين ما دامت السموات والارض قال الضحاك ما دامت سموات الجنة والنار وأرضهما فكل ما علاك وأظلك فهو سماء وكل ما استقر عليه قدماك فهو أرض وقال أهل المعانى هذا عبارة عن التأبيد أتى به على عادة العرب يقولون لا آتيك ولا يكون الامر كذا ما دامت السموات والارض أو ما اختلف الليل والنهار يعنون لا يكون ذلك أبدا واما الاستثناء فى قوله الا ما شاء ربك فقال بعضهم هو فى الاول منفصل معناه الا من مات موحدا فانه يخرج من النار فيدخل الجنة ويسماه الله شقيا لدخوله النار بالمعصية مع من شقى وهذا المعنى قد روى من حديث أنس بن مالك رضى الله عنه وعمران بن حصين فاما حديث أنس بن مالك فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ليصيبن أقواما سفع من نار بذنوب أصابوها عقوبة ثم يدخلهم الله الجنة بفضله

ورحمته يقال لهم الجهنميون وأما حديث ابن حصين عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يخرج قوم من النار بشفاعة محمد صلى الله عليه وسلم باذن الله فيدخلون الجنة فيسمون الجهنميين * وما وان كان وضعها لما لا يعقل غالبا فهي هنا للوقت ولكن لما كان الكلام عن حال من يعقل صار لها مناسبة فيه وقال بعضهم الا بمعنى سوى أى خالدين فيها هذا القدر سوى ما شاء الله من الزيادة عليه وقيل الا بمعنى الواو أى وما شاء ربك كقولهم لعمر أبيك الا الفرقدان * أى والفرقدان وأما معناه فى الثانى وهو قوله وأما الذين سعدوا ففى الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك فهو استثناء متصل اذ لا يخرج من الجنة بعد دخولها أحد ومعناه يرجع لمدة لبث هؤلاء المستثنين فى النار قبل دخولهم الجنة * وقيل ما شاء ربك من الفريقين من تعميرهم فى الدنيا واحتباسهم فى البرزخ ما بين الموت والبعث قبل مصيرهم الى الجنة والنار يعنى هم خالدون فى الجنة والنار الا هذا المقدار * ولذلك قال الضحاك عند قوله الا ما شاء ربك أى الا ما مكثوا فى النار حتى دخلوا الجنة فهو مراد الفريق وظاهر اللفظ يأباه وقال قتادة الله أعلم بثنياه والحاصل انه يجب علينا اعتقاد ان المؤمن يخلد فى الجنة وان الكافر يخلد فى النار وان كلا لا يخرج عن محله بعد ان يدخله وما روى عن ابن مسعود رضى الله عنه أنه قال ليأتين على جهنم زمان ليس فيها أحد وذلك بعد ما يلبثون فيها أحقابا وعن أبى هريرة نحوه فمعناه عند أهل السنة ان ثبت أن لا يبقى فيها أحد من أهل التوحيد والايمان * فأما مواضع الكفار فممتلئة منهم ومعنى قوله تعالى لابثين فيها أحقابا واحدها حقب وهو ثمانون سنة قال المفسرون الحقب الواحد بضع وثمانون سنة السنة ثلثمائة وستون يوما مقدار اليوم ألف سنة من أيام الدنيا وقال الحسن لم يجعل الله لاهل النار مدة بل قال أحقابا فوالله ما هو الا أنه اذا مضى حقب دخل آخر ثم آخر هكذا أبدا وقد بشر الله أهل الجنة بدوام لبثهم فيها قال عطاء غير مجذوذ وقال فى الآية الاخرى ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا خالدين فيها لا يبغون عنها حولا ﴿وأما قولكم ويجوز العفو عن المذنبين﴾ فنقول أجمع أهل السنة على ان المسلم لا يكفر بذنب فكل من لم يأت بما يقتضى الخروج عن الملة يجوز العفو عنه ويدخل تحت مشيئته تعالى ان شاء غفر له بفضله وان شاء عاقبه بعدله مع عدم تخليده فى النار كما نطق به القرآن والسنة قال تعالى وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما فان بغت احداهما على الاخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفيء الى أمر الله الى قوله انما المؤمنون اخوة فاصلحوا بين أخويكم فسماهم مؤمنين وجعلهم اخوة مع الاقتتال وبغى بعضهم على بعض وفى البخارى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن رجلا يشرب الخمر يقال له عبد الله فأتى به شاربا فلعنه رجل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تلعنه فانه يحب الله ورسوله وفى المسند للامام أحمد من حديث عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الدواوين عند الله عز وجل ثلاثة ديوان لا يعبأ الله به شيأ وديوان لا يترك منه شيأ وديوان لا يغفره الله فأما الديوان الذى لا يعبأ به فظلم العبد نفسه فيما بينه وبين ربه من صوم تركه وصلاة تركها فان الله عز وجل يغفر ذلك ويتجاوز عنه ان شاء وأما الديوان الذى لا يترك الله منه شيأ فظلم العباد بعضهم بعضا القصاص لا محالة وأما الديوان الذى لا يغفره الله فالشرك قال عز وجل ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وقال تعالى انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار ثم ان كانت الذنوب صغيرة وضابطها ما أوجب تعزيرا فقل فهذا يغفر بالوضوء والصلاة والجمعة والصيام ما اجتنبت الكبائر

وان كانت كبيرة فان استحلت فهى كفر وضابطها ما أوجب حدا فى الدنيا ووعيدا فى الآخرة وان لم تستحل فان تاب قبل الغرغرة أو رؤية الملك قبلت التوبة ما لم تطلع الشمس من مغربها وان لم يتب بان مات مصرا فامره مفوض الى ربه ان شاء عاقبه وان شاء غفر له وفى صحيح مسلم من حديث المعرور بن سويد عن أبى ذر رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال يقول الله تعالى من تقرب منى شبرا تقربت منه ذراعا ومن تقرب منى ذراعا تقربت منه باعا ومن أتانى يمشى أتيته هرولة ومن لقينى بقراب الارض خطيئة لا يشرك بى شيئا لقيته بقرابها مغفرة وخرج الامام أحمد من رواية اخفش السدوسى قال دخلت على أنس رضى الله عنه فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول والذى نفسى بيده لو أخطأتم حتى تملأ خطاياكم ما بين السماء والارض ثم استغفرتم غفرت لكم ﴿وأما قولكم والشفاعة حق وبعثة الرسل بالمعجزات حق من آدم الى محمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين﴾ فنقول أما الشفاعة فقد قال أهل المعانى انها مأخوذة من الشفع المقابل للوتر فاستعملت فى الشفيع باعتبارين الاول كونه شافعا لصاحب الحاجة حتى يجتمع معه على المسئلة الثانى كونه شافعا للمسؤول منه قضاء الحاجة فى قضائها اذ هى لم تقض الا بسبب شفاعته فكانه شاركه وشفعه فيها * فى الاول قوله تعالى من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها * ومن الثانى قوله تعالى ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل أتنبؤن الله بما لا يعلم فى السموات ولا فى الارض سبحانه وتعالى عما يشركون وقوله قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة فى السموات ولا فى الارض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له حتى اذا فزع عن قلوبهم الآية وقوله والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ﴿ثم ان الشفاعة﴾ من حيث هى قد افترق الناس فيها ثلاث فرق طرفان ووسط فالمشركون ومن وافقهم من مبتدعة أهل الكتاب كالنصارى ومبتدعة هذه الامة قد أثبتوا الشفاعة التى نفاها الله وذلك انهم اتخذوا وسائط ووسائل من الخلق شفعاء لهم يسمونهم آلهة ومنه قول صاحب يس أأتخذ من دونه آلهة ان يردن الرحمن بضر لا تغن عنى شفاعتهم شيئا ولا ينقذون انى اذا لفى ضلال مبين لكن هؤلاء الباقون نفوا بالسنتهم اسم الاله عما سوى الله وأثبتوا معناه فى معتقدهم وقولهم الذى يسمونه واسطتهم ووسيلتهم من الخلق فى تفريج كربهم وكشف شدائدهم كما تكون الوسائط والوسائل بين السلطان ورعيته فشبهوا الخالق تعالى بالمخلوق وصريح القرآن من أوله الى آخره راد عليهم اذ السلاطين جاهلون أحوال الخلق الا بمنبه ومفطن والله تعالى عالم يعلم ما فى السموات وما فى الارض كما ان له ما فى السموات وما فى الارض وما بينهما وما تحت الثرى يعلم السر وأخفى الله لا اله الا هو لا يخفى عليه شئ فى الارض ولا فى السماء والملوك عاجزون عن تدبير الخلق الا بمعين ومظاهر والله تعالى هو المدبر للاشياء كلها وقل الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك فى الملك ولم يكن له ولى من الذل وكبره تكبيرا والملوك محتاجون الى محرك خارجى يحركهم بالموعظة ونحوها والله تعالى لا مانع لما أعطى ولا معطى لما منع بل هو الخالق للسبب والمسبب وليس فى الاسباب ما هو مستقل بل هى جميعها من الله وحده لا شريك له لا قيام لها الا بمشيئته وقدرته فلا حول وهى الحركة والتحول من حال الى حال ولا قوة على ذلك الحول الا به تعالى وسواء فى ذلك الحول والقوة الموجود فى

السماء والارض والآدميين والملائكة والجن وسائر الدواب وغيرها قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة فى السموات ولا فى الارض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له فليس لغيره ملك ولا شرك فى ملك غيره ولا شريك له * وهذان الصنفان هما اللذان لهما ملك اما كامل واما مشاع ومن ليس له ملك فاما أن يكون عونا للمالك كالوكلاء والاجراء والغلمان والجند والاولياء واما أن يكون سائلا طالبا منه لانه اما أن ينفع المالك فيكون له عليه حق واما أن لا ينفع لكن يسأله فاخبر سبحانه انه ليس له من المخلوقات من ظهير وأما مسئلة الشفاعة فلم ينفها لكن أخبر أنها لا تكون ولا تنفع الا لمن أذن له فالشفاعة بعد رضائه تعالى عن المشفوع فيه وهذا بخلاف الشفعاء للمخلوقين فانهم قد يشفعون لمن لم يؤذن لهم فى الشفاعة له وقبل استئذان المشفوع اليه وهكذا كقوله من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه وقوله وكم من ملك فى السموات لا تغنى شفاعتهم شيأ الا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى وقال ولا يشفعون الا لمن ارتضى وقال ما من شفيع الا من بعد اذنه ذلكم الله ربكم فاعبدوه أفلا تذكرون وهذا يوجب انقطاع تعلق القلوب بغيره ولو كان ملكا أو نبيا فكيف بالمشايخ والعلماء والملوك فان غاية الراجى لهم المعتمد عليهم أن يقول هم يشفعون لى فقد أخبر سبحانه انه ما من شفيع الا من بعد اذنه وأنكر ان يشفع أحد الا باذنه وأخبر أن الشفاعة لا تنفع الا لمن أذن له ولهذا اذا جاء سيد الشفعاء صلى الله عليه وسلم يوم القيامة الى ربه ورآه سجد وحمد بمحامد يفتحها عليه ولا يبتدئ بالشفاعة حتى يقال له أى محمد ارفع رأسك وقل يسمع وسل تعط واشفع تشفع * وبهذا تتبين الشفاعة المنفية يوم القيامة كما قال جل ذكره واتقوا يوما لا تجزى نفس عن نفس شيأ ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل ولا هم ينصرون وقال يوم لا تملك نفس لنفس شيأ والامر يومئذ لله وذلك ان الانسان فى الدنيا يحصل ما ينفعه تارة يكون بمعاوضة حسية وتارة معنوية والله تعالى خالق كل شئ وربه ومليكه فهو الغنى عن كل ما سواه وكل ما سواه فقير اليه بخلاف الخلق فانهم محتاجون الى ظهير يظاهرهم ويعاونهم فهذه الوسائط فى الحقيقة شركاؤهم والله سبحانه ليس له شريك فى الملك كما ليس له شريك فى استحقاق العبادة بل هو المختص بها ولا تليق الا بجلاله وعظمته فلا اله الا هو وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير ولهذا حسم مادة الشفاعة عن كل أحد بغير اذن الاله فلا أحد يشفع عنده الا باذنه لا ملك ولا نبى ولا غيرهما الا ان من شفع عند غيره بغير اذنه فهو شريك له فى حصول المطلوب لانه أثر فيه بشفاعته لا سيما ان كانت من غير اذنه فجعله يفعل ما طلب منه والله تعالى لا شريك له بوجه من الوجوه وكل من أعان غيره على أمر فقد شفعه فيه والله تعالى وتر لا يشفعه أحد بوجه من الوجوه ولهذا قال عز من قائل قل لله الشفاعة جميعا وقال تعالى ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء لقد تقطع بينكم وضل عنكم ما كنتم تزعمون * وقال تعالى ما لكم من دونه من ولى ولا شفيع أفلا تتذكرون * وقال تعالى وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا الى ربهم ليس لهم من دونه ولى ولا شفيع لعلهم يتقون والآيات فى ذلك كثيرة جدا رادة على المشركين قولهم وعقيدتهم * وأما الخوارج والمعتزلة فقد أنكروا شفاعة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فى أهل الكبائر من أمته * بل أنكرت طائفة من أهل البدع والاهواء انتفاع الانسان بشفاعة غيره ودعائه كما أنكروا انتفاعه بصدقة غيره وصيامه غير الواجب باصل الشرع عنه * وأنكروا الشفاعة من أصلها محتجين بقوله تعالى من قبل ان يأتى يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة وبقوله ما للظالمين من

حميم ولا شفيع يطاع وغير ذلك * وأما سلف الأمة وخيارها وأئمتها ومن تبعهم من أهل السنة والجماعة فاثبتوا ما جاءت به السنة عن النبي صلى الله عليه وسلم * ففي البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لكل نبي دعوة مستجابة واني خبأت دعوتي شفاعة لامتي وهي نائلة منكم ان شاء الله من مات لا يشرك بالله شيأ وروى حديث الشفاعة بطوله أنس بن مالك * وأخرج الشيخان وغيرهما عن أبي هريرة رضي الله عنه * قال أتى النبي صلى الله عليه وسلم بلحم فرفع اليه الذراع وكانت تعجبه فنهش منها نهشة ثم قال انا سيد الناس يوم القيامة وهل تدرون مم ذلك يجمع الله الاولين والآخرين في صعيد واحد فيسمعهم الداعي وينفذهم البصر وتدنو منهم الشمس فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون وما لا يحتملون ثم ساق الحديث بطوله والشفاعة العظمى العامة هي المقام المحمود الذي جاء منكرا في الآية لعظم شأنه قال تعالى عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا فأهل السنة والجماعة أثبتوا ما أثبت الله ورسوله ونفوا ما نفى الله ورسوله * (وكذلك بعثة الرسل بالمعجزات حق) قال تعالى ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت وقد جعل ذلك النبي صلى الله عليه وسلم من الايمان وفسره به في حديث جبريل الذي رواه مسلم عن عمر بن الخطاب والايمان المفسر والاعتقاد فقال أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت وفي رواية واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره * وقد ذكر الله في كتابه الايمان بهذه الأصول الخمسة في مواضع كقوله تعالى آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله * وقوله تعالى ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين * وقال تعالى الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون والذين يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون * والايمان بالرسل يلزم منه الايمان بجميع ما جاؤا به من الكتب والتوحيد ومعجزاتهم التي جعلها الله لهم علامة على صدقهم فيما يدعونه ويقولونه وما أخبروا به مما غاب عنا * وكذلك الملائكة والكتب والانبياء والبعث والقدر وغير ذلك من تفاصيل ما أخبروا به من صفات اليوم الآخر كالصراط والميزان والجنة والنار * ومن كذب بشئ من ذلك بأن نفى ما أثبتوه أو أثبت ما نفوه فقد كذبهم وان نطق بذكرهم لسانه اذ الغرض من الايمان بهم تصديقهم في جميع ما أخبروا به * والايمان بجميع ما جاؤا به والعمل يقتضي ذلك اذ لازم الايمان العمل فلا يكون بدونه ولا ينفك عنه * قال علماء السلف وأهل الحديث ان الايمان قول وعمل ونية وان الاعمال كلها داخلة في مسمى الايمان * وحكى الامام الشافعي اجماع الصحابة والتابعين ومن بعدهم ممن أدركهم وقد أنكر السلف على من أخرج الاعمال عن الايمان انكارا شديدا * وممن أنكر ذلك على قائله وجعله قولا محدثا سعيد بن جبير وميمون بن مهران وقتادة وأبو أيوب السختياني والنخعي والزهري وابن أبي كثير وغيرهم قال الأوزاعي كان من مضى من السلف لا يعرفون الايمان الا العمل * وقد دل على ذلك قوله تعالى انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم الى قوله أولئك هم المؤمنون حقا وقوله انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون * وسيأتي ان شاء الله تعالى بحث الايمان في محله بأتم من هذا * وتبين الفرق بينه وبين الاسلام * والرسول عام يطلق على الملك والبشر * والنبي خاص لا يطلق الا على البشر * وفي معالم التنزيل وجملتهم مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا والرسل

منهم ثلاثمائة وثلاثة عشر والمذكور في القرآن منهم ثمانية عشر نبيا وأولو العزم منهم خمسة محمد وابراهيم ونوح وموسى وعيسى صلى الله عليهم وسلم وأول الرسل نوح كما قال تعالى انا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده فذكر عدة من الرسل الذين أوحى اليهم وبدأ بذكر نوح لانه أول نبي من أنبياء الشريعة المرسل بها وأول نذير عن الشرك وأول من عذبت أمته لردهم دعوته وأهلك الله أهل الارض بدعائه وكان أطول الانبياء عمرا وجعلت معجزته في نفسه لانه عمر ألف سنة فلم ينقص له سن ولم تشب له شعرة ولم ينقص له قوة ولم يصبر على أذى قومه أحد ما صبر هو على طول عمره * وأما آدم صلى الله عليه وسلم فهو نبي لا رسول الى أمة وآخر الرسل محمد صلى الله عليه وسلم بالنص والاجماع والنبي من أوحى اليه بشرع ولم يؤمر بتبليغه والرسول هو المأمور بالتبليغ وفي العمدة لم يبعث الله نبيا من أهل البادية قط ولا من النساء ولا من الجن يؤيده قوله تعالى وما أرسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم من أهل القرى * وفي ربيع الابرار للزمخشري عن فرقد السبخي لم يبعث نبي قط من مصر من الامصار وانما بعثوا من القرى لان أهل الامصار أهل السواد والريف وأهل القرى أرق * وعن أبي ذر الغفاري قال قلت يا رسول الله من أول الانبياء قال آدم قال قلت من أول الرسل قال نوح ثم قال يا أبا ذر أربعة سريانيون آدم وشيث وأخنوخ وهو ادريس وهو أول من خط وخاط ونوح وأربعة من العرب هود وصالح وشعيب ونبيك يا أبا ذر وأول أنبياء بني اسرائيل موسى وآخرهم عيسى * قلت كم أنزل الله من كتاب قال مائة صحيفة وأربعة كتب على شيث خمسين صحيفة وعلى أخنوخ ثلاثين صحيفة وعلى ابراهيم عشر صحائف وعلى موسى قبل التوراة عشر صحائف وأنزل التوراة والزبور والانجيل والفرقان ولم يذكر آدم ﴿وأما قولكم وكذلك أهل بيعة الرضوان تحت الشجرة وأهل بدر من أهل الجنة﴾ فنقول اما الشجرة فهي شجرة كانت في الحديبية وقد أمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه بقطع شجرة توهم انها الشجرة التي بويع الصحابة تحتها بيعة الرضوان لما رأى الناس يتناوبونها ويصلون عندها كانها المسجد الحرام أو مسجد المدينة * وأما الصحابة المبايعون رضي الله عنهم فكان عددهم ألفا وأربعمائة وقيل وسبعمائة وقيل وثلاثمائة وقيل وستمائة وقيل وخمسمائة وعشرين وقد بايعوا النبي صلى الله عليه وسلم تحتها على أن لا يفروا من قريش وأن يناجزوهم وذلك معنى قول بعضهم

على الموت بايعت الرسول قتالا * فاما النصر واما الموت بلا فرار

وكان سبب البيعة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج معتمرا عام الحديبية وأرسل خراش بن أمية الخزاعي لقريش يعلمهم بما جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم له وحمله على جمل يقال له الثعلب فعقروا به الجمل وأرادوا قتله فمنعه الاحابيش فرجع وأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فارسل لهم عثمان ابن عفان مخبرا بما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجاره أبان بن سعيد بن العاص حتى اذا بلغ رسالة محمد صلى الله عليه وسلم ثم حبسوه عندهم فشاع في الناس ان عثمان قتل ولم يبرح رسول الله صلى الله عليه وسلم من المكان الذي بلغه فيه الخبر حتى بايع أصحابه * ثم أتاه الخبر ان عثمان رضي الله عنه لم يقتل وأنزل الله تعالى لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة الآية * وقد روى مسلم في صحيحه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لا يدخل النار ان شاء الله من أصحاب الشجرة أحد الذين بايعوا تحتها قال النووي في شرحه قال العلماء معناه لا يدخلها أحد منهم قطعا كما صرح به

فى الحديث الذى قبله حديث حاطب بن أبى بلتعة وانما قال ان شاء الله للتبرك وأهل بدر عددهم ثلاثمائة وثلاثة عشر * وقد قال صلى الله عليه وسلم مخاطبا لعمر بن الخطاب وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم الحديث فى مسلم قال النووى قال العلماء معناه الغفران لهم فى الآخرة والا فلو توجه على أحد منهم حد أو غيره أقيم عليه فى الدنيا ونقل القاضى عياض الاجماع على اقامة الحد وأقامه عمر رضى الله عنه على بعضهم قال وضرب النبى صلى الله عليه وسلم مسطحا الحد وكان بدريا وهم أفضل الصحابة بعد العشرة ﴿واعلموا أن الامام يجب نصبه على المكلفين﴾ فنقول هذا الحدوهم اذ نصبه فرض كفاية وحده شرعا اذا قام به من يكفى سقط عن الباقين فهو مباين للواجب لغة مرادف له شرعا لان الواجب وضعه على الاعيان والكفاية على العموم * وقالت الحنفية الكفاية آكد من الواجب لان حده ما ثبت بدليل قطعى والواجب ما ثبت بدليل ظنى وهو رواية عن أحمد وحد الواجب من حيث هو ما عوقب تاركه أو توعد بالعقاب على تركه * فنصب الامام فرض كفاية يخاطب بذلك طائفتان من الناس احداهما أهل الاجتهاد حتى يختاروا الاصلح * الثانية من توجد فيه شرائط الامامة حتى ينتصب أحدهم لها ويعتبر فى أهل الاختيار ثلاثة شروط * أحدها العدالة * الثانى العلم المتوصل به الى معرفة من يستحق الامامة * الثالث ان يكونوا من أهل الرأى والتدبير المؤديين الى اختيار من هو الاصلح للامامة * ويشترط فيه الحرية والذكورة والعدالة والعلم بالاحكام الشرعية والكفاية فى أمر المسلمين وسياستهم واقامة الحدود ولا تلحقه رأفة فى ذلك ويجبر شخص متعين لها وهو وكيل المسلمين فيما لهم وما عليهم ويثبت نصبه باجماع أهل الحل والعقد وبنص امامها لمن بعده لان أبا بكر رضى الله عنه عهد الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه ولم يحتج فى ذلك الى أحد ويثبت باجتهاد كفعل عمر وجعله الامر شورى بين ستة من الصحابة ويثبت بقهر كما لو تنازع الامامة عدد يصلح كل منهم لها فقهر أحدهم من سواه فانه تثبت له الامامة وتلزم الرعية طاعته لما فى الخروج على من ثبتت امامته بالقهر من شق عصى المسلمين وارقة دمائهم وذهاب أموالهم والخارج قد دخل فى عموم قول النبى صلى الله عليه وسلم من خرج على أمتى وهم جميع فاضربوا عنقه بالسيف كائنا من كان * وقريش ان وجدوا وتوفرت فيهم الشروط المذكورة أحق لقوله صلى الله عليه وسلم الأئمة من قريش أبرارها أمراء أبرارها وفجارها أمراء فجارها أخرجه الحاكم من حديث على بن أبى طالب وله شواهد أخر عنه صلى الله عليه وسلم والمراد بالفجار الفسقة المسلمون وانما نصب الامام لان بالناس اليه حاجة لحماية بيضة المسلمين والذب عنهم واقامة الحدود واستيفاء الحقوق والامر بالمعروف والنهى عن المنكر ففى نصب الامام مصالح الدنيا والآخرة وسعادة المسلمين فى الدنيا ونظم مصالحهم فى معايشهم وما يستعينون به على اظهار دينهم وطاعة ربهم كما قال على بن أبى طالب رضى الله عنه ان الناس لا يصلحهم الا امام برا كان أو فاجرا يعبد المؤمن ربه * وقال الحسن فى الامراء هم يلون من أمورنا خمسا الجمعة والجماعة والعيد والثغور والحدود والله ما يستقيم الدين الا بهم وان جاروا وظلموا والله ان الله ليصلح بهم أكثر مما يفسدون * وتحرم مشاقة الامام والخروج عن طاعته فيما ليس بمعصية فأخرج الخلال فى كتاب الامارة من حديث أبى أمامه

قال أمر النبى صلى الله عليه وسلم أصحابه حين صلوا العشاء ان احتشدوا فان لى اليكم حاجة فلما فرغوا من صلاة الصبح قال فهل احتشدتم كما أمرتكم قالوا نعم قال اعبدوا الله ولا تشركوا به شيأ هل عقلتم هذه

ثلاث مرات قلنا نعم قال أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة هل عقلتم هذه ثلاث مرات قلنا نعم قال اسمعوا وأطيعوا هل عقلتم هذه ثلاث مرات قلنا نعم قال فكنا نرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يتكلم كلاما طويلا ثم نظرنا في كلامه فاذا هو قد جمع لنا الامر كله * فبالسمع والطاعة وصى النبي صلى الله عليه وسلم في خطبته في حجة الوداع فأخرج الامام أحمد والترمذي من رواية أم الحصين الاحمسية رضي الله عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب في حجة الوداع فسمعته يقول يا أيها الناس اتقوا الله وان أمر عليكم عبد حبشي مجدع فاسمعوا له وأطيعوا ما أقام فيكم كتاب الله * وأخرج الامام أحمد والترمذي أيضا من حديث أبي أمامة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب في حجة الوداع يقول اتقوا الله وصلوا خمسكم وصوموا شهركم وأدوا زكاة أموالكم وأطيعوا أمراءكم تدخلوا جنة ربكم وفي رواية أخرى يا أيها الناس انه لا نبي بعدي ولا أمة بعدكم * وذكر الحديث بمعناه وفي المسند للامام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من لقي الله لا يشرك به شيأ وأدى زكاة ماله طيبة بها نفسه محتسبا وسمع وأطاع فله الجنة أو دخل الجنة * وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره الا أن يؤمر بمعصية فاذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة متفق عليه * وأما قولكم والامام الحق بعد الرسول صلى الله عليه وسلم أبو بكر ثم عمر * فنقول قد روى مسلم في صحيحه عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها انها سئلت من كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مستخلفا لو استخلفه قالت أبو بكر فقيل لها من بعد أبي بكر قالت عمر ثم قيل لها من بعد عمر قالت أبو عبيدة ابن الجراح ثم انتهت الى هذا يعني وقفت على أبي عبيدة وفيه أيضا عن عائشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لها ادعي لي أباك أبا بكر وأخاك حتى أكتب كتابا فاني أخاف أن يتمنى متمن ويقول انا أولى ويأبى الله والمؤمنون الا أبا بكر ففي الحديث الأول دليل لأهل السنة في تقديم أبي بكر ثم عمر للخلافة مع اجماع الصحابة وفيه دلالة لأهل السنة أن خلافة أبي بكر ليست بنص من النبي صلى الله عليه وسلم على خلافته صريحا بل أجمعت الصحابة على عقد الخلافة له وتقديمه لفضيلته ولو كان هناك نص عليه أو على غيره لم تقع المنازعة من الانصار وغيرهم أولا ولذكر حافظ النص ما معه ولرجعوا اليه لكن تنازعوا أولا ولم يكن هناك نص * ثم اتفقوا على أبي بكر واستقر الامر وما تدعيه الشيعة من النص على علي والوصية اليه فباطل لا أصل له باتفاق المسلمين والاتفاق على بطلان دعواهم في زمن علي * وأول من كذبهم في شأن علي رضي الله عنه قوله ما عندنا الا ما في هذه الصحيفة الحديث ولو كان عنده نص لذكره ولم ينقل انه ذكره في يوم من الايام ولا أن أحدا ذكره له * وفي الحديث الثاني دلالة ظاهرة لأهل السنة بفضيلة أبي بكر الصديق رضي الله عنه واخبار منه صلى الله عليه وسلم بما سيقع في المستقبل بعد وفاته وبان المسلمين يأبون عقد الخلافة لغيره وفيه اشارة الى انه سيقع نزاع ووقع كل ذلك وقد عجز النبي صلى الله عليه وسلم عن حضور الجماعة فاستخلف الصديق غير مرة بل مرات متعددة وتقديمه في الامامة الصغرى دليل على تقديمه في الكبرى * وقد قيل لعلي كرم الله وجهه عن ذلك فقال قد كنت أدخل على النبي صلى الله عليه وسلم وأخرج وشعري قد ملأ وجهي فلا مرة من المرات اذا تخلف قال لي صل بالناس بل يقول مروا أبا بكر فليصل بالناس فرجل رضيه رسول الله صلى الله عليه وسلم لديننا أفلا نرضاه لدنيانا * وخلافة عمر رضي الله عنه

ثبتت بنص من أبي بكر ﴿ثم عثمان بن عفان﴾ رضى الله تعالى عنه وكان نصبه باجتهاد من الصحابة واتفاق من ذوى الشورى الذين عهد اليهم عمر رضى الله عنه فى المشاورة فى أمر الامامة وقد رضى على به له واطمأنت نفسه فلم يخالف ولم ينازع ﴿ثم على﴾ بن أبى طالب رضى الله عنه بعد خلافة عثمان ﴿والافضلية بهذا الترتيب﴾ قال الامام أبو عبد الله المازرى رحمه الله تعالى اختلف الناس فى تفضيل بعض الصحابة على بعض فقالت فرقة لا يفاضل بل يمسك عن ذلك * وقال الجمهور بالتفضيل * ثم اختلفوا فقال أهل السنة والجماعة أفضلهم أبو بكر الصديق رضى الله عنه وقالت الخطابية أفضلهم عمر بن الخطاب رضى الله عنه وقالت الراوندية أفضلهم العباس رضى الله عنه * وقالت الشيعة على رضى الله عنه واتفق أهل السنة على ان أفضلهم أبو بكر ثم عمر رضى الله عنهما * وقال بعض أهل السنة من أهل الكوفة بتقديم على على عثمان والصحيح المشهور تقديم عثمان رضى الله عنه * قال أبو منصور البغدادى أصحابنا مجمعون على ان أفضلهم الخلفاء الراشدون الاربعة على الترتيب المذكور ثم تمام العشرة ثم أهل بدر ثم أحد ثم بيعة الرضوان وممن له مزية أهل العقبتين من الانصار وكذلك السابقون الأولون وهم من صلى الى القبلتين فى قول ابن المسيب وطائفة وفى قول الشعبى أهل بيعة الرضوان وفى قول عطاء ومحمد بن كعب أهل بدر * وذهبت طائفة منهم ابن عبد البر الى ان من توفى من الصحابة فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل ممن بقى بعده * وهذا القول غير مرضى ولا مقبول * واختلف العلماء فى ان تفضيل المذكور قطعى أم لا وهل هو فى الظاهر والباطن أم فى الظاهر خاصة بعد الاتفاق على ان جميعهم فى الجنة بالنص القطعى من النبى صلى الله عليه وسلم * وممن قال انه قطعى أبو الحسن الاشعرى قال وهم فى الفضل على ترتيبهم فى حديث العشرة والامامة * وممن قال انه اجتهادى ظنى أبو بكر بن الباقلانى * وذكر ابن الباقلانى اختلاف العلماء فى ان الفضل هل هو فى الظاهر أم فى الظاهر والباطن جميعا * وكذلك اختلفوا فى عائشة وخديجة رضى الله عنهما أيتهما أفضل * وفى عائشة وفاطمة رضى الله عنهن أجمعين * وحقيقة القول فيه ان عائشة أفضل من جهة العلم وفاطمة أفضل من جهة الذات فانها بضعة من أفضل الخلق * فاما عثمان رضى الله عنه فخلافته صحيحة بالاجماع وقتل مظلوما وقتله الفسقة لان موجبات القتل مضبوطة ولم يجر منه ما يقتضيه ولم يشارك فى قتله احد من الصحابة وانما قتله همج من الناس ورعاع فى غوغاء القبائل وسفلة الاطراف والاراذل تحزبوا وقصدوه من مصر فعجزت الصحابة الحاضرون عن دفعهم فحصروه حتى قتلوه رضى الله عنه وأما على رضى الله عنه فخلافته صحيحة بالاجماع * وكان هو الخليفة فى وقته لا خلافة لغيره * وأما معاوية رضى الله عنه فهو من العدول الفضلاء والصحابة النجباء رضى الله عنهم * وأما الحروب التى جرت فكانت لكل طائفة شبهة اعتقدت تصويب نفسها بسببها القائمة فى ذهنها وكلهم عدول رضى الله عنهم * ومتأولون فى حروبهم وغيرها ولا يخرج شئ من ذلك أحدا منهم عن العدالة لانهم مجتهدون اختلفوا فى مسائل من محل الاجتهاد كما يختلف المجتهدون بعدهم فى مسائل من الدماء وغيرها ولا يلزم من ذلك نقص أحد منهم ﴿واعلم﴾ ان سبب تلك الحروب ان القضايا كانت مشتبهة فلشدة اشتباهها اختلف اجتهادهم وصاروا ثلاثة أقسام ﴿قسم﴾ ظهر لهم الاجتهاد ان الحق فى هذا الطرف * وان مخالفهم باغ فوجب عليهم نصرته وقتال الباغى عليه فيما اعتقدوه ففعلوا ذلك ولم يكن يحل لمن هذه صفته التأخر عن

مساعدة امام العدل فى قتال البغاة فى اعتقادهم ﴿وقسم﴾ عكس هؤلاء ظهر لهم بالاجتهاد ان الحق فى الطرف الآخر فوجب عليهم مساعدته وقتال الباغى عليه ﴿وقسم ثالث﴾ اشتبهت عليهم القضية وتحيروا فيها ولم يظهر لهم ترجيح أى الطرفين فاعتزلوا الفريقين وكان هذا الاعتزال هو الواجب فى حق هؤلاء لانه لا رجحان ولا يحل الاقدام على قتال مسلم حتى يظهر انه مستحق لذلك ولو ظهر لهؤلاء رجحان أحد الطرفين وانه الحق لما جاز لهم التأخر عن نصرته فى قتال البغاة عليه فكلهم عدول رضى الله عنهم ولهذا اتفق أهل الحق ومن يعتد به فى الاجماع على قبول شهاداتهم ورواياتهم وكمال عدالتهم رضى الله عنهم أجمعين ﴿وأما قوله لا نكفر أحدا من أهل القبلة الا بما فيه نفى للصانع القادر العليم أو شرك العليم أو انكار ما علم مجيئه صلى الله عليه وسلم به ضرورة أو انكار المجمع عليه كاستحلال المحرمات التى أجمع على حرمتها﴾ فنقول أهل القبلة هم الموحدون الله تعالى فى عبادته ومعاملته كما أمرهم بجملتهم الدين الذى أرسل الله به رسله وأنزل به كتبه كله لله وحده لا شريك له فهم فيه لله مستسلمون ومنقادون ولما أحل الله ورسوله محللون ولما حرم الله على لسان رسوله محرمون وعما نهى فى الاسلام تاركون قال سبحانه وتعالى فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فاخوانكم فى الدين وروى البخارى عن أنس بن مالك رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال أمرت أن اقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله فاذا شهدوا أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله وصلوا صلاتنا واستقبلوا قبلتنا وأكلوا ذبيحتنا فقد حرمت علينا دماؤهم وأموالهم الا بحقها وروى البخارى ومسلم من حديث ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال أمرت ان أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فاذا فعلوا ذلك فقد عصموا منى دماءهم وأموالهم الا بحق الاسلام وحسابهم على الله فقد أمر الله سبحانه نبيه صلى الله عليه وسلم بمجاهدة الخلق وقتالهم حتى يقولوا هذه الكلمة الطيبة ويتركوا المنافى لها من الاشراك بالله فلا تتأله قلوبهم غيره تعالى وحتى يؤدوا حقها ومنه ان يصلوا الصلاة المفروضة على النبى صلى الله عليه وسلم وعلى أمته المضافة الى الموصوفين منهم باتباعه وهى لا تضاف اليهم الا ان تكون طيبة أى صالحة بصلاح شروطها وأركانها وواجباتها اذ الطيب لا يقبل الا طيبا وان يؤدوا الحق الواجب فى أموالهم وأن يستقبلوا قبلتهم وأن يأكلوا ذبيحتهم وهذه الاضافة فى الصلاة والقبلة والذبيحة للتشريف شرف الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم وشرف ملته الحنيفية ودينه الاسلام فجعل منه تلك الصلاة التى فيها كمال العبودية والتواضع لله تبارك وتعالى وجعل منه هذه القبلة المشرفة فهى قبلتهم فى الصلاة وغيرها أحياء وأمواتا وأحل ذبيحتهم وجعل أكلها علامة الايمان وذلك لشرفهم بشرف ملتهم ودينهم وهديهم والمستوجبون لذلك معصومة دماؤهم وأموالهم لاتباعهم النبى صلى الله عليه وسلم فى دينه وملته وليس أهل القبلة لا من عمل بمعنى الشهادتين اللتين هما رأس دين الاسلام وملته وقوامه وصفته شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله قولا وعملا واعتقادا فان الشهادة لله بانه لا اله الا هو تتضمن اخلاص الالهية له سبحانه وتعالى فلا يتأله القلب ولا اللسان غيره تعالى لا بحب ولا خشية ولا انابة ولا توكل ولا رجاء ولا اجلال ولا رغبة ولا رهبة بل لا بد ان يكون الدين كله لله كما قال عز من قائل وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله فاذا جعل بعض الدين قولا وعملا واعتقادا لله وبعضه كذلك لغيره لم يكن الدين

كله

كله لله بل قد تأله معه غيره فأهل القبلة يحبون الله والمشركون يحبون مع الله كما قال تعالى ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله وأهل القبلة يخلصون الدعوة لله والمشركون يجعلونها لغير الله كما قال تعالى له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء الا كباسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه وما دعاء الكافرين الا في ضلال والشهادة بأن محمدا رسول الله تتضمن تصديقه صلى الله عليه وسلم في جميع ما أخبر به وطاعته واتباعه في كل ما أتى وأمر به فما أثبته وجب اثباته وما نفاه وجب نفيه فروى البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل أمتي يدخلون الجنة الا من أبى قالوا ومن يأبى قال من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى وروى أيضا من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما يقول جاءت الملائكة الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو نائم فقال بعضهم انه نائم وقال بعضهم ان العين نائمة والقلب يقظان فقالوا ان لصاحبكم هذا مثلا فاضربوا له مثلا فقال بعضهم انه نائم وقال بعضهم ان العين نائمة والقلب يقظان فقالوا مثله كمثل رجل بنى دارا وجعل فيها مأدبة وبعث داعيا فمن أجاب الداعي دخل الدار وأكل من المأدبة ومن لم يجب الداعي لم يدخل الدار ولم يأكل من المأدبة فقالوا أولوها له يفقهها قال بعضهم انه نائم وقال بعضهم ان العين نائمة والقلب يقظان قالوا فالدار الجنة والداعي محمد فمن أطاع محمدا فقد أطاع الله ومن عصى محمدا فقد عصى الله ومحمد فرق بين الناس أي مميز بين مؤمنهم وكافرهم فأهل القبلة هم أهل الاسلام وهو الاستسلام والانقياد لله وحده وترك جميع الآلهة سواه وهذا هو تحقيق معنى لا اله الا الله وحده لا شريك له واخلاصها له فمن استسلم وانقاد لله ولغيره في معناها فهو مشرك والله لا يغفر أن يشرك به فلفظ الاسلام يتضمن الاستسلام والانقياد ويتضمن الاخلاص أخذا من قوله ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل هل يستويان مثلا الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون فأهل القبلة هم العابدون الله بدين الحق المتبع لا بهوى النفوس والبدع ﴿فمن الاول﴾ قوله تعالى فاعبد الله مخلصا له الدين ألا لله الدين الخالص يعني من الشرك وما سواه من الأديان فليس بدين الله المأمور به بل هو عين ما نهى الله عنه قال قتادة الدين الخالص شهادة أن لا اله الا الله والقيام بمعناها وبحقوقها ﴿ومن الثاني﴾ اتخذوا من دونه شفعاء يعتقدون بهم ويتقربون بشفاعتهم كما قال عز من قائل والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى يعني ليشفعوا لنا الى الله وذلك التقرب هو الشفاعة في قول المفسرين والزلفى القربى اسم أقيم مقام المصدر كأنه قال الا لتقربنا الى الله تقريبا ﴿ومعنى العبادة﴾ في اللغة الذل والانقياد كما قاله أهل المعاني ﴿وأما معناها﴾ حقيقة فهي ما كان مختصا لله لأنها اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة ولذلك توعد سبحانه هؤلاء الذين جعلوا حقه لغيره بقوله تعالى ان الله يحكم بينهم يوم القيامة يعني بين المتفرقين من أهل الأديان فيما هم فيه يختلفون من أمر الدين كل يقول الحق ديني فهم مختلفون وحكم الله بينهم ان يخلد في النار من لم يتبع كتاب الله بل نبذه ورغب عنه باتباع هواه ولا يتدين بدين رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ثم أخبر تعالى انه لا يهديهم الى طريق النجاة فقال ان الله لا يهدي من هو كاذب في زعمه ان معتقده يشفع له كفار في اتخاذه أولياء من دون الله أو معه ليشفعوا له ويقربوه فالدين المأمور بالاقامة عليه واحد وهو دين الاسلام الذي بعث الله به محمدا صلى الله عليه وسلم وجملة الأنبياء لم يختلفوا في أصله كما قال النبي صلى الله

عليه وسلم فيما صح عنه انا معاشر الانبياء ديننا واحد الانبياء اخوة لعلات وانما تنوعت شرائعهم فيه كتنويع القبلة في وقتين فانه قد كان في وقت يجب استقبال الصخرة التي في بيت المقدس في الصلاة وذلك بعد هجرته صلى الله عليه وسلم نصلي اليها بضعة عشر شهرا ثم بعد ذلك وجب استقبال الكعبة فهذا التنوع الذي قد كان بين الانبياء لا يوجب اختلاف الملة وانما يوجبه من لم يفرق بين عبادة الرحمن وعبادة الشيطان قال سبحانه وتعالى شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه وقال تعالى يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا اني بما تعملون عليم وان هذه أمتكم أمة واحدة أي هذه ملتكم دينكم الاسلام ملة واحدة فلا تتفرقوا عنها وأنا ربكم أي معبودكم الذي خلقتكم وأمرتكم بعبادتي واخلاصها لي وحدي فاتقون لا تشركوا بي شيأ بل احذروا عقابي خطاب لهم وقصد لغيرهم وقال تعالى فاقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون منيبين اليه واتقوه وأقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا كل حزب بما لديهم فرحون فاهل القبلة لله مخلصون وفي الدين متفقون وأهل الاشراك عن الحق معرضون وهم متفرقون قال تعالى ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم فاهل الرحمة هم أهل القبلة لانهم فيما شرع الله متفقون وفيه مجتمعون وعليه واقفون وبه آخذون فهم فيما أمرهم الله ورسوله به عاملون وعلى ما رضي الله ورسوله مقتصرون وعما لم يشرعه الله متضادون وأما من نبذ القرآن وراءه فلم يعمل بما أنزل لاجله فليس من أهل القبلة بل من المشركين الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا كل حزب بما لديهم فرحون وان تلاه بلسانه تلاوة وهو يتدين بشرك كما تدين به الاولون وتمسك به المتضادون ومجرد تلاوة القرآن بلا عمل فيما هو الموجب لانزاله من التوحيد لله كل التمييد والانحياز عن منافيه من الشرك الذي لا يغفره الا بالتوبة منه والتجريد لا تخرجه تلك التلاوة عن ملة الاولين قال سبحانه وتعالى له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء الا كباسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه وما دعاء الكافرين الا في ضلال ولهذا يوجد ما أحدث من الشرك والبدع تتفرق فيه أهله فكان لكل قوم منهم معتقد يعتقدون فيه دفع الضر وجلب الخير يهتفون باسمه عند نزول الشدة نائيا كان المعتقد أو ميتا فكل منهم يدعو معتقده ليكشف عنه شدته ويفرج كربته ويجلي غمه فالموحدون لله وحده لا شريك له انما عكفون على توحيده من اخلاص الدعوة له هم أهل القبلة قال تعالى ألا لله الدين الخالص وضدهم هؤلاء المشركون انما عكفون على ما يرجونه ويخافونه من دون الله ويتخذونه من تلك المعتقدات في الاحياء الغائبين والاموات يشركون به في عبادة الله ومعاملته فيرجونه يفرج كربتهم ويكشف شدتهم راغبين راهبين منيبين اليه متوكلين عليه أو لمكن شفعاءهم عند الله في قضاء مطالبهم فقد عطلوا توحيد الله تبارك وتعالى في ألوهيته وصمديته باشراكهم معه في عبادته ومعاملته وبجعلهم الدين لغيره ونفي الصانع القادر لم يقل به أحد من المشركين الذين كفرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقاتلهم فان المشركين الاولين لم يكن أحد منهم يقول ان العالم له خالقان بل ولا يقولون ان الله له اله يساويه في صفاته هذا لم يقله أحد من المشركين بل كانوا مقرين بان خالق السموات والارض واحد كما أخبر الله عنهم في قوله ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله وقوله قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون سيقولون

لله وقوله قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله وقوله قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون سيقولون لله وكانوا يقولون في تلبيتهم لا شريك لك الا شريكا هو لك تملكه وما ملك كما يقوله هؤلاء المشركون الذين انشأ كلهم متفقون ان هؤلاء الذين اعتقدناهم ودعوناهم ورجوناهم هم وسائلنا ووسائطنا الى الله فانه فوض اليهم وأعطاهم فلهم ما يشاؤن ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ومنهم من يصرح بقوله وهم في الكون يتصرفون في ملك الله تعالى وذمهم ولامهم وضرب لهم الامثال في ذلك فقال عز من قائل ضرب لكم مثلا من أنفسكم هل لكم مما ملكت أيمانكم من شركاء فيما رزقناكم فانتم فيه سواء تخافونهم كخيفتكم أنفسكم الآية ولكن تتأله قلوبهم وألسنتهم اما نبيا أو وليا أو ملكا أو غيرهم مما يصورونه على صورة أحد هؤلاء يتخذونه واسطة تقربهم الى الله زلفى وتشفع لهم كما قال تعالى والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وقال تعالى أم اتخذوا من دون الله شفعاء قل أولو كانوا لا يملكون شيأ ولا يعقلون قل لله الشفاعة جميعا له ملك السموات والارض ثم اليه ترجعون وقال تعالى ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله الآية وقال تعالى ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة الا من شهد بالحق وهم يعلمون فقد قطع الله تعالى بهذه الآيات جميع الاسباب التي يتعلق بها المشركون جميعا قطعا يعلم من تأمله ويحقق من تدبره ان من اتخذ من دون الله وليا أو شفيعا فهو كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وان أوهن البيوت لبيت العنكبوت قال تعالى مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وان أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون فمن استمسك بغير الله في حال شدته وكربه وغمه فدعاه ورجاه بما لا يقدر عليه الا الله فليس في يده ممن استمسك به سواه تعالى الا كمن يستمسك ببيت العنكبوت فانه لا يجدي عنه شيأ فلو علم المستمسك هذا الحال لما اتخذ من دون الله وليا ولا شفيعا وهذا بخلاف أهل القبلة فانهم لله مخلصون وله في العمل مستسلمون ومحسنون وفي اتباع ما جاء من الله على لسان رسوله منقادون وبالله معتصمون وبالعروة الوثقى مستمسكون وهي العقد الوثيق المحكم في الدين التي لا انفصام لها لقوتها وثباتها وهي الكلمة الطيبة لا اله الا الله قال تعالى فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى والطاغوت كل باطل ليس من الدين وكل ما طغى من شيطان جني أو انسي وكل عبادة ليست لله فهي باطلة فالمشرك انما يتخذ أحدا غير الله لما يحصل له في زعمه من النفع وهو لا يكون الا فيمن كانت فيه خصلة من أربع اما ان يكون مالكا لما يريد متخذه فان لم يكن مالكا كان معينا فان لم يكن كان ظهيرا فان لم يكن كان شفيعا فنفى سبحانه وتعالى هذه المراتب الاربع نفيا مرتبا منتقلا من الاعلى الى الادنى فنفى الملك عن غيره والشركة والمظاهرة والشفاعة التي لاجلها وقعت المخالفة والعداوة والمخاصمة وأثبت سبحانه شفاعة لا نصيب فيها المشرك وهي الشفاعة باذنه لمن رضي عنه في قوله سبحانه وتعالى قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له الآية وانما ذكر ذلك تعالى لانهم دعوا الملائكة دعاء عبادة لشفاعتهم لهم قاله المفسرون فكفى بهذه الآية نورا وبرهانا ونجاة وتجريدا للتوحيد وقطعا لاصول الشرك وكافية لمن عقلها على ان القرآن مملوء بامثالها ونظائرها ولكن الغفلة والجهل هما المؤديان الى فهم قصور العلم على السبب فالامر كما قال عمر بن الخطاب رضي

الله عنه انما تنقض عرى الاسلام عروة عروة اذا نشأ فى الاسلام من لا يعرف الجاهلية والشرك ولم يميز بين ما عابه القرآن وذمه وبين ما أنزل لاجله ودعا اليه فصوب المستقبح وحسنه وهو لا يعرف حقيقة وصفه وانه الذى كان عليه الجاهلية أو نظيره أو أسوأ منه أو دونه فتنقض عرى الاسلام بذلك ويعود المنكر معروفا والمعروف منكرا والسنة بدعة والبدعة سنة وهذا بعينه مشاهد فانه قد آل الامر الى الشك بالشرك والتدين به فى اتخاذ الوسائل والوسائط من الاولياء والانبياء بل والشياطين من الجن والانس المعاندين والاشجار والغيران والقبور يدعونهم ويرجونهم ويتوكلون عليهم وينسكون النسك لهم راغبين اليهم راهبين منهم ويستدلون على جواز ما اعتقدوه وفعلوه بقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة والى فعل الولايات لقبض النذور على الاموات لدفع ما حل من البلايا والمصيبات ويجعل للقادمين الى محل الميت الضيافات وتنحر فى باب قبته النحائر من الانعام للتقرب اليه ورجاء ما لديه فهذا بعينه هو الذى كان عليه عباد الاصنام وقد أخرج الامام أحمد وأبو داود من حديث أنس بن مالك رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال لا عقر فى الاسلام قال عبد الرزاق كانوا يعقرون عند القبر بقرة أو شاة فكل ما تقدم مما ذكرنا داخل فى معنى لا اله الا الله التى أمر النبى صلى الله عليه وسلم بمجاهدة الخلق وقتالهم حتى يقولوها ويتركوا المنافى لها من الاشراك بالله قولا وعملا واعتقادا وأما حقها فقد جعل أبو بكر الصديق رضى الله عنه فعل الصلاة وايتاء الزكاة منه ومن العلماء من أدخل فيه فعل الصيام والحج * واستدلوا بحديث جبريل حين سأل النبى صلى الله عليه وسلم عن الاسلام فعد منه هذين الركنين فمن لم يقومهما مع القدرة عليهما لم يأت بالاسلام اذ أركانه لا يقوم بعضها ولا ينوب عن بعض * واستدلوا أيضا بحديث أبى بكر حين بعث خالد بن الوليد وأمره أن يقاتل الناس على خمس وبقول عمر لو ترك الناس الحج لقاتلناهم عليه وفى صحيح مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم دعا عليا يوم حنين فاعطاه الراية وقال أمش ولا تلتفت حتى يفتح الله عليك فسار على ما شاء الله ثم وقف فصرخ يا رسول الله على ماذا أقاتل الناس فقال قاتلهم حتى يشهدوا أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فاذا فعلوا ذلك فقد عصموا منى دماءهم وأموالهم الا بحقها وفى رواية الا بحق الاسلام وحسابهم على الله عز وجل فجعل من حقها الامتناع من الصلاة والزكاة مع الدخول فى الاسلام كما فهمه الصحابة رضى الله عنهم * ومما يدل على قتال الجماعة الممتنعين من اقام الصلاة وايتاء الزكاة قوله تعالى فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم * وقوله تعالى وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله * وقوله تعالى وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة وقد ثبت أن النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا غزا لم يغر حتى يصبح فان سمع مؤذنا والا أغار عليهم وكان يوصى سراياه اذا سمعتم مؤذنا أو رأيتم مسجدا فلا تقتلوا أحدا قال العلماء معنى ذلك والمقصود فيه اذا اظهر قوم توحيد الله والقيام بشرائعه وجب الكف عنهم لان فعلهم ذلك دليل على اسلامهم ثم ان أظهروا منكرا أنكره الشرع ولم ينتهوا عنه الا بقتال فللامام قتالهم كما لو تركوا فرض كفاية فيقاتلهم على تركه * ولذلك أنكر النبى صلى الله عليه وسلم على أسامة ابن زيد قتل الرجل الذى أظهر الاسلام ظانا أسامة أنه انما قال الشهادتين والسلام خوفا وأنزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا اذا ضربتم فى سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا لمن ألقى اليكم السلام لست

مؤمنا

مؤمنا الآية فانه لم يدع الاسلام قبل ذلك ثم انه قد قاله وصدر منه بلا وجود مناف له لا في معناه ولا فيما هو حق له ولهذا أمر الله تعالى عباده المؤمنين بالتثبت لذلك * وقد بعث النبي صلى الله عليه وسلم كتابا فيه من محمد النبي الى أهل عمان وكان بعضهم يدعي الاسلام سلام عليكم أما بعد فاقروا بشهادة ان لا اله الا الله وأني رسول الله وأدوا الزكاة وخطوا المساجد والا غزوتكم أخرجه البزار والطبراني وغيرهما فهذا يدل على انه كان يغير على الداخلين في الاسلام اذا لم يمتثلوا أمر الله ولم يقوموا بشرائعه فان أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وقوموا الشرائع كف عنهم الا لم يمتنع عن قتالهم وفي هذا وقع تناظر أبي بكر وعمر رضي الله عنهما كما في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم واستخلف أبو بكر رضي الله عنه كفر من كفر من العرب فقاتلهم على الاسلام وقاتل أناسا يدعون الاسلام قد امتنعوا من أداء الزكاة قال عمر لابي بكر كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فمن قال لا اله الا الله عصم ماله ودمه الا بحقه وحسابه على الله عز وجل وقال أبو بكر رضي الله عنه لاقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة فان الزكاة حق المال فوالله لو منعوني عقالا كانوا يؤدونه الى رسول الله لقاتلتهم على منعه فقال له عمر رضي الله عنه فوالله ما رأيت الا أن الله قد شرح صدر أبي بكر للقتال فعرفت انه الحق فابو بكر رضي الله عنه أخذ قتالهم بقوله صلى الله عليه وسلم الا بحقه فدل على ان قتال من أتى بالشهادتين ومنع حقهما جائز ومن حقهما اداء حق المال الواجب وعمر رضي الله عنه ظن أن مجرد الاتيان بالشهادتين يعصم الدم في الدنيا تمسكا بعموم ألفاظ وردت وليست حال الامر على ذلك ثم ان عمر رضي الله عنه رجع الى موافقة أبي بكر رضي الله عنهما وقد خرج النسائي قصة توافق مناظرة أبي بكر وعمر بزيادة وهي ان أبا بكر قال لعمر رضي الله عنهما انما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا اله الا الله واني رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة لياتوا بذلك كله وخرجه ابن خزيمة في صحيحه وانما قال أبو بكر لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة فان الزكاة حق المال أخذا والله أعلم من قوله الا بحقها وفي رواية الا بحق الاسلام فجعل من حق الاسلام فعل الصلاة وايتاء الزكاة كما ان من حقه أن لا يرتكب الحدود وجعل كل ذلك مما استثنى من قوله الا بحقها وقوله لاقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة فان الزكاة حق المال يدل على ان من ترك الصلاة فانه يقاتل لانها حق البدن فكذلك من ترك الزكاة فانها حق المال وهذا فيه اشارة الى ان تارك الصلاة قتاله أمر مجمع عليه لانه جعله أصلا لقتال مانعي الزكاة مقيدا عليه وليس هو مذكورا في الحديث الذي احتج به عمر وانما أخذه من قوله الا بحقها وكذا الزكاة فانها من حقها وكل ذلك من حقوق الاسلام ويستدل أيضا على قتال تاركي الصلاة بما في صحيح مسلم عن أم سلمة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يستعمل عليكم أمراء تعرفون وتنكرون فمن أنكر فقد سلم ولكن من رضي وتابع فقالوا يا رسول الله ألا نقاتلهم قال لا ما صلوا وحكم ترك سائر أركان الاسلام أو واحد منها ان يقاتلوا عليها كما يقاتلوا على ترك الصلاة والزكاة فروى ابن شهاب عن حنظلة عن علي بن الاشجع ان أبا بكر رضي الله عنه بعث خالد بن الوليد رضي الله عنه وأمره أن يقاتل الناس على خمس فمن ترك واحدة منهن فقاتله عليها كما تقاتل على الخمس شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة وصوم رمضان وحج بيت الله الحرام قال سعيد بن جبير قال عمر بن الخطاب لو أن الناس

تركوا الحج لقاتلناهم على تركه كما نقاتل على الصلاة والزكاة فهذا الكلام في قتال الطائفة الممتنعة عن شيء من هذه الواجبات وأما قتل الواحد الممتنع فأكثر العلماء على انه يقتل الممتنع من الصلاة وهو قول مالك والشافعي وأحمد وأبي عبيد القاسم بن سلام وغيرهم ويدل على ذلك ما في الصحيحين عن أبي سعيد الخدري ان خالد بن الوليد استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في قتل رجل فقال لعله يكون مصليا فقال خالد فكم من مصل يقول بلسانه ما ليس في قلبه فقال اني لم أومر أن أنقب عن قلوب الناس ولا أشق قلوبهم وفي مسند الامام احمد عن عبد الله بن عدي بن الخيار ان رجلا من الانصار حدثه انه أتى النبي صلى الله عليه وسلم فاستأذنه في قتل رجل من المنافقين فقال النبي صلى الله عليه وسلم أليس يشهد أن لا اله الا الله قال بلى ولا شهادة له قال أليس يصلي قال بلى ولا صلاة له قال أولئك الذين نهاني الله عز وجل عن قتلهم فجعل النبي صلى الله عليه وسلم المانع من قتله كونه يصلي فدل على ان من لم يصل يقتل ولهذا قال في الحديث الآخر نهيت عن قتل المصلين فدل على أن غير المصلين لم ينهه الله عن قتلهم وقال أبو حنيفة رحمه الله تعالى تارك الصلاة اذا كان واحدا يحبس حتى يموت وتقاتل الجماعة وأما قتل الرجل الواحد الممتنع عن أداء الزكاة والصوم والحج مع القدرة فمن أحمد والشافعي ومالك انه يقتل تارك الزكاة وهي الرواية المشهورة عنهم ويستدلون بحديث ابن عمر أمرت أن أقاتل الناس الحديث وأما الصوم فقال أحمد ومالك في رواية عنه يقتل بتركه واستدلا بما روى ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعا ان من ترك الشهادتين أو الصلاة أو الصوم فهو كافر حلال الدم قال الشافعي في رواية عنه وأحمد في الرواية الاخرى لا يقتل الواحد بل يؤدبه الامام بالحبس والضرب على ما يرى حتى يصوم واستدلا بحديث ابن عمر رضي الله عنهما وغيره مما في معناه فانه ليس فيه ذكر الصوم ولهذا قال أحمد في رواية أبي طالب الصوم لم يجئ فيه شيء وهذا والله أعلم قبل أن يثبت عنده حديث ابن عباس فقد رواه ابن الجوزجاني عن ابن عباس قال ولا أحسبه الا رفعه الى النبي صلى الله عليه وسلم انه قال عرى الاسلام وقواعد الدين ثلاثة عليهن أسس الاسلام شهادة أن لا اله الا الله والصلاة وصوم شهر رمضان من ترك منهن واحدة فهو بها كافر حلال الدم ورواه قتيبة بن سعيد عن حماد بن زيد موقوفا مختصرا ورواه سعيد بن زيد أخو حماد عن ابن مالك بهذا الاسناد مرفوعا وقال من ترك منهن واحدة فهو بالله كافر ولا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا وقد حل دمه وماله ولم يذكر ما بعده وأما الحج اذا تركه رجل واحد مع القدرة عليه فعن احمد في القتل بتركه روايتان وحمل بعض أصحابه رواية قتله على من أخره عازما على تركه بالكلية أو اخره مع غلبة ظنه على موته في ذلك العام فاما من أخره معتقدا أنه على التراخي كما يقوله بعض العلماء فلا قتل في ذلك وقد روى عن عمر رضي الله عنه ضرب الجزية على من لم يحج وقال ابن عيينة المرجئة يسمون ترك الفرائض ذنبا بمنزلة ركوب المحارم وان ترك الصلاة والزكاة خاصة كفر دون الصيام والحج وقال قد روى عن عمر ضرب الجزية على من لم يحج وقال ليسوا بمسلمين ولا اله الا الله مفتاح الجنة وحقها أسنانه ولا مفتاح لا بأسنان رواه البخاري عن وهب بن منبه ولفظه قال البخاري قيل لوهب بن منبه أليس مفتاح الجنة لا اله الا الله قال بلى ولكن ليس مفتاح الا وله أسنان فان جئت بمفتاح له اسنان فتح لك والا لم يفتح ﴿وأما استحلال﴾ المحرمات المجمع على حرمتها أو بالعكس فهو كفر اعتقادي لانه لا يجحد تحليل ما احل الله ورسوله أو تحريم ما حرم الله ورسوله الا معاند للاسلام ممتنع من التزام الاحكام

غير قابل الكتاب والسنة واجماع الامة وذلك كالو جحد حل بهيمة الانعام أو غيرها مما أحله الله فى كتابه ورسوله او فى سنته مما لم يجر فيه اختلاف بين الامة بخلاف حل النبيذ ونحوه من المسائل الاجتهادية المختلف فيها بين العلماء فلا تكفير بذلك او جحد امرا مجمعا عليه قال بعضهم اجماعا قطعيا لاشبهة فيه ولا تأويل ولذلك لم يحكم كثير من الفقهاء بكفر ابن ملجم قاتل أفضل الخلق فى وقته ولا بكفر مادحه عمران بن حطان حيث قال

ياضربة من تقى ما أراد بها * الا ليبلغ من ذى العرش رضوانا
انى لاذكره يوما فاحسبه * أوفى البرية عند الله ميزانا

وقد رد عليه فى ذلك فقيل

ياضربة من شقى لم يزل أبدا * بها عليه اله الخلق غضبانا
انى لاعلم ان الله جاعله * أوفى البرية عند الله خسرانا

وكذا قد اختلف العلماء فى كفر الخوارج الذين قتلوا الموحدين واخذوا أموالهم بالتأويل مثل قوم ذى الخويصرة التميمى فان من الفقهاء من لم يحكم بكفرهم لادعائهم وتأويلهم فى نصرة دين الله والاجتهاد فيه وفى اظهاره طالبين المصلحة فى ذلك ﴿وأما قولكم ثم ان الكفر كفران كفر اعتقاد وكفر عمل فكفر الاعتقاد حكمه قتل مرتكبه وسبى ذراريهم ونهب أموالهم وهؤلاء الذين بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوهم الى التوحيد ولا يدفع عنهم هذا الحكم ويعصمهم الا الاقرار والاعتراف منهم بالشهادتين وبكل ما علم بالضرورة مجيئه صلى الله عليه وسلم به﴾ فنقول الاعتقاد المكفر أقسام ﴿منها﴾ قدم العالم وبقاؤه والشك فى ذلك ﴿ومنها﴾ تناسخ الارواح وانتقالها من شخص فى شخص أبد الابد ﴿ومنها﴾ اثبات شريعة غير الشريعة المحمدية وان للشريعة باطنا لا يعلمه العلماء ولها ظاهر وهى خيالات يقولون بها ويعملون ﴿ومنها﴾ ان ظواهر الشريعة وأكثر ما جاءت به الرسل من الاخبار عما كان ويكون فى الآخرة والحشر والقيامة والجنة والنار ليس منها شئ على مقتضى لفظها ومفهوم خطابها وانما خوطب بها الخلق على جهة المصلحة لهم اذ لم يمكنهم التصريح لقصور أفهامهم ﴿ومنها﴾ خلق القرآن ﴿ومنها﴾ التكذيب بالشفاعة التى أثبتها الله فى كتابه والصراط والميزان ﴿ومنها﴾ خيانة الأمين جبريل عليه الصلاة والسلام وأن المبعوث أولا على بن أبى طالب أو ان عائشة لم يبرئها الله ﴿ومنها﴾ مجالسة الله تعالى لبعض خلقه فى الدنيا وحلوله فى الاشخاص ﴿ومنها﴾ تجويز الكذب على الانبياء أو تكذيبهم فيما أتوا به أو انهم كتموا منه شيأ ﴿ومنها﴾ القدح فى كلام الله من كونه سحرا أو شعرا أو منسوخا جملة ﴿ومنها﴾ نسبة الصاحبة والولد اليه سبحانه وتعالى ﴿ومنها﴾ اعتقاد الذين اتخذوا من دون الله اولياء لينصروهم ويشفعوا لهم ويقربوهم كالذين قالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى والذين قال الله فيهم مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا الآية وقال تعالى قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة فى السموات ولا فى الارض الآية وقال تعالى أم اتخذوا من دون الله شفعاء قل أولو كانوا لا يملكون شيأ الآيتين وقال تعالى ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله الآية وكل هذه الفرق من أصحاب الاعتقادات المتقدمة كفار باجماع المسلمين والذين بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم يدعوهم الى التوحيد فأبوا وامتنعوا فجاهدهم لكفرهم وعنادهم وانزل القرآن بسبب اعتقادهم لم يكونوا يعتقدوا فى معتقداتهم

كشف ضر أو جلب نفع بل إنما قصدهم رضى رب العالمين والقرب إليه والتحصيل لما لديه لكن ضرهم جهل الكيفية الموجبة لحسن الماهية التي يكون بها التعبد أجل مطلوب ومقربا إلى المحبوب قال تعالى ألا لله الدين الخالص وهم قالوا ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى وكانوا إذا جاءتهم الشدة أخلصوا الدين لله وحده قال تعالى فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين الآية وقال تعالى قل أرأيتكم إن أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة أغير الله تدعون إن كنتم صادقين بل إياه تدعون فيكشف ما تدعون إليه إن شاء وتنسون ما تشركون وقال تعالى وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه الآية والمتخذون أولياء ونصيرا من دون الله أو معه من أهل هذا الزمان اعتقادهم أسوأ وأشد جناية ممن نزل القرآن بسبب اعتقادهم وأمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم بجهادهم فإن من تأمل أحوال هؤلاء المشركين الذين يرجون من معتقداتهم كشف الشدائد وتفريج الكربات ودفع المضار وقضاء المطالب والدعوات وتيسير الحاجات التي لا يقدر على كشفها وتفريجها ودفعها وجلبها إلا الله رب العالمين من سلامة غائب وعافية مريض ورزق وتحميل عقيم مع أحوال مشركي الأولين علم يقينا أن بينهم مباينة كلية في اعتقاد الضر والنفع ومجانسة حسية في اتخاذ تلك المعتقدات للشفاعة وقضاء الحاجات والأولون وإن تفرق اعتقادهم وتنوع بما ينسبونه لله تعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا أجناسهم فليس وجود هذه الأجناس من الجنايات المتقدمة واجتماعها شرطا في إثبات حكم الله ورسوله من القتل والسبي وخلود النار هذا لم يقل به عالم من العلماء بل وجود واحد منها كاف فإنه لم يقل أحد بأن الكفر الاعتقادي لا يحكم به على المعتقد إلا أن اعتقد اجتماع الصاحبة والولد مع وجود معين يعاونه وظهير يظاهره وشريك يستحق معه وشفيع عنده بلا إذنه بل اتفق العلماء قاطبة على أنه لو وجدت من ذلك خصلة لكفت في الحكم عليه إلا أن الأولين أشد حذقهم ومعرفتهم معنى الإله وموضوعه فإنه عندهم كل مألوه ومتأله أبت قلوبهم أن تنفر ما تألهته لتتقرب به إلى الله وتجلب بهم رضاه ونفي الإله غير الله باللسان مع العكوف عليه في الاعتقاد والجنان يدعوه ويرجوه ويتوكل عليه ويقصده ليتقرب بشفاعته إليه لا يوجب نفيه حقيقة والإيمان بالقرآن قول باللسان واليوم الآخر بالجنان وفعل الصلاة والصوم وسائر الأعمال يشترط لصحتها وجود التوحيد والإسلام والشرك الأكبر في القول والعقيدة منافيا للشهادة برسالة المبعوث بالحجة البيضاء والفرقان وشهادة أن محمدا رسول الله لا تغني عن شهادة أن لا إله إلا الله وهذه الشهادة لا تصح ولا تعصم مع التأله مع الله فبهذا الاعتقاد حصلت المخاصمة والعداوة ولأجله حصل التمييز بين الفرقة الناجية والهالكة وشرع الجهاد لدحضه مع سائر الفساد فيعبد الله وحده وحتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله ونحن لم نجاهد ونعاد ونوال إلا في ذلك ولم يجر بيننا وبين الخلق اختلاف في سائر المحرمات ووجوب إزالتها في أصل الدين الذي هو منهاج المرسلين وصراط رب العالمين الذي أنزل الله به كتبه وأرسل به رسله فلا يكون لسواه ولا نعبد إلا إياه مخلصين له الدين ولو كره الكافرون مع إزالة سائر الفساد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومنها استحلال ما حرم الله كالفواحش ما ظهر منها وما بطن وأكل مال اليتيم وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق أو إثبات ما نفى الله أو نفي ما أثبت أو تحريم ما أحل الله كالزينة التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق وكفعل أهل الجاهلية من البحائر والسوائب معتقدا لحلها قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم لا أحد أغير من الله فلذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن

ولا

ولا أحد أحب اليه المدح منه فلذلك مدح نفسه وكما يكون الكفر بالاعتقاد يكون أيضا بالقول كسب الله أو رسوله أو دينه أو الاستهزاء به قال تعالى قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم وبالفعل أيضا كالقاء المصحف فى القاذورات والسجود لغير الله ونحوهما وهذان وان جدت فيهما العقيدة فالقول والفعل معا دالان على الظهور وهما اوالاسلام أهل العقائد المكفرة الرجوع عنها والبراءة منها مع تجديد الشهادتين واخلاص الالوهية لله وحده قولا وعملا واعتقادا فلا يدين الله الا بذلك ولا يرضى الا به من نفسه وغيره مع الايمان بجميع الرسل ومعجزاتهم وانهم بلغوا الرسالة وأدوا الامانة ونصحوا الامة وان محمدا صلى الله عليه وسلم خاتمهم وأفضلهم مع الايمان بما تضمنه قوله سبحانه وتعالى آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله الآية وكذا أولياء الله والترضى عنهم والاقرار بكراماتهم لا عبادتهم واتخاذهم فى جلب النفع ودفع الضر الذين لا يقدر على جلبهما ودفعهما الا الله تبارك وتعالى ولا اثبات الشفاعة التى نفاها الله فى كتابه أو نفى ما أثبتها فيه بل لا بد من اثبات ما أثبته الله منها ونفى ما نفاه وكذا المستحل لما حرم الله والمحرم لما أحل يحتاج مع الاتيان بالشهادتين الى تحليل الحلال وتحريم الحرام فيثبت ما أثبت الله وينفى ما نفاه ومن حكم عليه باسلام فسب الله أو رسوله أو دينه فهل تقبل توبته ظاهرا على قولين للعلماء فمنهم من قال تقبل توبته وهو أصح قولى الشافعى ومن وافقه ومنهم من لا يقبلها وهى الرواية المشهورة عن أحمد وكذا الخلاف فيمن تكررت ردته والزنديق وهو المنافق الذى يظهر الاسلام ويبطن الكفر والكافر الاصلى تقبل توبته قولا واحدا واذا لم يتب حكمه القتل وسبى الاهل والاولاد والمرتد يستتاب على الاصح فان تاب والا قتل وماله فىء الا فى حالة الحرب واذا فيجب على الامام قتالهم وغزوهم لفعل الصحابة رضى الله عنهم وما أخذ منهم فى حالة الحرب فهو غنيمة واذا علمت الدعوة فلا يلزم الامام تجديدها قبل الغارة بجيشه لفعل النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه من بعده ﴿وأما قولكم وكفر العمل هو الكفر باتيان الكبائر وارتكابها كما ورد فى تارك الصلاة انه يكفر بتركها اياها أخرجه مسلم فى صحيحه وعن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الرجل وبين الكفر ترك الصلاة رواه أهل السنن وصححه الترمذى ومن حديث بريدة بن الحصين الاسلمى قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول العهد الذى بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر أخرجه الطبرانى وقال الاسناد صحيح على شرط مسلم ومن حديث ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بين العبد وبين الكفر ترك الصلاة فاذا تركها فقد أشرك وفى هذا الباب أحاديث كثيرة يسمى فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم تارك الصلاة عمدا كافرا﴾ فنقول اما الكبائر من الذنوب فقد تقدم كلامنا فيها ويأتى له ان شاء الله تتمة وأما الصلاة فهى لغة الدعاء بخير قال تعالى وصل عليهم أى ادع لهم وعدى لتضمنه معنى الانزال أى انزل رحمتك عليهم وقال النبى صلى الله عليه وسلم اذا دعى أحدكم الى طعام فليجب فان كان مفطرا فليطعم وان كان صائما فليصل وشرعا أقوال وأفعال مخصوصة مفتتحة بالتكبير مختتمة بالتسليم ولا يرد عليه صلاة الاخرس ونحوه لان الاقوال فيها مقدرة والمقدر كالموجود وهذا التعريف باعتبار الغالب فلا يرد صلاة الجنازة وسميت صلاة لاشتمالها على الدعاء وقيل لانها ثانية الشهادتين كالمصلى من خيل الحلبة واشتقاقها من الصلوين واحدهما صلى كعصى وهما عرقان من جانبى الذنب وقيل عظمان ينحنيان فى الركوع والسجود

وفرضت ليلة الاسراء أخرجه الشيخان البخارى ومسلم من حديث أنس وكانت قبل الهجرة بخمس سنين وقيل بسنة والاول هو المشهور عند الاكثر وكان فى رجب وقيل فى رمضان والأول هو الصحيح وترك الصلاة كفر عملى يشترك فيه عمل القلب والجوارح كالاستهانة بالمصحف وقتل الانبياء لا ككفر سائر أعمال المعاصى التى لا تخرج عن الملة كما توهمه صاحب المقدمة لان عمل القلب هو محبته وانقياده للاوامر باق على حاله وانما غلب عليه افراط الشهوة وران الغفلة ولعله أن يكون مستندا لحديث عبادة بن الصامت عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال من شهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه والجنة حق والنار حق أدخله الله الجنة على ما كان منه من العمل اخرجاه فى الصحيحين وعن أنس بن مالك أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لمعاذ وهو رديفه على الرحل يا معاذ قال لبيك يارسول الله وسعديك ثلاثا قال ما من عبد يشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله الا حرمه الله على النار قال يارسول الله أفلا أخبر بها الناس فيستبشرون قال اذا يتكلوا فاخبر بها معاذ عند موته متفق على صحته وعن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال أسعد الناس بشفاعتى من قال لا اله الا الله خالصا من قلبه رواه البخارى وعن أبى ذر ان النبى صلى الله عليه وسلم قام بآية فى القرآن يرددها حتى صلاة الغداة وقال دعوت لامتى وأجبت بالذى لو اطلع عليه كثير منهم تركوا الصلاة فقال أبو ذر أولا أبشر الناس قال بلى فانطلق فقال عمر انك ان تبعث الى الناس يتكلوا عن العبادة فناداه أن ارجع فرجع والآية ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم رواه الامام أحمد فى مسنده وفى المسند أيضا من حديث عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الدواوين عند الله عز وجل ثلاثة ديوان لا يعبأ الله به شيأ وديوان لا يترك منه شيأ وديوان لا يغفره الله فأما الديوان الذى لا يعبأ به فظلم العبد نفسه فيما بينه وبين ربه من صوم تركه أو صلاة تركها فان الله عز وجل يغفر ذلك ويتجاوز عنه ان شاء وأما الديوان الذى لا يترك الله منه شيأ فظلم العباد بعضهم بعضا القصاص لا محالة وأما الديوان الذى لا يغفره الله فالشرك قال الله عز وجل ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وقال تعالى انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وفى المسند أيضا عن عبادة بن الصامت قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول خمس صلوات كتبهن الله على العباد من أتى بهن كان له عند الله عهد أن يدخله الجنة من لم يأت بهن فليس له عند الله عهد ان شاء عذبه وان شاء غفر له وفى المسند أيضا من حديث أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة المكتوبة فان أتمها والا قيل انظروا هل له من تطوع فان كان له تطوع أكملت به الفريضة من تطوعه ثم يفعل بسائر الاعمال المفروضة مثل ذلك رواه أهل السنن وقال الترمذى حديث حسن ومما ثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال من كان آخر كلامه لا اله الا الله دخل الجنة وفى لفظ آخر من مات وهو يعلم أن لا اله الا الله دخل الجنة وفى الصحيح قصة عتبان بن مالك وفيها ان الله قد حرم على النار من قال لا اله الا الله يبتغى بذلك وجه الله وفى حديث الشفاعة يقول الله عز وجل وعزتى وجلالى لاخرجن من النار من قال لا اله الا الله وفيه فيخرج من النار من لم يعمل خيرا قط وفى السنن والمسانيد قصة صاحب البطاقة الذى ينشر له تسعة وتسعون سجلا كل سجل منها مد البصر ثم يخرج له بطاقة فيها شهادة أن لا اله الا الله فترجح سيئاته ولم يذكر فى بطاقته غير الشهادة ولو كان فيها غيرها لقال ثم

يخرج له صحائف حسناته فتوزن بسيئاته ويكفى فى هذا قوله فيخرج من النار من لم يعمل خيرا قط اذ لو كان كافرا لكان مخلدا فى النار غير خارج منها فظاهر هذه الاحاديث المنع من تكفير تاركها وتخليده فى النار والوجوب له من الرجاء ما يرجى لسائر أهل الكبائر ولان الكفر جحود التوحيد والاستهزاء به ومعاداته ومشاقة أهله ليرجعوا عنه وانكار الرسالة والمعاد وجحد ماجاء به الرسول عنادا وهذا مقر بالوحدانية عامل بها شاهد أن محمدا رسول الله مؤمن بالله وبما جاء عن الله ومن انه تعالى يبعث من فى القبور فكيف يحكم بكفره والايمان هو التصديق وضده التكذيب لا ترك العمل أم كيف يحكم للصدق بحكم المكذب ﴿الجواب عن ذلك كله﴾ ان رواة هذه الاحاديث التى قد يستدل بظاهرها على عدم تكفير تارك الصلاة هم الذين حفظ عنهم تكفير تاركها باعيانهم وهم أعلم بمعناها من غيرهم قال أبو محمد بن حزم وغيره من الأئمة الاعلام ان كبار الصحابة رضى الله عنهم ومن بعدهم من التابعين يكفرون تارك الصلاة مطلقا ويحكمون عليه بالردة منهم ابو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وابنه عبد الله وابن مسعود وعبد الله بن عباس ومعاذ بن جبل وجابر بن عبد الله وأبو الدرداء وأبو هريرة وعبد الرحمن بن عوف وعلى بن أبى طالب وعبادة بن الصامت وغيرهم من سائر الصحابة ان من ترك صلاة فرض واحد متعمدا حتى خرج وقتها فهو كافر مرتد قالوا ولا يعلم لهؤلاء مخالف من الصحابة وممن ذهب الى تكفيره التكفير المذكور من غير الصحابة أحمد بن حنبل والشافعى فى أحد روايتيه وهى المشهورة عند بعض أصحابه واسحاق بن راهويه وعبد الله بن المبارك والنخعى والحكم بن عيينة وأبو أيوب السختيانى وابو داود الطيالسى وغيرهم من كبار الأئمة والتابعين كلهم قد قال بكفر تاركها وانه ليس من أهل الاسلام بل يقتل كفرا وماله فىء ما لم يتب وتلك الاحاديث المتقدمة أعنى قوله صلى الله عليه وسلم من لم يأت بهن فليس له عند الله عهد ان شاء عذبه وان شاء أدخله الجنة ونحوها جميعها محمولة عند من تقدم ذكرهم على عدم المحافظة عليهن فى وقتهن مع الاتيان بهن بعد بدليل الاحاديث الواردة فى تركها بالكلية فانها مقيدة وتلك مطلقة والمطلق يحمل على المقيد اذا أمكن الحمل ولم يوجد نسخ ولذلك لم يأخذ رواة تلك الاحاديث المطلقة ولا غيرهم من الأئمة الاعلام بظاهرها فى عدم تكفير تاركها بل حملوها على الآيات والاحاديث المقيدة الآتى بيانها وأما اخراج الله من النار من لم يعمل خيرا قط بل كفى عن العمل وجود أدنى ايمان فى قلبه واقرار بالشهادتين فى لسانه فهو اما لعدم تمكنه من أداء ما افترض الله عليه من أركان الاسلام بل بمجرد أدنى ايمان فى قلبه وشهادة بلسانه خرمته المنية لكنه قد عمل عملا فسقا به لوجود ما صدر منه عالما به فاستحق دخول النار عليه واما لكونه نشأ فى مكان قريب من أهل الدين والايمان لم يعلم ما أوجب الله على خلقه من تفاصيل الدين والايمان والاسلام وأركانه بل جهل ذلك ولم يسأل أهل الذكر عنه وبان الله أوجب على خلقه المكلفين التفقه فى الدين وان لم يحصل الا بقطع مسافة كثيرة لانه غير معذور بهذا الجهل اذ مثله لا يجهل ذلك لقربه من المسلمين فيعاقبه الله على ترك تعلم ما أوجب الله عليه ولهذا لا يخلد فى النار ان لم يوجد منه مناف للاسلام من انكار أمر علم من الدين ضرورة ولم يمتنع من اجابة امام المسلمين اذا دعاه لتقويم اركان الدين بل هو مؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر لا ينكر منه شيأ وباركان الاسلام كلها لكنه جهل تفاصيل ذلك وأحكامه وما يجب عليه منه والايمان يتفاوت ويختلف بحسب أحوال الخلق فمنهم من ايمانه كالجبال الراسيات بحيث لا يزحزحه مزحزح فيزيد

الى مالانهاية له ومنهم من ينقص ايمانه حتى ينتهى الى مثقال الذرة فالاول سببه الطاعة والعلم والتفكر فى مصنوعات الله والثانى سببه المعاصى والجهل والغفلة والنسيان وهذا السبب الثانى لا يوجب الخلود فى النار حيث وجد الايمان وما استطاع عليه من أركان الاسلام لكن لجهله أو غفلته أو نسيانه أو معاصيه وهن ايمانه ولا يلزم من وهنه عدم فعل الصلاة وسائر الاركان للاسلام مما يقدر عليه بل قد يفعلها وايمانه ضعيف حتى ينتهى الى مثقال الذرة واطلاق عدم العمل عليه لكونه عمل جاهل ولذلك أكثر العلماء منهم الامام مالك يقول بعدم صحة عبادة الجاهل بتفاصيل أعمال الصلاة فلا يميز بين أركانها وواجباتها وسننها وكذا غير الصلاة فكأنه فى هذه الحالة لم يعمل واخراجه من النار ودخوله الجنة بسببه الايمان الذى صدر منه لا بمجرد فعل الصلاة من غير ايمان ولذلك لم يقبل الله صلاة المنافق ولا سائر عمله بل جعله الله فى الدرك الاسفل من النار مخلدا مع انه يفعل الصلاة وسائر الطاعات حتى الجهاد فى وقت النبى صلى الله عليه وسلم وغيره لكن لما كان صلاته وعمله من غير ايمان بطل من أصله ولا يخرج بعمله ذلك عن الكفر الا انه ظاهرا يعصم ماله ودمه فاما مجرد الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر وسائر ما كلف الله به العبيد مع العمل فهو الكلى والصلاة قوام الدين وعماد اليقين فمن تركها فقد أضاعه ﴿ وقد دل على كفر تارك الصلاة الكتاب والسنة واجماع الصحابة ﴾ أما الكتاب فقوله تعالى أفنجعل المسلمين كالمجرمين مالكم كيف تحكمون أم لكم كتاب فيه تدرسون ان لكم فيه لما تخيرون أم لكم أيمان علينا بالغة الى يوم القيامة ان لكم لما تحكمون الى قوله يوم يكشف عن ساق ويدعون الى السجود فلا يستطيعون خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة وقد كانوا يدعون الى السجود وهم سالمون فوجه الدلالة من الآية انه سبحانه أخبر انه لا يجعل المسلمين كالمجرمين وان هذا الامر لا يليق بحكمته ولا حكمه ثم ذكر أحوال المجرمين الذين هم ضد المسلمين بقوله يوم يكشف عن ساق وانهم يدعون الى السجود لربهم تبارك وتعالى فحال بينهم وبينه فلا يستطيعون السجود مع المسلمين عقوبة لهم على ترك السجود مع المصلين فى دار الدنيا وهذا يدل على انهم مع الكفار والمنافقين الذين تبقى ظهورهم اذا سجد المسلمون كصياصى البقر ولو كانوا من المسلمين لاذن لهم بالسجود كما أذن للمسلمين ولو كانوا من سجد وجوبها رأسا ولم يدع الايمان بها الذهب مع الذاهبين الذين قيل لهم الا تردوا أو لتتبع كل أمة ما كانت تعبد اذ لا يخلوان يكون من أحد الطائفتين ولم يبق مع من يدعى الاسلام العاملين به وغير العاملين (الدليل الثانى) قوله تعالى كل نفس بما كسبت رهينة الا أصحاب اليمين فى جنات يتساءلون عن المجرمين ما سلككم فى سقر قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين وكنا نخوض مع الخائضين وكنا نكذب بيوم الدين حتى أتانا اليقين فلا يخلو هؤلاء اما ان يكون كل واحد من هذه الخصال هو الذى سلكهم فى سقر وجعلهم من المجرمين أو مجموعها فان كل واحد منها مستقل بذلك فالدلالة ظاهرة وان كان مجموع الاربعة فهذا انما هو لتغليظ كفرهم وعقوبتهم والا فكل واحد منها مقتض للعقوبة الى ما هو مستقل بمجموعها ومن المعلوم ان ترك الصلاة وما ذكر معه ليس شرطا فى العقوبة على التكذيب بيوم الدين بل هو وحده كاف فى العقوبة فدل على ان كل وصف ذكر معه كذلك اذ لا يمكن قائلا ان يقول لا يعذب الكافر ولا يحكم عليه بالكفر الا من جمع هذه الاوصاف فاذا كان كل واحد منها موجبا للاجرام وقد جعل الله

سبحانه وتعالى المجرمين ضد المسلمين كان تارك الصلاة من المجرمين السالكين في سقر وقد قال تعالى ان المجرمين في عذاب جهنم وقال تعالى ان المجرمين في ضلال وسعر يوم يسحبون في النار على وجوههم ذوقوا مس سقر وقال تعالى ان الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون فجعل ضد المؤمنين (الدليل الثالث) قوله تعالى وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الرسول لعلكم ترحمون فوجه الدلالة انه تعالى علق حصول الرحمة لهم بفعل هذه الامور فلو كان ترك الصلاة لا يوجب تكفيرهم وخلودهم في النار لكانوا مرحومين بدون فعل الصلاة والرب تعالى انما جعلهم على رجاء الرحمة اذا فعلوها ﴿الدليل الرابع﴾ قوله تعالى فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون قال أهل المعاني السهو في الشئ تركه من غير علم به والسهو عنه تركه مع العلم به والفرق بين الساهي والناسي ان الساهي متى ذكر تذكر والناسي لا يتذكر مع التذكير وقد اختلف السلف الصالح في معنى السهو عنها فقال سعد بن أبي وقاص ومسروق بن الأجدع وغيرهما هو تركها حتى يخرج وقتها وقد روى ذلك في حديث مرفوع قال محمد بن نصر المروزى قال حدثنا شيبان بن أبي شيبة قال حدثنا عكرمة بن ابراهيم قال حدثنا عبد الملك بن عمير عن مصعب بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه سعد رضى الله عنهما انه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الذين هم عن صلاتهم ساهون قال الذين يؤخرون الصلاة عن وقتها وقال حماد بن زيد حدثنا عاصم عن مصعب بن سعد قال قلت لأبي يا أبتاه أرأيت قوله تعالى الذين هم عن صلاتهم ساهون اينا لا يحدث نفسه قال انه ليس ذلك ولكنه اضاعة الوقت وقال حيوة بن شريح أخبرني أبو صخر انه سأل محمد بن كعب القرظى عن قوله تعالى الذين هم عن صلاتهم ساهون قال هو تاركها ثم سأله عن الماعون قال منع المال من حقه وأكثر المفسرين على انه اسم شامل لكل ما يحتاج اليه كابرة وفاس وقدر وقصعة وآنية البيت اذا طلبت للعارية كما صححه الحاكم عن ابن عباس فهو اسم شامل لجميع أنواع المعروف وحصول الويل شرط في اجتماع الثلاثة غالبا كما جاء عن عكرمة حيث سأله بسام قال الماعون القدر والفاس والدلو قال بسام قلت لعكرمة من منع هذا فله الويل قلت لا ولكن من جمعهن من راآى في صلاته وسها عنها ومنع هذا فله الويل والا فمجرد السهو عنها كاف في حصول الويل وان لم يوجد المنع لكن وصف الساهين بالمانعين للحكم الأغلبي ومجرد المنع بلا سهو ولا مراآة لا يوجب الويل الا على من يقول بوجوب العارية ولعله مع الاضطرار اليها ولم يلحق ربها ضرر باعارته اياها ولم يكن وقت الاستعارة محتاجا اليها والا فربها اذن أحق بها فلا تجب عليه الاعارة اذا علم هذا فالوعيد بالويل مطرد في القرآن للكفار كقوله تعالى فويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم كافرون وقوله ويل لكل أفاك أثيم يسمع آيات الله تتلى عليه ثم يصر مستكبرا كان لم يسمعها الى قوله ولهم عذاب مهين وقوله وويل للكافرين من عذاب شديد الا في موضعين منه وهما فويل للمطففين وويل لكل همزة فعلق الويل بالتطفيف وهو نقص المكيال والميزان والمطفف الذى يبخس في الكيل والوزن ومثله العد والذرع قال الزجاج وانما قيل للذى ينقص المكيال والميزان ونحوهما مطفف لانه لا يكاد يسرق في المكيال والميزان الا الشئ اليسير الطفيف والهماز كثير الطعن في الناس ويكون باليد والعين أيضا واللماز آكل لحوم الناس باغتيابه لهم واللمز هو العيب ومنه قوله تعالى ولا

تلمزوا أنفسكم أى لا يعب بعضكم بعضا فيجعل فيه من العيب ما ليس فيه ﴿واذا فهم﴾ ذلك فقد علق سبحانه الويل بالتطفيف والهمز واللمز وهذا لا يكتفى به بمجرده فويل تارك الصلاة اما أن يكون ملحقا بويل الكفار أو بويل الفساق والحاقه بويل الكفار هو الحق لوجهين ﴿أحدهما﴾ انه قد صح عن سعد ابن أبى وقاص فى هذه الآية أنه قال لو تركوها لكانوا كفارا ولكن ضيعوها عن وقتها فجعل تركها كفرا ﴿الثانى﴾ ما سنذكره من الأدلة الدالة على كفره يوضحه الدليل الخامس هو قوله تعالى فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا قال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه هو واد فى جهنم بعيد قعره خبيث طعمه قال عبد الله بن عباس رضى الله عنهما ان أودية جهنم لتستعيذ منه ومن حره يسيل قيحا ودما قال كعب هو أبعدها قعرا وأشدها حرا فيه بئر تسمى البهيم كلما خبت جهنم فتح الله تلك البهيم فتستعر منه لشدة حرارته وعذابه وما أعد الله فيه لأعدائه فوجه الدلالة من الآية ان الله تعالى جعل هذا المكان لمن أضاع الصلاة واتبع الشهوات ولو كانوا مع عصاة المسلمين لكانوا فى الطبقة العليا من جهنم ولم يكونوا فى هذا المكان الذى هو من أسفلها فان هذا ليس من أمكنة أهل الاسلام بل من أمكنة الكفار وفى الآية دليل آخر وهو قوله تعالى فسوف يلقون غيا الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فلو كان مضيع الصلاة مؤمنا لم يشترط فى توبته الايمان فانه يكون تحصيلا للحاصل ﴿فان قيل﴾ قد قال عبد الله بن مسعود وابراهيم النخعى فى تفسير أضاعوا الصلاة بان أخروها عن وقتها لغير عذر وقال سعيد بن المسيب هو ان لا يصلى الظهر حتى يأتى العصر ولا يصلى العصر حتى يأتى المغرب ومفهوم قولهم ان المضيعين عن وقتها يصلونها قضاء ومن أخرها عن وقتها حتى خرج ثم قضاها بعد ذلك فهو فاسق لا كافر مرتد وأيضا قد ورد فى السنة ان ذلك الوادى الذى فيه تلك البئر البهيم أعده الله لمن لم يتب من الزناة ومدمنى الخمر وأكلة الربى وعاق والديه وشاهد الزور وهؤلاء فسقة ليسوا بكفار اذا لم يستحلوا ذلك والطبقة العليا من النار انما هى للعصاة من الموحدين وهذا الغى فيها ﴿الجواب﴾ ان الاضاعة ليست خاصة فى تأخيرها عن الوقت مع القضاء بعد ذلك بل هى فيمن تركها بالكلية أولى ولذلك ذهب عبد الله ابن مسعود وغيره من الصحابة والتابعين الى تكفير تاركها مطلقا وأولوا الآية على ذلك فالترك أخص والاضاعة أعم وقد قال مجاهد وقتادة هم فى هذه الامة أضاعوا الصلاة أى تركوا الصلاة المفروضة فلم يأتوا بها والله سبحانه أوعد المضيعين للصلاة بهذا الغى ولا مانع من اشتراك الكافرين والفاسقين فى نوع المعذب فيه ويختلفون فى ألمه اذ العذاب على الكافر أشد منه على العاصى والله على كل شئ قدير وظاهر كلام ابن عباس رضى الله عنهما كغيره من الصحابة أن الغى فى جهنم خاصة لا فى غيرها من طبقات النار اذ هى سبع طبقات بعضها فوق بعض قال على كرم الله وجهه تدرون كيف أبواب النار هكذا ووضع احدى يديه على الاخرى أى سبعة أبواب بعضها فوق بعض وان الله وضع الجنان على العرض ووضع النيران بعضها فوق بعض قال ابن جريج النار سبع دركات أولها جهنم وفيها يعذب الله العاصين من الموحدين وفى قعرها هذا الوادى الذى سمى الغى تستعيذ منه جميع أوديتها يعذب الله فيه من أضاع الصلاة واتبع الشهوات وانما عذب فيه تارك الصلاة بالكلية مع الحكم عليه بعدم الاسلام والكفر المخلد فى العذاب لان كفره عناد بعدم فعله لها لا جحود ولا انكار ولا نفاق فليس فيه من مجانسة أفعال من يستحق الدركات

الباقية لا شرك ولا غيره ولما كان المضيع للصلاة عن وقتها مع قضائها بعد فيه مجانسة فى نوع فعل التارك لها بالكلية عذب معه فى نوع المعذب فيه وفارقه فى ألم العذاب لايمانه الذى قدمات عليه ثم الثانية لظى للنصارى ثم الثالثة الحطمة لليهود ثم الرابعة السعير للصابئين ثم الخامسة سقر للمجوس ثم السادسة الجحيم لاهل الشرك ثم السابعة الهاوية للمنافقين وبهذا الترتيب يعلم ان عذاب أهل الشرك أشد عذابا من الكافرين بترك الصلاة ولا ريب فى ذلك ان توحيد الله لا أفضل منه فهو أساس الصلاة وكل عبادة فلا تصح الا به ولا تثبت الا عليه ولذلك قدمت الشهادتان رتبة على سائر الأركان ﴿الدليل الخامس﴾ قوله تعالى فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فاخوانكم فى الدين فعلق أخوتهم فى الدين بفعل الصلاة فاذا لم يفعلوها لم يكونوا اخوة للمؤمنين فلا يكونون مؤمنين لقوله انما المؤمنون اخوة ﴿الدليل السابع﴾ قوله تعالى فلا صدق ولا صلى ولكن كذب وتولى فلما كان الاسلام تصديق الخبر والانقياد للامر جعل الله سبحانه له ضدين عدم التصديق وعدم الصلاة وقابل التصديق بالتكذيب والصلاة بالتولى فقال ولكن كذب وتولى فكما ان المكذب كافر فالمتولى عن الصلاة كافر وكما يزول الاسلام بالتكذيب يزول بالتولى عن الصلاة قال سعيد عن قتادة لا صدق ولا صلى لا صدق بكتاب الله ولا صلى ولكن كذب وتولى كذب بآيات الله وتولى عن طاعته أولى لك فأولى ثم أولى لك فأولى وعيد على أثر وعيد أى الذم والعذاب أولى لك من غيره فأولى أى لك أيضا وهذا وان كان السبب خاصا فالحكم عام اذ الآية محكمة الى يوم القيامة ﴿الدليل الثامن﴾ قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون قال ابن جريج سمعت عطاء بن أبى رباح يقول هى الصلاة المكتوبة ووجه الاستدلال بالآية الكريمة انه سبحانه حكم بالخسران المطلق لمن ألهاه ماله وولده عن الصلاة والخسران المطلق لا يحصل الا للكافرين فان المسلم لو خسر بذنوبه ومعاصيه فآخر أمره الى الربح يوضحه انه سبحانه أكد خسران تارك الصلاة فى هذه الآية بانواع من التأكيد * أحدها انه بلفظ الاسم الدال على ثبوت الخسران ولزومه دون الفعل الدال على التجدد والحدوث * الثانى تصدير الاسم بالالف واللام المشعر بحصول كمال المسمى لهم فانه اذا قيل زيد العالم والصالح أفاد ذلك اثبات كل العلم والصلاح له بخلاف ما اذا قيل عالم وصالح الثالث اتيانه سبحانه بالمبتدا والخبر معرفين وذلك من علامات انحصار الخبر فى المبتدا فى قوله تعالى فأولئك هم الخاسرون كما فى وأولئك هم المفلحون والكافرون هم الظالمون وأولئك هم المؤمنون حقا ونظائره * الرابع ادخاله ضمير الفصل بين المبتدا والخبر وهو يفيد مع الفصل فائدتين أخريين قوة الاسناد واختصاص المسند اليه بالمسند كقوله وان الله لهو الغنى الحميد وقوله والله هو السميع العليم وقوله وان الله لهو الغفور الرحيم ونظائر ذلك ﴿الدليل التاسع﴾ قوله تعالى انما يؤمن بآياتنا الذين اذا ذكروا بها خروا سجدا وسبحوا بحمد ربهم وهم لا يستكبرون ووجه الاستدلال بالآية انه سبحانه نفى الايمان عمن اذا ذكر بآيات الله لم يخر ساجدا مسبحا بحمد ربه ومن أعظم التذكير بآيات الله التذكير بآيات الصلاة فمن ذكر بها فلم يتذكر ولم يصل لم يؤمن بها لانه سبحانه خص المؤمنين بها بانهم أهل السجود وهذا من أحسن الاستدلال وأقربه فلم يؤمن بقوله تعالى وأقيموا الصلاة الا من التزم اقامتها ﴿الدليل العاشر﴾ قوله تعالى واذا قيل لهم اركعوا لا يركعون ويل

يومئذ للمكذبين ذكر هذا بعد قوله كلوا وتمتعوا قليلا انكم مجرمون ثم توعدهم تعالى على ترك الركوع وهو الصلاة اذا دعوا اليها ولا يقال انما توعدهم على التكذيب فانه سبحانه انما أخبرهم عن تركهم لها وعليه وقع الوعيد على أنا نقول لا يصر على ترك الصلاة اصرارا مستمرا من يصدق بان الله أمر بها أصلا فانه يستحيل فى العادة والطبيعة أن يكون الرجل مصدقا تصديقا جازما بان الله سبحانه فرض عليه فى كل يوم وليلة خمس صلوات وانه تعالى يعاقبه على تركها أشد العقاب وهو مع ذلك مصر على تركها مصدق بفرضها أبدا فان الايمان يأمر صاحبه بها فحيث لم يكن فى قلبه ما يأمره بها فليس فى قلبه شئ من الايمان ولا يصغى الى كلام من ليس له خبرة ولا علم باحكام القلوب وأعمالها وليتأمل هل فى الطبيعة أن يقوم بقلب العبد ايمان بالوعيد والوعد والجنة والنار وان الله تعالى فرض عليه الصلاة وانه معاقبه على تركها وهو محافظ على الترك فى صحته وعافيته وعدم الموانع المانعة من الفعل وهذا القدر هو الذى خفى على ذى الجهل المركب حيث أثبت الايمان لمدعيه مع تركه من الاسلام أعظم الأركان وجعله الايمان مجرد التصديق وان لم يقارنه فعل واجب ولا ترك محرم وهذا من أن محل المحال أن يقوم بقلب العبد ايمان جازم وليس من لازمه ولا يقتضيه القيام بالاركان ولا فعل طاعته وترك معصيته ونحن نقول الايمان هو التصديق ولكن ليس التصديق مجرد اعتقاد صدق الخبر دون الانقياد ايمان والا لكان ابليس وفرعون وقومه وقوم صالح واليهود والذين عرفوا ان محمدا صلى الله عليه وسلم رسول الله كما يعرفون أبناءهم مؤمنين مصدقين وقد قال تعالى فانهم لا يكذبونك أى يعتقدون انك صادق ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون والجحود لا يكون الا بعد معرفة الحق وقال تعالى وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا وقال موسى لفرعون لقد علمت ما أنزل هؤلاء الا رب السموات والارض بصائر وقال تعالى عن اليهود يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون وأبلغ من هذا قول النفر من اليهود لما جاؤا الى النبى صلى الله عليه وسلم وسألوه عما دلهم على نبوته فقالا نشهد انك نبى فقال ما منعكما عن اتباعى قالا ان داود دعا أن لا يزال فى ذريته نبى وانا نخاف ان اتبعناك تقتلنا يهود فهؤلاء قد أقروا بألسنتهم اقرارا مطابقا لمعتقدهم انه نبى ولم يدخلوا بهذا التصديق والاقرار فى الايمان لانهم لم يلتزموا طاعته والانقياد لامره ومن هذا كفر أبى طالب فانه عرف حقيقة المعرفة أنه صادق وأقر بذلك بلسانه وصرح به فى شعره ولم يدخل بذلك فى الاسلام فالتصديق انما يتم بامرين أحدهما اعتقاد الصدق والثانى محبة القلب والانقياد ولهذا قال تعالى لابراهيم قد صدقت الرؤيا وابراهيم كان معتقدا لصدق رؤياه حين رآها فان رؤيا الانبياء وحى وانما جعله مصدقا لها بعد ان فعل ما أمر به وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم والفرج يصدق ذلك أو يكذبه فجعل التصديق عمل الفرج ما عناه القلب والتكذيب تركه لذلك وهذا صريح فى أن التصديق لا يصح الا بالعمل وقال الحسن ليس الايمان بالتمنى ولا بالتحلى ولكن ما وقر فى القلب وصدقه العمل وقد روى هذا مرفوعا الى النبى صلى الله عليه وسلم من غير وجه والمقصود انه يمتنع من التصديق الجازم بوجوب الصلاة والوعد على فعلها والوعيد على تركها المحافظة على تركها واجتماعهما محال ﴿وأما الاستدلال بالسنة على ذلك فمن وجوه﴾ ﴿الدليل الأول﴾ ما روى مسلم فى صحيحه عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الرجل وبين الكفر ترك الصلاة ورواه أهل السنن وصححه الترمذى ﴿الدليل الثانى﴾ ما رواه بريدة بن الحصين الأسلمى قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم

يقول

يقول العهد الذى بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر رواه الامام أحمد وأهل السنن وقال الترمذى حسن صحيح اسناده على شرط مسلم ﴿الدليل الثالث﴾ ما رواه ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بين العبد وبين الكفر والايمان الصلاة فاذا تركها فقد أشرك رواه هبة الله الطبرى وقال اسناده صحيح على شرط مسلم ﴿الدليل الرابع﴾ ما رواه عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم انه ذكر الصلاة يوما فقال من حافظ عليها كانت له نورا وبرهانا ونجاة يوم القيامة ومن لم يحافظ عليها لم تكن له نورا ولا برهانا ولا نجاة وكان يوم القيامة مع قارون وفرعون وهامان وأبى بن خلف رواه الامام أحمد فى مسنده وأبو حاتم بن حبان فى صحيحه وانما خص هؤلاء الاربعة بالذكر لانهم من رؤس الكفر وفيه نكتة بديعة وهى ان تارك المحافظة على الصلاة اما أن يشغله عنها ماله أو ملكه أو رياسته أو تجارته فمن يشغله عنها ماله فهو مع قارون ومن يشغله عنها ملكه فهو مع فرعون ومن يشغله عنها رياسته من وزارة وغيرها فهو مع هامان وزير فرعون ومن يشغله عنها تجارته فهو مع أبى بن خلف ﴿الدليل الخامس﴾ ما رواه عبادة بن الصامت قال أوصانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا تشركوا بالله شيأ ولا تتركوا الصلاة عمدا فمن تركها عمدا خرج عن الملة رواه عبد الرحمن بن أبى حاتم فى سننه ﴿الدليل السادس﴾ ما رواه معاذ بن جبل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ترك صلاة مكتوبة متعمدا فقد برئت منه ذمة الله رواه الامام أحمد ولو كان باقيا على اسلامه لكانت له ذمة الاسلام ﴿الدليل السابع﴾ ما رواه أبو الدرداء قال أوصانى أبو القاسم صلى الله عليه وسلم أن لا أترك الصلاة متعمدا فمن تركها متعمدا فقد برئت منه الذمة رواه عبد الرحمن بن أبى حاتم فى سننه ﴿الدليل الثامن﴾ ما رواه معاذ بن جبل رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال رأس الامر الاسلام وعموده الصلاة وهو حديث صحيح مختصر ووجه الاستدلال به انه أخبر ان الصلاة من الاسلام بمنزلة العمود الذى تقوم عليه الخيمة يسقط عمودها فهكذا يذهب الاسلام بذهاب الصلاة وقد احتج الامام أحمد بهذا الحديث بعينه ﴿الدليل التاسع﴾ ما فى الصحيحين والسنن والمسانيد من حديث عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى الاسلام على خمس شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله واقام الصلاة وايتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت رواه مسلم ورواه الامام أحمد فى بعض ألفاظه الاسلام خمس فذكره ووجه الاستدلال به من وجوه أحدها انه جعل الاسلام كالقبة المبنية على خمسة أركان فاذا وقع ركنها الاعظم وقعت قبة الاسلام الثانى انه جعل هذه الاركان فى كونها أركانا لقبة الاسلام قرينة الشهادتين فهما ركن والصلاة ركن والزكاة ركن فما بال قبة الاسلام تبقى بعد سقوط أحد أركانها دون بقية أركانها الثالث انه جعل هذه الاركان نفس الاسلام وداخلة فى مسمى اسمه وما كان اسما لمجموع أمور اذا ذهب بعضها ذهب ذلك المسمى ولا سيما اذا كان من أركانه لا من أجزائه التى ليست ركنا له كالحائط للبيت فانه اذا سقط سقط البيت بخلاف العمود والخشبة واللبنة ونحوها ﴿الدليل العاشر﴾ عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فهو المسلم له ما لنا وعليه ما علينا ووجه الدلالة فيه من وجهين أحدهما انه انما جعله مسلما بهذه الاربعة فلا يكون مسلما بدونها الثانى انه اذا صلى الى المشرق والقبلة فى غير ناحيته بالنسبة اليه لم يكن مسلما حتى يصلى الى جهة قبلة

المسلمين فكيف اذا ترك الصلاة بالكلية ﴿الدليل الحادى عشر﴾ ما رواه الدارمى عبد الله بن عبد الرحمن من حديث جابر بن عبد الله رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال مفتاح الجنة الصلاة وهذا يدل على ان من لم يكن من أهل الصلاة لم تفتح له الجنة وهى تفتح لكل مسلم فليس تارك الصلاة بمسلم ولا تناقض بين هذا و بين الحديث الآخر وهو قوله مفتاح الجنة شهادة أن لا اله الا الله فان الشهادة أصل لمفتاح الصلاة و بقية الاركان أسنانه التى لا يحصل الفتح الا بها اذ دخول الجنة موقوف على المفتاح وأسنانه وقال البخارى وقيل لوهب بن منبه أليس مفتاح الجنة لا اله الا الله قال بلى ولكن ليس مفتاح الا وله أسنان فان جئت بمفتاح له أسنان فتح لك والا لم يفتح لك ﴿الدليل الثانى عشر﴾ ما رواه محجن بن الاذرع الاسلمى انه كان فى مجلس مع النبى صلى الله عليه وسلم فأذن بالصلاة فقام النبى صلى الله عليه وسلم فصلى ثم رجع ومحجن فى مجلسه فقال له ما منعك ان تصلى ألست برجل مسلم قال بلى ولكنى صليت فى أهلى فقال له اذا جئت فصل مع الناس وان كنت قد صليت رواه الامام أحمد والنسائى فجعل الفارق بين المسلم والكافر الصلاة و يوجد تحت ألفاظ الحديث انك لو كنت مسلما لصليت ولم تصل فى بيتك وهذا كما يقال لرجل حى ناطق مالك لا تتكلم ألست بناطق ومالك لا تتحرك ألست بحى ولو كان الاسلام يثبت مع عدم الصلاة لما قال لمن رآه لا يصلى ألست برجل مسلم ﴿وأما الاستدلال باجماع الصحابة﴾ فقد تقدم ذلك عن عمر بن الخطاب وابنه عبد الله ومعاذ بن جبل وعبد الله بن مسعود وابن عباس وجابر بن عبد الله وأبى الدرداء وعلى بن أبى طالب وأبى هريرة وغيرهم ولا يعلم عن صحابى خلافهم وعلى هذا نهج الأئمة الاسلاف كسفيان بن سعيد الثورى وأبى عمر الاوزاعى وعبد الله بن المبارك وحماد بن زيد ووكيع بن الجراح والامام مالك بن أنس ومحمد بن ادريس الشافعى فى أشهر قوليهما وأحمد بن حنبل واسحق بن راهويه وأصحابهم كلهم قالوا بكفر تاركها وقتله ثم جمهورهم قالوا يقتل بالسيف ضربا فى عنقه وقال بعض الشافعية يضرب بالخشب الى أن يصلى أو يموت وقال ابن شريح ينخس بالسيف نخسا حتى يموت لانه أبلغ والجمهور على ضرب عنقه بالسيف لانه أحسن القتلات وأسرعها ازهاقا وقد سن الله سبحانه فى قتل الكفار والمرتدين ضرب الاعناق دون النخس بالسيف والجمهور عند هؤلاء كلهم انه يستتاب فان تاب ترك والا قتل هذا قول الشافعى وأحمد وأحد القولين فى مذهب مالك وقال أبو بكر الطرطوشى فى تعليقه مذهب مالك انه يقال له مادام الوقت باقيا صل فان فعل ترك وان امتنع حتى خرج الوقت هل يستتاب أم لا قال بعض أصحابنا يستتاب فان تاب والا قتل وقال بعضهم لا يستتاب لان هذا تحتم فلا يسقط كالحد وهذا الذى حكاه الطرطوشى عن بعض أصحابهم انه يقتل من غير استتابة هو رواية عن مالك وفى استتابة المرتد روايتان عن أحمد وقولان للشافعى ومن أوجب الاستتابة قال الرعاية اليه شرط فى قتله لانه قد يترك لعذر أو ما ظنه عذرا أو لكسل لا يستمر ولذلك أذن النبى صلى الله عليه وسلم فى الصلاة نافلة خلف الامراء الذين يؤخرون الصلاة حتى يخرج الوقت ولم يأمر بقتالهم ولم يأذن فى قتالهم لانهم لا يصروا على تركها فاذا دعى فامتنع لا من عذر حتى خرج الوقت تحقق تركه واصراره وهل يقتل بترك صلاة أو صلاتين أو ثلاث صلوات هذا فيه خلاف بين الناس فقال سفيان الثورى ومالك وأحمد فى احدى الروايات عنه يقتل بترك صلاة واحدة وهو ظاهر مذهب الشافعى وأحمد ووجه هذا القول

ماتقدم من الاحاديث الدالة على قتل تارك الصلاة فقد روى معاذ بن جبل رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من ترك صلاة مكتوبة متعمدا فقد برئت منه ذمة الله رواه الامام أحمد فى مسنده وعن أبى الدرداء رضى الله عنه قال أوصانى أبو القاسم صلى الله عليه وسلم أن لا أترك صلاة متعمدا فمن ترك صلاة متعمدا فقد برئت منه الذمة رواه عبد الرحمن بن أبى حاتم فى سننه ولانه اذا دعى الى فعلها فى وقتها فقال لا أصلى ولا عذر له فقد ظهر اصراره فتعين ايجاب قتله واهدار دمه واعتبار التكرار ثلاثا ليس عليه دليل من نص ولا اجماع ولا قول صحابى وقال أبو اسحق من أصحاب أحمد ان كانت الصلاة المتروكة تجمع الى ما بعدها كالظهر والمغرب لم يقتل حتى يخرج وقت الثانية لان وقتها وقت الاولى فى حال الجمع فاورثت شبهة ههنا وان كانت لا تجمع الى ما بعدها كالصبح والعصر وعشاء الآخرة قتل بتركها وحدها اذ لا شبهة فى التأخير وهذا القول حكاه اسحق عن عبد الله بن المبارك أو عن وكيع بن الجراح الشك من اسحق فى تعيينه فعلى هذا متى دعى الى الصلاة فى وقتها فقال لا أصلى وامتنع حتى فاتت وجب قتله وان لم يضق وقت الثانية نص عليه الامام أحمد قال القاضى وأصحابه كابن عقيل وأبى الخطاب لا يقتل حتى يتضايق وقت التى بعدها وقال شيخ الاسلام أبو البركات تقى الدين متى دعى الى الصلاة فى وقتها فقال لا أصلى وامتنع حتى فاتت وجب قتله وان لم يضق وقت الثانية وفى المثال الذى ذكر يعنى أبا الخطاب أولى لان القتل بتركها دون الاولى لانه لما دعى اليها كانت فائتة والفوائت لا يقتل تاركها وكذا حكم ترك الوضوء والغسل من الجنابة واستقبال القبلة وستر العورة والقيام فى الفرض لقادر أو الركوع أو السجود لقادر عليهما كترك الصلاة وكذا حكم ترك الجمعة لما روى مسلم فى صحيحه من حديث ابن مسعود أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لقوم يتخلفون عن الجمعة لقد هممت أن آمر رجلا يصلى بالناس ثم أحرق على رجال يتخلفون عن الجمعة بيوتهم وصريح القرآن مشعر بفرضيتها وآمر باقامتها الزاما وأخطأ على الشافعى من نسب اليه القول بان صلاة الجمعة فرض كفاية اذا قام بها قوم سقطت عن الباقين ولم يقل الشافعى هذا قط وانما غلط عليه من نسب ذلك اليه بسبب قوله فى صلاة العيد انها تجب على من تجب عليه صلاة الجمعة بل هذا نص من الشافعى رضى الله عنه على ان صلاة العيد واجبة على الاعيان وهذا هو الصحيح فى الدليل فان صلاة العيدين من أعظم شعائر الاسلام الظاهرة ولم يكن يتخلف عنها أحد من الصحابة ولا تركها رسول الله صلى الله عليه وسلم مرة واحدة ولو كانت سنة لتركها ولو مرة واحدة كما ترك قيام رمضان وعلى انا نقول بفرضية صلاة العيدين لا نكفر من تركها لجريان الخلاف فى فرضيتها بخلاف ماتقدم من الصلوات ولذلك لم يختلف أحد ممن تقدم فى قتل تارك الصلاة الا أبو حنيفة رحمه الله ومحمد بن شهاب الزهرى وداود بن على المزنى فانهم قالوا يحبس تارك الصلاة المفروضة حتى يموت أو يتوب وحجتهم قوله صلى الله عليه وسلم أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فاذا قالوها عصموا منى دماءهم وأموالهم الا بحقها رواه البخارى ومسلم وحجة من قال بالقتل وهم من تقدم من الصحابة والتابعين والأئمة من كبار المجتهدين تعليقه فى الحديث بحقها قالوا وهذه الصلاة من أعظم حقها وقد قال تعالى اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم فامر بقتلهم حتى يتوبوا من شركهم ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة والقول بانه متى تاب من شركه سقط عنه القتل وان لم يقم الصلاة ولا آتى الزكاة خلاف ظاهر القرآن والسنة

واجماع صدر الامة فلا يعتد به بعد انعقاد الاجماع والله تعالى أعلم ﴿واما قوله﴾ وأخرج الطبرانى والبزار عن أبى أوفى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يشرب الخمر شارب بها وهو مؤمن ولا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن رواه أبو هريرة فى الصحيح وابن عمر وعائشة وجماعة آخرون فنفى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هؤلاء الايمان ومن لازمه اثبات الكفر لهم وأخرج أبو داود والترمذى من حديث أبى هريرة مرفوعا من أتى كاهنا فصدقه بما يقول أو أتى امرأة حائضا أو فى دبرها فقد برئ مما أنزل على محمد وأمثال هذا كثير فى كلام الصادق المصدوق فهذا النوع الذى هو الكفر العملى وان أطلقه الشارع على مرتكب هذه الكبائر فانه لا يخرج به العبد من الايمان ولا يفارق به الملة المحمدية ولا يباح ماله ودمه وأهله كما ظنه من لم يفرق بين الكفرين ولم يميز بين الامرين ﴾ فنقول يحتاج كل قائل ومعترض الى تحقيق معانى قوله وما يعارض به ومن أعظم الحاجة فى ذلك تحقيق معانى كلام الله ورسوله صلى الله عليه وسلم اذا عورض به أمر لا بد من التأمل والتحقيق حتى يسوغ التكلم وتسوغ المعارضة والعاقل اللبيب اذا تأمل ووعى ما نحن فيه مما اعتقدناه وقلناه علم يقينا الفرق بين ما عنيناه وقصدناه من عقيدتنا ودليلنا ومدلولنا وبين معارضتنا بهذه الاحاديث والاعتراض بها علينا وعلم أيضا ان بين ما عارضه صاحب المقدمة من عقائدنا ودلائلنا وبين ما عارضنا به من نقل هذه الاحاديث واعتقاده فينا مباينة ومخالفة من وجوه أحدها انه لم يفهم قصدنا ولا ما اعتقدناه وقلناه فان أعظم قصدنا وأمرنا الحث والأمر بتوحيد الله وحده لا شريك له فى عبادته ومعاملته حتى تثبت وتتم الالوهية كلها لله وحده لا شريك له فكما انه تعالى منفرد بالربوبية وكذلك هو منفرد بالالوهية قولا وعملا واعتقادا فلا يرجى فى جلب نفع أو كشف ضر الا الله وحده ولا يتوكل الا عليه وان الخلق ليس لهم ولى من دونه ولا شفيع الا من بعد اذنه وصاحب المقدمة قد فهم فينا ما لم نقله واعتقد منه ولا علينا ما لا نعتقده فانه يزعم انا نكفر بالذنوب بدليل السياق والاعتراض ﴿الثانى﴾ انه لم يميز بين ما حرم الله به دخول الجنة وأوجب الخلود فى النار وبين ما هو تحت مشيئته تعالى ان شاء غفره فلم يعذب عليه وان شاء طهر فاعله فى النار ثم مآله الى الجنة حيث مات موحدا بل عارض الأول بالثانى كما دل عليه صنيعه ﴿الثالث﴾ انه لم يميز بين الايمان الذى يستحق المتصف به ان لا يخلد فى النار بل ترجى له الشفاعة باذن الله والمغفرة منه له فضلا وكرما ويثبت له مناكحة المسلمين وموارثتهم وبين الايمان الذى يستحق به النجاة من العذاب وتكفير السيآت وقبول الطاعة وكرامة الله ومثوبته وبه يستحق ان يكون محمودا مرضيا موصوفا بصفات الثناء لا بصفات الذم بل جعل القسمين قسما واحدا ﴿وأما الكلام﴾ على معنى هذه الأحاديث التى قد أدلى بها وأوردها صاحب المقدمة علينا فنقول لا يحقق ذلك الا من حقق معنى الايمان وعرفه وميزه حتى تحصل له المعرفة وكمال الادراك بمعنى هذه الاحاديث وأمثالها والمدلى بها يحتاج الى فهم معانى ما تضمنته من نفى الايمان ومعرفة حقيقته وما هو وكيف هو ثم ينفى بها نفيا لا اثبات معه أو معه اثبات أو يثبت اثباتا لا نفى معه أو معه نفى ثم يفصل ويبين ذلك المثبت والمنفى وعكسه مما اذا علم هذا فالايمان قد اشتهر وشاع عن السلف وأهل الحديث انه قول وعمل ونية وان الاعمال كلها داخلة فى مسمى الايمان وحكى الامام الشافعى رحمه الله تعالى على ذلك اجماع الصحابة والتابعين ومن بعدهم ممن أدركهم وأنكر السلف على من أخرج الاعمال عن الايمان انكارا شديدا وممن أنكر ذلك على قائله وجعله قولا محدثا سعيد

ابن جبير وميمون بن مهران وقتادة وأيوب السختياني والنخعي والزهري ويحيى بن أبي كثير وغيرهم وقال الثوري هو رأي محدث أدركنا الناس على غيره وقال الاوزاعي كان من مضى من السلف لا يعرفون الايمان الا العمل وكتب عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى الى أهل الامصار أما بعد فان للايمان فرائض وشرائع وسننا فمن استكملها استكمل الايمان ومن لم يستكملها لم يستكمل الايمان ذكره البخاري في صحيحه وقد دل على دخول الاعمال في الايمان قوله تعالى انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون أولئك هم المؤمنون حقا وفي الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لوفد عبد القيس آمركم بأربع الايمان بالله وهل تدرون ما الايمان بالله شهادة أن لا اله الا الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة وصوم رمضان وان تعطوا من المغنم الخمس وفي الصحيحين أيضا عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الايمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة فأفضلها قول لا اله الا الله وأدناها اماطة الاذى عن الطريق والحياء شعبة من الايمان ولفظه لمسلم قال الخطابي في هذا الحديث بيان ان الايمان الشرعي اسم بمعنى ذي شعب واجزاء له أدنى وأعلى فالاسم يتعلق ببعضها كما يتعلق بكلها والحقيقة تقتضي جميع شعبه وتستوفي جملة أجزائه كالصلاة الشرعية لها شعب وأجزاء والاسم يتعلق ببعضها والحقيقة تقتضي جميع أجزائها وتستوفيها ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم الحياء شعبة من الايمان وفيه اثبات التفاضل في الايمان وتباين المؤمنين في درجاته هذا آخر كلام الخطابي وقال الامام أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي الشافعي في حديث سؤال جبريل النبي صلى الله عليه وسلم عن الايمان والاسلام وجوابه قال جعل النبي صلى الله عليه وسلم الاسلام اسما لما ظهر من الاعمال وجعل الايمان اسما لما بطن من الاعتقاد وليس ذلك لان الاعمال ليست من الايمان أو ان التصديق بالقلب ليس من الاسلام بل ذلك تفصيل لجملة هي كلها شيء واحد وجماعها الدين ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ذاك جبريل أتاكم يعلمكم دينكم والتصديق والعمل يتناولهما اسم الايمان والاسلام جميعا يدل عليه قوله تعالى ان الدين عند الله الاسلام ورضيت لكم الاسلام دينا ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه فأخبر سبحانه وتعالى ان الدين الذي رضيه ويقبله من عباده هو الاسلام ولا يكون الدين في محل الرضا والقبول الا بانضمام التصديق الى العمل هذا كلام البغوي وقال الامام أبو عبد الله محمد بن اسمعيل بن محمد بن الفضل التيمي الاصبهاني الشافعي في كتابه التحرير في شرح صحيح مسلم الايمان في اللغة هو التصديق فان عني به ذلك فلا يزيد ولا ينقص لان التصديق ليس شيئا يتجزأ حتى يتصور كماله تارة ونقصه أخرى والايمان في لسان الشرع هو التصديق بالقلب والعمل بالاركان واذا فسر بهذا تطرق اليه الزيادة والنقصان وهو مذهب أهل السنة وقال الامام أبو الحسن علي بن خلف بن بطال المالكي المغربي في شرح صحيح البخاري مذهب جماعة أهل السنة ممن سلف من الامة وخلفها ان الايمان قول وعمل يزيد وينقص والحجة على زيادته ونقصانه ما أورده البخاري رحمه الله تعالى من الآيات يعني قوله تعالى ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم وقوله تعالى وزدناهم هدى وقوله تعالى ويزيد الله الذين اهتدوا هدى وقوله تعالى والذين اهتدوا زادهم هدى وقوله تعالى ويزداد الذين آمنوا ايمانا وقوله تعالى أيكم زادته

هذه ايمانا فاما الذين آمنوا فزادتهم ايمانا وقوله تعالى فاخشوهم فزادهم ايمانا وقوله وما زادهم الا ايمانا وتسليما ومجرد التصديق بالله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم لا ينقص الاشكال ولذلك توقف مالك رحمه الله تعالى فى بعض الروايات مع القول بالزيادة عن القول بالنقصان اذ لا يجوز نقصان التصديق لانه اذا نقص صار شكا كخرج عن اسم الايمان وقال بعضهم انما توقف مالك عن القول بنقصان الايمان خشية أن يتناول موافقة الخوارج الذين يكفرون أهل المعاصى بالذنوب والا فقد قال مالك بنقصان الايمان مثل قول جماعة أهل السنة قال عبد الرزاق سمعت من أدركت من شيوخنا وأصحاب سفيان الثورى ومالك بن أنس وعبد الله بن عمر والاوزاعى ومعمر بن راشد وابن جريج وسفيان بن عيينة يقولون الايمان قول وعمل يزيد وينقص وهذا قول ابن مسعود وحذيفة والنخعى والحسن البصرى وعطاء وطاوس ومجاهد وعبد الله بن المبارك فالمعنى الذى يستحق به العبد المدح والولاية من المؤمنين هو اتيانه بهذه الثلاثة الامور التصديق بالقلب والاقرار باللسان والعمل بالجوارح وذلك انه لا خلاف بين الجميع انه لو أقر وعمل على غير علم منه ومعرفة بربه فلا يستحق اسم مؤمن ولو عرفه بقلبه وجحده بلسانه وكذب ما عرف من التوحيد لا يستحق اسم المؤمن فكذلك اذا أقر بالله وبرسله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ولم يعمل بالفرائض لا يسمى مؤمنا بالاطلاق وان كان فى كلام العرب يسمى مؤمنا بالتصديق فذلك غير مستحق فى كلام الله لقوله انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون أولئك هم المؤمنون حقا فاخبر سبحانه وتعالى ان المؤمن من كانت هذه صفته وقال ابن بطال فى باب من قال الايمان هو العمل فان قيل قد تقدم ان الايمان هو التصديق قيل له التصديق هو أول منازل الايمان ويوجب للمصدق دخول الاعمال فيه ولا يوجب له استكمال منازله ولا يسمى مؤمنا مطلقا الا باستكمال شعب أعماله هذا مذهب جماعة أهل السنة وان الايمان قول وعمل قال أبو عبيد هو قول مالك والثورى والاوزاعى ومن بعدهم من أرباب العلم والسنة الذين كانوا مصابيح الهدى وأئمة الدين وأهل الحجاز والعراق والشام وغيرهم قال ابن بطال وهذا المعنى أراد البخارى رحمه الله اثباته فى كتاب الايمان وعليه بوب أبوابه كلها فقال باب أمور الايمان وباب الصلاة من الايمان وباب الزكاة من الايمان وباب الجهاد من الايمان وسائر أبوابه وانما أراد الرد على المرجئة فى قولهم ان الايمان قول بلا عمل وتبين غلطهم وسوء اعتقادهم ومخالفتهم للكتاب والسنة ومذهب الائمة ﴿وأما الفرق﴾ بين الايمان والاسلام فالتحقيق فى الفرق بينهما ما قاله المحققون ان الايمان هو تصديق القلب واقراره ومعرفته مع الاعمال بجميع ما فرض الله والاسلام هو استسلام العبد لله وخضوعه وانقياده وذلك يكون بالعمل وهو الدين كما سمى الله الاسلام دينا فى كتابه تعالى وهو حديث جبريل حين سمى صلى الله عليه وسلم الاسلام والايمان والاحسان دينا وهذا أيضا مما يدل على ان أحد الاسمين اذا أفرد دخل فيه الآخر لجامعية الاعمال كلا منهما وان انفرد التصديق فى دخول مسمى الايمان وانما يفرق بينهما حيث قرن أحد الاسمين بالآخر فيكون حينئذ المراد بالايمان جنس تصديق القلب وبالاسلام جنس العمل فاما ما ورد من اثبات أحدهما ونفى الآخر من نحو قوله تعالى ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات فانما هو بالنظر الى معنييهما

اللغويين ولذلك ذكر الصدقة والصوم وغيرهما بعدهما بطريق العطف مع الاجماع على عدم خروج الاعمال عن الايمان والاسلام لكن الايمان أصله تصديق القلب بكل ماجاء عن الله ورسوله وهو لايظهر الا بالعمل الظاهر علانية فهو الاسلام والاستسلام الانقياد لأوامر الله عز وجل ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الاسلام علانية والايمان فى القلب أخرجه الامام أحمد فى مسنده عن أنس بن مالك عن النبى صلى الله عليه وسلم بلفظه وكان النبى صلى الله عليه وسلم يقول فى دعائه اذا صلى على الميت اللهم من أحييته منا فأحيه على الاسلام ومن توفيته منا فتوفه على الايمان لان العمل بالجوارح انما يتمكن منه فى حال الحياة فاما عند الموت فلا يبقى الا التصديق بالقلب ومن ههنا قال المحققون من العلماء كل مؤمن مسلم لان من حقق الايمان ورسخ فى قلبه قام باعمال الاسلام كما قال النبى صلى الله عليه وسلم ألا ان فى الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهى القلب فلا يتحقق العبد الايمان الا وتنبعث الجوارح فى اعمال الاسلام وليس كل مسلم مؤمنا فانه قد يكون الايمان ضعيفا فلا يتحقق القلب تحققا تاما مع عمل الجوارح فى اعمال الاسلام فيكون مسلما وليس مؤمنا الايمان التام كما قال تعالى قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الايمان فى قلوبكم ولم يكونوا منافقين بالكلية على أصح التفسيرين وهو قول عبد الله بن عباس وغيره بل كان ايمانهم ضعيفا ويدل عليه قوله تعالى وان تطيعوا الله ورسوله لايلتكم من أعمالكم شيأ يعنى لاينقصكم من أجورها فدل على ان معهم من الايمان مايقبل به أعمالهم وكذلك ماروى مسلم فى صحيحه عن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطى رهطا وأنا جالس فترك رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا هو أعجبهم الىّ فقلت يارسول الله مالك عن فلان فوالله انى لأراه مؤمنا فقال رسول الله أو مسلما فسكت قليلا ثم غلبنى ماعلمت منه فعدت لمقالتى فقلت مالك عن فلان فوالله انى لأراه مؤمنا فقال أو مسلما ثم غلبنى ما أعلم منه فعدت وأعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم مقالته ثم قال ياسعد انى لاعطى الرجل وغيره أحب الىّ منه خشية من أن يكبه الله فى النار على وجهه قال الزهرى فيرى يعنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الاسلام هو الكلمة مع التزام الاعمال والايمان هو العمل الصالح فاذا فعلى هذا قد يخرج الرجل من الايمان الى الاسلام ولا يخرج من الاسلام الا الى الكفر بالله عز وجل فالايمان هو الاسلام وزيادة وحقيقته ماروى أبو هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الايمان بضع وسبعون وفى رواية بضع وستون شعبة والحياء شعبة من الايمان ولمسلم وأبى داود فافضلها قول لا اله الا الله وأدناها اماطة الاذى عن الطريق وقد أخبر الله عن ملكة سبأ انها دخلت فى الاسلام بهذه الكلمة رب انى ظلمت نفسى وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين وأخبر عن يوسف عليه السلام انه دعا بالموت على الاسلام وهذا كله يدل على ان الاسلام المطلق يدخل فيه مايدخل فى الايمان من التصديق وفى سنن ابن ماجه عن عدى بن حاتم قال قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم ياعدى أسلم تسلم قلت وما الاسلام قال تشهد أن لا اله الا الله وتشهد أنى رسول الله وتؤمن بالاقدار كلها حلوها ومرها فهذا نص فى أن الايمان بالقدر من الاسلام ثم ان الشهادتين من خصال الاسلام بغير نزاع وليس المراد الاتيان بلفظهما من غير تصديق بهما ولا عمل بمعناهما بل ذلك كله داخل فى الاسلام وقد فسر

الاسلام المذكور فى قوله تعالى ان الدين عند الله الاسلام بالتوحيد قولا وعملا واعتقادا صادقا قاله طائفة من السلف منهم محمد بن جعفر بن الزبير وأما اذا نفى الايمان عن أحد وأثبت له الاسلام كالاعراب الذين أخبر الله عنهم فانه ينفى عنهم رسوخ الايمان فى القلب وأثبت لهم المشاركة فى اعمال الاسلام الظاهرة مع نوع ايمان يصحح لهم العمل اذ لولا هذا القدر لم يكونوا مسلمين وانما نفى عنهم الايمان لانتفاء ذوق حقائقه ونقص بعض واجباته وهذا مبنى على ان التصديق القائم بالقلوب يتفاضل وهذا هو الصحيح من مذاهب جماهير السلف وهو أصح الروايتين عن أحمد فان ايمان الصديقين الذين تتجلى أنوار المعرفة لقلوبهم حتى يصير كأنه شهادة بحيث لا يقبل التشكيك ولا الارتياب ليس كايمان غيرهم ممن لم يبلغ هذه الدرجة بحيث لو شكك لدخله الشك ولهذا جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم مرتبة الاحسان أن يعبد العبد ربه كأنه يراه وهذا لا يحصل لعموم المؤمنين ومن هنا قال بعضهم ما سبقهم أبو بكر بكثرة صوم ولا صلاة ولكن بشئ وقر فى صدره وسئل ابن عمر رضى الله عنهما هل كان الصحابة رضى الله عنهم يضحكون قال نعم والايمان فى قلوبهم مثل الجبال فاين هذا ممن الايمان فى قلبه يزن ذرة أو شعيرة كالذين يخرجون من أهل التوحيد من النار فهؤلاء يصح ان يقال لم يدخل الايمان فى قلوبهم لضعفه عندهم ﴿وهذه المسائل﴾ أعنى مسائل الايمان والاسلام والكفر والنفاق مسائل عظيمة جدا فان الله عز وجل علق بهذه الاسماء السعادة والشقاوة واستحقاق الجنة والنار والاختلاف فى مسمياتها أول اختلاف وقع فى هذه الامة وهو خلاف الخوارج للصحابة حيث أخرجوا عصاة الموحدين من الاسلام بالكلية وادخلوهم فى دائرة الكفر وعاملوهم معاملة الكفار واستحلوا بذلك دماء المسلمين وأموالهم ثم حدث بعد خلاف المعتزلة خلاف المرجئة القائلين ان الفاسق مؤمن كامل الايمان وقد صنف العلماء قديما وحديثا فى هذه المسائل تصانيف متعددة وممن صنف فى الايمان من أئمة السلف الامام أحمد وأبو عبيد القاسم بن سلام وأبو بكر بن أبى شيبة ومحمد بن أسلم الطوسى وغيرهم من الأئمة الاعلام فمن حقق هذا المعنى فى الايمان وعرفه وما زه حصلت له المعرفة وكمال الادراك بمعنى قوله صلى الله عليه وسلم لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن الحديث ثم صار وسطا بين طرفين فينفى بها نفيا معه اثبات ويثبت اثباتا معه نفى فلا يقول مؤمن كامل الايمان كما قالته المرجئة ولا كافر خارج عن الملة مخلد فى النار كما قالته الخوارج بل ليس ايمانه تاما فهو مؤمن واهن الايمان جارية عليه أحكام الاسلام قال النووى فى شرحه هذا الحديث وأمثاله مما اختلف العلماء فى معناه فالقول الصحيح الذى قاله المحققون ان معناه لا يفعل هذه المعاصى وهو كامل الايمان وهذا من الالفاظ التى تطلق على نفى الشئ ويراد نفى كماله ومختاره كما يقال لا علم الا ما نفع ولا مال الا الابل ولا عيش الا عيش الآخرة وانما تأولناه على ما ذكرناه لحديث أبى ذر وغيره من قال لا اله الا الله دخل الجنة وان زنى وان سرق وحديث عبادة بن الصامت الصحيح المشهور انهم بايعوه صلى الله عليه وسلم على ان لا يسرقوا ولا يزنوا ولا يعصوا قال لهم صلى الله عليه وسلم فمن وفى منكم فاجره على الله ومن فعل شيأ من ذلك فعوقب فى الدنيا فهو كفارته ومن فعل ولم يعاقب فهو الى الله ان شاء عفا عنه وان شاء عذبه فهذان الحديثان مع نظائرهما فى الصحيح مع قول الله

عز

عز وجل ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء مع اجماع أهل الحق على ان الزاني والسارق والقاتل وغيرهم من أصحاب الكبائر غير الشرك لا يكفرون بذلك بل هم مؤمنون ناقصو الايمان ان تابوا سقطت عقوبتهم وان ماتوا مصرين على الكبائر كانوا في المشيئة فان شاء الله عفا عنهم وأدخلهم الجنة أولا وان شاء عذبهم ثم أدخلهم الجنة فكل هذه الدلائل تضطرنا الى تأويل هذا الحديث وشبهه ثم ان هذا التأويل ظاهر سائغ في اللغة مستعمل فيها كثيرا واذا ورد حديثان مختلفان ظاهرا وجب الجمع بينهما وقد وردا هنا فيجب الجمع وقد جمعنا وتأول بعض العلماء هذا الحديث على من فعل ذلك مستحلا مع علمه بورود الشرع بتحريمه وقال الحسن وأبو جعفر محمد بن جرير الطبري معناه ينزع منه اسم المدح الذي يسمى به أولياء الله المؤمنين ويستحق اسم الذم فيقال سارق وزان وفاجر وفاسق وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان معناه ينزع منه نور الايمان وقال المهذب ينزع منه بصيرته في طاعة الله وفيه حديث مرفوع الى النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا زنا العبد خرج منه الايمان فكان فوق رأسه كالظلة فاذا خرج من ذلك العمل عاد اليه الايمان رواه الترمذي وأبو داود ﴿وقد انقسم الناس﴾ في الفاسق من أهل الملة كالسارق والزاني والشارب ونحوهم على ثلاثة أقسام طرفين ووسط ﴿أحد الطرفين﴾ انه ليس بمؤمن بوجه من الوجوه ولا يدخل في عموم الأحكام المتعلقة باسم الايمان ثم من هؤلاء من يقول هو كافر كاليهودي والنصراني وهو قول الخوارج ومنهم من يقول ننزله منزلة بين المنزلتين وهي منزلة الفاسق وليس هو بمؤمن ولا كافر وهم المعتزلة وهؤلاء يقولون ان أهل الكبائر يخلدون في النار وان أحدا منهم لا يخرج منها وهذا من مقالات أهل البدع التي دل الكتاب والسنة واجماع الصحابة والتابعين لهم باحسان على خلافه قال الله تعالى وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فان بغت احداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي الى قوله انما المؤمنون اخوة فأصلحوا بين أخويكم فسماهم الله مؤمنين وجعلهم اخوة مع الاقتتال وبغي بعضهم على بعض وقال تعالى في بيان الكفارة فتحرير رقبة مؤمنة ولو أعتق مذنبا أجزأه عتقه باجماع العلماء ولهذا يقول العلماء السلف في المقدمات الاعتقادية لا يكفر أحد من أهل القبلة بذنب ولا يخرجه من الاسلام بعمل وقد ثبت الزنا والسرقة وشرب الخمر على أناس في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ولم يحكم فيهم حكم من كفر ولا قطع الموالاة بينهم وبين المسلمين بل جلد هذا وقطع هذا ورجم هذا وهو في ذلك يستغفر لهم ويقول لا تكونوا أعوان الشياطين على أخيكم وأحكام الاسلام كلها مرتبة على هذا الأصل ﴿الطرف الثاني﴾ قول من يقول ايمانهم باق كما كان لم ينقص بناء على ان الايمان هو مجرد التصديق والاعتقاد الجازم وهو لم يتغير وانما نقصت شرائع الاسلام وهذا قول المرجئة والجهمية ومن سلك سبيلهم وهو أيضا قول مخالف للكتاب والسنة واجماع السابقين والتابعين لهم باحسان قال الله تعالى انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون والآيات في ذلك والأحاديث كثيرة جدا كما تقدمت وقد تقدم أيضا اجماع السلف على ان الايمان قول وعمل يزيد وينقص ومعنى ذلك انه قول القلب وعمله ثم قول اللسان وعمل الجوارح فأما قول القلب فهو التصديق الجازم بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر ويدخل في ذلك الايمان بكل ما جاء به الرسول صلى الله

عليه وسلم لانه فى معنى الايمان برسالته ﴿ثم الناس﴾ فى هذا على أقسام ﴿منهم﴾ من صدق به جملة ولم يعرف التفصيل ﴿ومنهم﴾ من صدق به اجمالا وتفصيلا ﴿ثم منهم﴾ من يدوم استحضاره فيه بما قذف الله فى قلبه من النور والآيات ﴿ومنهم﴾ من جزم به لدليل قد تعترضه منه شبهة أو لتقليد جازم وهذا التصديق يتبعه عمل القلب وهو حب الله ورسوله وتعظيم الله ورسوله وتعزير الرسول وتوقيره وخشية الله والانابة اليه والاخلاص له والتوكل عليه الى غير ذلك من الأحوال فهذه الأعمال القلبية كلها من الآيات وهى مما يوجبها التصديق والاعتقاد ايجاب العلة المعلول ويتبع الاعتقاد قول اللسان ويتبع عمل القلب عمل الجوارح من الصلاة والزكاة والصوم والحج ونحو ذلك وعند هذا فالقول الوسط الذى هو قول أهل السنة والجماعة انهم لا يسلبون اسم الايمان على الاطلاق ولا يثبتونه على الاطلاق بل يقولون هو مؤمن ناقص الايمان أو هو مؤمن عاص أو مؤمن بايمانه فاسق بكبيرته ويقال ليس بمؤمن حقا أو ليس بصادق الايمان وكل كلام أطلق فى الكتاب والسنة فلابد أن يبين المراد منه والأحكام منها ما يترتب على أصله وفرعه كاستحقاق الحمد والثواب وغفران السيآت ونحو ذلك اذا علمت هذه القاعدة فالذى فى الصحيح قوله صلى الله عليه وسلم لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن ولا تنتهب نهبة ذات شرف يرفع الناس اليه أبصارهم فيها وهو حين ينتهبها مؤمن والزيادة التى رواها أبو داود والترمذى صحيحة وهى مفسرة للرواية المشهورة وفى قوله صلى الله عليه وسلم فى الحديث الذى رواه الترمذى وأبو داود اذا زنى العبد خرج منه الايمان فكان فوق رأسه كالظلة فاذا خرج من ذلك العمل عاد اليه الايمان دليل على أن الايمان لا يفارقه بالكلية فان الظلة تظلل صاحبها وهى متعلقة ومرتبطة به نوع ارتباط وأحسن ما قيل فى معنى هذا الحديث أما نفس التصديق الفرق بينه وبين الكافر لم يعدمه لكن هذا التصديق لو بقى على حاله لكان صاحبه مصدقا بأن الله حرم هذه الكبيرة وانه تعالى توعد عليها بالعقوبة العظيمة وانه تعالى يرى الفاعل ويشاهده وهو تعالى مع عظمته وجلاله وكبريائه يمقت هذا الفاعل فلو تصور هذا التصور لامتنع صدور الفعل منه ومتى فعل هذه الخطيئة فلابد من أحد ثلاثة أمور اما اضطراب العقيدة بأن يعتقد ان الوعيد ظاهره ليس كباطنه وانما المقصود منه الزجر كما قالته المرجئة وانما يحرم هذا على العامة دون الخاصة كما قالته الاباحية وغير ذلك من العقائد المكفرة التى تخرج عن الملة وأما الغفلة والذهول عن التحريم وعظمة الرب تعالى وتقدس وشدة بأسه فيغتر بسعة رحمته وغفرانه ويقتحم هذا الذنب الكبير ولا يبالى وأما فرط الشهوة بحيث تقهر مقتضى الايمان وتمنع موجبه فيصير الاعتقاد مغمورا مقهورا كالعقل فى النائم والسكران وكالروح فى النائم ومعلوم أن الايمان الذى يسمى ايمانا ليس باقيا كما كان اذ ليس مستقرا فى القلب ظاهرا واسم الايمان عند الاطلاق انما ينصرف الى من يكون ايمانه باقيا على حاله عاملا عمله وهو يشبه من بعض الوجوه روح النائم فان الله سبحانه يتوفى الأنفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها فالنائم ميت من وجه حى من وجه وكذلك السكران والمغمى عليه عاقل من وجه وليس بعاقل من وجه فاذا قال القائل السكران ليس بعاقل فاذا صحا عاد عقله اليه كان صادقا مع العلم ليس بمنزلة البهيمة اذ عقله مستور وعقل البهيمة معدوم بل الغضبان ينتهى به الغضب الى حاله يعزب فيها عقله

ورأيه وفي الاثر اذا أراد الله انفاذ قضائه وقدره سلب ذوي العقول عقولهم ليعتبروا فالعقل الذي به يكون التكليف لم يسلب وانما سلب العقل الذي به يكون صلاح الامور في الدنيا والآخرة كذلك الزاني والسارق والشارب والمنتهب لم يعدم الايمان الذي يستحق أن لا يخلد في النار وبه ترجى له الشفاعة والمغفرة وبه يستحق المناكحة والموارثة لكن عدم الايمان الذي يستحق به النجاة من العذاب ويستحق به تكفير السيآت وقبول الطاعات وكرامة الله ومثوبته وبه يستحق أن يكون محمودا مرضيا وهذا يبين ان الحديث على ظاهره الذي يليق به فلا يؤول بتأويلات تخرجه ونظائره عن مقصود رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد نقل كراهة تأويل أحاديث الوعيد عن علماء السلف كسفيان ابن عيينة وأحمد بن حنبل والزهري وانهم يقرؤن هذه الاحاديث ويمرونها كما جاءت ويكرهون تأويلها بما يخالف اللائق بها على مراد الرسول فيها ونص الامام أحمد رحمه الله تعالى على ان مثل هذا الحديث لا يتأول تأويلا يخرجه عن ظاهره المقصود به وقد تأوله الخطابي وغيره تأويلات مستنكرة مثل قولهم لفظه لفظ الخبر ومعناه النهي أي ينبغي لمؤمن أن لا يفعل ذلك وقولهم المقصود به الوعيد والزجر دون حقيقة النفي وانما شاع ذلك لما بين حاله وحال من عدم الايمان من المشابهة والمقاربة وقولهم انما عدم كمال الايمان وتمامه أو شرائعه أو ثمرته ونحو ذلك فكل هذه التأويلات لا يخفى حالها على من أمعن النظر فيها فالحق ما تقدم من معنى القول فيها والله أعلم ﴿وأما قوله كم وقد عقد البخاري في صحيحه بابا كفر دون كفر﴾ فنقول من اطلق الشارع كفره بالمعاصي التي لا تخرجه عن الملة كدعواه لغير أبيه ومن أتى عرافا فصدقه بما يقول أو أتى امرأة حائضا أو في دبرها ونحو ذلك فانما هو تشديد لا يخرج به عن ملة الاسلام بل كفر نعمة قاله طوائف من العلماء من أئمة الفقه والحديث وذكره ابن رجب في شرح البخاري كغيره من الشراح عن أكثر الشيوخ من العلماء وقد قال القاضي عياض وجماعة من العلماء في قوله من أتى عرافا فقد كفر بما أنزل على محمد أي بجحد تصديقه بكذبهم فقد يكون معناه ان اعتقد تصديقهم بعد معرفتهم بتكذيب النبي صلى الله عليه وسلم لهم فهو كافر كفرا حقيقة وما قاله القاضي عياض رحمه الله تعالى لا مخالفة فيه اذا وجد شرطه اذ فيه تكذيب الرسول صلى الله عليه وسلم فيما جاء به وتكذيب الكتاب وهذا النوع ليس نعني هنا مع انه داخل في عموم دعوانا على أهل الباطل من انهم يصدقونهم فيما يقولون لهم ويعملون به بعد سماعهم نهي النبي عنهم وتكذيبه لهم بل أكثرهم يعلمونه ويسمعونه عنادا للدين واتباعا للشياطين والمعاندين ورعا داعوا ولايتهم وهم مردة الشياطين وانما نعني ما هو كفر دون كفر لا يخرج عن الاسلام ككفران العشير وهو ما عنى البخاري رحمه الله تعالى وقوله باب كفران العشير وكفر دون كفر فيه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ثنا عبد الله بن مسلمة عن مالك عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال رأيت النار ورأيت أكثر أهلها النساء يكفرن قيل أيكفرن بالله قال يكفرن العشير ويكفرن الاحسان لو أحسنت الى احداهن الدهر ثم رأت منك شيأ قالت ما رأيت منك خيرا قط فقد أعرض النبي صلى الله عليه وسلم عن السائل القائل أيكفرن بالله فأجابه بما هو ليس من المخرج عن الملة بل من الذنوب التي يستقر معها حكم الاسلام فقال يكفرن العشير وكفران العشير كفران نعمة لا يخرج عن الملة وقد نص عليه أئمة الحديث من العلماء في شرح البخاري وغيره ولهم في هذه

الاحاديث التى تطلق الكفر فيها مسالك منهم من يحملها على من يفعل ذلك مستحلا ومنهم من حملها على التغليظ لا على الكفر الذى ينقل منهم ابن عباس وعطاء قال النخعى هو كفر بالنعم ونقل عن الامام أحمد وقاله طاوس وحكى ابن حامد عن الامام أحمد جواز اطلاق الكفر والشرك على بعض الذنوب التى لا تخرج عن الملة وروى عن أحمد انه كان يتوقى الكلام فى تفسير هذه النصوص تورعا ويمرها كما جاءت من غير تفسيرها كغيره من أئمة السلف كما تقدم مع اعتقادهم ان المعاصى لا تخرج عن الملة وقد قال البخارى باب المعاصى من أمر الجاهلية ولا يكفر صاحبها بارتكابها الا بالشرك لقول النبى صلى الله عليه وسلم انك امرؤ فيك جاهلية وقول الله تعالى ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما فسماهم مؤمنين ﴿واما قولكم﴾ وقال العلامة ابن القيم فى كتابه فى الصلاة الحكم بغير ما أنزل الله وترك الصلاة كفر عملى وتحقيقه ان الكفر كفر عملى وكفر جحود فكفر الجحود يكفر بما علم ان الرسول جاء به من عند الله جحودا وعنادا فهذا الكفر يضاد الايمان من كل وجه اذ حقيقة الايمان التصديق وأما الكفر العملى فهو نوعان نوع يضاد الايمان ويصير فاعله فى حكم الكفر الاعتقادى كالسجود للصنم وسب الرسول وقتله والاستهزاء والاستهانة بالمصحف والذى يقوى عندى أن يكون هذا من الكفر الاعتقادى والعملى معا فانه لا يسجد للصنم وهو مؤمن بالله ولا يهين المصحف أو يسب نبيا أو يقتله وهو مصدق انه نبى ألا ترى الى قريش فى صلح الحديبية لم يرضوا ان يكتب هذا ما صالح عليه رسول الله وقالوا اكتب محمد ابن عبد الله لو نعلم انك رسول الله لما صددناك عن البيت الحديث ونوع لا يضاده كالحكم بغير ما أنزل الله فان الله سمى فاعله كافرا ومثله تارك الصلاة سماه رسول الله كافرا كما سمعته آنفا ولكن هذا كفر عملى لا كفر اعتقاد﴾ فنقول أنتم انما فهمتم من كلام ابن القيم ان الكفر الصريح لا يكون عمليا بل هو خاص بالاعتقادى أو مع اقترانه بالعملى فاما مجرد العملى فلا يكون كفرا موجبا للردة حقيقة وفهمتم منه أيضا ان مراده بالكفر العملى عمل الجوارح الخاص بها وهذا فهم باطل وتعليل عاطل من وجوه ﴿أحدها﴾ ان ابن القيم رحمه الله تعالى قد شنع فى كلامه التشنيع الكلى على من شك فى كفر تارك الصلاة كفرا موجبا للردة والخلود فى النار والحالة هذه وعبارته ما نصه ومن العجب ان يقع الشك فى كفر من أصر على تركها ودعا الى فعلها على رؤس الملا وهو يرى بارقة السيف على رأسه وشد للقتل وعصبت عيناه وقيل له تصلى والا قتلناك فيقول اقتلونى ولا أصلى أبدا ومن لا يكفر تارك الصلاة يقول هذا مؤمن مسلم يغسل ويصلى عليه ويدفن فى مقابر المسلمين وبعضهم يقول هو مؤمن كامل الايمان ايمانه كايمان جبريل وميكائيل أفلا يستحى من هذا قوله من انكاره تكفير من شهد بتكفيره الكتاب والسنة واتفاق الصحابة ﴿الثانى﴾ انه جعل فى كتابه فى الصلاة شعب الايمان قسمين قولية وفعلية وكذلك شعب الكفر نوعين قولية وفعلية فكما ان من شعب الايمان القولية شعبة يوجب زوالها زوال الايمان فكذلك من شعبه الفعلية ما يوجب زوالها زوال الايمان كالصلاة وكذلك شعب الكفر القولية والفعلية فكما يكفر بكلمة الكفر اختيارا وهى شعبة من شعب الكفر كذلك يكفر بفعل شعبة من شعبه كالسجود للصنم والاستهانة بالمصحف والصلاة وقتل الانبياء فانه كفر عملى ﴿الثالث﴾ انه جعل حقيقة الايمان مركبة من قول وقسمه الى قسمين قول القلب وهو الاعتقاد وقول اللسان وهو التكلم بكلمة الاسلام ومن عمل وقسمه الى قسمين أيضا عمل القلب وهو نيته واخلاصه

ومحبته وانقياده وعمل الجوارح ورتب زوال الايمان بكماله على زوال هذه الاربعة فان زال بعضها فان كان التصديق لم ينفع باقي ما أتى به وان كان غيره فان كان عمل القلب فقط أو مع الجوارح فاهل السنة مجمعون على زوال الايمان وانه لا ينفع التصديق مع انتفاء عمل القلب وهو محبته وانقياده للاوامر وان عملت الجوارح ظاهرا أو مع انتفاء عملها اللازم منه انتفاء عمل القلب وعبارته مانصها وههنا أصل آخر وهو ان حقيقة الايمان مركبة من قول وعمل والقول قسمان قول القلب وهو اعتقاده وتصديقه وقول اللسان وهو التكلم بكلمة الاسلام والعمل قسمان عمل القلب وهو نيته واخلاصه وعمل الجوارح فاذا زالت هذه الاربعة زال الايمان بكماله واذا زال تصديق القلب لم تنفعه بقية الاشياء فان تصديق القلب شرط في اعتبارها لكونها نافعة صحيحة واذا زال عمل القلب فقط مع وجود اعتقاد الصدق أو زال عمل الجوارح أيضا فهذا موضع المعركة بين المرجئة وأهل السنة فاهل السنة مجمعون على زوال الايمان وانه لا ينفع مجرد التصديق مع انتفاء عمل القلب وهو محبته وانقياده للاوامر سواء عملت الجوارح ظاهرا أو لم تعمل ووجد التصديق كما لم ينفع ابليس وفرعون وقومه واليهود والمشركين الذين كانوا يعتقدون صدق الرسول بل ويقرون به سرا وجهرا ويقولون ليس بكاذب ولكن لا نتبعه ولا نؤمن به واذا كان الايمان يزول بزوال عمل القلب فغير مستنكر ان يزول بزوال أعظم عمل الجوارح ولاسيما اذا كان ملزوما لعدم محبة القلب وانقياده الذي هو ملزوم لعدم التصديق الجازم كما تقدم تقريره فانه يلزم من عدم طاعة الجوارح عدم طاعة القلب اذ لو أطاع القلب وانقاد لاطاعت الجوارح وانقادت ويلزم من عدم طاعة القلب وانقياده عدم التصديق المستلزم للطاعة وهو حقيقة الايمان فانه ليس مجرد التصديق كما تقدم كلامنا فيه ودلائلنا عليه وانما هو التصديق المستلزم لطاعة والانقياد وهكذا الهدى ليس هو مجرد معرفة الحق وتبيينه بل هو معرفته المستلزمة لاتباعه والعمل بموجبه وان سمى الاول هدى فليس هو الهدى التام المستلزم للاهتداء كما أن التصديق وان سمى تصديقا ليس هو التصديق المستلزم للايمان ﴿الرابع قوله﴾ وههنا أصل آخر وهو ان الكفر نوعان كفر عمل وكفر جحود وعناد فكفر الجحود ان يكفر بما علم ان الرسول جاء به من عند الله جحودا وعنادا من أسماء الرب وصفاته وأفعاله وأحكام دينه وما جاءت به رسله وهذا الكفر يضاد الايمان من كل وجه وأما كفر العمل فينقسم الى ما يضاد الايمان والى مالا يضاده فالاول كالسجود للصنم والاستهانة بالمصحف وقتل النبي وسبه والاستهزاء بما جاء به والحكم بغير ما أنزل الله حيث كان فيه رد لنص حكم الله عيانا راضيا بذلك وترك الصلاة عنادا وبغيا الثاني من أتى بمعصية لا تخرجه عن الايمان بالكلية كالزاني والسارق وشارب الخمر ومن لا يأمن جاره بوائقه لكن السجود للصنم والاستهانة بالمصحف وقتل النبي وسبه والاستهزاء بما جاء به عمل أغلى لظهوره مضاد للايمان وأما الحكم بغير ما أنزل الله وترك الصلاة فهو من الكفر العملي المحض قطعا ولا يمكن ان ينفى عنه اسم الكفر بعد ان أطلقه الله ورسوله عليه بلا قرينة تقتضي انتفاءه عنه كما انتفت حقيقته عن مرتكب الكبيرة مع تسميته كافرا فالحاكم بغير ما أنزل الله كافر وتارك الصلاة كافر بنص رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن هو كفر عملي لا كفر اعتقادي ومن الممتنع أن الله سبحانه سمى الحاكم بغير ما أنزل الله كافرا وسمى رسوله تارك الصلاة كافرا ولا يطلق عليهما اسم الكفر حقيقة مع انتفاء نص على بقائهما مؤمنين فان مراد ابن القيم رحمه الله بالكفر العملي هنا ان والشعبة فعلية

موجب زوالها زوال الايمان وثبوت شعبة فعليه من شعب الكفر موجب ثبوتها ثبوت الكفر فالعملى هنا أعم من عمل القلب والجوارح فى الحكم بغير ما أنزل الله وترك الصلاة وغيرهما وان بقى قول القلب وهو اعتقاده وتصديقه لانتفاء عمله وهو محبته وانقياده لفعل الاوامر وفائدة قوله العملى المحض أى مع بقاء تصديق القلب من غير انقياد وهو لا يستلزم الايمان الموجب للاسلام ﴿الخامس﴾ تصريحه بان ترك الصلاة عمدا والحكم بغير ما أنزل الله حيث كان فيه رد لنص حكم الله عيانا عمدا كفر حقيقة مضاد للايمان ﴿السادس﴾ تفصيله وتفرقته بين كفر تارك الصلاة والحاكم بغير ما أنزل الله بشرطه وبين كفر السارق والزانى وشارب الخمر ومن لم يأمن جاره بوائقه فجعل كفر هؤلاء من جهة أعمالهم الظاهرة فى قوله وقد نفى النبى صلى الله عليه وسلم اسم الايمان عن الزانى والسارق وشارب الخمر وعمن لم يأمن جاره بوائقه واذا نفى عنه اسم الايمان فهو كافر من جهة العمل الظاهر منه منتف عنه كفر عمل القلب لبقاء محبته وانقياده حكما فحكم الاسلام جار عليه كما تقدم لكن ليس بمؤمن حقا والى ذلك أشار بقوله وانتفى عنه كفر الجحود والاعتقاد اذ عمل القلب هنا باق لم يفقد زيادة على قوله الذى هو التصديق وكذا قوله صلى الله عليه وسلم لا ترجعوا بعدى كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض فهذا كفر عملى ظاهر فى الجوارح فقط وعمل القلب على حاله كما تقدم فى الذى قبله وكذا يقال فى قوله صلى الله عليه وسلم من أتى كاهنا فصدقه أو امرأة فى دبرها فقد كفر بما أنزل على محمد وقوله اذا قال الرجل لاخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما وأمثال هذا كما تقدم الكلام فيه موضحا ﴿السابع﴾ جعله الايمان العملى يضاده الكفر العملى فيما اذا اتصف شخص بذاك تارة وبهذا أخرى كالذين ثبت ايمانهم بما عملوا به من الميثاق المأخوذ عليهم فى الكتاب لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم ثم ثبت كفرهم بما تركوه منه ومخالفتهم له وكن يؤمن عاملا ببعض ويعرض تارة عن بعض فالايمان الاعتقادى والحالة هذه يضاد الكفر الاعتقادى وقد أعلن النبى صلى الله عليه وسلم بما قلناه فى قوله فى الحديث الصحيح سباب المسلم فسوق وقتاله كفر ففرق بين سبابه وقتاله وجعل أحدهما فسقا لا يكفر به والآخر كفر ومعلوم أنه انما أراد الكفر العملى الظاهر لا الاعتقادى وهو عمل القلب فما دام محبا منقادا لفعل الاوامر لزم منه فعل المأمورات من صلاة وغيرها ومتى فقد عمله فقدت المأمورات وان وجد قوله وهو مجرد التصديق بلا انقياد واذا حصلت هفوة للقلب بوجود الران عليه من نحو شدة فرط الشهوة فحصل شئ من المعاصى المتقدمة الظاهرة فى الجوارح وعمل القلب باق على ما كان عليه أولا فحكم الاسلام باق ولكن انتفى عنه كمال الايمان بظاهر اعماله السيئة ومتى أطلق عليه اسم الكفر بذلك فانه لا يخرجه من الدائرة الاسلامية والملة بالكلية كما تقدمت دلائله من الكتاب والسنة واجماع سلف الامة وان زال عنه اسم الايمان وهذا التفصيل هو قول الصحابة الذين هم أعلم الامة بكتاب الله وبالاسلام والكفر ولوازمهما فلا تتلقى هذه المسائل الا عنهم فان المتأخرين لم يفهموا مرادهم فانقسموا فريقين فريقا أخرجوا من الملة أهل الكبائر ونصوا على أصحابها بالخلود فى النار وفريقا جعلوهم مؤمنين وهؤلاء الذين جعلوهم مؤمنين لا يرون ترك الصلاة كفرا بل عندهم اسم الايمان مجرد التصديق وهو قول باطل بالكتاب والسنة واجماع صالح سلف الامة ﴿الثامن﴾ انه قد قال والمقصود ان سلب الايمان عن تارك الصلاة أولى من سلبه عن مرتكب الكبائر وسلب اسم الاسلام عنه أولى من سلبه عمن لم يسلم المسلمون من لسانه ويده فلا يسمى تارك الصلاة مسلما ولا مؤمنا الى ان قال هل هى

شرط لصحة الايمان هذا امر المسئلة والادلة التى ذكرناها تدل على انه لا يقبل من العبد شئ من اعماله الا بفعل الصلاة فهى مفتاح ديوانه ورأس مال ربحه ومحال بقاء الربح بلا رأس مال فاذا خسرها خسر أعماله كلها وان أتى بها صورة وقد أشار النبى صلى الله عليه وسلم الى هذا فى قوله وان ضيعها فهو لما سواها أضيع وفى قوله أول ما ينظر فى أعماله الصلاة فان جازت له نظر فى سائر أعماله وان لم تجزله لم ينظر فى شئ من أعماله فصريح كلام ابن القيم المتقدم موافق لكلام الله وسنة رسوله ان تارك الصلاة عمدا كافر مستوجب لخلوده فى النار وقد زعم صاحب المقدمة ان الكفر الحقيقى خاص بالاعتقاد وهو عدم تصديق القلب أو مع عمل الجوارح أيضا كالسجود لصنم واهانة المصحف وقتل النبى فأما فقدان عمل القلب فقط فلا يكون كفرا حقيقيا واستدل على ذلك بقوله ولا يهين المصحف أو يسب نبيا أو يقتله وهو مصدق انه نبى وبقول قريش لو نعلم انك رسول الله لما صددناك عن البيت وزعمه ذلك وهم باطل وفهم عاطل من وجوه ﴿أحدها﴾ انه قد فهم ان العمل انما منشؤه ومورده الجوارح خاصة فاما القلب فليس فيه الا الاعتقاد وهو التصديق خاصة وهذا مناف لمعرفة حقيقة الايمان الذى تترتب على معرفته دعوى العلم والقول به فان حقيقته مركبة من عمل القلب وهو محبته وانقياده واخلاصه لفعل الأوامر واتباع الرسل فى كل ماجاؤا به من عند الله وعمل الجوارح فيما يوجد من قبلها عند طاعة القلب وانقياده قال سبحانه وتعالى انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون أولئك هم المؤمنون حقا وقال تعالى انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا باموالهم وانفسهم فى سبيل الله أولئك هم الصادقون ومن قوله وهو تصديقه فى كل ماجاءت به الرسل وقول اللسان وهو التكلم بكلمة الاسلام والاقرار بما يجب الايمان به ففى الصحيح عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال الايمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة فأفضلها قول لا اله الا الله وأدناها اماطة الاذى عن الطريق والحياء شعبة من الايمان ولفظه لمسلم ﴿الثانى﴾ انه فهم ان الايمان يكفى فيه مجرد التصديق القلبى وان لم يوجد عمله ولا عمل الجوارح وهذا بعينه قول المرجئة ومعتقدهم فانهم يقولون الايمان قول بلا عمل وقد رد البخارى وغيره من الأئمة الاعلام على هؤلاء القوم اللئام وبينوا اغلاطهم وسوء اعتقادهم ومخالفتهم للكتاب والسنة ومذاهب الأئمة كمالك والثورى والأوزاعى ومن بعدهم من أرباب العلم والسنة الذين كانوا مصابيح الهدى وأئمة الدين وأهل العراق والحجاز والشام وغيرهم قال البخارى فى رده عليهم باب أمور الايمان وباب الصلاة من الايمان وباب الزكاة من الايمان وباب الجهاد من الايمان فأهل السنة مجمعون على انه متى زال عمل القلب فقط أو هو مع عمل الجوارح زال الايمان بكليته وان وجد مجرد التصديق فلا ينفع مجردا عن عمل القلب والجوارح معا أو أحدهما كما لم ينفع ابليس وفرعون وقومه واليهود والمشركين الذين كانوا يعتقدون صدق الرسول صلى الله عليه وسلم سرا وجهرا ﴿الثالث﴾ قوله والذى يقوى عندى ان يكون هذا من الكفر الاعتقادى والعملى معا فانه عنى بالاعتقاد عدم التصديق من الذين سبوا الرسول واستهزؤا به وهذا رده صريح قوله تعالى فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون قال المفسرون معنى ذلك انهم لا يكذبونك يا محمد ولكنهم يجحدون آيات الله فالجحدان والتكذيب راجع للآيات نفسها لا للرسول فان القوم لم يكونوا يكذبونه فى السر بل وأكثرهم يصدقه علانية فان الحرب

ابن عامر من قريش قال يا محمد والله ما كذبت قط ولكن ان اتبعناك نتخطف من أرضنا فنحن لا نؤمن بك لهذا السبب وقال الاخنس بن شريق لأبي جهل يا أبا الحكم اخبرني عن محمد أصادق هو أم كاذب فانه ليس عندنا أحد غيرنا فقال له والله ان محمدا الصادق وما كذب قط ولكن اذا ذهب بنو قصى باللواء والسقاية والنبوة فماذا يكون لسائر قريش فهم لا يكذبونه بقلوبهم بل ولا بألسنتهم فيما بينهم ولكن لا يعترفون به ظاهرا عنده فهم وان قالوا ظاهرا لولا أنزل عليه ملك يعرفونه فى قلوبهم كما يعرفون أبناءهم لكن منهم من يتعنت فيقوله بلسانه يجب ان يكون رسول الله من جنس الملائكة وذكر الله ذلك عنهم فى سورة الأنعام شبهتهم وأجاب تعالى عنهم ومنهم من يقول ان محمدا يخبرنا بالحشر والنشر بعد الموت وذلك محال وكانوا يستدلون بامتناع الحشر والنشر على الطعن فى رسالته ظاهرا فذكر الله ذلك وأجاب عنهم بأجوبة كثيرة هى موجودة فى القرآن فشافههم له بالسفاهة والاستهزاء أو القتل كما قتلوا الانبياء من قبل وقلوبهم معترفة ولكن يجحدوا بآيات ربهم كما قال تعالى فى قصة موسى وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا ﴿الرابع﴾ نفيه الحكم بغير ما أنزل الله وترك الصلاة ان يكونا عملى قلب بل جعلهما عمل جوارح خاصة واستدل به على عدم كفر من لم يحكم بما أنزل الله عيانا عمدا وتارك الصلاة عمدا لوجود التصديق والاكتفاء به فاما كفر من لم يحكم بما أنزل الله فقد قال العلماء هذا اذا رد نص حكم الله عيانا عمدا لعدم انقياده له والعمل به محبة واتباعا فانه يلزم من عدم طاعة الجوارح عدم طاعة القلب اذ لو أطاع القلب وانقاد أطاعته الجوارح وانقادت ويلزم من عدم طاعة القلب وانقياده للنص عدم التصديق المستلزم للطاعة التى هى حقيقة الايمان فاما مجرد التصديق من غير استلزام ولا انقياد فليس بايمان ألبتة واذا كان كذلك فترك الحكم بما أنزل الله والحكم بغيره من أعمال القلب لاسيما وقد قال قتادة والضحاك فى سبب نزول هذه الآيات انه فى اليهود الذين كانوا يعلمون صدق ما حكم عليهم فى الكتاب فخالفوه وقد قال العلماء ان من خالف نص كتاب الله وحكم بضده مافيه وما تضمنه عيانا عمدا تناوله حكم هذه لا ان أخطأ معنى التأويل وقال عكرمة من عرف بقلبه أنه حكم الله ولم يقر بلسانه وينقد اليه بقلبه بل جحده فقد كفر كفر الايمان معه أما من اعترف بقلبه ولسانه انه حكم الله ولكنه أخطأ الصواب أو حكم بضده مع علمه والاقرار به فلا كفر وقد قال ابن عباس وطاوس ليس بكفر ينقل عن الملة بل متى وجد منه ذلك كفر وليس كمن كفر بالله واليوم الآخر * وسئل عبد العزيز بن يحيى الكنانى عن قوله تعالى ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون فقال انها تقع على جميع ما أنزل الله لا على بعضه فكل من لم يحكم بجميع ما أنزل فهو كافر ظالم فاسق فاما من حكم بما أنزل الله من التوحيد وترك الشرك ثم لم يحكم ببعض ما أنزل الله من الشرائع التى منشؤها الفروع لم يستوجب الكفر حقيقة وعلى هذا يحمل كلام ابن عباس وطاوس وأما ترك الصلاة عمدا فهو مناف لحقيقة الايمان المستلزم للاسلام المترتب على وجوده تخلية السبيل فانها وان اقترن فعلها بالجوارح ظاهرا فهى مستلزم عملها العمل القلب ظاهرا او باطنا فان وجد عمله وجدت وان عدم عدمت وقد تقدم الكلام عليها مستوفى مفصلا بادلته التفصيلية من الكتاب والسنة وكلام صالح سلف الامة ﴿وأما قوله كم أخرج الفريابى وسعيد بن منصور وابن المنذر وغيرهم عن ابن عباس رضى الله عنهما فى تفسير قوله تعالى ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون انه ليس كفرا ينقل عن الملة انه كفر دون كفر وقال عطاء كفر دون كفر وظلم دون ظلم

وفسق دون فسق﴾ فنقول كلام ابن عباس رضي الله عنهما فيمن لم يحكم بما أنزل الله من الشرائع التي
منشأها الفروع خاصة مع الاعتراف بالقلب والاقرار باللسان انما عدل عنه هو حكم الله كما قال عكرمة
في قوله تعالى ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ان من عرف بقلبه انه حكم الله ولم يقر
بلسانه ولم ينقد اليه بقلبه بل يجحده فقد كفر كفر الايمان معه أن من اعترف بقلبه وأقر بلسانه انه
حكم الله ولكنه أخطأ الصواب وأتى بما يضاده من مسائل الفروع التي ليس لها تعلق بالاصل من
غير استحلال فلا يدخل في الكفر الحقيقي وقد سئل علقمة ومسروق وابن مسعود عن الرشوة في
الحكم أهي من السحت فقال ذاك الكفر ثم تلا ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون
وقال ابن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما ومن لم يحكم بما أنزل الله الآية قال من لم ينقد اليه
بقلبه ولم يقر بلسانه كفر كفرا حقيقيا ومن أقر به وانقاد اليه ولكنه لم يحكم به ظاهرا فهو ظالم فاسق
رواه ابن جرير وقال عبد الرزاق عن الثوري عن زكريا عن الشعبي ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك
هم الكافرون قال هذا في المسلمين ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون قال في اليهود
ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون قال في النصارى وكذا رواه هشيم والثوري عن
زكريا بن أبي زائدة عن الشعبي وقال البراء وحذيفة وابن عباس والحسن وغيرهم نزل قوله تعالى
ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون في أهل الكتاب قال الحسن وهي علينا واجبة
وقال عبد الرزاق عن الثوري عن منصور عن ابراهيم الحربي نزلت في بني اسرائيل ورضي الله
لهذه الامة تنبيها في عنها الكفر وسبب النزول وان كان خاصا فعموم اللفظ اذا لم يكن منسوخا معتبر
ولان قوله تعالى ومن لم يحكم بما أنزل الله كلام داخل فيه كلمة من في معرض الشرط فتكون
للعموم لكن تحقيق معنى الآية ان الحكم بغير ما أنزل الله ان كان في الاصل من التوحيد وترك
الشرك أو كان في الفروع ولم يقر اللسان ولم ينقد القلب فهو كفر حقيقي لا ايمان معه كما تقدم عن
عكرمة فاما من اعترف بقلبه وأقر بلسانه بحكم الله ولكنه عمل بضده ظاهرا في الفروع خاصة
فليس بكفر ينقله عن الملة قال طاوس ليس كمن كفر بالله وملائكته وكتبه ورسله وقال الثوري
عن ابن جريج عن عطاء انه قال هذا كفر دون كفر وظلم دون ظلم وفسق دون فسق رواه جرير وقال
وكيع عن سعيد المكي عن طاوس قال ليس الحكم في الفروع بغير ما أنزل الله مع الاقرار بحكمه
والمحبة له بنقل عن الملة وعن طاوس عن ابن عباس قال ليس بالكفر الذي تذهبون اليه رواه الحاكم
وقال على شرط الشيخين ولم يخرجاه وقد جنح الخوارج الى العموم لظاهر الآية وقالوا انها نص
في ان كل من حكم بغير ما أنزل الله فهو كافر وكل من أذنب فقد حكم بغير ما أنزل الله فوجب أن يكون
كافرا وقد انعقد اجماع أهل السنة والجماعة على خلافهم ونحن لم نكفر الا من لم يحكم بما أنزل الله من
التوحيد بل حكم بضده وفعل الشرك ووالى أهله وظاهرهم على الموحدين أو من لم يقم أركان الدين
عنادا وبغيا بعد ان دعوناه فامتنع وأصر أو من جحد ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم من سائر
الامور الدينية والمغيبات الايمانية ﴿وأما قولكم قال ابن القيم ان الصحابة والتابعين لما رأوا
تعارض الاحاديث مثل حديث حتى يقولوا لا اله الا الله وحديث من قال لا اله الا الله دخل الجنة
وان زنى وان سرق مع أن الجنة محرمة على الكافرين كما دلت عليه النصوص القرآنية مع
هذه الاحاديث التي تقدم ذكرها من وصف من أتى بهذه المعاصي من عدم الحكم بما

أنزل الله وترك الصلاة عامدا واتيان الكاهن وغيرها بالكفر مع ان مرتكب هذه الخصال مقر بالشهادتين معتقد لهما ذهبوا الى تقسيم الكفر الى القسمين المذكورين اللذين هما كفر اعتقاد وكفر عمل ﴾ فنقول أما كلام ابن القيم الذى قاله بفمه وكتبه بقلمه فهو ان الاعتقاد ما كان من وظائف القلب الشامل لعمله كالايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر وتصديق الرسول فيما جاء به وأخبر عنه والعمل بمقتضى ذلك شرط فى صحة الايمان أو ما يضاده من التكذيب أو الشرك أو عدم العمل به بعدم الحكم بما أنزل الله ان كان فيه رد لنص حكم الله عيانا عمدا وترك الصلاة بالكلية عامدا عنادا * فالأول هو الدين الذى لا يقبل الله غيره * والثانى هو الكفر الذى ليس معه ايمان * فاما اعمال الجوارح الظاهرة كالزنا وشرب الخمر واتيان الكاهن بلا تقديم لكلامه على كلام الرسول ومن لم يأمن جاره بوائقه وضرب أعناق بعض المسلمين بعضا وعدم الحكم بما أنزل الله فى الفروع التى ليست من أصل الدين مع الاعتراف بحكم الله فى قلبه وقوله ومحبته واختياره وانقياده اليه فيهما وعدم المحافظة على الصلاة فى أوقاتها فهذا وان أطلق الشارع على مرتكبه الكفر فلا يخرج به عن الملة لحديث أبى ذر وغيره وحديث عبادة بن الصامت الصحيح المشهور مع قوله تعالى ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وعلى هذا مضى سلف الامة وخيارها وهم أعلم بمعنى كلام الله ونص رسوله صلى الله عليه وسلم * فان الصحابة والتابعين لما رأوا تعارض الاحاديث مثل حديث أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله وحديث من قال لا اله الا الله دخل الجنة وان زنى وان سرق مع هذه الاحاديث التى تقدم ذكرها من وصف من أتى بهذه المعاصى كعدم الحكم بما أنزل الله وترك الصلاة عن وقتها عامدا واتيان الكاهن وغيرها بالكفر ونفى الايمان عن الزانى والسارق والشارب مع ان الجنة محرمة على الكافرين كما دلت عليه النصوص القرآنية ومرتكب هذه الخصال مقر بالشهادتين معتقد لهما ذهبوا الى تقسيم الكفر الى القسمين المذكورين اللذين هما كفر اعتقاد وكفر عمل فمنه يعلم معنى جعله ترك الصلاة بالكلية وعدم الحكم بما أنزل الله حيث كان فيه رد لنص حكم الله عيانا عمدا كفر عمل انه عنى عمل القلب وهو عدم انقياده ومحبته لأوامر الله والعمل بها ظاهرا وباطنا فأما ان كان قد جحد وأنكر شيأ من أركان الدين فهو اعتقاد محض وان كان الترك مع الاقرار والاعتراف فهو من عمل القلب المحض وعمله ملحق باعتقاده فى عدم انقياده كما قدمه آنفا فبذلك فارق أعمال الجوارح الظاهرة من سائر المعاصى التى لا تخرج عن الملة وتقسيم اسم الكفر الى قسمين باعتبار أعمال الجوارح الظاهرة واعتقاد القلب الشامل لعمله ولان قوله صلى الله عليه وسلم أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فاذا قالوها فقد عصموا منى دماءهم وأموالهم الا بحقها وحسابهم على الله دليل على انه لا بد من اقامة حقها ومن أعظمه اقام الصلاة وايتاء الزكاة كما تقدم عن الصحابة والتابعين ولحديث ابن عمر بنى الاسلام على خمس فقدم منه هذين الركنين اللذين هما أعظم دعائمه بعد الشهادتين وكذا الحكم بما أنزل الله فيما نص على حكمه عيانا وتصديق الرسول صلى الله عليه وسلم فى كل ما جاء به وأخبر عنه والعمل بمقتضى ذلك شرط فى صحة الايمان المقتضى للاسلام وحديث من قال لا اله الا الله دخل الجنة مطلق والاحاديث التى وردت فى الصلاة ونفى الشرك مقيدة وكذا الآيات والمطلق يحمل على المقيد * وقد انعقد الاجماع على أن كلام الله وكلام رسوله لا يخالف بعضه بعضا وانه لا يخرج أحد من المسلمين بعمل ذنب من غير

استدلال له * فيا سبحان الله كيف يدلي علينا بكلام ابن القيم من لم يعلم حقيقة أمرنا وما أدلى به علينا فانه يزعم انا نكفر بالذنوب وهذا توهم منه وجراءة وبهتان بلا خشية علام الغيوب فهو من القول بلا حلم والحكم بلا علم ومن تصدر لدعوى القول والقيل فانما يطلب منه الدليل * واذا أقررتم بالكفر الاعتقادى وبالحكم به على المشركين فلما لا تحكمون به على هؤلاء الذين يعتقدون النفع والضر في المخلوقين من الاولياء أو من الشياطين وان الله أعطاهم وفوض اليهم فهم ينفعون ويضرون ويقبضون ويبسطون وانهم للخلق أولياء مع الله ويشفعون فيما سئل منهم وفي الكون يتصرفون بل تعترضون علينا في رسائلكم ومقدماتكم وتقولون ان ذوى العقائد الذين اعتقدوا أن هؤلاء عباد الله الصالحين ينفعون ويشفعون في جلب ما طلب منهم ويضرون كما اعتقد أهل الجاهلية ذلك في الاصنام لكن هؤلاء جاهلون يقرون بألسنتهم أن لا اله الا الله ونحن نقول أفلا ميزتم الفرق بين الفريقين اذ الاولون لم يعتقدوا ما اعتقده هؤلاء الآخرون من هذا الاعتقاد المنافي للدين والمثبت للفساد هذا لم يعتقده أحد ممن سلف من العباد وانما حدث من عمى القلوب والجهل في حقيقة ما هو من العبيد مطلوب والاولون لم يعتقدوا الا مجرد الشفاعة والتقريب في نبي أو ملك أو ما هو مصور على صورته ليشفع له ويقرب له من الرب المجيب ولم يشركوا في كل حين بل يشركون تارة في مجرد الشفاعة والتقريب ويخلصون الدين تارة لله رب العالمين واحراها وقت حاجتهم في كل شدة وغمة يخلصون له الدعوة التي سماها الله دينا وقولهم لا شريك لك الا شريك هو لك تملكه وما ملك دليل على انهم لم يعتقدوا فيه الضر والنفع والعطاء والمنع والتفويض وانما اعتقدوا فيه ما حكى الله عنهم في قوله ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى أفلا نهيتم عن هذا الاعتقاد * وانكرتموه على معتقديه حتى لا تكون فتنة ولا في الدين فساد * بل من نهى عنه أو عن منكر أقل منه نسب ذلك الناهي الينا * وحصرت عقيدته علينا * فقيل له أو عنه وهابي أو عارضي أو شرقي * وان كان نائيا عنا ولم يعرفنا * فلا أجبتم الداعي حين دعاكم الى سبيل الرشاد * فان القرآن يهدي وبآياته للسبيل المطلوب يهدي ويبدي وعلى المختلفين يحكم ويقضي * والسنة الغراء عما حكم به القرآن تحكم * ولمعانيه المرادة منه تعطي مبتغيها وتتم * ومن استمسك بالكتاب والسنة فقد غنم وسلم قال سبحانه وتعالى لحبيبه أفضل الخلق صلى الله عليه وسلم معلما له ان يقول ما يدل على أن الخير والشر من عند الله وانه لا يقدر على جلبهما أو دفعهما الا الله وحده قل اني لا أملك لكم ضرا ولا رشدا قل اني لن يجيرني من الله أحد ولن أجد من دونه ملتحدا الا بلاغا من الله ورسالاته ومن يعص الله ورسوله الآية وقال تعالى قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء ان أنا الا نذير وبشير لقوم يؤمنون وقال تعالى له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشئ الا كباسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه وما دعاء الكافرين الا في ضلال وقال تعالى قل ان الامر كله لله وقال تعالى وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله وقال تعالى وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين وقال تعالى قل ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين وقال تعالى لصفوة خلقه اذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين وما جعله الله الا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم ليقطع طرفا من

الذين كفروا أو يكبتهم فينقلبوا خائبين ليس لك من الامر شئ أو يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون وفى البخارى انه صلى الله عليه وسلم قنت على حى من العرب المشركين يدعو عليهم شهرا فأنزل الله ليس لك من الامر شئ أو يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون وأما الرسول صلى الله عليه وسلم فانه مبلغ عن الله تجب محبته فى القلوب على الاهل والنفس والمال والولد وعلامتها اتباع شرعه وما جاء به لا عبادته وجعله بمنزلة رب العالمين فانه لم يقاتل هو وأصحابه ويعادى ويوالى ويهاجر من بلد مولده ويبارز عشيرته ويقتل بعضه ويرسله الله هو وسائر الرسل وتنزل الكتب الا بسبب عبادة الله وحده لا شريك له ليكون الدين كله له وغيره صلى الله عليه وسلم من الاولياء من باب الاولى فان الولى لا ينال الولاية ولا يؤتى الكرامة الا بالتوحيد قولا وعملا واعتقادا والاخلاص فى اتباع ما جاء عن الله فى كتابه أو على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم وحاشاهم ان يرضوا بزعم من زعم ان لهم من الأمر شيأ بل هم أطاعوا الله واتبعوا رسله وأحبوه فاحبهم ورضى عنهم وأكرمهم كما قال جل ذكره رضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشى ربه وأما الامر فانه كله لله فليس للخلق من دونه ولى ولا شفيع الا من بعد اذنه كما قال تعالى ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض فى ستة أيام ثم استوى على العرش يدبر الامر ما من شفيع الا من بعد اذنه ذلكم الله ربكم فاعبدوه أفلا تذكرون * وقال تعالى من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه والنبى صلى الله عليه وسلم وغيره من سائر الشفعاء لا يشفعون الا من بعد اذن الله لهم فيها لمن رضى عنهم * ولهذا اذا جاء سيد الشفعاء يوم القيامة يخر ساجدا ما شاء الله فيقال له ارفع رأسك وقل يسمع واشفع تشفع وسل تعط * وعن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما قال كنت خلف النبى صلى الله عليه وسلم يوما فقال يا غلام انى أعلمك كلمات احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك اذا سألت فاسأل الله واذا استعنت فاستعن بالله * واعلم أن الامة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشئ لم ينفعوك الا بشئ قد كتبه الله لك وان اجتمعت على أن يضروك بشئ لم يضروك الا بشئ قد كتبه الله عليك رفعت الاقلام وجفت الصحف رواه الترمذى * وقال حديث حسن صحيح * وفى رواية للترمذى احفظ الله تجده أمامك تعرف الى الله فى الرخاء يعرفك فى الشدة * واعلم ان ما أخطأك لم يكن ليصيبك وما أصابك لم يكن ليخطئك * واعلم أن النصر مع الصبر وان الفرج مع الكرب وان مع العسر يسرا * وكان من دعائه صلى الله عليه وسلم اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطى لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد * فهذا كله نص فى أن الضر والنفع والاستعانة والدعاء بما لا يقدر عليه الا الله لا يلتمس شئ من ذلك الا من الله وحده وان الخلق ليس لهم من دونه ولى ولا شفيع الا من بعد اذنه فلا يدعى بما لا يقدر عليه أحد من المخلوقين الا الله وحده ولا يتوكل فيه الا عليه ولا يرجى فيه الا هو ولا يلتجأ الا اليه اذ هو المعطى والشافع فى الحقيقة فانها اذا وقفت على اذنه كان الامر كله له فحينئذ نقول اللهم انا نسألك شفاعة نبيك صلى الله عليه وسلم اللهم شفعه فينا فالعبادة بانواعها لله وحده ليس له شريك * ولذلك قدم المعمولين ليفيد تقديمهما حصر العبادة والاستعانة لمستحقها وهو الله تبارك وتعالى وحده فى قوله اياك نعبد واياك نستعين وقوله ان صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لا شريك له الآية وقوله فصل لربك وانحر وقوله له دعوة الحق * أفلا تدبرتم معانى هذه الآيات وما ورد فى سياقها من الاحاديث * فانقدتم لعمل ما دعت اليه وأعلنت به ودلت عليه من ان الدين كله لله والامر كله له * فحينئذ وقفتم على صحة عقيدة من نسب

العامل بها وبمعانيها والناهى عن ضدها ومخالفيها اليه اذا قيل له أوعنه وهابى أو عارضى أو شرقى كما قيل فى الصدر الأول لمن تبع ما جاء عن الله وخالف من خالف أوامر الله انه صابئ ومن وافق الحق تبع وان كان واحدا ويسمى وحده أمة كما قال الله عن ابراهيم حين خالف قومه فيما نهى الله عنه واتبع رضوانه وعمل بتوحيده ان ابراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين وقد سمى الله تبارك وتعالى كلمة الاخلاص كلمة التقوى لانها السبب لكل خير دنيوى وأخروى عكس كلمة الفجور فانها السبب فى كل شر دنيوى وأخروى ومن اكتفى بمجرد لفظها عن معناها فجانبه وعمل بضدها وهو الكلمة الخبيثة المنافية لاسمها ومسماها من كل فعل أو قول أو اعتقاد خبيث معناه يبطلها ويأباها فانه قد عكس اسمها فى اعتقادها ومنشؤه الذى زعمه انه متى قالها مع قرينتها وهى الشهادة لمحمد بالرسالة فلا ينافيها من القول أو الفعل أو الاعتقاد مهما قال أو فعل أو اعتقد وهذا مناف لحقيقة الاسلام ونداء عن الايمان لعدم استسلامه وانقياده للعمل فى الدين الذى قال الله عنه ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه واذا فقد العمل بمعنى هذه الكلمة الطيبة ووجد العمل بضدها الشامل للقول أو الاعتقاد عدمت بالكلية وان تلفظ بها وقالها باللسان اذ لا يجتمع متضادان فى شئ واحد والمثبت له الاسلام فى هذه الحالة جامع بين النقيضين وهو غير ممكن فلا أحد كائنا من كان يجعل عبادة الله التى هى خاصة بجلاله لغيره تعالى من الخلق الا كانت للشيطان وأعوانه كما قال جل ذكره ألم أعهد اليكم يابنى آدم أن لا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين وأن اعبدونى هذا صراط مستقيم ولقد أضل منكم جبلا كثيرا أفلم تكونوا تعقلون وقال تعالى يامعشر الجن قد استكثرتم من الانس يعنى من اغوائهم فى دار الدنيا ﴿وأما حديث﴾ أبى الدرداء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد حدثنا ان الشيطان قد يئس ان يعبد فى جزيرة العرب ﴿فالجواب عنه من وجوه أحدها﴾ ان لفظ الحديث يأس لا يئس واذا كان اليأس جاء من قبل نفسه لامر رآه من أمور النبوة وانتشار الدعوة وانزال التنزيل مع كثرة الاجابة فى تلك المواطن فلا مانع من عبادته ولو بعد حين وانما يئس لما قام فى ذهنه مما رأى مع حرصه على اغواء بنى آدم ﴿الثانى﴾ ان اللعين كان يداخل الصور التى صورها المشركون ويكلمهم فيها كما قال جل ذكره ان يدعون من دونه الا اناثا وان يدعون الا شيطانا مريدا لعنه الله فلما نزل قوله تعالى وقل جاء الحق وزهق الباطل وكسرت تلك الصور التى يكلمهم فيها يئس فى نفسه ان يعبد كذلك ولا منافاة ان من عبد الله فعبادته واقعة للشيطان لان اياسه انما هو بالنسبة الى اعادة تلك الصور الى ما كانت على صفتها الاولى ﴿الثالث﴾ انه يئس ان يعبد ظاهرا بلا واسطة قبر أو تمثال كما عبد فى غير الجزيرة كذلك فانه قد وجد من عبد صورته استقلالا ﴿وأما بيان﴾ الجزيرة فقال سعيد بن عبد العزيز والاصمعى وأبو عبيدة هى من ريف العراق الى فدك طولا ومن تهامة وما وراءها الى طرف الشام عرضا وقيل هى من أقصى عدن أبين اسم رجل الى ريف العراق فى الطول وأما فى العرض فمن جدة وما والاها من ساحل البحر الى طرف الشام وقال الخليل انما قيل لها جزيرة لان بحر الحبش وبحر فارس والفرات قد أحاط بها ونسبت الى العرب لانها أرضهم ومسكنهم ومعدنهم وقال الامام أحمد جزيرة العرب المدينة وما والاها وهو مكة وخيبر والينبع وفدك ومخاليفها وما والاها وهذا قول الشافعى لانهم لا من تيما ولا من اليمن والآيات والأحاديث فيما ذكرنا كثيرة جدا ولكن اتباع الهوى من أكبر البلوى ولا أشد ضررا على الانسان من ميل الهوى واتباعه فيما يسخط الله تبارك وتعالى فانه قال

عز من قائل أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله عن أبي أمامة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تحت ظل السماء إله يعبد من دون الله أبغض الى الله من هوى ﴿وأما قولكم وقد قسمه العلامة ابن الجوزي في النهاية الى أربعة أقسام * كفر انكار بان لا يعرف الله تبارك وتعالى أصلا ولا يعترف به *وكفر جحود ككفر ابليس لعنه الله اذ كان يعرف الله بقلبه ولا يقر بلسانه *وكفر عناد وهو أن يعرف بقلبه ويعترف بلسانه ولا يدين به حسدا وبغيا واستكبارا واستحياء من قومه ككفر أبي جهل وأبي طالب وأضرابهما *وكفر نفاق وهو أن يعترف بلسانه ولا يعتقد بقلبه﴾ فنقول قد شاع وذاع وتقطعت به الاسماع وتواترت الاخبار وامتلأت الدواوين أن الكفر من حيث هو ينقسم في تعريفه الى أربعة أقسام وكل قسم مغاير لقسيمه في المعنى الذي يسمى به وهذه الأقسام متفقة في حقيقة معنى الكفر وأصله من الستر ومنه سمي الليل كافرا لانه يستر الاشياء بظلمته وسمي الزراع كافرا لانه يستر الحب بالتراب والكافر يستر الحق بجحوده اياه ﴿الاول كفر الجحود﴾ وهو أن يكفر بما يعلمه في قلبه من أسماء الرب أو صفاته أو أفعاله أو دينه وأحكامه أو رسله أو ما جاءت به من الحق فلا يقر به في لسانه لا يعمل به في جوارحه وهذا هو كفر ابليس عليه اللعنة ومشابهيه الكاتمين الحق بعد علمهم اياه كاليهود ومشاكليهم من علماء السوء العاملين بالباطل والبهتان والقائلين الزور فيما جاء به القرآن وهم المجوزون المنكر والعاكفون عليه والناهون عن المعروف وما يوصل اليه والصادون عن سبيل الله وما يقرب لديه قال سبحانه وتعالى في حق أولئك مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله والله لا يهدي القوم الظالمين وقال تعالى فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين فكل من عرف الحق من الدين ولم ينقد اليه ولم يعمل به فهو كافر ككفرهم وهو ملعون كما لعنوا وقال تعالى في حق هؤلاء الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون وهذه شاملة الفريقين ﴿الثاني كفر انكار﴾ وهو أن ينكر الله أو دينه أو رسله أو كتبه أو شيأ مما جاؤا به في القلب واللسان ﴿الثالث﴾ كفر العناد وهو أن يعرف الحق بقلبه ويعترف به في لسانه ولكن لا يعمل به ككفر أبي طالب وأمثاله حين دعاه النبي صلى الله عليه وسلم الى الدين والعمل به من ايمان وغيره فقال لولا تعيرني قريش لاقررت بها عينك ولكن أذب عنك ما حييت وقال في النبي صلى الله عليه وسلم ودينه أبياتا يثني عليه بها وهي هذه

والله لن يصلوا اليك بجمعهم * حتى أوسد في التراب دفينا
فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة * وابشر وقر بذاك منك عيونا
ودعوتني وعرفت أنك ناصحي * ولقد صدقت وكنت ثم أمينا
وعرضت دينا قد علمت بأنه * من خير أديان البرية دينا
لولا الملامة أو حذار مسبة * لوجدتني سمحا بذاك مبينا

* قال ابن عباس رضي الله عنهما ومقاتل نزل قول الله سبحانه وتعالى وهم ينهون عنه وينأون عنه في أبي طالب كان ينهى الناس عن أذى محمد صلى الله عليه وسلم ويمنعهم منه وينأى بنفسه عن الايمان بدينه أي يبعد نفسه عن العمل به حتى انه اجتمع اليه رؤساء المشركين وقالوا خذ شابا

من أصبحنا وجهاً أو ادفع الينا محمداً لنستريح منه فقال أبو طالب ما أنصفتموني أدفع اليكم ولدي لتقتلوه وأربي ولدكم ولما أسلم عمر بن الخطاب رضي الله عنه شق ذلك على قريش وفرح به المؤمنون فقال الوليد بن المغيرة للملأ من قريش وهم الصناديد والأشراف وكانوا خمسة وعشرين رجلاً أكبرهم سناً الوليد بن المغيرة * قال لهم امشوا الى أبي طالب فأتوا أبا طالب ومعهم أبو جهل وقالوا أنت شيخنا وكبيرنا وقد علمت ما فعل هؤلاء السفهاء وانا قد جئناك لتقضي بيننا وبين ابن أخيك وانصفنا منه * فأرسل أبو طالب الى النبي صلى الله عليه وسلم فدعا به فقال يا ابن أخي هؤلاء قومك يسألونك سؤالاً فلا تمل كل الميل على قومك * فقال النبي صلى الله عليه وسلم ماذا يسألوني قالوا ارفض ذكر آلهتنا وندعك والهك * فقال صلى الله عليه وسلم أدعوكم الى كلمة واحدة تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم أي تطيع فقال أبو جهل لله أبوك نعطيكها وعشرة أمثالها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قولوا لا اله الا الله فنفروا من ذلك وقالوا أجعل الآلهة الهاً واحداً لظنهم ان الاله الواحد لا يسع الخلق ولا يصلون الى قربه الا بوسائط ووسائل يقربونهم اليه ويتوكلون عليهم ويتقربون لديهم بشفاعتهم عنده فهم يتألهونهم ويغلو بهم محبتهم وتعظيمهم واجلالهم واكرامهم زاعمين ان ذلك فيه رضاء الله وانه تعالى أمر به كما قالوا في الآية الأخرى لو شاء الله ما أشركنا نحن ولا آباؤنا لأن ما تألهوه اما نبياً أو ملكاً أو صورة أحدهم فلذلك تعجبوا مما دعاهم اليه النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا ان هذا الشيء عجاب أي عجيب والعجب والعجاب واحد كقول العرب رجل كريم وكرام وكبير وكبار وطويل وطوال وعريض وعراض وانطلق الملأ منهم من مجلس اجتماعهم عند أبي طالب الذي كانوا فيه وسماعهم من النبي صلى الله عليه وسلم تلك الكلمة الطيبة يقول بعضهم لبعض أن امشوا واصبروا على آلهتكم أي اثبتوا على عبادة آلهتكم يوصي بعضهم بعضاً في الصبر على ما هم عليه من الباطل وعداوة الحق أي اثبتوا على معتقداتكم لتقربكم الى خالقكم لأنه قد أمركم بذلك ولهذا قالوا ان هذا الشيء يراد أي هذا الاعتقاد بالآلهة يراد منا لا محالة عن ذلك فان الخلق لا يسعهم الاله الواحد بل هم مأمورون بالاسباب الموصلة اليه وقيل معناه انه لأمر يراد بنا وذلك أن عمر لما اسلم وحصل للمسلمين قوة بمكانه عندهم قالوا ان هذا الذي نراه من زيادة أصحاب محمد لأمر يراد بنا وقيل يراد بمحمد أن يملك علينا فيتولى أمرنا وما نحن فيه ولما كان الدين الذي لا يقبل الله غيره مخالفاً لعاداتهم وعادة آبائهم قالوا ما سمعنا بهذا الذي يقوله محمد من التوحيد في الملة الآخرة هي ملة قريش وهي دينهم الذي كانوا عليه بلا أصل وقال ابن عباس ومقاتل والكلبي يعنون النصرانية لأنها آخر الملل وهم لا يوحدون بل يقولون ثالث ثلاثة ان يعني ما هذا الا اختلاف كذب وافتعال ثم لما حسدوا وبغوا واستكبروا عن الحق واتباعه قالوا أنزل عليه الذكر من بيننا وليس بأكبرنا ولا أشرفنا قال الله تعالى بل هم في شك من ذكري أي وحيي وما أنزلت على عبدي والمراد به القرآن وما أنزل لأجله وهو التوحيد بل لما يذوقوا عذاب تهديد لهم أي سيذوقونه ولو ذاقوه لما قالوا هذا القول ولصدقوا وحيث لا ينفعهم التصديق لأن لما تدل على عدم وقوع المنفي بها في الحال لا في الاستقبال ﴿واذا كان﴾ معنى كفر العناد هو ان يعرف بقلبه ويعترف بلسانه ولا يدين بما عرفه واعترف به فالعجب ممن يدلي علينا باعتراضاته ويزعم في مصنفاته ويقول في معتقداته ان الايمان يكفي فيه مجرد التصديق فمتى وجد غني عن العمل ويسمى المصدق مؤمناً وحيث ترك العمل فهو كافر كفراً عملياً لا يخرج به عن الملة بل هو مسلم حكماً

وحقيقة وهل هذا الا تناقض فيما قاله أو ادعاه ونقض لما أبرمه فيما حكاه فلله الحمد والمنة ﴿الرابع﴾ كفر النفاق وهو ان يعترف باللسان ويعمل بشرائع الاسلام ظاهرا ولا يعتقد في القلب بل اما يكذب أو يستخف ولكن يعمل خوفا أو تجنة فهو النفاق الذي صاحبه في الدرك الاسفل من النار و جميع هذه الانواع سواء في أن من لقي الله بواحد منها لا يغفر له بل هو مخلد في النار بنص التنزيل وأحاديث البشير النذير ﴿وأما قولكم﴾ قال ابن القيم وهذا الجمع والتوفيق بهذا التفصيل هو قول الصحابة وعليه الاعتماد لان أمثال هذه المسائل لا تتلقى الا منهم ولا تؤخذ الا عنهم اذهم الواقفون على اسرار الكتاب والاحاديث والمتأخرون لما لم يفقهوا مرامهم افترقوا فرقتين فرقة أخرجت مرتكب الكبيرة عن الملة المحمدية وقضوا عليهم بالخلود بالنار وفرقة جعلوهم مؤمنين كاملي الايمان فهؤلاء غلوا وهؤلاء جفوا وهدى الله أهل السنة والجماعة للطريقة المثلى والقول الاوسط حيث لم يخرجوهم عن الايمان ولم يقضوا عليهم بالخلود ولم يجعلوهم بحيث لا تضرهم المعاصي وهذا هو الموافق للمنقول عن علماء الصحابة والتابعين من تقسيم الكفر الى القسمين المذكورين ﴿فنقول﴾ هذا ما قدمناه وقلناه والحق ما قاله ابن القيم ولكن لا يختص بفهمه والعمل به الا من سبقت له من الله الحسنى والمقام الاسنى والعناية الربانية والسعادة الابدية فانه عنى بذلك ما عناه الأئمة الاعلام الذين هم مصابيح الهدى والدين من سائر الانام وهم الصحابة والتابعون لهم باحسان كابي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد والثوري والاوزاعي وغيرهم من أئمة الدين حتى البخاري ومسلم كلهم على ان المسلم لا يكفر بذنب يفعله ولا يخرج به من الملة كالقتل والزنا وشرب الخمر وقوله لأخيه المسلم يا كافر من غير اعتقاد بطلان دين الاسلام وسائر أفعال المعاصي الا الشرك بالله الاكبر الذي لا يغفره تعالى كما حكاه بنص التنزيل أو استحلال ما حرمه الله أو تحريم ما حلل كما قدمنا الكلام فيه وعلى هذا دل الكتاب والسنة وبه نطق أولو العلم والحكمة قال تعالى وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما فان بغت احداهما على الاخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى قوله انما المؤمنون اخوة فاصلحوا بين أخويكم فسماهم مؤمنين وجعلهم اخوة مع الاقتتال وبغي بعضهم على بعض وقال تعالى في بيان الكفارة فتحرير رقبة مؤمنة ولو اعتق مذنبا أجزأ عتقه باجماع أهل العلم وقد ثبت الزنا والسرقة وشرب الخمر على أناس في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ولم يحكم عليهم بالكفر الموجب للردة ولا قطع الموالاة بينهم وبين المسلمين بل جلد هذا ورجم هذا وقطع يد هذا وهو في ذلك يستغفر لهم ويقول لا تكونوا أعوان الشياطين على أخيكم وفي البخاري عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ان رجلا يشرب الخمر يقال له عبد الله فأتي به شاربا فلعنه رجل وقال ما أكثر ما يؤتى به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تلعنه فانه يحب الله ورسوله ولما أتى ذو الخويصرة وهو رجل ناتئ الجبين غائر العينين كث اللحية وقال يا محمد اعدل فانك لم تعدل فاراد بعض الصحابة قتله فقال النبي صلى الله عليه وسلم دعه انه يخرج من ضئضئ هذا أقوام يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم وقراءته مع قراءتهم يقرؤن القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الاسلام كما يمرق السهم من الرمية وهذا الحديث في الصحيحين وغيرهما فهذا العابد الظاهر العبادة هو ومن اتبعه لما جانبوا سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم واستغنوا بما معهم عنها وخالفوه وخالفوا الصحابة ودعوا الى بدعتهم واستحلوا دماء من لا يوافقهم عليها أمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتالهم وقال لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد وذلك الشارب الخمر لما كان محبا للرسول ولسنته نهى صلى الله عليه وسلم

عن

عن لعنه وقال لا تلعنه فانه يحب الله ورسوله فهذا رد ما ذهب اليه المعتزلة والخوارج من التكفير بالذنوب ووجوب النار والتخليد لمن مات عاصيا لمقلب القلوب وكذلك المرجئة القائلون بأن الايمان لا تضر معه المعصية كما ان الكفر لا تنفع معه الطاعة وترك الاعمال التي من الدين معصية لا تضر مع وجود التصديق القلبي اذ هو الايمان عندهم ووجوده كاف عن غيره ولكل شبهة مستند اليها قد ذكرناها فيما تقدم فهدى الله أهل السنة والجماعة للطريقة المثلى والقول الاوسط الذي هو في المذاهب كالاسلام في الملل حيث لم يخرجوهم عن الايمان ولم يحكموا عليهم بالخلود في النيران ولم يجعلوهم بحيث لا تضرهم المعاصي والاستغراق في الطغيان لأنهم بقول الله ورسوله متمسكون وعلى قول الصحابة والتابعين لهم باحسان معتمدون ولمن خالفهم مجانبون اذ هم على أسرار الكتاب واقفون وبسنة نبيهم آخذون فلا تتلاقى تلك المسائل وتؤخذ الا عنهم ولا يهتدي المهتدي ويفوز المسترشد الا بهديهم واتباع سنتهم ومن جانبهم فقد أبعد وضل وأضل فان انضاف الى المجانبة الاعراض عن منهج الرسول وما كان عليه هو وأصحابه ولاه الله ما تولى وأصلاه جهنم وساءت مصيرا ﴿وأما قول الحكم قال وكيع عن سفيان عن ابن جريج عن عطاء كفر دون كفر وظلم دون ظلم وفسق دون فسق﴾ فنقول هذا بعينه ما قاله ابن القيم وغيره نقلا عن الصحابة والتابعين من ان أعمال الجوارح الظاهرة كالزنا وشرب الخمر واتيان الكاهن مع عدم تقديم كلامه على كلام الرسول ومن لم يأمن جاره بوائقه ومن لم يحكم بما أنزل الله من الشرائع التي منشؤها الفروع مع الانقياد لحكم الله في الاصول بالقلب والقول باللسان وسائر المعاصي الظاهرة لا يخرج بها مرتكبها عن خطة الاسلام وان لم يسم مؤمنا حقا فلا يقال عنه كافر حقا فهاهنا كفر دون كفر ونفاق دون نفاق وشرك دون شرك وظلم دون ظلم وفسق دون فسق قال سفيان بن عيينة عن هشام بن حجر عن طاوس عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ليس هو الكفر الذي تذهبون اليه وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن ابن طاوس عن أبيه طاوس قال سئل ابن عباس عن قوله ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون قال هو بهم كفر ولكن ليس كمن كفر بالله وملائكته وكتبه ورسله وقال في رواية أخرى كفر لا ينقل عن الملة وقد تقدم الكلام فيه مستوفى عند قوله وأخرج الفريابي وسعيد بن منصور وابن المنذر وغيرهم عن ابن عباس في تفسير هذه الآية وانه رضي الله عنه فصل تفصيلا حسنا قد ذكرناه عنه فيما سلف وقال وكيع عن سفيان عن ابن جريج عن عطاء كفر دون كفر وظلم دون ظلم وفسق دون فسق وهذا كله رد على المعتزلة والخوارج الضالين عن طريق الحق والصواب والجانحين عن طريقة أفضل الاحباب ﴿ونحن ولله الحمد﴾ على ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم معتمدون وبكلام الله آخذون ولمن خالفه مجانبون ومعادون والدليل على صحة ما قلناه واعتقدناه انا لا نكفر الا من كفره الله بنص التنزيل كالمتألهين غير الله من المخلوقين بدعائهم ورجائهم والتوكل عليهم وتفويض جميع أمورهم اليهم قولا واعتقادا والراضين بذلك المكفرين بامرنا بما أمر الله به ونهينا عما نهى الله عنه ويجاهدوننا ويجعلون اليهود والنصارى أخف شرا منا ومن أتباعنا وكذا الجاحدين من الدين ما علم بالضرورة انه منه عمليا كان أو اعتقاديا ونجاهد على ذلك كله وعلى تقويم أركان الاسلام كما جاهد النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه عليه بامر الله له في آيات التنزيل كما قال جل ذكره فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل

مرصد فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم الآية فقدم تعالى التوبة من الشرك اشارة الى
أن الصلاة والزكاة وسائر أعمال البر لا تعتبر ولا يعتد بها الا بعد وجود الاصل وهو التوحيد اذ هو كاصل
الحائط أو أصل الشجرة وسائر الاعمال كفرعه وهو لا يثبت الا على أصل فلا يستقيم بدونه ولا يتم الا
به قال سبحانه وتعالى وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله فان حكمتم على ان من جعل بعض
الدين لله وبعضه لغيره بانه عاص لا كافر حقيقة فقد جنحتم ورغبتم عن اجماع سلف الامة فى ان
المشركين الاولين الجاعلين بعض الدين لله وبعضه لغيره ومن شاكلهم ممن اعتقد اعتقادهم وعمل
عملهم مستوجبون للكفر حقيقة وان من اعتقد انهم على صواب أو هدى أو شك فى كفرهم فهو
مكذب لقول الله طاعن فى رسالة محمد صلى الله عليه وسلم وان حكمتم بكفره فلما لا تحكمون به على من
اتخذ من دون الله وليا ونصيرا أو شفيعا يدعوه ويرجوه ويتوكل عليه قال تعالى والذين اتخذوا من دونه
أولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وقال تعالى ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم
ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله تعلمون عقيدتنا وحقيقة أمرنا ونهينا ولا تدلوا علينا بكلام هؤلاء الائمة
الاماثل والجهابذة الافاضل لأن ذلك انما يلزم به أهل الأهواء من ذوى العقائد الفاسدة الراكسين
فى المخالفة للنصوص الشرعية والآيات القرآنية لكن من لم يميز الدين ويعرفه عين اليقين عميت بصيرته
وأظلمت سريرته فلا حيلة فيه اذا رفعت الشكوى وعمت البلوى ﴿وأما قوله﴾ وقال ابن القيم الذى قاله
عطاء بين فى القرآن لمن فهمه فان الله سمى من حكم بغير ما أنزل الله كافرا وظالما فى قوله تعالى
والكافرون هم الظالمون وسمى متعدى حدود الله فى النكاح والطلاق والرجعة والخلع ظالما فقال
ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه وقال يونس عليه السلام لا اله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين
وقال صفيه آدم ربنا ظلمنا أنفسنا وقال كليمه موسى عليه السلام رب انى ظلمت نفسى فاغفر لى ومعلوم
يقينا ان هذا الظلم ليس كمثل ذلك الظلم ﴿ فنقول كل كافر ظالم ولا عكس لأن قوله تعالى
والكافرون هم الظالمون مبتدأ محصور فى خبره أى ولا ظالم أظلم ممن وافى ربه يومئذ كافرا وقد روى
ابن أبى حاتم عن عطاء بن دينار انه قال الحمد لله الذى قال والكافرون هم الظالمون ولم يقل والظالمون
هم الكافرون ومتعدى حدود الله فى النكاح بالمضارة أو نكاح ما لا يحل نكاحه انشاء أو رجعة
والطلاق فيطلق لغير السنة أو لها حتى اذا قرب انقضاء عدتها راجعها ثم طلقها ثم اذا قرب انقضاء
عدتها راجعها ثم طلقها مضارة لها والخلع فيضارها بمنع حقها لتفتدى منه وكل من فعل كذلك فقد ظلم
نفسه أى اثم فيما بينه وبين الله وان أبدى للناس حاله عكس ما أخفاه عنهم وقول يونس عليه السلام
لا اله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين أى فى ذهابى مغاضبا لقومى بلا اذن من ربى فى نسبة
الظلم الى نفسه اعتراف منه بأنه عمل خلاف الأليق به فان العبد اذا أرسله سيده بأمر وجعله فى
وظيفة على عبيد لسيده فغاضبوه وامتنعوا من أمره لا ينبغى له الاستعجال بالمغاضبة لهم والذهاب
عنهم بلا مراجعة من سيده فهو عليه السلام قد فهم ذلك وتذكره بعد ذلك فلام نفسه ورجع الى ربه
مستدركا ما فات منه من التقصيرات بندائه فى تلك الظلمات أن لا اله الا أنت سبحانك انى كنت
من الظالمين وهذه رتبة الخواص الفزع عند الشدائد الى مالك الناس بالاخلاص ولهذا كان نبينا
صلى الله عليه وسلم يفزع عند كل شدة الى الصلاة والظلم تارة يأتى بمعنى الاثم الذى هو أعم من
المعاصى والكفر كما تقدم وتارة يأتى بمعنى خلاف الاولى كقول يونس صلوات الله وسلامه عليه

سبحانك انى كنت من الظالمين وقول آدم عليه السلام ربنا ظلمنا أنفسنا وكما جاء فى الحديث الذى رواه عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال جاء اعرابى الى النبى صلى الله عليه وسلم يسأله عن الوضوء فاراه ثلاثا ثلاثا وقال هذا الوضوء فمن زاد على هذا فقد أساء وتعدى وظلم رواه أحمد والنسائى وابن ماجه فسمى خلاف الاولى ظلما وقد صح فى السنة عن سعد بن أبى وقاص عن النبى صلى الله عليه وسلم قال دعوة ذى النون اذ هو فى بطن الحوت لا اله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين لم يدع بها مسلم فى شئ قط الا استجيب له وعنه أيضا قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اسم الله الذى اذا دعى به أجاب واذا سئل به أعطى دعوة يونس بن متى قلت يارسول الله هى ليونس خاصة أم لجماعة المسلمين قال هى ليونس خاصة وللمؤمنين عامة اذا دعوا بها ألم تسمع قول الله تعالى ننجى المؤمنين فالايمان شرط من الله لمن دعا بهذه الدعوة اذ قد يقولها وهو يوجد المنافى لها قولا أو عملا أو اعتقادا فليس عنده منها الا مجرد لفظها وكانت هذه الدعوة مفزع الانبياء أخرجه ابن مردويه والديلمى عن أبى هريرة وقول آدم عليه السلام ربنا ظلمنا أنفسنا فيه الاعتراف بمخالفة النهى وفعل خلاف الاولى وانه فعل المنهى عنه لا عن عمد وانما هو ظان ان النهى لا يقتضى التحريم باجتناب المنهى عنه لأن الغار له أقسم بالله على ذلك فظن اذ لا أحد يقسم بالله كاذبا فنسب التقصير والظلم الى نفسه وما أحسن الاعتراف بالذنب والتقصير من العبد لسيده وان أبعد اللوم عنه ظاهرا والعبد اذا ازداد قربه من سيده ازداد خوفه وخشيته ورغبته رهبته منه وعد ماجرى من غير اللائق به ذنبا وان لاق بغيره ممن هو ليس فى درجته ولذلك كانت حسنات الابرار سيئات المقربين وقال موسى عليه السلام رب انى ظلمت نفسى فاغفر لى فسؤاله المغفرة واعترافه بظلم النفس على جهة طلب الكمال وان اللائق به كان خلاف مافعل من الاستعجال بقتل القبطى والا فمجرد قتله جائز فانه عدو للدين حربى للاسرائيليين لكن كان الاولى فى حق موسى تأخير قتله ليتمحه و يعظه بما قاله رب العالمين فتسميته من عمل الشيطان لاستعجاله بقتله وتسميته ظلما من حيث حرمانه ثواب المندوب وقاله اعترافا وانقطاعا الى الله فيما هو اليه محبوب وان لم يكن ثم ذنب ألبتة والاستغفار منه بمعنى طلب المغفرة بترك هذا المندوب لجهله عدم الاولى المطلوب ومن المعلوم يقينا عند كل عاقل ان ظلم الكفر ليس كظلم المعاصى وظلم العبد المنيب ليس كظلم العبد الجافى فالظلم مختلف كما ان الكفر أنواعه مختلفة وهذا لم يقع فيه نزاع بين علماء أهل السنة انما القصد الكلى والفائدة العظمى طلب ما أنزل الله على رسوله من الكتاب والحكمة ومعرفة ما أراد بذلك الانزال والارسال وما طلبه من عبيده فما خلقهم لاجله وأمرهم به ونهاهم عن ضده ورتب على وجوده رضاه ورحمته والخلود فى جنته وعلى عدمه والعمل بضده غضبه وسخطه وحرمان رحمته والخلود فى ناره وغضبه وتضعيف عذابه وكل ما يحتاج اليه الناس فى دينهم فقد بينه الله ورسوله بيانا شافيا ثم اذا عرف ما بينه الكتاب وقاله الرسول نظر فى أقوال الخلق فعرضت على الكتاب والسنة فما وافق قبل وما خالف نبذ فهذا هو سبيل الهدى والسنة والعلم والحكمة وهو الذى كان عليه الصحابة والتابعون لهم باحسان ومن سلك سبيلهم من الأئمة الاعلام الى آخر الزمان وأما سبيل الضلال والبدعة والجهل فعكس ذلك تجد المبتدع بدعة اما مخرجة عن الدين بالكلية واما ليست أصلية منه ولا فرعية بل من رأى رجل وتأويلاتهم أو من دسائس الشياطين وتحسيناتهم انها

من الدين ومما يتقرب الى رب العالمين لم يجعل ما جاء به الرسول أصلا وفرعا فيعرض عليه سائر ما هو عامل بل يحرف الالفاظ ويتاولها على وفق ما هو له أصل وفى نفس الامر لا يعتمد على ما جاء به الرسول ولا يتلقاه منه بالهدى ولكن يتأول منه ما يوافق بدعته ليجعله له حجة كالذين يحرفون الكلم عن مواضعه وقد قال تعالى فاما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة التى من أعظمها الشرك وابتغاء تأويله وقال صلى الله عليه وسلم فيما اخرجاه فى الصحيحين عن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد ❊والاعمال قسمان❊ عبادات ومعاملات فاما العبادات فكل ما كان خارجا عن كلام الله ورسوله بالكلية من قول أو اعتقاد أو فعل فهو مردود على عامله ويدخل تحت قوله تعالى أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله فمن تقرب الى الله بعمل لم يجعله الله ورسوله قربة فعمله باطل مردود عليه وشبيه بحال الذين كانت صلاتهم عند البيت مكاء وتصدية وان تلك القربة المعتقدة كقربة الاولين فهى أعظم بعدا عن الدين وأبغض معصية الى رب العالمين وهذا مناف له من أصله فلا يجتمعه أبدا كالذين يشركون بالله ما لم ينزل به سلطانا ويقولون على الله ما لا يعلمون وهم الجاعلون بينهم وبين خالقهم وسائط ووسائل من خلقه يدعونهم ويرجونهم ويلوذون بهم ويتوكلون عليهم ليشفعوا لهم عند مليكهم فى قضاء حوائجهم ومع ذلك يقولون الله أمرنا بهذا فهو يرضى به ويحتجون بقوله تعالى وابتغوا اليه الوسيلة ولم يتأملوا أحوالهم وما هم فيه من العقائد الفاسدة والحجج الباطلة فتستنير قلوبهم لمعناها وانها الاعمال الصالحة لا سواها بل واسطتهم تلك هى معنى الاله المذكور فى قوله تعالى وقالوا يا موسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة ذكره المفسرون فى كتبهم نقلا عن البشير النذير وان كانت غير ذلك كمن تقرب الى الله بسماع الملاهى أو بالرقص أو بكشف الرأس فى غير الاحرام وما أشبه ذلك من المحدثات التى لم يشرع الله ولا رسوله التقرب بها اليه بالكلية فهى من دسائس الشياطين لتنال الحظ الوافر من العاملين وليس كل ما كان قربة فى عبادة يكون قربة فى غيرها مطلقا وقد رأى النبى صلى الله عليه وسلم رجلا قائما فى الشمس فسأل عنه فقيل انه نذر ان يقوم ولا يقعد ولا يستظل وان يصوم فامره النبى صلى الله عليه وسلم ان يقعد ويستظل وان يتم صومه فلم يجعل قيامه وبروزه للشمس قربة يوفى بنذرها وقد روى ان ذلك كان فى يوم جمعة عند سماع خطبة النبى صلى الله عليه وسلم يخطب اعظاما لخطبته صلى الله عليه وسلم ولم يجعل النبى صلى الله عليه وسلم ذلك قربة يوفى بنذره مع ان القيام عبادة فى موضع آخر كالصلاة والأذان والقيام بعرفة والبروز فى الشمس قربة للمحرم فدل على انه ليس كل ما كان قربة فى موطن يكون قربة فى كل موطن انما يتبع ذلك ما وردت به الشريعة فى مواضعها وكذلك من تقرب بعبادة نهى عنها بخصوصها كمن صام يوم العيد أو صلى وقت النهى ❊وأما المعاملات❊ كالعقود والفسوخ ونحوها فما كان منها تغييرا للاوضاع الشرعية كجعل حد الزنا عقوبة مالية وما أشبه ذلك فانه مردود من أصله لا يقبله الله لأن هذا غير معهود فى الاسلام ويدل على ذلك ما روى البخارى فى صحيحه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال للذى سأله ان ابنى كان عسيفا على فلان فزنى بامرأته فافتديت منه بمائة شاة وخادم فقال النبى صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده لأقضين بينكما بكتاب الله الوليدة والغنم رد عليك وعلى ابنك جلد مائة وتغريب عام واغد يا أنيس الى امرأة هذا فان اعترفت فارجمها قال فاعترفت فأمر بها رسول الله صلى الله عليه

وسلم فرجت وبتأمل ما ذكرناه يعلم اختلاف الظلم كما يعلم اختلاف الكفر وان كل كافر ظالم ولا عكس ﴿وأما قولكم وسمى الله الكافر فاسقا في قوله وما يضل به الا الفاسقين الآية وسمى المؤمن فاسقا في قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا الآية نزلت في الوليد بن عقبة بن أبي معيط على قول الأكثر في قوله تعالى فيمن رمى المحصنات ولا تقبلوا لهم شهادة ابدا وأولئك هم الفاسقون والآيات كثيرة في الأمرين﴾ فنقول هذا من كلام ابن القيم أيضا وأصل الفسق الخروج يقال فسقت الرطبة اذا خرجت من قشرها قال الله تعالى في حق ابليس عليه اللعنة ففسق عن أمر ربه أي خرج وكل كافر خارج من الطاعة فهو فاسق ولا عكس وان سمي فاسقا اذ الفسق أعم من الكفر وهو أخص وبينهما عموم وخصوص مطلق يجتمعان في مادة الكفر وينفرد الفسق عنه ولذلك سمى الله سبحانه وتعالى المؤمن العاصي فاسقا في قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ان تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين نزلت في الوليد بن عقبة بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم جابيا للصدقات على بني المصطلق فلما قاربهم وسمعوا به اجتمعوا فهابهم وخاف على نفسه بسبب عداوة كانت بينهم في الجاهلية فلما خاف الوليد رجع مخبرا لرسول الله صلى الله عليه وسلم بمنعهم لزكاة وارتدادهم فغضب النبي صلى الله عليه وسلم وهم بهم فجاؤا معتذرين منكذبين للوليد فأرسل اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد آمرا له ان ينظر في أمرهم فان رأى خيرا أخذ الزكاة وان رأى امارات غيره فعل بهم كفعله بالكفار فرأى الخير بسماعه الاذان في صلاة المغرب والعشاء فأخذ الزكاة منهم وأنزل الله تبارك وتعالى يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة الآية فاستفيد ان المخبر بشيء لا يعمل بخبره الا بعد التثبت ومن هنا قيل ان النميمة تمنع قبول خبر النمام لانه بمجردها يفسق بها لانها كبيرة الا أن تكون مصلحة للدين وقمع الاعداء انهم اذا ندين اذاسبوه واستهزؤا به أو تعدوا وظلموا فيه فقد يجب رفع خبرهم الى الامام أو نائبه لان النبي صلى الله عليه وسلم رفع اليه خبر العرنيين وقيل نزلت الآية في الحكم بن أبي العاص وهو مؤمن أيضا والاول عليه الجمهور واتفقوا على فسق قاذف المؤمن لان الله سبحانه سماه فاسقا ما لم يتب ولا يلزم من تسمية فاعل المعصية فاسقا كفره لما تقدم أن كل كافر فاسق ولا عكس ولان الله سبحانه سمى المؤمن العاصي فاسقا ولم يحكم عليه النبي صلى الله عليه وسلم بالكفر مع وجود فسقه كما لا يلزم من وجود الظلم الكفر بخلاف العكس قال تعالى والكافرون هم الظالمون وقال تعالى وما يضل به الا الفاسقين الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه الآية وقال تعالى ولقد أنزلنا اليك آيات بينات وما يكفر بها الا الفاسقون والآيات في هذا الحد كثيرة فليس فسق العاصي كفسق الكافر كما ليس ظلم الاول كظلم الثاني فالكفر كفران والفسق فسقان والظلم ظلمان وكذلك الجهل جهلان باعتبار الكفر والايمان فالاول كما في قوله تعالى خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين والثاني كقوله تعالى انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب وباعتبار حقيقته الى مركب وهو فهم المعنى بالعكس على غير المراد منه مع التصميم على ذلك وادعاء العلم به وبسيط وهو الغفلة عن المعنى مع عدم ادعاء علمه ﴿وأما قولكم والشرك أيضا شركان شرك ينقل عن الملة وشرك لا ينقل عنها وهو الاصغر وهو شرك العمل كالرياء قال الله في الاكبر ومن يشرك بالله فكأنما خر من

السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح فى مكان سحيق وفى الاصغر فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا ومن الاصغر حديث من حلف بغير الله فقد أشرك لا يخرج عن الملة ولا يوجب له حكم الكفار ﴿فنقول﴾ أصل دين الله وقاعدته الذى بعث به رسله وأنزل به كتبه وشرع الجهاد لاجله وجعل الجنة والنار بسببه والذل والصغار على من خالفه انما هو أمران ﴿الاول﴾ توحيده سبحانه بالقيام بعبادته له تعالى وحده لا شريك له وهو اخلاصها بانواعها الجلاله وعظمته المختصة بالوهيته قال سبحانه وتعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وقال تعالى واعبدوا الله ولا تشركوا به شيأ وقال ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت وقال تعالى وقضى ربك ألا تعبدوا الا اياه وقال تعالى قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم أن لا تشركوا به شيأ والتحريض على ذلك والموالاة فيه وتكفير من تركه ﴿الثانى﴾ الكف عن الشرك والنهى والانذار عنه والتغليظ فيه والمعاداة به وتكفير من فعله والبراءة منه وعدم مودته وموالاته من دون الله وان كان قريبا من العشيرة قال الله سبحانه وتعالى ولقد أوحى اليك والى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين وقال تعالى ومن يشرك بالله فكانما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح فى مكان سحيق وقال تعالى ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وقال تعالى قد كانت لكم اسوة حسنة فى ابراهيم والذين معه اذ قالوا لقومهم انا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده * والمخالفة فى هذين الامرين ﴿أنواع﴾ أشدها المخالفة فى كليهما والخلق قد افترقوا فيهما فرقا ﴿فمنهم﴾ من عبد الله وحده لكنه لم ينكر الشرك وهو يعرفه ﴿ومنهم﴾ من أشرك ولم ينكر التوحيد ﴿ومنهم﴾ من أنكر الشرك لكنه لم يعاد أهله بل والاهم من دون المؤمنين أو جعل رتبتهم كرتبة أهل التوحيد محتجا بان الكل خلق الله ﴿ومنهم﴾ من عاداهم لدنيا أو عصبية لا لشركهم فلم يكفرهم ولم يعب عليهم فيه ﴿ومنهم﴾ من لم يحب التوحيد ولم يبغضه وانما هو تابع فيه غيره سمعت الناس يقولون شيأ فقلته ﴿ومنهم﴾ من أنكر ولم يعاد أهله ﴿ومنهم﴾ من عاداهم لمخالفتهم أهل الاهواء والتبع لهم مع عدم شعوره ولم يكفرهم (ومنهم) من كفرهم وأنكر التوحيد بعد أن عرفه وسبه وأهله ﴿ومنهم﴾ من لم ينكره لكنه كفر أهله الآمرين به والناهين عن ضده ﴿ومنهم﴾ من لم يبغض الشرك ولم يحبه لعدم تمييزه عن ضده ﴿ومنهم﴾ من لم يعرف الشرك من أصله فلم ينكره وفعله ﴿ومنهم﴾ من لم يعرف التوحيد وأنواع العبادات فلم يقل به مؤديا حقه ﴿ومنهم﴾ من قاله بلسانه ولم يعمل به ولم يعرف معناه فى قلبه ولا قدره ولم يعاد أهل الشرك ولم يكفرهم فهذه ثلاثة عشر فرقة كلها قد خالفت ما جاءت به الرسل من دين الله وتوحيده وأشدهم مخالفة من عرف بتوحيد الله ودينه فانكره وكفر أهله ثم من عرفه ولم ينكره لكنه كفر أهله وعاداهم ثم من قال التوحيد بلسانه ولم يعمل به فى اعتقاده ولم يعرفه ولا قدره ولم يسأل عنه أهل معرفته بل تسافه عنه مستغن برأيه ثم من جعل رتبة أهل الشرك كرتبة أهل التوحيد فهذا من أعظم الجور والبهتان فى حكمه حيث جعل المشركين فى رتبة الموحدين أم حسب الذين اجترحوا السيآت أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون ثم الباقى سواء فى المخالفة ﴿واعلم﴾ ان أمر الله تبارك وتعالى شرع شرعه وقدر قدره ولا يتم الايمان باحدهما الا بالآخر ولا يدرك أمره تعالى ليمتثل ويعمل به الا بتأمل معانى كتابه العزيز الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم

حميد قال تعالى كتاب أنزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الالباب ﴿ثم الشرك من حيث هو﴾ ينقسم الى أكبر غير مغفور والى أصغر لا يتقبله الملك الغفور فالاول ما يتعلق بذات المعبود وأسمائه وصفاته وأفعاله ومنه ما يتعلق بعباداته ومعاملاته مع اعتقاد انه سبحانه لا شريك له فى ذاته ولا فى صفاته ولا فى أفعاله * والذى يتعلق بذات المعبود وأسمائه وصفاته وأفعاله نوعان ﴿أحدهما﴾ شرك التعطيل وهو أقبح أنواعه كشرك فرعون اذ قال وما رب العالمين وقال لهامان ابن لى صرحا لعلى أطلع الى اله موسى وانى لاظنه من الكاذبين والشرك والتعطيل متلازمان فكل مشرك معطل وكل معطل مشرك لكن الشرك لا يستلزم أصل التعطيل بل قد يكون المشرك مقرا بالخالق سبحانه وسائر صفاته لكنه لما عطل أصل التوحيد الواجب على العبيد الذى لا ينبغى ولا يكون الا لله وحده فشرك فيه غيره صار مشركا بذلك وأصل الشرك وقاعدته التى يرجع اليها هو التعطيل ﴿وهو ثلاثة أقسام﴾ تعطيل المصنوع عن صانعه وخالقه وتعطيل الصانع سبحانه عن كماله المقدس بتعطيل أسمائه وصفاته وأفعاله وتعطيل معاملته تعالى عما يجب على العبيد من حقيقة التوحيد وهو اخلاص جميع أنواع العبادة والدين لله فاذا أشرك غير الله فى ذلك فقد أشرك شركا غير مغفور الا بالتوبة عنه وهذا المشرك مقر بالخالق وصفاته وأسمائه معطل لمعاملته المختصة بجلاله ولا يدخله فى الاسلام اقراره ولا ما نفى من الآلهة لسانه لتعطيله ما وجب عليه من حقيقة التوحيد بجعله ما يختص بجلال الله لغيره من العبادات المتأله بها من حملت له لاحظ المعنى فى ذلك الجاعل أو لم يلاحظه فاما تعطيل المصنوع عن صانعه وخالقه فهو كشرك الملاحدة القائلين بقدم العالم وأبديته وانه لم يكن معدوما أصلا بل لم يزل ولا يزال والحوادث بأسرها مستندة عندهم الى أسباب ووسائط اقتضت ايجادها يسمونها العقول والنفوس ومنه شرك طائفة أهل وحدة الوجود الذين يقولون ما ثم خالق ومخلوق ولا ههنا شيآن بل المنزه هو عين المشبه ومنه شرك القدرية القائلين بان الحيوان يخلق أفعال نفسه وانها تحدث بدون مشيئة الله ولهذا سماهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مجوس هذه الامة لان شرك المجوس اسناد حوادث الخير الى النور وحوادث الشر الى الظلمة وفى القرآن العزيز ما يرد عليهم كقوله تعالى والله خلقكم وما تعملون فالله هو الخالق للاشياء كلها والعبد مكتسب لا خالق وله اختيار فى أفعال نفسه لا تقع الا بهواه وميله اليها ولذلك يحاسب عليها مع كونها بتقدير الله وارادته فلا يحتج بالقدر لما فيه من الرد على منشئ البشر ﴿وأما محاجة آدم موسى﴾ فانما هى لتسليم الامر وله تعالى الحجة البالغة ولو شاء لهدى الناس أجمعين وهو تعالى حكم عدل لا يؤاخذ الا بالذنب ولا يعاقب الا عليه وله تعالى أن يجعل الخلق كلهم مذنبين فيعذبهم عدلا منه وله أن يجعلهم سعداء طائعين فيرحمهم فضلا منه وقد ركب سبحانه فى الانسان عقلا وجعل آلة الادراك يميز به الاشياء الضارة من النافعة فضلا منه تعالى ورحمة فهو لا يسئل تعالى عما يفعل وهم يسئلون وهو الملهم للخير والشر قال جل شأنه فالهمها فجورها وتقواها وقال ان هى الا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدى من تشاء وكل ميسر لما خلق له وعلى الانسان الاجتهاد فى طاعة خالقه ما استطاع وسؤال التوفيق والارشاد الى الصراط المستقيم ﴿وأما تعطيل﴾ الصانع سبحانه عن كماله المقدس بتعطيل أسمائه وصفاته وأفعاله فهو شرك الجهمية والقرامطة لم يثبتوا له تعالى اسما ولا صفة بل جعلوا المخلوق أكمل منه تعالى وتقدس عما يقول الظالمون علوا كبيرا اذ كمال الذات بأسمائها وصفاتها وأما تعطيل معاملته تعالى عما أوجبه تعالى على عبيده فهى قسمان قسم يخرج عن الملة وهو نفى تفرده تعالى بملك الضر والنفع

والعطاء والمنع والاستغاثة والقرب ودعاء العبادة والخوف المختص بجلاله المعلق على وجوده الايمان
والرجاء والالتجاء والتوكل وذبح القربان والانابة والخضوع والتوبة والاستعانة وهذا المشرك المعطل
قد ساوى التراب برب الارباب والعبيد بمالك الرقاب والفقير بالذات الضعيف بالذات العاجز
بالذات المحتاج بالذات الذى ليس له من ذاته الا العدم بالغنى بالذات القادر بالذات الذى غناه وقدرته
وملكه وجوده واحسانه وعلمه ورحمته وكماله المطلق التام من لوازم ذاته فلا ظلم أقبح من هذا
ولا حكم أشد جورا منه حيث عدل من لا عدل له بخلقه كما قال جل ذكره الحمد لله الذى خلق السموات
والارض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون وعطل حق الله تعالى المختص
بجلاله بجعله لغيره بمشاركته بين الله وبين عدوه فى محض حقه تعالى من الدعاء بما لا يقدر عليه الا من
أمر بسؤاله وتوعد على ترك طلب افضاله والاجلال والتعظيم والطاعة والذل والخضوع والخوف
والرجاء والالتجاء والتوكل وذبح القربان فقد أشرك بينه تعالى وبين أبغض الخلق اليه وأهونهم
عليه وأمقتهم عنده اذ هو عدوه على الحقيقة فان المشرك مطلقا انما عبد غير الله وما عبد من دون
الله الا شيطانا مريدا كما قال جل ذكره ألم أعهد اليكم يا بنى آدم أن لا تعبدوا الشيطان انه لكم
عدو مبين وأن اعبدونى هذا صراط مستقيم * ولما عبد المشركون الملائكة بزعمهم وقعت عبادتهم
فى نفس الامر للشيطان وهم يظنون أنهم يعبدون الملائكة كما قال عز وجل ويوم يحشرهم جميعا
ثم نقول للملائكة أهؤلاء اياكم كانوا يعبدون قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن
أكثرهم بهم مؤمنون فلا أحد كائنا ما كان يعبد غير الله الا وقعت عبادته للشيطان نفسه والذين
يدعو المشركين الى عبادته ويوهمهم انه ملك أو ولى وقد يتصور على صورة المستغاث به والمدعو
هو كثيرا ما يترا آى لاولياته ابليس للايهام والتلبيس فيزداد المشرك فى شركه بواسطة القبر او التمثال
رغبة ورهبة وكذلك عباد الشمس والقمر والكواكب يزعمون أنهم يعبدون روحانيات هذه
الكواكب وهى التى تخاطبهم وتقضى لهم الحوائج ولهذا اذا طلعت الشمس قارنها الشيطان فيسجد
لها الكفار فيقع سجودهم له وهكذا عند غروبها وكذلك من عبد المسيح وأمه وعزيرا والانبياء
والصالحين وتعلق عليهم يدعوهم ويرجوهم ويتوكل عليهم ويلتجئ اليهم ويتقرب لهم وينذر لهم
ليدفعوا عنه ضرا أو يجلبوا له خيرا فان ذلك كله واقع للشيطان نفسه لا لهم بل هم بريئون منه ومن
عبادته وسيتبرأ منهم يعنى انه يتبرأ من عبادته اياهم ويتمنى الكرة الى الحياة الدنيا ليعمل غير الذى كان
يعمل كما قال جل ذكره اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الاسباب
وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرؤا منا كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم وما هم
بخارجين من النار وهذا العابد يزعم انه يعبد من أمره بعبادتهم ورضيها لهم وأمرهم بها فهم يقربونه
اليه وهذا هو الشيطان الرجيم لا عبد الله أو رسوله أو نبيه أو وليه فنزل هذا كله على قوله تعالى ألم
أعهد اليكم يا بنى آدم ان لا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين وان اعبدونى هذا صراط مستقيم
فيستمتع هذا العابد بالمعبود كما يستمتع المعبود بالعابد قال عز من قائل ويوم نحشرهم جميعا يا معشر
الجن قد استكثرتم من الانس أى من اغوائهم واضلالهم وقال أولياؤهم من الانس ربنا استمتع بعضنا
ببعض وبلغنا أجلنا الذى أجلت لنا قال النار مثواكم خالدين فيها الا ما شاء الله ان ربك حكيم عليم
ومن أجل ذلك كان الشرك بالله أكبر الكبائر على الاطلاق وانه تعالى لا يغفر ان يشرك به بغير توبة منه

وكف عنه وانه يوجب الخلود فى النار والنار وبئس تحريه وقبحه بمجرد النهى عنه بل قبحه مستقر فى العقول السليمة فوق كل قبيح * يوضح هذا ان العابد معظم متأله خاضع ذليل له خائف منه والرب تبارك وتعالى وحده هو الذى يستحق التأله بكمال التعظيم والاجلال والخضوع والذل والخوف والرجاء والالتجاء والتوكل والدعاء بما لا يقدر على وجوده أو دفعه الا هو تبارك وتعالى وذبح القربان وحلق الرأس عبودية وتواضعا هذا خالص حقه سبحانه فمن أقبح الظلم ان يعطى حقه لغيره أو يشرك بينه وبين غيره فيه ولا سيما اذا كان الذى جعل شريكه فى حقه هو عبده ومملوكه كما قال تعالى ضرب لكم مثلا من أنفسكم هل لكم مما ملكت أيمانكم من شركاء فيما رزقناكم فأنتم فيه سواء الآية أى اذا كان أحدكم يأنف من ان يكون مملوكه شريكه فى رزقه الذى جعلته له فكيف تجعلون لى من عبيدى شركاء فيما أنا منفرد به وهو الالوهية التى لا تنبغى لغيرى ولا تصلح لسواى فمن زعم ذلك فلا قدرنى حق قدرى ولا عظمنى حق تعظيمى ولا أفردنى فيما أنا منفرد به وحدى وقال جل ذكره يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب أى العابد والمعبود وهذا حال كل من جعل عبادة الله المختصة بجلاله وعظمته لغيره فهو ضعيف هو ومعبوده اذ الكل فقير الى الله محتاج اليه كما قال تعالى يا أيها الناس أنتم الفقراء الى الله والله هو الغنى الحميد فاعتماد العبد على المخلوق ودعاؤه اياه بما لا يقدر عليه الا الله وتوكله عليه يوجب له الضرر من جهته هو ولا بد فالحاصل له عكس ما أمله منه فلا بد من الخذلان كما هو ثابت بالسنة ونص القرآن ومعلوم بالاستقراء والتجاريب قال تعالى واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا وقال تعالى واتخذوا من دون الله آلهة لعلهم ينصرون لا يستطيعون نصرهم وهم لهم جند محضرون قال ابن عباس رضى الله عنهما أى يغضبون لهم ويحاربون كما تغضب الجند وتحارب عن أصحابهم وهم لا يستطيعون نصرهم بل هم كل عليهم كذلك كل بنية على قبر كل على عابديها وسادنيها المعتقدين الضر والنفع والتقريب والتبعيد بما فيها لوضعهم التوابيت وتغشيتها بالستور وايقاد السرج وفتح الباب وغلقه عن اصل القبور والهتف بذكره عند الشدائد وبذل النذور ليدفع ما حل بهم من البؤس والشرور قال سبحانه وتعالى فلا تدع مع الله الها آخر فتكون من المعذبين وقال تعالى لا تجعل مع الله الها آخر فتقعد مذموما مخذولا وقال تعالى وما ظلمناهم ولكن ظلموا أنفسهم فما أغنت عنهم آلهتهم التى يدعون من دون الله من شئ لما جاء أمر ربك وما زادوهم غير تتبيب أى غير تخسير ولما كان المشرك يرجو بشركه النصر تارة والتقرب أخرى والحمد والثناء تارة والشفاعة له أخرى أخبر سبحانه وتعالى ان مقصوده ينعكس عليه فلم يحصل له الا الخذلان والذم وحرمان ما أمله قبل لعدم الرضا عنه ولا يشفعون الا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون وكما يستحيل على ذاته تعالى العدم يستحيل عليه ان يشرع عبادة الى غيره كما يستحيل عليه ما يناقض أوصاف كماله ونعوت جلاله وكيف يظن فيما تفرد بالربوبية والالوهية والعظمة والجلال ان يأذن فى مشاركته فى ذلك أو يرضى به تعالى عن ذلك علوا كبيرا فان من خصائص الالهية التفرد بملك الضر والنفع والعطاء والمنع والاستغاثة والقرب والكمال المطلق من جميع الوجوه الذى لا نقص فيه بوجه من الوجوه وذلك يوجب ان تكون العبادة كلها بأنواعها له تعالى مختصة بجلاله لكن هذا انما ينشأ من نتيجة العبودية التى قامت على ساقين لا قوام لها بدونهما وهما غاية الحب مع غاية الذل وهو

تمامها وتفاوت منازل الخلق فيها بحسب تفاوتهم في هذين الاصلين فمن أعطى حبه وذله وخضوعه لغير الله فقد شبهه به في خالص حقه وهذا من المحال ان تجيء به شريعة من الشرائع بل قبحه مستقر في كل فطرة وعقل لكن غيرت الشياطين فطر أكثر الخلق وعقولهم وأفسدتها عليهم واحتالتهم عنها ومضى على الفطرة الاولى من سبقت له من الله الحسنى فقد أرسل تعالى رسله وأنزل كتبه بما يوافق فطرهم وعقولهم فازدادوا بذلك نورا على نور يهدي الله لنوره من يشاء بخلاف من أعطى حبه وخضوعه لغير الله فهو في ظلمة الضلال تالله ان كنا لفي ضلال مبين اذ نسويكم برب العالمين وهم لم يسووهم به في الخلق والرزق والتدبير والضر والنفع انما سووهم به في الحب والذل والخضوع ايقربوهم الى المولى على خلاف ما هو مشروع قال تعالى والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ومن كان في هذه الظلمات فلا ينظر الى الآفات في جميع الاوقات ولا يعرف الطريق الموصل الى الآيات البينات فليس له تأمل ولا تدبر ولا تذكر ولا تفكر فيما يحبه ولا مخافة مما يرديه قد غره الامل وصار كما قال عز وجل ان هم الا كالانعام بل هم أضل ﴿النوع الثاني﴾ من الشرك الذي يتعلق بذات المعبود شرك النصارى الجاعلين معه الها آخر لكنهم لم يعطلوا أسماء الرب ولا صفاته ولا ربوبيته بل جعلوه ثالث ثلاثة فجعلوا المسيح الها وأمه الها انما جعلوا ذلك لان أول الانجيل باسم الأب والأم والابن كما ان أول القرآن بسم الله الرحمن الرحيم فظنوا ان الأب والام والابن عبارة عن الزوج ومريم وعيسى فحينئذ قالوا ان الله ثالث ثلاثة ولم يعلموا ان المراد بالأب هو الاسم وبالام كنية الذات المعبر عنها بماهية الحقائق وبالابن الكتاب وهو الموجود المطلق لانه فرع ونتيجة عن ماهية إما في اللوح المحفوظ واليه أشار قوله تعالى وعنده أم الكتاب ومنه شرك عباد الشمس والنار وغيرهم فمن هؤلاء من يزعم ان معبوده هو الاله على الحقيقة ومنهم من يزعم أنه أكبر الآلهة ومنهم من يزعم انه اله من جملة الآلهة وانه اذا خصه بعبادته والتبتل اليه أقبل عليه واعتنى به ومنهم من يزعم ان معبوده الادنى يقربه الى المعبود الذي هو فوقه حتى تقربه تلك الآلهة الى الله عز وجل فتارة تكثر تلك الآلهة الى الله عز وجل وتارة تكثر تلك الوسائط المتخذة وسيلة الى المقرب وتارة تقل فهم قد جعلوا الشرك سببا في تحصيل بعض مقاصدهم وكل سبب لم يأذن به الله باطل مضر لمتخذه فلا يتعاطى واذا حقق المؤمن ان الله سبحانه رب كل شيء وخالقه ومليكه فانه لا ينكر ما خلقه الله تعالى من الاسباب كما جعل المطر سببا للنبات قال الله تعالى وأنزل من السماء ماء فأحيا به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة والشمس والقمر سببا لما يخلقه بهما والدعاء سببا لما يحصل للمدعو له أو عليه والدواء سببا لذهاب الداء وقد نبه على ذلك النبي صلى الله عليه وسلم بقوله لم ينزل الله داء الا أنزل له شفاء يعني دواء علمه من علمه وجهله من جهله رواه الامام أحمد في مسنده من حديث أسامة بن شريك عن النبي صلى الله عليه وسلم وفي لفظ ان الله لم يضع داء الا وضع له دواء أو شفاء الا داء واحدا قالوا يا رسول الله وما هو قال الهرم وهذا يعم داء القلب والروح والبدن وأدويتها فقد أرشد صلى الله عليه وسلم العرنيين لما شكوا له الوخم ووجع البطن أن يلحقوا ابل الصدقة فيشربوا من أبوالها وألبانها وجعل الجهل داء ودواؤه سؤال العلماء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قصة صاحب الشجة قتلوه قتلهم الله الا سألوا اذ لم يعلموا فانما شفاء العي السؤال كما ان وجود الداء سببا لألم روى مسلم في صحيحه من حديث سهل بن حنيف عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال العين حق ولو أن

شيأ سابق القدر لسبقته العين واذا استغسلتم فاغسلوا وكذا السحر قال تعالى ويتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه فهو سبب لألم الفؤاد ويوجب البغضاء والفرقة بين الزوجين والنار سبب للاحراق والسكين سبب للقطع والحبل سبب لاظهار الماء فى الدلو وأكل الطعام سبب لذهاب ألم الجوع وشرب الماء سبب لذهاب ألم العطش والكدح بالاجتهاد فى تحصيل العلم سبب للفهم والمتاجرة بالمال سبب لفائدة الربح وطاعة الله سبب لرضائه ورحمته ومعصيته سبب لسخطه وانتقامه فالاسباب المنصوص عليها لاتنكر ولايتكل عليها اذ فى انكارها نقص فى العقل وفى الاتكال عليها شرك فى الدين وكل من الانكار والاتكال منتف شرعا لكن قد يتخلف المسبب عنه مع قيام السبب اذ الضار والنافع والمعطى والمانع هو الله وحده قال تعالى وما هم بضارين به من أحد الا باذن الله وقال تعالى وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى وكتخلف احراق النار عن ابراهيم عليه السلام حين وضع فيها وحدة السكين حين أمرها الخليل على حلقوم ولده اسماعيل عليهما السلام ولامحيص عن الاخذ فى الاسباب فليس المتوكل من فتح للسارق الباب ولا من قال انا متوكل أستغنى عن الطعام والشراب قال أفضل الاحباب لمن سأل أيعقل الناقة أم يتكل اعقلها وتوكل وأفضل المتوكلين أشدء اداالله حرصا على فعل الأسباب فقد أمر باطفاء السراج والتسمية واغلاق الابواب ونفض الفرش وطى الثياب وحفظ الصبيان أول الليل لانتشار الشياطين وهذا الباب لايحصيه العادون من سنن المرسلين فالاخذ فيها لاينافى التوكل لانه الانقطاع عن جميع الخلق وتفويض الامور الى الملك الحق وحده * وحينئذ فلابد أن يعرف فيها ثلاثة أمور ﴿أحدها﴾ انها لاتستقل بالمطلوب بل تتعاطى عن غير ركون اليها ومع هذا فلها موانع فان لم يكمل الله الاسباب ويدفع الموانع لم يحصل المقصود وهو سبحانه ماشاء كان وان لم يشأ الخلق وما لم يشأ لم يكن وان شاءه الخلق الثانى انه غير جائز اعتقاد ان الشئ سبب الا بعلم فمن أثبت شيأ سببا بلا علم أو بما يخالف الشريعة كان مبطلا فى اثباته آثما فى اعتقاداته ﴿الثالث﴾ ان الاعمال الدينية لايجوز أن يتخذ شئ منها سببا الا أن يكون مشروعا اما استحبابا أو مأذونا فان العبادات مبناها على التوقيف فلايجوز للانسان أن يشرك بالله مالم ينزل به سلطانا وان يقول على الله بلا علم فيدعو غير الله بما لا يقدر عليه الا هو سبحانه وتعالى وان ظن أن ذلك سبب فى حصول غرضه لاعتقاده ان ذلك المدعو يشفع له فيما دعاه فيه لانه جنس ما اعتقده الاولون فى آلهتهم وكذلك لايجوز ان يعبد الله بالبدع المخالفة للشريعة وان ظن ان ذلك سبب فى حصول مايطلبه من اغراض دنيا أو ثواب آخرة على زعم اعتقاده فان الشياطين قد تعين الانسان على بعض مقاصده اذا أشرك وقد يحصل له بالكفر والفسوق والعصيان بعض أغراضه فلا يحل له ذلك اذ المفسدة الحاصلة بذلك أعظم من المصلحة الحاصلة به والرسول صلى الله عليه وسلم انما بعث لتحصيل المصالح وتكميلها وتعطيل المفاسد وتقليلها فما أمر الله به فمصلحته راجحة وما نهى عنه فمفسدته راجحة ومن لم يجعل الله له نورا فماله من نور ﴿ومن ذلك﴾ قول المحرمات وقول السحريات ليتوصل بها الى تحصيل شئ من أمتعة الدنيا أو القرب لدى ملك من ملوكها قال تعالى واجتنبوا قول الزور حنفاء لله غير مشركين به وكل شرك زور ولاعكس وقال تعالى ولاتركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار ﴿ومنه﴾ التداوى بالمحرمات مطلقا فلم يجعل الله الشفاء فيما حرمه بل نزعه عنه وأوهنه والبدع التى ليست من شريعة الاسلام فى شئ بل هى من شعب الشرك الظاهرة كاتربة أضرحة القبور

لايحل استعمالها أدوية ولا تعاطيها لما فى استعمالها من الاعتقادات الباطلة والمفاسد فى الدين الظاهرة فهى أشبه مافعله المشركون الاولون بآلهتهم من تعظيم الاصنام والتبرك والتمسح بها فى كل مشهد خاص وعام ﴿ومنه﴾ مااعتنى به بعض الاغبياء الجهال وعوام الضلال دعوتهم بدعاء عجيشا وعشيشا ودعوتهم فى الشدائد باسماء أصحاب الكهف وشمخ وغيرهم وبالدعوات المجهولات يزعمون ان هذه من الاسماء العظام والادعية المستجابات وانه من الانجيل والتوراة فكل هذا من تلبيس ابليس على هؤلاء الجند الذين اختاروه واختارهم فلسنا ملتزملين فى شريعتنا ملة الاسلام بتلك الادعية فى الصباح والمساء ولم يقل بها أحد من العلماء الادباء بل الأغبياء السفهاء من القصاص اختاروها للتغرير بالعوام وجمع الحطام فلم يعاملوا الله بالاخلاص قال الله تعالى ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وأما الأسماء المنهى عنها فان الشيطان يظهر تأثيرات ويورى تلبيسه فيها منافع ظاهرا فى أكثر الاحيان وهى حسرات بل قد يكون التلفظ بتلك الكلمات كفرا لايعرف معناها بالعربية قال تعالى مافرطنا فى الكتاب من شئ وكل واسطة أو وسيلة نهى الشارع عنها لايجوز اتخاذها فى جلب نفع أو كشف ضر قال سبحانه وتعالى ولاتدع من دون الله مالا ينفعك ولايضرك الآية وقال تعالى وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وقال تعالى فلاتدعوا مع الله أحدا قال قتادة كانت اليهود والنصارى اذا دخلوا كنائسهم وبيعهم أشركوا فأمر الله المسلمين ان يخلصوا له الدعوة اذا دخلوا مساجدهم وقال سعيد بن جبير المساجد الاعضاء التى يقع عليها السجود مخلوقة لله فلا تسجدوا عليها لغيره والاعضاء التى يستعمل بها الانسان ومن جملتها اللسان الذى هو ترجمان الجنان فى كل مايريد ابداءه من خير ينفعه أو ضر يضره قال تعالى له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لايستجيبون لهم بشئ الا كباسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه وماهو ببالغه وما دعاء الكافرين الا فى ضلال وقال تعالى من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه أى لا أحد فلا يدانيه سبحانه أحد ولا يستقل سواه تعالى بما أراده ولايعطى لما منعه فهذه الاسباب التى تتخذ وسائط و وسائل فى الجلب والدفع اللذين لايقدر عليهما الا الله وحده منفية بالآيات القرآنية والاحاديث النبوية الا أسبابا وردت عن الله أو رسوله كالتوحيد والصلاة بحضور قلب وخشوع وذل وانكسار والدعاء والاستغفار بعد الاقلاع عن الذنب والندم على فعله والعزم على ان لايعود اليه والاعمال الصالحة من صدقة وصلة رحم وطاعة الله وتقواه فهى الاسباب فى جلب الخير ودفع الشر كما صرح به القرآن والسنة ﴿القسم الثانى﴾ من قسمى تعطيل معاملته تعالى وتقدس مالا يخرج عن الملة ولايوجب له حكم الكفار بل ينهى فاعله و يؤدب عليه وهو الشرك الاصغر فمنه الرياء والسمعة يقطع النظر عن صحة العبادة اذ اخلاص النية شرط لصحتها وهو يصدر ممن يعتقد و يقول لااله الا الله وانه لايضر و ينفع ويعطى ويمنع الا الله وحده ولكن لايخلص فى معاملته وعبوديته بل يعمل لحظ نفسه تارة ولطلب الدنيا تارة ولطلب الرفعة والمنزلة والجاه عند الخلق تارة فلله من عمله وسعيه نصيب ولنفسه وحظه وهواه نصيب وللشيطان نصيب وهذا حال أكثر الناس زيادة عن الاول وهو الشرك الذى قال فيه النبى صلى الله عليه وسلم فيما رواه ابن حبان فى صحيحه الشرك فى هذه الامة أخفى من دبيب النمل قال أبو بكر رضى الله عنه كيف يارسول الله ننجو منه قال قل اللهم انى أعوذ بك ان أشرك بك شيأ وأنا أعلم وأستغفرك لما لا أعلم فالرياء كله شرك قال تعالى آمرا نبيه صلى الله عليه وسلم قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الى انما الهكم

اله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا أى كما أنه اله واحد لا اله سواه كذلك ينبغى أن تكون العبادة له وحده فكما تفرد بالالوهية يجب أن يفرد بالعبودية وفى صحيح مسلم عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال قال الله عز وجل أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا أشرك فيه معى غيرى تركته وشركه وفيه أيضا عن أبى سعيد مرفوعا ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندى من المسيح الدجال قالوا بلى يا رسول الله قال الشرك الخفى يقوم الرجل فيصلى فيزين صلاته لما يرى من نظر رجل اليه فالعمل الصالح هو الخالى من الرياء المقيد بالسنة وكان من دعاء عمر بن الخطاب رضى الله عنه اللهم اجعل عملى كله صالحا واجعله لوجهك خالصا ولا تجعل لاحد فيه شيأ وهذا الشرك يبطل الثواب من أصله أو العمل أيضا لما تقدم فمن أراد بعمله غير وجه الله أو نوى شيأ غير التقرب اليه وطلب الجزاء منه فقد أشرك فى نيته وارادته والاخلاص هو أن يخلص لله فى أقواله وأفعاله وارادته ونيته فهذه هى حقيقة ملة ابراهيم التى أمر الله بالقيام بها عباده كلهم ولا يقبل من أحد غيرها وهى حقيقة الاسلام ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين وهى ملة ابراهيم التى من رغب عنها فهو من أسفه السفهاء لأنه قد هان عليه أمر خالقه فعصاه ونهيه فارتكبه وحقه فنسيه وذكره فأهمله وغفل قلبه عنه فكان هواه آثر عنده من رضاه وطاعة المخلوق أهم عنده من طاعة مولاه فيجعل لله الفضلة من قلبه وقوله وعمله وسواه المقدم فى ذلك لانه المهم عنده يستخف بنظر الله اليه واطلاعه عليه وهو فى قبضته وناصيته فى يده ويعظم نظر المخلوق اليه واطلاعه عليه بكل قلبه وجوارحه يستحى من الناس ولا يستحى من الله ويخشى الناس ولا يخشى الله ويعامل الخلق بأفضل ما يقدر عليه وان عامل الله عامله بأهون ما عنده وأحقره وان قام فى خدمة الهه من البشر قام بالجد والاجتهاد وبذل النصيحة وقد فرغ له قلبه وجوارحه وقدمه على كثير من مصالحه حتى اذا قام فى حق ربه ان ساعده القدر قام قياما لا يرضى مثله مخلوق وبذل من ماله ما يستحى ان يواجه به مخلوق لمثله واذا هو أجهل الجاهلين وأمقت الممقوتين وأظلم الظالمين وأهلك الهالكين ممن عصى ربه من العاصين ﴿ومنه الحلف﴾ بغير الله رواه الامام أحمد وأبو داود من حديث ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال من حلف بغير الله فقد كفر وأشرك رواه الترمذى وقال هذا حديث حسن قال وفسر أهل العلم هذا الحديث ان قوله كفر وأشرك على التغليظ فيكون الشرك الاصغر قال ابن مسعود وغيره لان أحلف بالله كاذبا أحب الى من أن أحلف بغيره صادقا وانما قال ذلك لان حسنة التوحيد أعظم من حسنة الصدق وسيئة الكذب أسهل من سيئة الشرك ﴿ومنه﴾ قول القائل للمخلوق ماشاء الله وشئت كما ثبت عنه صلى الله عليه وسلم انه قال له رجل ماشاء الله وشئت فقال صلى الله عليه وسلم أجعلتنى لله ندا قل ماشاء الله وحده هذا مع ان الله قد أثبت للعبد مشيئة كان تعالى لمن شاء منكم ان يستقيم فكيف بمن يقول أنا متوكل على الله وعليك وأنا فى حسب الله وحسبك وما لى الا الله وأنت وهذا من الله ومنك أو من بركات الله وبركاتك والله لى فى السماء وأنت لى فى الارض أو يقول والله وحياة فلان أو أنا تائب الى الله والى فلان وأرجو الله وفلانا ونحو ذلك فوازن بين هذه الالفاظ وبين قول ذلك القائل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ماشاء الله وشئت ثم انظر أيهما أفحش يتبين لك ان قائلها أولى بجوابه صلى الله عليه وسلم لقائل تلك الكلمة وانه اذا كان قد جعله لله ندا بها فقد جعل من لا يدانى

رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شئ من تلك الاشياء بل لعله ان يكون من أعدائه نداً لرب العالمين وفى مسند الامام أحمد أن رجلا أتى به قد أذنب ذنبا وهو أسير فلما وقف بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم قال اللهم انى أتوب اليك ولا أتوب الى محمد فقال النبى صلى الله عليه وسلم عرف الحق لاهله ونحن لم نكفر الناس ونجاهدهم بهذا القسم الثانى بل بالاول وعليه فانه أمر مجمع عليه مع أنهم هم الذين بدؤنا بالجهاد ليرجعونا عما كان عليه النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه من الدين القويم الذى هو المراد الى ما كنا عليه أولا من أنواع الباطل والفساد زاعمين ان اليهود والنصارى أحف شرا منا ومن مال الينا ونحن انما ندعوا الى العمل بالقرآن العظيم والذكر الحكيم الذى فيه كفاية لمن اعتبر وتدبر وبعين بصيرته نظر وفكر فانه حجة الله وعهده ووعيده ووعده وأمانه ورفده ومن تبعه عاملا بما فيه جد جده وعلا مجده وبان رشده وبان سعده والتوحيد ليس هو محل الاجتهاد فلا تقليد فيه ولا عناد ﴿وأما قولكم وكذلك المنافق نفاقا فان نفاق اعتقاد ونفاق عمل فنفاق الاعتقاد هو الذى ذكر الله ان أهله فى الدرك الاسفل من النار وهو كثير فى القرآن ونفاق العمل كما فى الحديث الصحيح آية المنافق ثلاث اذا حدث كذب واذا وعد أخلف واذا ائتمن خان وفى بعضها أربع بزيادة واذا خاصم فجر فهذا نفاق عملى مجتمع مع أصل الايمان﴾ فنقول هذا الحديث الذى خرج فى الصحيح ليس فيه بحمد الله اشكال ولكن اختلف فى معناه والذى قاله المحققون والاكثرون وهو الصحيح المختار عند أهل السنة والجماعة كما حكاه شراح الحديث ان هذه الخصال خصال نفاق وصاحبها شبيه بالمنافقين فى هذه الخصال متخلق بأخلاقهم فان النفاق اظهار ما يبطن خلافه وهذا المعنى موجود فى صاحب هذه الخصال ويكون نفاقه فى حقه من حدثه ووعده وائتمنه وخاصمه وعاهده من الناس لا أنه منافق فى الاسلام ويظهره وهو يبطن الكفر ولم يرد النبى صلى الله عليه وسلم بهذا انه منافق نفاق الكفار المخلدين فى الدرك الاسفل من النار فقوله صلى الله عليه وسلم فى الحديث الآخر الذى رواه مسلم كان منافقا خالصا معناه شديد الشبه بالمنافقين بسبب هذه الخصال قال بعض العلماء وهذا فيمن كانت هذه الخصال غالبة عليه فاما من يندر ذلك منه فليس هو داخلا فيه فهذا هو المختار فى معنى الحديث وقد نقل الامام أبو عيسى الترمذى معناه عن العلماء مطلقا فقال انما معنى هذا عند أهل العلم نفاق العمل وقال جماعة من العلماء المراد به المنافقون الذين كانوا فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم فحدثوا بايمانهم فكذبوا وائتمنوا على دينهم فخانوا ووعدوا فى أمر الدين ونصره فأخلفوا وفجروا فى خصوماتهم ومن كانت حاله كذلك فهو منافق حقا وهذا قول سعيد بن جبير وعطاء بن أبى رباح وقد رجع اليه الحسن البصرى رحمه الله بعد أن كان على خلافه وهو مروى عن ابن عباس وابن عمر رضى الله عنهم وروياه أيضا عن النبى صلى الله عليه وسلم بمعناه قال القاضى عياض واليه مال كثير من أئمتنا وحكى الخطابى قولا آخر معناه التحذير للمسلم أن يعتاد هذه الخصال التى يخاف عليه بها ان تفضى به الى حقيقة النفاق وحكى الخطابى أيضا عن بعضهم ان الحديث ورد فى رجل بعينه منافق وكان النبى صلى الله عليه وسلم لا يواجههم بصريح القول فيقول فلان منافق وانما يشير اشارة كقوله صلى الله عليه وسلم ما بال أقوام يفعلون كذا وقوله صلى الله عليه وسلم فى الرواية الاولى التى رواها مسلم فى صحيحه أربع من كن فيه كان منافقا وفى الرواية الثانية آية المنافق ثلاث لا منافاة بينهما فان الشئ الواحد قد يكون له علامات كل واحدة منها تحصل بها صفته ثم قد

تكون

تكون تلك العلامة شيأ واحدا وقد تكون أشياء ومعنى قوله واذا عاهد غدر داخل فى معنى واذا ائتمن خان لان العهد أمانة ومعنى قوله واذا خاصم فجر أى مال عن الحق وقال الباطل والكذب قال أهل اللغة وأصل الفجور الميل عن القصد ومعنى آية المنافق أى علامته ودلالته فمنه يعلم ان كفر عمل الجوارح ونفاق عملها ليس مما نحن فيه انما القصد الكلى والفائدة العظمى لمن عقلها عمل القلب وهو اعتقاده وقبوله لما جاء عن الله وأرسل به محمدا عبده ورسوله من ان الدين كله لله قال تعالى وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله وقد أجمع الصحابة ومن بعدهم رضى الله عنهم ان المراد بالفتنة هنا الشرك ونحن لم نؤم الا اليه ولم نجاهد الا عليه ﴿وأما قولكم﴾ فقد عرفت من هذا كله ان ما يفعله العوام من دعاء الاولياء والهتف بهم عند الشدائد والطواف بقبورهم وتقبيل جدرانهم والنذر لهم بشئ من أموالهم هو من الكفر العملى لا الاعتقادى فانهم مؤمنون بالله وبرسوله وباليوم الآخر لكن اعتقدوا ان هؤلاء عباد الله الصالحين ينفعون ويشفعون ويضرون جهلا منهم كما اعتقد أهل الجاهلية ذلك فى الاصنام لكن فرق ما بين الفريقين فان هؤلاء يثبتون التوحيد لله لا يجعلون الاولياء شركاء له تعالى وأولئك قد جعلوا الاصنام شركاء له فاولئك كفرهم كفر اعتقاد وهؤلاء أعنى ضعفة العقول من العوام الموحدين لله معترفين بتوحيده ومصدقو الرسول بجميع ما جاء به من عذر به وحكم أولئك من القتل والسبى وأما هؤلاء فالواجب على العلماء وعظهم وتعريفهم وتفهيمهم جهالتهم وزجرهم عن فعلهم ذلك لو أصروا عليه بعد ذلك ولو بالتعزير البليغ والضرب الشديد كما أمرناهم بحد الزانى والسارق وشارب الخمر ولا يخرجون به عن الملة ويدل على ما قلناه دلالة صريحة قوله صلى الله عليه وسلم فى الحديث الصحيح عنه أربع فى أمتى من عوراء الجاهلية لا يتركونهن الفخر فى الاحساب والطعن فى الانساب والاستسقاء بالنجوم والنياحة على الميت أخرجه مسلم فى صحيحه من حديث ابى مالك الاشعرى فهم مع اتيانهم بهذه الخصال الجاهلية اضافهم الى نفسه ولم يخرجهم عن أمته فقال فى أمتى ﴿فنقول هذا تفريع على ما تقدم من تقسيم الكفر الى كفرين والنفاق الى نفاقين أى لما انقسم الكفر الى عملى واعتقادى وميزناهما علمنا ان ما يفعله العوام من دعاء الاولياء والهتف بهم عند الشدائد من الكفر العملى لا الاعتقادى وعلله بانهم مؤمنون بالله وبرسوله وباليوم الآخر وبانهم لم يجعلوا الاولياء شركاء لله ثم أثبت لهم الاعتقاد الذى نتيجته عين ما نفاه أولا عنهم فهو سببه ولا ينشأ الا منه وهو قوله لكن اعتقدوا ان هؤلاء عباد الله الصالحين ينفعون ويشفعون ويضرون جهلا منهم كما اعتقد أهل الجاهلية ذلك فى الاصنام وهل هذا الا تناقض فيما قاله ونفاه وتناقض فيما اعترض به وادعاه وتعاكس فيما فرعه وعناه وتشاكس فى تعليله ونحواه *وذلك من وجوه ﴿أحدها﴾ اثباته عين ما نفاه أولا فقال انهم اعتقدوا اعتقاد أهل الاصنام فيها ﴿الثانى﴾ انه جعل هذا الاعتقاد كفرا عمليا يعنى به عمل الجوارح الظاهرة لان كلامه فيما تقدم بذكر عمل القلب ﴿الثالث﴾ جعله الدعاء والهتف ليسا نتيجة الاعتقاد بل يصدران ممن اعتقاده منحصر فى الله وهو يدعو غيره ويلتجئ اليه فيما لا يقدر عليه الا الله وحده ويهتف بذكره عند الشدائد وغيرها ليجاب له أو يدفع عنه وهو لا يعتقد فيه القدرة على شئ مما طلبه منه وهذا محال ان يطلب أحد غيره شيأ أو يدعوه منه وهو يعلم ويعتقد انه لا يقدر عليه ولا يوصل مطلوبه ومقصوده اليه وصريح كلامه متناقض فى ذلك فانه قال لكن اعتقدوا ان هؤلاء عباد الله الصالحين ينفعون ويشفعون ويضرون

بعد قوله هو من الكفر العملي لا الاعتقادي ﴿الرابع﴾ زعمه اسقاط التكاليف والعذر بالجهل بعد بلاغ الدعوة وانتشارها كما لو لم تكن ﴿الخامس﴾ نفيه الشرك عن معتقد النفع والضر والعطاء والمنع في غير الله حيث لم يصرح بان هذا الضار والنافع والمعطي والمانع شريك لله كتصريح الاولين بالشريك معه تعالى ولم يعلم ان قصد الاولين بالشريك من حيث انه يشفع لهم عند الله بما أراد وامنه ويعطي ويمنع بامره تعالى ما طلبوه ولذلك قالوا في تلبيتهم الا شريك هو لك تملكه وما ملك فهم يزعمون انه شريكه في عبادته ومعاملته لا في تدبيره وارادته ونفي هذا الشريك باللسان واعتقاد معناه في الجنان لا يوجب نفيه حقيقة ولا انه شريك له تعالى في ملكه وخلقه أو رزقه العباد أو تدبيره الامور هذا لم يقولوا به بل صرحوا بان ذلك كله لله وحده كما قررهم به وعرفهم بنعمته قال تعالى قل من يرزقكم من السماء والارض أمن يملك السمع والابصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الامر فسيقولون الله وقال تعالى قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون سيقولون لله ولا انه شريك له يملك الضر والنفع قال تعالى قل من بيده ملكوت كل شئ وهو يجير ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون سيقولون لله وقال تعالى قل أرايتكم ان أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة أغير الله تدعون ان كنتم صادقين بل اياه تدعون وهم كانوا يدعون الله وحده عند نزول الشدة ويخلصون له فيها الدعوة قال تعالى مخبرا عنهم بذلك واذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين فالدعوة التي أشركوا فيها غيره ليتوصلوا به في قضائها اليه هي الشرك الموجب لسخطه وغضبه والخلود في عذابه والدعوة المختصة بجلاله المسؤولة من نيل افضاله المخاطب بها عين كمال ذاته هي الدين الخالص الذي أمر به ووعد عليه الاجابة والانابة لكن من قدر عليه الشقاء فالاول حاله حتى ان تصيبه الشدة فيخلص لله الدعوة فاذا استجاب الله دعاءه وأنعم عليه مولاه جاءته الاستحالة واذا أنعمنا على الانسان أعرض ونأى بجانبه واذا مسه الشر فذو دعاء عريض ومن وفق الانصاف بالاخلاص رأى وشاهد بحديقة عين رأسه وبصيرة عين جنانه وتأمل بقلبه أحوال هؤلاء المدعين الايمان مع أحوال الاولين وجدهم في أصل دين واحد ومعناه متفقين وفي تركه جملة مختلفين اذ الاولون يشركون تارة ويخلصون أخرى التي هي للدعاء أولى وأما هؤلاء فانهم أكثر شركا في هذه التي هي محل الاخلاص لملك الناس زيادة على التي قبلها من عدم حصول الشدة والباس ﴿السادس﴾ انه قد زعم ان مجرد التصديق بالله وبرسله وباليوم الآخر هو معنى التوحيد المقصود من لا اله الا الله وان ليس لها من المعنى الا ذلك فظن ان معناها خاص بتوحيد الربوبية وأن الله خالق كل شئ ومرسل الرسل ومنزل الكتب ومحي ومميت ومجاز بالاعمال وهذا هو الذي يسمونه أهل الكلام توحيد الافعال حتى قد غلط في مسمى التوحيد طوائف من أهل النظر والكلام وأهل الارادة والعبادة فقلبوا حقيقته عن موضوعه فطائفة ظنت ان التوحيد هو مجرد اقرار لسان العبد بربوبيته تعالى وانه خالق كل شئ وانه على كل شئ وكيل وطائفة ظنت ان توحيد الربوبية هو الغاية والفناء فيه هو النهاية وان من شهد ذلك سقط عنه استحسان الحسن واستقباح القبيح فآل بهم الامر الى تعطيل الامر والنهي والوعد والوعيد ولم يفرقوا بين مشيئة الله الشاملة لجميع المخلوقات وبين محبته ورضاه المختصة بالطاعات وبين كلماته الكونيات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر وما جمعهم في ذلك الا شمول القدر كل مخلوق وكلماته الدينيات التي اختص بموافقتها أنبياؤه وأولياؤه وطائفة ظنت ان التوحيد هو نفي

الصفات بل نفي الاسماء الحسنى أيضا يسمون أنفسهم أهل التوحيد وأثبتوا ذاتا مجردة عن الصفات وزعموا ان اثبات الصفات يستلزم التركيب والعقل بنفسه فقد علم بصريح المعقول المطابق لصحيح المنقول أن ذلك لا يكون الا في الاذهان لا في كل الاعيان والله سبحانه وتعالى ذاته لا تشبه الذوات وصفاته لا تشبه الصفات ليس كمثله شئ وهو السميع البصير لم يزل موصوفا بما وصف به نفسه في كتابه أو على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم ﴿السابع اثباته﴾ معنى الالوهية انها القدرة على اختراع الخلق والتدبير لا على الضر والنفع والعطاء والمنع فمن قال لا اله الا الله واعتقد انه لا يقدر على اختراع الخلق والتدبير الا الله فلا شريك له في ذلك كان ذلك هو معنى قوله لا اله الا الله وان اعتقد الضر والنفع والشفاعة المنفية التي هي بغير اذنه والتقريب والتبعيد الذين لا يكونان الا بطاعته واتباع رسله فيما جاؤا به من عنده في غيره من العبيد فلا يضره هذا الاعتقاد ولا تكون فتنة ولا في الدين فساد حيث قال بلسانه لا اله الا الله وصرف معنى الالوهية في معنى الربوبية ولم يعلم ان مشركي العرب كانوا مقرين بهذا المعنى معترفين به فلم يقولوا ان العالم له خالقان أو مدبران بل الخالق والمدبر واحد ولئن سألتهم من خلق السموات والارض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فانى يؤفكون وقال تعالى ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فاحيا به الارض من بعد موتها ليقولن الله قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعقلون فهذا التوحيد من الواجب على العبيد ولكن لا يحصل به التوحيد لا له كل العبيد ولا يخلص بمجرده عن الشرك الذي هو أكبر الكبائر ولا يغفره الله يوم تبلى السرائر بل لا بد أن يخلص الدين كله لله فلا يتأله بقلبه غير الله ولا يعبد الا اياه مخلصا له الدين ولو كره الكافرون ﴿الثامن﴾ زعمه ان المشركين الاولين كانوا يعتقدون النفع والضر والعطاء والمنع من غير رب العالمين ويرد هذا صريح قوله تعالى قل أرأيتكم ان أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة أغير الله تدعون ان كنتم صادقين بل اياه تدعون فيكشف ما تدعون اليه ان شاء وتنسون ما تشركون وقوله تعالى واذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين وقوله تعالى وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون وقوله تعالى قل من بيده ملكوت كل شئ وهو يجير ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل فانى تسحرون وهذه الآية مع قوله تعالى واتل عليهم نبأ ابراهيم اذ قال لابيه وقومه ما تعبدون قالوا نعبد أصناما فنظل لها عاكفين قال هل يسمعونكم اذ تدعون أو ينفعونكم أو يضرون قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون فقطع مادة من ادعى انهم كانوا يعتقدون النفع والضر في غيره سبحانه وتعالى وفي المسند والترمذي من حديث حصين بن المنذر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له يا حصين كم الها تعبد قال سبعة ستة في الارض وواحد في السماء قال فمن الذي تعد لرغبتك ورهبتك قال الذي في السماء قال له أسلم حتى أعلمك كلمات ينفعك الله بهن فاسلم فقال له قل اللهم ألهمني رشدي وقني شر نفسي وكثير ممن يتكلم في هذه الحقيقة الكونية ويشاهدها التي يشترك فيها وفي شهودها ومعرفتها المؤمن والكافر والبر والفاجر حتى ابليس معترف بها في قوله رب أنظرني الى يوم يبعثون وقوله بما أغويتني لازينن لهم في الارض ولاغوينهم أجمعين وقوله فبعزتك لاغوينهم أجمعين وقوله أرأيتك هذا الذي كرمت علي لئن أخرتن الى يوم القيامة لاحتنكن ذريته وأمثال هذا من الخطاب الذي يعترف فيه بان الله ربه وخالقه ومليكه وأن ملكوت كل شئ بيده فالمشركون الاولون انما عبدوا غير الله بالمحبة التي كحب الله راجين بها القرب والتقريب اليه طالبين منهم الشفاعة لديه في قضاء الحوائج وما يحتاجون اليه ومعبودهم ذلك هو عندهم

واسطة الشفاعة ووسيلة التقرب به ويعبرون عنه بالاله لان قلوبهم قد تألهته برجائها منه ما أملته مما ليس للعبيد مدخل فيه وتارة تكثر تلك الآلهة وتارة تقل بحسب اعتقاد من هي له قال سبحانه والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وقال تعالى ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله فسمى محبتهم المساوية لحب الله التي يرجونهم ويلتجئون اليهم بها فيدعونهم سببا في قضاء حوائجهم عند خالقهم عبادة وأنكر تعالى ذلك عليهم وعابهم به ورده في قوله قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له وقال جل شأنه قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه ان عذاب ربك كان محذورا وقال تعالى واذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون الا اياه فلما نجاكم الى البر أعرضتم وكان الانسان كفورا وقال تعالى أم اتخذوا من دون الله شفعاء قل أولو كانوا لا يملكون شيأ ولا يعقلون قل لله الشفاعة جميعا وقال تعالى وأنذر به الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع لعلهم يتقون وهم قد أقروا بان الله سبحانه مالك الاشياء كلها وانه الضار النافع المعطي المانع الذي لا رازق سواه ولا مدبر ولا قابض ولا باسط ولا مخرج الحي من الميت ولا مخرج الميت من الحي الا هو وحده لا شريك له في ذلك لكنهم قد جعلوا بين الله سبحانه وبينهم وسائط من خلقه ليقربوهم ويحببوهم اليه ويشفعوا لهم في قضاء حاجاتهم عنده وذلك بطرق مختلفة ففرقة قالت ليس لنا أهلية عبادة الله بلا واسطة لتقربنا اليه لعظمته وفرقة قالت الملائكة ذوو وجاهة عند الله فاتخذنا صورهم من أجل حبنا لهم ليقربونا الى الله وفرقة جعلتهم قبلة في عبادة الله والتبتل اليه كما ان الكعبة قبلة في عبادته وفرقة اعتقدت ان على كل صورة مصورة على صورة الملائكة والانبياء وكيلا موكلا بامر الله فمن أقبل عليه وتبتل اليه قضى ذلك الوكيل ما طلب منه بامر الله والا أصابه بنكبة بامره ﴿التاسع﴾ جعله هذا الشرك الاكبر ذنبا ليس فيه الا التعزير مع الاصرار مع قوله فيما تقدم هو من الكفر العملي وهو لا يكون الا في الكبائر والتعزير انما هو في الصغائر ﴿العاشر﴾ زعمه وادعاؤه انه من العلماء الآمرين بحد الزاني والسارق والشارب والآمر بذلك الله في كتابه وعلى لسان رسوله والعلماء الاعلام ويظهرون أمر الله ولا يكتمونه ففي زعمه ذلك ادعاء انه من العلماء وانه من الآمرين ولا يخفى ما فيه من التزكية لنفسه قال ابن مسعود وعمر من قال أنا مؤمن فهو كافر ومن قال هو في الجنة فهو في النار ومن قال هو عالم فهو جاهل والله يقول فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى ﴿الحادي عشر﴾ استدلاله على ما ادعاه بقوله صلى الله عليه وسلم أربع في أمتي من أمور الجاهلية لا يتركونهن الفخر في الاحساب والطعن في الانساب والاستسقاء بالنجوم والنياحة على الميت أما الفخر في الاحساب فمعناه الافتخار بشجاعة الاجداد وكرمهم أو صفة من الصفات الممدوحة فيهم وهذا شأن الأولين وأما الطعن في الانساب فهو نسبة الرجل لغير أبيه بنفونه عنه وهذا الرجل مطعون في نسبه مقذوفة أمه وأما الاستسقاء بالنجوم فقد روى البخاري ومسلم عن زيد بن خالد الجهني قال صلى لنا رسول الله صلاة الصبح بالحديبية على أثر سماء كانت من الليل فلما انصرف أقبل على الناس فقال هل تدرون ماذا قال ربكم قالوا الله ورسوله أعلم قال أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر فأما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر

بالكوكب وأما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكواكب ولمسلم من حديث ابن عباس معناه وفيه قال بعضهم لقد صدق نوء كذا وكذا فانزل هذه الآية فلا أقسم بمواقع النجوم الى قوله وتجعلون رزقكم انكم تكذبون وقد اختلف العلماء في كفر من قال مطرنا بنوء كذا وكذا على قولين ﴿أحدهما﴾ هو كفر بالله سبحانه وتعالى سالب لاصل الايمان مخرج عن ملة الاسلام قالوا وهذا فيمن قال ذلك معتقدا ان الكوكب له سبب ومدخل في انشاء المطر كما كان أهل الجاهلية يزعمونه ومن اعتقد هذا فلا شك في كفره وهذا القول هو الذي ذهب اليه جماهير العلماء والشافعي منهم وهو ظاهر الحديث قالوا وعلى هذا لو قال مطرنا بنوء كذا معتقدا أنه من الله وبرحمته وان النوء ميقات له وعلامة اعتبارا بالعادة فكانه قال مطرنا في وقت كذا فهذا لا يكفر واختلفوا في كراهته والاظهر كراهة تنزيه لا اثم فيها وسبب الكراهة انها كلمة مترددة بين الكفر وغيره فيساء الظن بصاحبها ولانها شعار الجاهلية ومن سلك مسلكهم ﴿والقول الثاني﴾ في أصل تأويل الحديث ان المراد كفر نعمة الله لاقتصاره على اضافة الغيث الى الكوكب قالوا وهذا فيمن لا يعتقد تسبب الكوكب وانشاءه المطر والا فلا شك في كفره وأما النياحة فهي رفع الصوت بالنديبة ومنها لطم الخد وشق الجيب * وفيه قال النائحة اذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب وهذه الأمور منها ما هو معصية لا تخرج عن الملة ومنها ما هو مخرج عنها بشرطه واضافة فاعليها الى نفسه وجعله من أمته لا منافاة فان العاصي لا يخرج بعصيانه عن أمة الاجابة * ومراد النبي صلى الله عليه وسلم في المستسقي اذا لم يعتقد الكوكب له مدخل في المطر فهو من أمته عامل عمل الجاهلية في قوله مطرنا بالنوء والا فهو من أمة الدعوة لا من أمة الاجابة * وفرق بين خصال الذنوب التي تحت مشيئة علام الغيوب وان شاكلت أهل الجاهلية في مجرد الاسم لا في الحقيقة والاعتقاد وبين الشرك الذي هو أظلم الظلم وأقبح القبائح وأنكر المنكرات وأبغض الاشياء الى الله وأكرهها له وأشدها مقتا لديه ورتب عليه من عقوبات الدنيا والآخرة ما لم يترتب على ذنب سواه * وأخبر أنه لا يغفر وان أهله نجس ومنعهم من قربان حرمه وحرم ذبائحهم ومناكحهم وقطع الموالاة بينهم وبين المؤمنين وجعلهم أعداء له سبحانه ولملائكته ورسله والمؤمنين * وأباح لأهل التوحيد أموالهم ونساءهم وأبناءهم وان يتخذوهم عبيدا لما تركوا القيام بحقه وعطلوا عاملته المتضمنة لألوهيته وما ذاك الا أنه هضم لحق الربوبية ونقص لعظمة الالوهية وسوء الظن برب العالمين كما قال تعالى ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات الظانين بالله ظن السوء عليهم دائرة السوء وغضب الله عليهم ولعنهم وأعد لهم جهنم وساءت مصيرا فلم يجمع على أحد من الوعيد والعقوبة ما جمع على أهل الاشراك فانهم ظنوا به ظن السوء حتى أشركوا به ولو أحسنوا به الظن لوحدوه حق توحيده * ولهذا أخبر سبحانه عن المشركين أنهم ما قدروه حق قدره في ثلاث مواضع من كتابه * وكيف يقدره حق قدره من جعل له عدلا وندا يحبه ويخافه ويرجوه ويذل ويخضع له ويهرب من سخطه ويؤثر مرضاته والمؤثر لا يرضى بايثاره * قال تعالى ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله فالمؤمن يحب في الله لا مع الله والكافر يحب مع الله كحب الله قال تعالى الحمد لله الذي خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون أي يجعلون له عدلا في العبادة والمحبة والتعظيم

* وهذه هي التسوية التي أثبتها المشركون بين الله وبين آلهتهم كما تقدم آنفا وعرفوا وهم في النار أنها كانت ضلالا وباطلا فيقولون لآلهتهم وهي في النار معهم * تالله ان كنا لفي ضلال مبين اذ نسويكم برب العالمين * ومعلوم أنهم ماساووهم به في الذات ولا في الصفات والافعال ولا قالوا ان آلهتهم خلقت الأرض والسموات أو انها تحيي وتميت أو تدبر الكلام في ذلك ونقل الآيات وانما ساووهم به في محبتهم لها وتعظيمهم لها وعبادتهم اياها بدعائها والدعاء حولها التمكون. ب. او واسطة في حصول المطلوب والتقريب الى المحبوب كما عليه أهل الاشراك ممن ينتسب الى الاسلام في قولهم لا اله الا الله فانهم أثبتوا لغيره تعالى قولا وفعلا واعتقادا معنى ما أثبتوه له في مجرد القول وحصول ذلك انما هو بسبب اتباع الهوى وعموم البلوى والجهل بكيفية التوحيد الواجب على العبيد * ومما اتبعوا أهواءهم وزين لهم الشيطان أعمالهم صدهم عن السبيل فهم لا يهتدون ويزعمون أنهم هم المهتدون وما سبب ذلك الا الاعراض عن كتاب الله وعدم تدبر معانيه والعمل بما فيه قال تعالى * ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين وانهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون انهم مهتدون ونرى كثيرا منهم مع ارتكابهم أكبر الكبائر على الاطلاق يرتكبون الكبائر ويجترحون المآثم والمظالم ولا يبالون بالله بل يخافون المخلوق ما لا يخافون الله فيجعلون تلك المظالم قربات يتقربون بها الى نبي أو ولي ويجعلون على قبره الابنية والتوابيت وأكسية الديباج والحرير وعلى قبته أبواب الورق ليجلب لهم نفعا ويدفع عنهم ضرا ولو لم يفعلوا عادتهم تلك بل اتفق أنهم تركوها وقت فعلها فحصل لهم أو عليهم أمر مزعج ومكدر لم يسندوه الا اليه لتقصيرهم بعدم صنيعهم * ومنهم من يأت القبر ويقف عليه ويظهر له كيس النفقة خاليا فيومئ بها اليه ويكلمه بما هو فيه من الشدة والفاقة وانه محسوب عليه وليس فعله ذلك جهلا بل عنادا وبغيا زاعما انه من الدين ومما يرضي رب العالمين * وهذا بعينه ما يفعله جميع عباد الأوثان بأوثانهم زيادة على بذل النذور للاموات وسادنيها ليجلبوا لهم الخير ويدفعوا عنهم الشرور * لكن طال الامد ووجدت الغفلة وحصل الران حتى صار المعروف منكرا والمنكر معروفا فتغشية قبور الانبياء والصالحين وهو سترها بغاشية ليس مشروعا في دين الرسل ولا يصح وقف ذلك على الأضرحة لانه بدعة خبيثة من فعل عباد الأصنام فان فعل فهو باق في ملك ربه فان جهل أو لم يكن موجودا ولا وارث له فمال ضائع مرجعه لبيت المال الا الكعبة فقط زادها الله تشريفا وخصت به كالطواف * ومن العجب أن أهل الاشراك ينسبوننا الى التنقص بالمشايخ والأنبياء والصالحين وما ذنبنا الا انا قلنا لهم انهم عبيد لا يملكون لأنفسهم ولا لغيرهم ضرا ولا نفعا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا وانهم لا يشفعون لعابديهم أبدا بل حرم الله شفاعتهم لهم ولا يشفعون لأهل التوحيد الا بعد اذن الله لهم في الشفاعة فليس لهم من الأمر شيء بل الأمر كله والشفاعة كلها له سبحانه والولاية له فليس لخلقه من دونه ولي ولا شفيع فالشرك والتعطيل مبنيان على سوء الظن * ولهذا قال امام الحنفاء عليه السلام لخصمائه من المشركين أئفكا آلهة دون الله تريدون فما ظنكم برب العالمين وان كان المعنى ما ظنكم به أن يعاملكم ويجازيكم به وقد عبدتم معه غيره وجعلتم له ندا فأنت تجد تحت هذا التهديد ما ظنكم بربكم من السوء حتى عبدتم معه غيره * فان المشرك اما أن يظن الله سبحانه وتعالى يحتاج الى من يدبر أمر العالم معه من وزير أو ظهير أو عوين وهذا أعظم النقص لمن هو غني عن كل ما سواه بذاته وكل

ماسواه فقير اليه بذاته * واما أن يظن انه سبحانه انما تتم قدرته بقدرة الشريك * واما أن يظن بانه لا يعلم حتى يعلمه الواسطة أو لا يرحم عبيده حتى يجعله الواسطة يرحمهم أو لا يكفى وحده ان يفعل ما يريد العبد حتى يشفع عنده الواسطة كما يشفع المخلوق عند المخلوق فيحتاج ان يقبل شفاعته لحاجته الى الشافع وانتفاعه به وتكثيره به من القلة وتعززه به من الذلة أو لا يجيب دعاء عباده حتى يسألوا الواسطة أن يرفع تلك الحاجة اليه كما هو حال ملوك الدنيا * وهذا أصل شرك الخلق أو يظن انه لا يسمع دعاءهم لبعده عنهم حتى يرفع الوسائط اليه ذلك أو يظن ان للمخلوق عليه حقا فهو يقسم عليه بحق ذلك المخلوق عليه و يتوسل اليه بذلك المخلوق كما يتوسل الناس الى الأكابر والملوك بمن يعز عليهم ولا يمكنهم مخالفته * وكل هذا نقص للربوبية وهضم فى الالوهية ولو لم يكن فيه الا نقص محبة الله وخوفه ورجائه والتوكل عليه والانابة اليه من قلب المشرك بسبب قسمة ذلك بينه سبحانه وبين من أشرك به فينقص او يضعف أو يضمحل ذلك التعظيم والمحبة والخوف والرجاء بسبب صرف أكثره أو بعضه الى من عبده من دونه فالشرك ملزوم لنقص الرب سبحانه والتنقيص لازم له ضرورة شاء المشرك أم أبى * ولهذا اقتضى حمده تعالى وربوبيته ان لا يغفره وأن يخلد صاحبه فى العذاب الاليم ويجعله أشقى البرية فلا تجد مشركا قط الا وهو متنقص لله سبحانه وان زعم انه يعظمه بذلك كما انك لا تجد مبتدعا الا وهو متنقص للرسول وان زعم أنه معظم له بتلك البدعة فانه يزعم انها خير من السنة وأولى بالصواب و يزعم انها هى السنة ان كان جاهلا مقلدا وان كان مستبصرا فى بدعته فهو مشاق لله ورسوله فالمتنقصون هم المنقصون عند الله و رسوله * وأولياؤهم أهل الشرك والبدعة ولاسيما من بنى دينه على ان كلام الله ورسوله دلالة لفظية لا تفيد اليقين ولا تغنى من العلم واليقين شيأ فيالله العجب أى شئ أسمد هذا من ايجاده التنقيص فاهل الشرك والبدعة من أعظم الناس تنقيصا ونقصا لبس عليهم ابليس حتى ظنوا أن تنقصهم هو عين الكمال وان لم يلاحظوه ولهذا كانت البدعة قرينة الشرك فى كتاب الله سبحانه قال تعالى قل انما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغى بغير الحق وان تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وان تقولوا على الله ما لا تعلمون فالاثم والبغى قرينان والشرك والبدعة قرينان وان افترقا فى المعنى والحكم فليس الموحد الا من شاهد المخلوقات بأسرها قائمة بامر الله مدبرة بامره وشهد كثرتها بوحدانية الله سبحانه وتعالى وانه رب المصنوعات والهها ومالكها ومدبرها مع اجتماع قلبه على الله اخلاصا له سبحانه وتعالى فى معنى ألوهيته من محبته وخوفه ورجائه والاستعانة به والتوكل عليه وحصر الدعاء بالذى لا يقدر على وجوده أو دفعه الا الله عليه وحده والموالاة والمعاداة فيه وأمثال هذا ناظرا الى الفرق بين حق الخالق والمخلوق * وذلك واجب فى علم القلب وشهادته وذكره ومعرفته وفى حال القلب وعبادته وقصده وارادته ومحبته وموالاته وطاعته فهذا هو تحقيق شهادته لا اله الا الله فان قائل هذه الشهادة ينفى عن قلبه ألوهية كل ما سوى الله مما ليس الوهيته بحق و يثبت ألوهية الله الملك المعبود بالحق فيكون نافيا الألوهية جميع المخلوقات مثبتا الألوهية رب الارض والسموات وذلك يتضمن اجتماع القلب على الله ومفارقته ما سواه فيكون مفرقا فى علمه وقصده فى شهادته وارادته فى معرفته ومحبته بين الخالق والمخلوق بحيث يكون عالما بالله ذاكرا له عارفا به وهو مع ذلك عالم بمباينته لخلقه وانفراده عنهم وحده بعبادته وأفعاله وصفاته عنهم فيكون محبا له لا معه معظما له لا معه

عابداله لا معه راجياله لا معه خائفا منه لا معه محبا فيه مواليا فيه معاديا فيه مستعينا به لا بغيره
متوكلا عليه لا على غيره ممتنعا عن عبادة غيره فلا يجعل حقه تعالى لغيره * وهذا المقام هو المعنى
فى اياك نعبد واياك نستعين وهو من خصائص الالوهية المشهود بها كما أن رحمته تعالى لعبيده وهدايتهم
من خصائص الربوبية وشهادته بهذه الالوهية مع العمل بها يتضمن الشهادة بالربوبية وهو انه تعالى
رب كل شئ ومليكه وخالقه ومدبره فحينئذ يكون موحدا داعيا الله وحده بما لا يقدر عليه الا هو عابده
به متألهه فيه فلا يدعو غيره بما لا يقدر عليه الا الله لانه عبادته مختص بجلاله * قال سبحانه وتعالى
وقال ربكم ادعونى أستجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتى فسماه عبادة وأضافها الى نفسه
* وروى النعمان بن بشير قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الدعاء هو العبادة ثم قرأ رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقال ربكم ادعونى أستجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتى * رواه أبو
داود والترمذى * وقال حديث حسن صحيح فوجود العمل والعلم بالشهادة شرط لصحة قولها * فاذا
صحت كانت أفضل العبادات لوجود ما تضمنته من معناها المراد منها يبين ذلك ان أفضل الذكر لا اله
الا الله كما رواه الترمذى وابن حبان وغيرهما مرفوعا الى النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال أفضل
الذكر لا اله الا الله وأفضل الدعاء الحمد لله وفى الموطأ وغيره عن طلحة بن عبيد الله رضى الله عنه أن
النبى صلى الله عليه وسلم قال أفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلى لا اله الا الله وحده لا شريك له له
الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير وبحسب تحقيق التوحيد تكمل طاعة الله تعالى قال تعالى
أرأيت من اتخذ الهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلا أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون
ان هم الا كالأنعام بل هم أضل سبيلا فمن جعل ما يألهه هو ما يهواه فقد اتخذ الهه هواه أى جعل معبوده
هو ما يهواه وهذا حال المشركين الذين يعبد أحدهم ما يستحسنه فهم يتخذون أندادا من دون الله
يحبونهم كحب الله * ولهذا قال الخليل لا أحب الآفلين فان قومه لم يكونوا منكرين للصانع ولكن كان
أحدهم يعبد ما يستحسنه ويظنه نافعا كالشمس والقمر والكواكب * والخليل بين ان الآفل
يغيب عن عابده وتحجبه عنه الحواجب فلا يرى عابده ولا يسمع كلامه ولا يعلم حاله ولا ينفعه ولا
يضره بتسبب ولا غيره * فأى وجه لعبادة من يأفل وكلما حقق العبد الاخلاص فى قوله لا اله الا الله
خرج من قلبه تأله ما يهواه ويصرف عنه المعاصى والذنوب كما قال تعالى كذلك لنصرف عنه السوء
والفحشاء انه من عبادنا المخلصين فعلل صرف السوء والفحشاء عنه بأنه من عباد الله المخلصين * وهؤلاء
هم الذين قال فيهم ان عبادى ليس لك عليهم سلطان * وقال الشيطان فبعزتك لأغوينهم
أجمعين الا عبادك منهم المخلصين * وقد ثبت فى الصحيح عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال من قال
لا اله الا الله مخلصا من قلبه حرمه الله على النار فان الاخلاص ينفى أسباب دخوله النار فمن دخل
النار من القائلين لا اله الا الله لم يحقق اخلاصها المحرم له على النار بل كان فى قلبه نوع من الشرك
الذى أوقعه فيما أدخله النار والشرك فى هذه الامة أخفى من دبيب النمل * ولهذا كان العبد مأمورا
فى كل صلاة أن يقول اياك نعبد واياك نستعين والشيطان يأمر بالشرك والنفس تطيعه فى ذلك فلا
تزال النفس تلتفت الى غير الله اما خوفا منه واما رجاء له * فلا يزال العبد مفتقرا الى تخليص توحيده
من شوائب الشرك * وفى الحديث الذى رواه ابن أبى عاصم وغيره عن النبى صلى الله عليه وسلم
أنه قال يقول الشيطان أهلكت الناس بالذنوب وأهلكونى بلا اله الا الله والاستغفار فلما رأيت ذلك

بقيت فيهم الاهواء فهم يذنبون ولا يستغفرون لانهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا فصاحب الهوى الذى اتبع هواه بغير هدى من الله له نصيب ممن اتخذ الهه هواه فصار فيه شرك منعه من الاستغفار وأما من حقق التوحيد والاستغفار فلابد أن يرفع عنه الشر * فلهذا قال ذو النون لا اله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين * ولهذا يقرن بين التوحيد والاستغفار فى غير موضع * كقوله تعالى فاعلم أنه لا اله الا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات وقوله أن لا تعبدوا الا الله اننى لكم منه نذير وبشير وأن استغفروا ربكم ثم توبوا اليه وقوله والى عاد أخاهم هودا قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره الى قوله واستغفروا ربكم ثم توبوا اليه * وقوله فاستقيموا اليه واستغفروه وخاتمة المجلس سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا اله الا أنت أستغفرك وأتوب اليك أن كان مجلس رحمة كانت كالطابع عليه وان كان مجلس لغو كانت كفارة له * وقد روى أيضا فقال فى آخر الوضوء بعد أن يقال أشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله اللهم اجعلنى من التوابين واجعلنى من المتطهرين * وهذا الذكر يتضمن التوحيد والاستغفار فان صدره الشهادتان اللتان هما أصلا الدين وجماعه فان جميع الدين داخل فى الشهادتين اذ مضمونهما أن لا نعبد الا الله وأن نطيع رسوله والدين كله داخل فى هذا فى عبادة الله بطاعة الله ورسوله وكل ما يجب ويستحب داخل فى عبادة الله وطاعة رسوله * وقد عقد البخارى باب العلم قبل القول والعمل لقول الله عز وجل * فاعلم أنه لا اله الا الله فالموحدون هم المخلصون وهم أهل الصراط المستقيم الذين عرفوا الحق وعلموه فاتبعوه ولم يكونوا من المغضوب عليهم ولا الضالين بل أخلصوا دينهم لله وأسلموا وجوههم وأنابوا الى ربهم فأحبوه ورجوه وخافوه ورغبوا اليه وفوضوا أمورهم اليه وتوكلوا عليه وأطاعوا رسله وعزروهم ووقروهم وأحبوهم ووالوهم واتبعوا النور الذى أنزل معهم واقتفوا آثارهم واهتدوا بهديهم واستنوا بسنتهم * وذلك هو دين الاسلام الذى بعث الله به الاولين والآخرين من الرسل وهو الذى لا يقبل الله من أحد دينا الا اياه وهو وظيفة العبادة لرب العالمين وهو الفاصل بين عباد الرحمن وعباد الشيطان والله المستعان وهو حسبنا ونعم الوكيل *(وأما قولكم ويجب حمل النصوص القرآنية والاحاديث النبوية على معانيها الظاهرة منها ان لم تخالف المحكم والا فيجب صرفها عن ظاهرها وردها الى المحكم)* فنقول القرآن كله محكم فى بيان التوحيد المكلف به العبيد وبيان ضده والحلال والحرام والامر والنهى والوعد والوعيد فليس فيه اختلاف ولا تناقض فى ذلك قال سبحانه وتعالى الر كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير أن لا تعبدوا الا الله اننى لكم منه نذير وبشير وقال سبحانه وتعالى قل يا أيها الناس ان كنتم فى شك من دينى فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله ولكن أعبد الله الذى يتوفاكم وأمرت أن أكون من المؤمنين وأن أقم وجهك للدين حنيفا ولا تكونن من المشركين ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فان فعلت فانك اذا من الظالمين وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله يصيب به من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم وقال سبحانه وتعالى وما أمروا الا ليعبدوا الها واحدا لا اله الا هو سبحانه عما يشركون يريدون ليطفؤا نور الله بأفواههم ويأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون * وقال سبحانه واقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم ان الله غفور رحيم * وقال تعالى وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله * وقال تعالى وعد الله الذين آمنوا منكم

وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدوننى لا يشركون بى شيأ ومن كفر بعد ذلك فاولئك هم الفاسقون وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الرسول لعلكم ترحمون * وقوله سبحانه وتعالى قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ان لا تشركوا به شيأ وبالوالدين احسانا الآية * وقوله تعالى وقضى ربك أن لا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا وأمثال هذا * (والعبادة) * هى اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الاقوال والاعمال الباطنة والظاهرة كالتوحيد والصلاة والزكاة والصيام والحج وصدق الحديث واداء الامانة وبر الوالدين وصلة الارحام والوفاء بالعهود والامر بالمعروف والنهى عن المنكر وجهاد الكفار والمنافقين والاحسان الى الجار واليتيم والمسكين والمملوك من الآدميين والبهائم وكذلك الدعاء والذكر والقراءة وحب الله ورسوله وخشية الله والانابة اليه واخلاص الدين له والصبر لحكمه والشكر لنعمه والرضاء بقضائه والتوكل عليه والرجاء لرحمته والخوف من عذابه وغير ذلك من العبادة التى شرعها الله لعباده وأمرهم بفعلها خالصة لوجهه وذلك أن العبادة لله هى الغاية المحبوبة لله والمرضية له التى خلق الخلق لها كما قال تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وبها أرسل جميع الرسل كما قال نوح لقومه اعبدوا الله ما لكم من اله غيره وكذلك قال هود وصالح وشعيب وغيرهم لقومهم وقال تعالى ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة وقال تعالى وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحى اليه أنه لا اله الا أنا فاعبدون وقال تعالى وان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون الى غير ذلك من الآيات الظاهرة المحكمة الى يوم القيامة وأما الآيات المحكمات اللاتى هن أم الكتاب فهى البينات المفصلات سميت بذلك لظهورها ووضوح معناها المراد منها وأما الآيات المتشابهات فقال محمد بن اسحاق بن يسار هن ما تحتمل دلالتها موافقة المحكم وقد تحتمل أشياء أخر من حيث اللفظ والتركيب لا من حيث المراد فالمتشابهات فى الصدق لهن تصريف وتحريف وتأويل ابتلى الله فيهن العباد كما ابتلاهم فى الحلال والحرام لا يصرفن الى الباطل ولا يخرجن عن الحق ولهذا قال تعالى فاما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه أى الذين فى قلوبهم ضلال وخروج عن الحق الى الباطل انما يأخذون منه بالمتشابه الذى يمكنهم أن يحرفوه الى مقاصدهم الفاسدة لاحتمال لفظه الى ما يصرفونه اليه فاما المحكم فلا نصيب لهم فيه ولا سبيل لهم اليه لانه دافع لهم وحجة عليهم ولهذا قال ابتغاء الفتنة التى هى الشرك والاضلال بالبدع وسائر المحظورات ومنها أيضا ما استأثر الله بعلمه فلا سبيل لاحد الى علمه نحو الخبر عن اشراط الساعة من خروج الدجال ونزول عيسى ابن مريم وطلوع الشمس من مغربها وقيام الساعة وفناء الدنيا ونزول المطر والرحمة والعذاب والشدة والراسخ فى العلم يقول فى متشابه التنزيل آمنا به كل من عند ربنا فان وجد ما ظاهره يخالف المحكم رد الفرع الى أصله وعرف حقيقة قوله تعالى منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات وان المتشابهات لا يخالفن المحكمات فى التوحيد ولا فى الامر والنهى والوعد والوعيد وقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال اذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فاولئك الذين سمى الله فاحذروهم فيفسر المتشابه بام الكتاب فان بعض الآيات تظهر للجاهل معنى غير مراد فيعجز عن فهم معناها المراد ويحملها على ما تميل اليه نفسه من الهوى والعناد فرده الراسخ الى أم الكتاب فمن ذلك قوله تعالى أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فهذه الآية يشعر ظاهرها الامر بالفسق ويفسرها قوله تعالى ان الله لا يأمر بالفحشاء وقوله وينهى عن

الفحشاء والمنكر والبغى فشل هذه الآيات المحكمات هن أم الكتاب ومنه قوله تعالى ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون زعم بعضهم منه تقرير هذه الملل مالم يرده الى محكمه * وهو قوله قل يا أيها الناس انى رسول الله اليكم جميعا * وقوله واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه والله سبحانه ذكر أهل الكتاب وما ارتكبوه من قبائح الذنوب الموبقة ثم قال لكن الراسخون فى العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك فمن لم يؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم من قوم أى رسول لم يؤمن برسوله قال تعالى كذبت قوم نوح المرسلين ومن آمن برسوله آمن بكل رسول كما أمر الله أمة محمد صلى الله عليه وسلم فى قوله قولوا آمنا بالله الآية وقد رد الصديق الاكبر رضى الله عنه فهم من قال فى معنى قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم انه لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر وهذا من المتشابه يرجع فيه الى محكمه وهو قوله تعالى كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر ويكون معنى لا يضركم من ضل اذا اهتديتم أمرتم ونهيتم فلم يسمع لان من الاهتداء الامر بالمعروف والنهى عن المنكر فاذا أدى الذى عليه فلا ضرر عليه من ضلال من لا يأتمر أو ينتهى وكذا قوله لا تزغ قلوبنا يفهم منه انه تعالى يزيغ القلب بلا سبب فيفسر بمحكمه وهو قوله فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم وبقوله ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم وقوله ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم فى طغيانهم يعمهون فقيد المحكم الذى هو أم الكتاب قيد للاطلاق وهو واسع النطاق من تأمل وحقق تحقق ومن زاغ قلبه بعدم القبول الحق وامحق والله قد اتبع قوله هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات بقوله ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وفيه نوع من الاشتباه يرجع فيه الى قوله فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم واذا وقف العبد التنبه عن اتباع ما فيه نوع تشابه كما فى هذه الآية وفتح له باب فى الفصل والوصل نفعه خصوصا فى الجمل المعترضة * وحاصله كل ما فى الكتاب من آية يستشكلها العقل لاحتمالها معنيين فصاعدا أو بعض تلك المعانى المفهومة بها أو فيها أو عنها متناقض لآيات من الكتاب أو آيات فتلك من المتشابهات تفسرها الآيات المحكمات لان القرآن كله لا يتناقض بل هو نور وحجج واضحات قال ابن كيسان المحكمات حججها واضحة ودلائلها لائحة لا حاجة لمن سمعها الى طلب معانيها والمتشابه هو الذى يدرك علمه بالنظر ولا يعرف العوام تفصيل الحق فيه من الباطل انتهى ومنه قوله سبحانه قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون فى آذانهم وقر وهو عليهم عمى فان من فى قلبه زيغ يتبع ما تشابه منه ابتغاء الفتنة على قصده الفاسد وميل هواه الذى له قائد ويزعم انه مهتد فيضل بهذا والله يقول وما يضل به الا الفاسقين الآية وقوله وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء وقوله لنعلم أى الحزبين أحصى لما لبثوا أمدا فمن زاغ قلبه جعل الأمر آنفا وزنى تقدم علم الله بما هو كائن ومن كان على نور من ربه فسر القرآن بالقرآن وأعاد هذا الى قوله وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو وقوله وان من شئ الا عندنا خزائنه وقوله عالم الغيب وأول من تكلم بالقدر وان الأمر أنف معبد الجهنى الذى فى البصرة قاله يحيى بن يعمر قال فخرجت أنا وحميد بن عبد الرحمن نريد مكة فقلنا لو لقينا أحدا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألناه عما يقوله معبد فلقينا عبد الله بن

عمر رضى الله عنه فاكتنفته أنا وصاحبى أحدنا عن يمينه والآخر عن شماله فعلمت انه سيكل الكلام الىّ فقلت أبا عبد الرحمن انه قد ظهر قبلنا ناس يتقفرون هذا العلم و يطلبونه يزعمون ان لاقدر انما الامر أنف قال فاذا لقيت أولئك فاخبرهم انى برىء منهم وانهم منى برآء والذى نفسى بيده لوان لاحدهم مثل أحد ذهبا فانفقه فى سبيل الله ماقبل الله منه شيأ حتى يؤمن بالقدر خيره وشره ثم ساق حديث جبريل الذى رواه عمر بن الخطاب رضى الله عنه ومما يتخيل و يشبه ان يكون من المتشابه قوله تعالى ان عبادى ليس لك عليهم سلطان الامن اتبعك من الغاوين ليسوا من عباده تعالى وقد كال ان كل من فى السموات والارض الا آتى الرحمن عبدا ومحكم هذا وأمثاله قوله الا عبادك منهم المخلصين فهم المقيد بهم هذا الاطلاق وهذا واسع فى كلام الخلاق و يشبه فى الآية ان المخلص لاسبيل للشيطان اليه ألبتة وليس كذلك انما ليس له سلطان ان يتمكن من المخلص فيرتكب ذنبا لا يغفر محكمه قوله تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا وقوله واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله وقوله من بعد ان نزغ الشيطان بينى و بين اخوتى وهؤلاء هم عباد الله المخلصون وهذا واسع فى كلام رب العالمين ومنه قوله تعالى والملائكة يسبحون بحمد ربهم و يستغفرون لمن فى الارض يفهم منه عموم الاستغفار فيرد الى محكمه وهو قوله و يستغفرون للذين آمنوا الآية فانه لم يأذن الله للمؤمنين ان يستغفروا للمشركين والله لا يغفر أن يشرك به وهذا تفسير القرآن بالقرآن فانه التبيان ومنه قوله وتمت كلمة ربك من قصر فهمه خيل ان التمام الانقضاء والانتهاء فيرد الى محكمه ولوان مافى الارض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر مانفدت كلمات الله فهذه الآية تدل من لازيغ فى قلبه ان قوله وتمت كلمة ربك معناه قوله الحق الكامل بكل مقصد محكم وقد أتبعه بقوله لامبدل لكلماته وهو السميع العليم فالقرآن مصون عن النسخ جملة والتبديل محفوظ عما وقع فى التوراة والانجيل لقوله انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون والآيات فى المعنى كثيرة جدا ومن قرع باب التحصيل وفق للحصول والمحصول فالقرآن العزيز كله محكم باعتبار تفسير ماتشابه منه مما ذكر بالمحكم ومن رسخ ولم يزغ قلبه قال رب زدنى علما كما أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم بطلب زيادة العلم وكما ان القرآن كله محكم باخبار من أنزل كذلك كله متشابه يشبه بعضه بعضا قال تعالى الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثانى وهذه الآية الشريفة عرفت الناظر المراد بالمتشابه فيها بقوله مثانى تكرار الآيات والقصص والحسن والوقع فى عدة مواضع فيشبه بعضه بعضا فى قصصه ومعانيه والفاظه ومبانيه وحسنه و وقعه والصدق بعضه يصدق بعضا وهذا البحر زاخر ليس له ساحل وان تخيل من تخيل انه بلغ مايروم تخياله باطل قاصر وما أوتيتم من العلم الا قليلا فالقرآن تبيان كل شئ منزل بتوحيد الله وافراده سبحانه بعبادته ومعاملته لاشريك له هذا ورسول الله صلى الله عليه وسلم أعرف الخلق به لايخفى عليه شاذة ولافاذة مما أشكل على الأمة ونشأ عنه الخلاف بينهم من اشتراك الالفاظ والمعانى فانه نشأ عن الاشتراك مما يعرفه أرباب الادراك وكذا الحقيقة والمجاز فانه نشأ عنهما فى فنون شتى مايحتاج أقله الى اطناب ولايجدى فيه الا الايجاز ولايختلف عليه صلى الله عليه وسلم مايختلف على الراسخين فى العلم من الفرد والتركيب التى يعرف فيها المخطئ من المصيب ولا يعزب عنه معرفة العموم والخصوص اذ هو السند المنصوص ولايختلج عليه الرواية والنقل فلا ينطق عن الهوى ولا عما يحسنه العقل ولا يتوقف فكره فى الاجتهاد فيما الانص فيه كما يقع لكل نحرير فيما يظهره و يخفيه ولا يقر على الخطأ مجتهدا فيما

قال بقيه وهو صلى الله عليه وسلم أعرف الخلق بالناسخ والمنسوخ على الاطلاق وعنه عرفت الاباحة والتوسيع فى كل الآفاق وهذه الثمانية الأمور المذكورة نشأ عنها الخلاف والاختلاف بين الرفاق الا فى العبادة بانواعها فانها لله وحده لاشريك له لم يجز فيها اختلاف بين المسلمين انما جعلها لغيره من خلقه غيرهم من المشركين والله تعالى يقول بل هو آيات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم فكلام الله سبحانه لايناقض بعضه بعضا لا محكمه ولا متشابهه وكذلك كلام النبي صلى الله عليه وسلم وأحاديثه لاتخالف فيها ولاتناقض ولايخالف كلام الله ولايناقضه بل يحمل مطلقه على مقيده ومتشابهه على محكمه وكما أن فى القرآن آيات متشابهات استأثر الله بعلمها كذلك فى السنة أحاديث متشابهات يجب الايمان بها وتلقيها بالقبول والتسليم وترك التعرض لمعناها كيفا ومثلا فالخلاف فى التوحيد ممنوع ومردود كالاختلاف فيه لانه انما ينشأ عن الزيغ والله سبحانه يقول شرع لكم من الدين ماوصى به نوحا والذى أوحينا اليك وماوصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ﴾ وأما قولكم ويجب حمل المؤمن على الصلاح مهما أمكن حتى لو كان له تسعمائة وتسعة وتسعون احتمالا مؤديا الى الكفر واحتمالا واحدا الى النجاة يجب حمله عليه والسر فى ذلك ان الايمان لايزول الا بيقين مثله ﴾ فنقول لاشك انه متى وجد الايمان يقينا فلا يزيله الا ماينافيه يقينا فلا يزول بالشك ولا بالظن استصحابا للاصل السابق لما قارنه من اليقين وتقدماله على الوصف اللاحق به لنزوله عن درجته وهذا مع وجود وصف محتمل متردد فيه بين الحالتين ولذلك لما كتب حاطب بن أبى بلتعة الى المشركين يخبرهم بتجهيز رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم بجنود لاقبل لكم بها ولو جاءكم النبى صلى الله عليه وسلم وحده لكفى وأراد عمر بن الخطاب ضرب عنقه وقال انه منافق فاعتذر حاطب لرسول الله صلى الله عليه وسلم بما معناها انه ليس له من هذا مقصد الا وضع اليد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر دعه فانه شهد بدرا وانك لاتدرى لعل الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ماشئتم فقد غفرت لكم أو فانى غافر لكم ففاضت عينا عمر ورسول الله صلى الله عليه وسلم انما اعتذر عنه بمشاهدته هذه المنقبة العظيمة استصحابا لفضلها وعظمها واشارة الى ان أهلها لايمكن ان يتصفوا أو بعضهم بردة لان الله قال اعملوا ماشئتم فقد غفرت لكم وهو تعالى لايغفر الاذنوب المؤمنين بخلاف غيرهم فقد يتصف بردة بعد ايمان ولايكون ذلك بمجرد الجس فانه كبيرة لايكفر بها ان لم يكن فيه موالاة الكفار على المسلمين ويجتهد الامام فيه قاله مالك وأحمد ولذلك قلنا لكن لاتثبت الابيقين ومنه جحد ماجاءت به الرسل أو عناده أو انكاره أو معاداته أو الاستهزاء به ظاهرا أو باطنا أو موالاة المشركين ومظاهرتهم على الموحدين قال سبحانه وتعالى بشر المنافقين بان لهم عذابا أليما الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزة فان العزة لله جميعا وقد نزل عليكم فى الكتاب أن اذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا فى حديث غيره انكم اذا مثلهم الى قوله يا أيها الذين آمنوا لاتتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا وتسميتهم مؤمنين باعتبار عدم وجود الموالاة والمعنى أتريدون ان تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا على كونكم منافقين وقوله انكم اذا مثلهم ان قعدتم عندهم وهم يخوضون ويستهزؤن بآيات الله ودينه راضين باستهزائهم فانتم كفار مثلهم قال أهل العلم هذا يدل على ان من رضى بالكفر فهو كافر ومن رضى بمنكر يراه وخالط أهله راضيا به كان فى الاثم بمنزلة المباشر وان لم يباشره بدليل انه تعالى

ذكر لفظ المثلية واذا خاضوا فى حديث غيره فهل للمؤمن القعود عندهم أم لا قال الحسن لا يجوز القعود معهم وان خاضوا فى حديث غيره لقوله تعالى واما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين وقال غيره يجوز والحالة هذه لمفهوم هذه الآية وآيات الانعام مكية وهذه الآية مدنية والمتأخر من الآيتين نزولا أولى بالعمل وأجاب بان تلك صريحة فى النهى وهذه مفهومة فى عدمه والصريح مقدم على المفهوم اذا تعارض الاستدلال بهما ثم اذا قعد المؤمن باختيار منه عند من هو عدو لله دين عداوة متيقنة وهو فى حال قعوده يسب الدين ويستهزئ بالآيات فذلك علامة صريحة على انه مثله فى المسابة شريك له فيها فان لم يسب ولم يستهزئ وقعد عنده فقد عرض نفسه لسوء الظن به والطعن والقدح فى دينه كما قال بعض السلف من عرض نفسه للتهم فلا يلومن من اساء الظن به وقد قال صلى الله عليه وسلم من اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه وفى رواية للترمذى من تركها استبرأ لدينه وعرضه وفى الصحيحين ما يناسب لهذا الحديث ومن اجترأ على ما يشك فيه من الاثم أوشك ان يوقع ما استبان ومع ذلك فينهى عن مواضع التهم والشبهات ولا يظن فيه الردى فى دينه وعرضه بمجرد ذلك الامع الاصرار على فعل المنهى عنه لقوله تعالى اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم ولما روى مسلم فى صحيحه عن أبى هريرة مرفوعا اياكم والظن فان الظن أكذب الحديث قال الخطابى هو تحقيق الظن وتصديقه دون ما يهجس فى النفس فان ذلك لا يملك قال الزجاج نهى الله ان نظن باهل الخير سوأ فاما أهل السوء والفسوق فلنا ان نظن بهم مثل الذى ظهر منهم وهذا كله مع الاحتمال وعدم ظهور أمره فاما مع اليقين ظاهرا فلا يمكن ان يقال فيه ظن بل متيقن ظاهرا فان كان مؤمنا فلا يظن فيه الا الخير والصلاح لايمانه واما لخلقته وجبلته فالاصل فيه الظلم والجهل قال تعالى انه كان ظلوما جهولا وان كان كافرا فيتيقن كفره ظاهرا وان كان عاصيا فيتيقن فيه الفسق ظاهرا وانما قلنا ظاهرا لانا مأمورون بمعاملة الخلق ظاهرا ونكل علم الباطن الى الله وما الظن والاحتمال فيمن شبه المخلوق بالخالق فى خصائص لوهيته من دعائه بما لا يقدر على دفعه أو جلبه الا الله وحده والتوكل عليه ورجاؤه والالتجاء اليه وذبح القربان والنذر له ليدفع عنه ما حل به أو ينال ما أمله منه اما معتقدا فيه الضر والنفع والعطاء والمنع واما راجيا شفاعته متقربا بعبادته فهل له احتمال واحد مؤد الى الايمان مع هذا الكفر الحقيقى والبهتان فان هذا الاعتقاد مناف لقوله الكلمة الطيبة واقراره بها فى مجرد اللسان واذا فلا يصح منه سائر ما عمله ظاهرا من بقية الاركان وقد كان الجعد بن درهم من أشهر أهل وقته بالعلم والعبادة فلما جحد شيأ من صفات الله مع كونها مقالة خفية عند أكثر الناس ضحى به خالد القسرى يوم عيد الاضحى فقال وهو على المنبر أيها الناس ضحوا تقبل الله ضحاياكم فانى مضح بالجعد بن درهم لانه يزعم ان الله لم يتخذ ابراهيم خليلا ولم يكلم موسى تكليما ثم نزل من على منبره فذبحه والخلق ينظرون اليه فيهم التابعون وغيرهم بعد ان شهدوا على انكار الجعد الخلة والتكليم فلم ينكر أحد منهم ذبحه ولا التضحية به ولا أنكر ذلك أحد من العلماء الاعلام بل نقل ابن القيم رحمه الله تعالى اجماعهم على استحسان هذا وهو مقر بالكلمة الطيبة وبمعناها لكنه جحد أمرا هو من الايمان متضمن لحقها فكيف بالذى يجعل معناها لغير الله ويجعل المخلوق بمنزلة الخالق ولا يرضى ان يكون عدلا له بل ربما اعتقد تأثير القدرة منه أسرع من الله لكونه يتصرف فى الكون أين العقل والتمييز أين الانصاف والتبريز فى القلب والقالب الى الملك العزيز وكذا التشبه به سبحانه وتعالى فى التعاظم والتكبر ودعاية الناس

الى

الى اطرائه فى الثناء والمدح والتعظيم والخضوع والرجاء وتعليق القلب به خوفا منه ورجاء والتجاء واستغاثة بنذر له و يتقرب به و يستعان ويدعى عند الشدائد كالمدعين لله من الضلال فهم كذبة قد نشبهوا بالله ونازعوه ربوبيته وألوهيته وما الظن والاحتمال فمن شبه نفسه بالخالق فى خصائص الوهيته ومعاملته المؤديين الى الايمان وهم حقيقون بان يهانوا غاية الهوان و يذلوا غاية الذل و يجعلوا تحت أقدام خلقه تعالى وهم الشياطين ومن المغضوب عليهم والضالين وفى الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم قال يقول الله عز و جل العظمة ازارى والكبرياء ردائى فمن نازعنى واحدا منهما عذبته واذا كان المصور الذى يصنع الصورة بيده من أشد الناس عذابا يوم القيمة لتشبهه بالله فى مجرد الصنعة فما الظن بالتشبه بالله فى ربوبيته وألوهيته واذا كان المنازع لشرعه الحاكم بغير حكمه طاغوتا أمرنا الله أن نكفر به فكيف بمن نازعه ربوبيته وألوهيته وحكمه فى عبادته ومعاملته وهم مع ذلك يحجون بالمشيئة ويدعون الولاية والحفظ والقرب من الله ومن رسوله و يفعلون الكفريات و يتركون الواجبات و يغترون بشبه استدراجات من نحو أشياء خارقة للعادات من تعظيم ملك أو جنى أو شيطان لهم أولئك أهل الخزى فى الدنيا والآخرة ما داموا كذلك و يجب ذمهم والتحذير منهم على كل من عرف حالهم ولا ينظر فى صور زهد أبدوها فى ظاهرهم وقد انعقد اجماع المسلمين على المعاملة بالظواهر فما وافق شرع نبينا قبلناه وما خالفه نبذناه فان أهل الاستقامة سلكوا على الجادة ولم يلتفتوا الى شئ من الخواطر والهواجس والالهامات حتى يقوم عليها شاهدان شاهد من الكتاب وشاهد من السنة قال سهل بن حنيف رضى الله عنه أيها الناس اتهموا الرأى على الدين فلقد رأيتنى يوم أبى جندل ولو أستطيع ان أرد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم لرددته واتهام السادات الاولياء من الصحابة رضى الله عنهم لآرائهم كثير مشهور وهم أبر الامة للدين قلوبا واعمقها فيه علما وأبعده عن الشيطان وكانوا اتبع الامة للسنة وأشدهم اتهاما لآرائهم وهؤلاء المدعون ضد ذلك كله ومن شروطها عدم ادعائها عن نفسه أو عن الله قال الجنيد قال أبو سليمان الدارانى ربما يقع فى قلبى النكتة من نكت القوم أياما فلا أقبلها الا بشاهدين عدلين من الكتاب والسنة وقال أبو يزيد البسطامى رضى الله عنه لو نظرتم الى رجل أعطى من الكرامات حتى تربع فى الهواء فلا تغتروا به حتى تنظروا كيف تجدونه عند الامر والنهى وحفظ الحدود وقال أيضا من ترك قراءة القرآن ولزوم الجماعة وحضور الجنائز وعيادة المرضى وادعى بهذا الشأن فهو مبتدع وقال السرى السقطى من ادعى باطن علم ينقضه ظاهر حكم فهو غالط وقال الجنيد مذهبنا مقيد بالاصول الكتاب والسنة فمن لم يحفظ الكتاب و يكتب الحديث و يتفقه ويعمل لا يقتدى به وقال أبو بكر الدقاق من ضيع حدود الله فى الامر والنهى حرم مشاهدة القلب فى الباطن وقال أبو الحسن من رأيته يدعى مع الله حالا يخرجه عن حد العلم الشرعى فلا تقرب به فانما هو شيطان ضال ومن رأيته يدعى حالا لا يشهد حفظ ظاهر فاتهمه على دينه وقال جرير أمرنا هذا كله مجموع على فصل واحد ان تلزم قلبك المراقبة و يكون العلم على ظاهرك قائما وقال عبد القادر الجيلى رحمه الله روحه ونور ضريحه جميع الاولياء لا يستمدون الا من كلام الله و رسوله ولا يأخذون و يعملون الا بظاهرهما وقال أبو حفص من لم يزن أفعاله وأحواله وأقواله بالكتاب والسنة ولم يتهم خواطره فلا تعده وهؤلاء الكذابون على الله المدعون يتهددون و يتهزهزون بالرقص حول الطار والمزمار عند سماعه والبكاء والنحيب و يومؤن باذنابهم ورؤسهم شوقا

لذلك من الوجدان والحالات زاعمين انه ذكر لله وانه من الدين المقرب عنده والمحبوب اليه وهو والله من الجور والبهتان والطغيان لا من السنة ولا من القرآن ولا فعله أولياء الرحمن بل نحوا عنه وانما هو من فعل أولياء الشيطان وعباد ابليس والجان فانهم اذا سمعوا القرآن أعرضوا عن سماعه وعن العمل به ولم يأخذهم ما أخذهم عند سماع ذلك المنكر بل تشاغلوا عنه بالضحك واللعب وشرب الدخان فهم أقبح حالا من الذين قال الله فيهم ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث الا استمعوه وهم يلعبون لاهية قلوبهم ومع ادعائهم علم الباطن شبيهون بالذين عبدوا العجل فى غيبة موسى فلما رجع سمع لهم صياحا وأصواتا واذا هم يرقصون حوله ومجرد الرقص بلا ادعاء انه من الدين لا يوجب الكفر الحقيقى بل الفسق فقط ما لم ينازعوا الله فى ألوهيته لعموم ما تقدم ومتى ظهرت المنازعة ووجد الادعاء فيما قدمناه فاين الاحتمال المؤدى الى وجود الايمان مع وجود نقيض الكلمة الطيبة فيه ومنازعته معناها المختص بجلال الله وعظمته ومعاملته بادعائه وتعظيمه فاصل الدين وقوامه انما هو اخلاص العبادة والدين بانواعه لله سبحانه واتباع ما أمر به وأرسل به رسله وانزل به كتبه والانتهاء عما نهى عنه قال تعالى وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة ﴿وأما قولكم يجب الترضى والاستغفار لمن سلف من المؤمنين والكف عن مساويهم قال عز من قائل والذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رؤف رحيم ومرتكب الكبيرة ليس بكافر ولا مخلد فى النار لقوله تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره وقوله ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾ فنقول اما محبة جميع المؤمنين بعضهم بعضا ومودتهم بينهم وسؤال الله المغفرة لهم فامر مستحسن مطلوب لا يشك فيه شاك ولا يسفهه الا هالك قال سبحانه وتعالى آمرا نبيه ان يستغفر للمؤمنين فاستغفر لذنبك وللمؤمنين وقال تعالى والذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان وسمع ابن عباس رضى الله عنهما رجلا ينال من بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أمن المهاجرين الاولين أنت قال لا قال أمن الانصار أنت قال لا قال فاشهد انك لست من التابعين باحسان فكل من لم يترض عن أصحاب محمد والتابعين لهم باحسان وكان فى قلبه غل لأحد منهم فانه ليس ممن عناه الله بهذه الآيه والله تعالى رتب المؤمنين على ثلاث منازل المهاجرين والأنصار والتابعين الموصوفين بالاحسان فمن لم يكن من التابعين بهذه الصفة كان خارجا عن المؤمنين وفى الصحيحين عن النعمان بن بشير رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر وفى رواية لمسلم المؤمنون كرجل واحد اذا اشتكى رأسه تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر وفى رواية له أيضا المسلمون كرجل واحد اذا اشتكى عينه اشتكى كله واذا اشتكى رأسه اشتكى كله وفى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا وعن أنس رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا ولا تقاطعوا وكونوا عباد الله اخوانا ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث متفق عليه وعن أبى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تفتح أبواب الجنة يوم الاثنين ويوم الخميس فيغفر لكل عبد لا يشرك بالله شيأ الا رجل كانت بينه وبين أخيه شحناء فيقال أنظروا هذين حتى يصطلحا

رواه مسلم وفي رواية له تعرض الاعمال في كل يوم خميس أو اثنين وذكر نحوه فالمؤمنون تجب موالاتهم ومحبتهم والكف عن اعراضهم ويحسن الدعاء والاستغفار لهم وتحرم معاداتهم وتتبع عوراتهم والبحث عن عثراتهم وقد ثبت عنه صلى الله عليه وسلم انه قال المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يثلمه ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة رواه البخاري عن يحيى بن بكير ورواه مسلم عن قتيبة كلاهما عن الليث قال سبحانه وتعالى انما المؤمنون اخوة قال الزجاج علم الله سبحانه ان الدين يجمعهم وانهم اخوة اذا كانوا متفقين في دينهم فرجعوا بالاتفاق في الدين الى أصل النسب لابيهم من آدم وحواء وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلم من سلم المسلمون من يده ولسانه والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه وعن جندب بن عبد الله رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رجل والله لا يغفر الله لفلان فقال الله عز وجل من ذا الذي يتألى على أن لا أغفر لفلان اني قد غفرت له وأحبطت عملك رواه مسلم وأخرج البخاري من حديث أبي هريرة مرفوعا الى النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب وأخرج الامام أحمد من حديث أبي أمامة بن سهل عن أبيه سهل بن حنيف مرفوعا من أذل عنده مسلم فلم ينصره وهو يقدر أن ينصره أذله الله على رؤس الخلائق يوم القيامة ولابي داود مرفوعا ما من امرئ يخذل امرأ مسلما في موضع تنتهك فيه حرمته وينتقص فيه عرضه الا خذله الله في موضع يحب فيه نصرته وما من امرئ ينصر امرأ مسلما في موضع ينقص فيه من عرضه وتنتهك فيه حرمته الا نصره الله في موضع يحب فيه نصرته وروى مسلم من حديث أبي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما من عبد مسلم يدعو لاخيه بظهر الغيب الا قال ملك ولك بمثل وعنه أيضا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول دعوة المرئ المسلم لاخيه بظهر الغيب مستجابة عند رأسه ملك موكل كلما دعا لاخيه بخير قال الملك الموكل به آمين ولك بمثل رواه مسلم وفي حديث آخر أسرع الدعاء اجابة دعوة غائب لغائب وقد أثنى الله على الذين يثنون على المؤمنين خيرا ويدعون لهم به قال سبحانه وتعالى والذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رؤف رحيم فالدعاء للغير ينتفع به الداعي والمدعو له وان كان الداعي دون المدعو له رتبة فقد قال صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب رضي الله عنه لما أراد أن يعتمر وودعه لا تنسنا يا أخي من دعائك فالنبي صلى الله عليه وسلم قد طلب من أمته الدعاء ولكن ليس ذلك من باب سؤالهم بل هو كامره لهم بسائر الطاعات التي يثابون عليها مع انه عليه الصلاة والسلام له مثل أجورهم في كل ما يعملون لانه صح عنه صلى الله عليه وسلم انه قال من دعا الى هدى كان له من الاجر مثل أجور من تبعه من غير أن ينقص من أجورهم شئ ومن دعا الى ضلالة كان عليه من الوزر مثل أوزار من تبعه لا ينقص ذلك من أوزارهم شيا وهو عليه الصلاة والسلام داعي الامة الى هدى فله مثل أجورهم في كل ما اتبعوه فيه وكذلك اذا صلوا عليه فان الله يصلي على أحدهم عشرا وله صلى الله عليه وسلم مثل أجورهم مع ما يستجيبه الله تعالى من دعائهم له فكذلك الدعاء فقد أعطاهم الله أجرهم عليه وصار ما يحصل له به من النفع نعمة من الله عليه ومن قال لآخر ادع لي وقصد انتفاعهما جميعا بذلك كان هو وأخوه متعاونين على البر والتقوى فالسائل نبه المسؤول وأشار عليه بما ينفعهما والمسؤول قد فعل ما هو نفع لهما فهو بمنزلة من يأمر غيره ببر

وتقوى فيثاب المأمور على فعله والآمر يثاب لكونه دعا اليه لا سيما اذا فعل من الأدعية ما أمر الله به العبد كما قال واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات فامره بالاستغفار ثم قال ولو انهم اذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما فذكر الله استغفار الرسول صلى الله عليه وسلم لهم في ذلك الوقت حيث أمره الله تعالى أن يستغفر للمؤمنين والمؤمنات ولم يأمر الله مخلوقا ان يسأل مخلوقا شيأ لم يأمر الله المخلوق المسؤول به فما أمر الله العبد به أمر ايجاب أو استحباب ففعله هو عبادة لله وطاعة وقربة لله وصلاح لفاعله وحسنة منه واذا وفق لفعل ذلك كان من أعظم احسان الله اليه وانعامه عليه بل أجل نعمة أنعمها الله على عبده ان هداه للايمان وأرشده للتوفيق اليه ومحبة المؤمنين وموالاتهم والدعاء والاستغفار لهم ومجانبة أهل الشرك والطغيان والجور والبهتان العاملين بالجهل والابتداع والتاركين للامر المنزل المطاع فعملوا بضده على يقين منهم في ذلك واختراع زاعمين انه هو المطلوب وانه هو الوسيلة الى المحب المحبوب ومعاداتهم وجهادهم عليه وتذكيرالله وادعائه اليه هذا هو الانعام الحقيقي المذكور في قوله تعالى اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين وهي الطاعة لله التي من عمل بها يكون مع أوليائه قال تعالى ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا ذلك الفضل من الله بل نعم الدنيا بدون الدين هل تسمى نعمة أم لا فيه قولان للعلماء مشهوران والتحقيق انها نعمة من وجه وان لم تكن نعمة تامة من وجه وأما الانعام بالدين ومنه حب أهله وموالاتهم ومعاداة ضدهم فلا يتم بدون ذلك فهو الخير الذي ينبغي طلبه باتفاق المسلمين وهو النعمة الحقيقية عند أهل السنة قال سبحانه وتعالى قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون قال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه فضل الله الاسلام والقرآن ورحمته ان جعلنا من أهله وكما ان المؤمنين تجب محبتهم وموالاتهم والكف عن أعراضهم ويحسن الدعاء والاستغفار لهم كذلك أعداء الله من المشركين الكافرين تجب معاداتهم وتحرم موالاتهم وتذكر مساويهم ليرتدعوا عما هم عليه قال تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون اليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول واياكم ان تؤمنوا بالله ربكم ان كنتم خرجتم جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي تسرون اليهم بالمودة وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل وعدم الرضا بدينه صلى الله عليه وسلم وما جاء به والعمل به أكبر من اخراج ذات الرسول فانه لم يخرج الا بسبب ذلك وقال تعالى انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فان حزب الله هم الغالبون وفي الصحيحين عن عمرو بن العاص انه صلى الله عليه وسلم قال جهارا ان آل أبي فلان ليسوا لي بأولياء انما وليي الله وصالح المؤمنين ومعناه انما وليي من كان صالحا وان بعد نسبه مني وليس وليي من كان غير صالح وان كان نسبه قريبا قال القاضي عياض قيل ان المكنى عنه هنا هو الحكم ابن أبي العاص وذلك لان بعض الرواة كنى وافقه لوافي أوله أما ان آل أبي يعني فلانا ليسوا لي بأولياء انما وليي الله وصالح المؤمنين وانما كنى خشية ان يسميه فيترتب عليه مفسدة اما في حق نفسه واما في حقه وحق غيره فكنى عنه فقد أخبر صلى الله عليه وسلم عن بطن قريب النسب منه انهم ليسوا بمجرد النسب أولياء له انما وليه الله وصالح المؤمنين من جميع الاصناف ومثل ذلك كثير بين في الكتاب

والسنة

والسنة ان العبرة بالاسماء التي حمدها الله وذمها كالمؤمن والكافر والبر والفاجر والعالم والجاهل لا بالنسب ومن هذا قول بعضهم

لعمرك ما الانسان الا ابن دينه * فلا تترك التقوى اتكالا على النسب
لقد رفع الاسلام سلمان فارس * و وضع الشرك الشقي أبا لهب

وكذلك تجب مقاطعتهم والبراءة منهم وعدم الاستغفار لهم قال تعالى لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو اخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الايمان وأيدهم بروح منه الآية وقال ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم وتحقيق وجود الشرك يقوم مقام من علم انه من أصحاب الجحيم في عدم جواز الاستغفار والحالة هذه قال الله لنبيه سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم ان يغفر الله لهم وقد ثبت في الصحيح ان الله تعالى نهى نبيه صلى الله عليه وسلم عن الاستغفار للمشركين والمنافقين وأخبر سبحانه انه لا يغفر لهم قال تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وقال ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون وهو تعالى لا يحب المعتدين في الدعاء ومنه سؤال المغفرة للمشركين أو ما فيه معصية لله كاعانته على الكفر والفسوق والعصيان فالشفيع الذي أذن الله له في الشفاعة شفاعته من الدعاء الذي ليس فيه عدوان وهو لا يكون الا للموحدين لا للمشركين الذين حرم الله عليهم الجنة ومأواهم النار وان لم نقطع لمعين بجنة ولا نار الا لمن نص عليه النبي صلى الله عليه وسلم لانا مأمورون ان نعامل بالظاهر والامور مرجعها اليه سبحانه وتعالى ولو سأل واحد من الانبياء عليهم السلام قد عاد عاء لا يصلح له لم يقر عليه فانهم معصومون ان يقروا على ذنب لو صدر منهم جهلا بحكمه أولا ولهذا قال نوح عليه السلام رب ان ابني من أهلي وان وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين قال الله يا نوح انه ليس من أهلك انه عمل غير صالح فلا تسأل ما ليس لك به علم اني أعظك ان تكون من الجاهلين قال رب اني أعوذ بك ان أسألك ما ليس لي به علم والا تغفر لي وترحمني أكن من الخاسرين وأما استغفار ابراهيم لوالديه في قوله ربنا اغفر لي ولوالدي فللوعد الذي وعده أباه وعده ان يستغفر له ان آمن وهو قوله سأستغفر لك ربي فاستغفر له لمكان الوعد راجيا ان يسلم فلما تبين له انه عدو لله لموته على الكفر تبرأ منه وفي البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يلقى ابراهيم أباه آزر يوم القيامة وعلى وجه آزر قترة وغبرة فيقول له ابراهيم ألم أقل لك لا تعصني فيقول له أبوه اليوم لا أعصيك فيقول ابراهيم يا رب انك وعدتني انك لا تخزني يوم القيامة يوم يبعثون فاي خزي أخزى من أبي الابعد فيقول الله تبارك وتعالى اني حرمت الجنة على الكافرين ثم يقال لابراهيم انظر ما تحت رجليك فينظر فاذا هو بضبع ملطخ بالدم فيؤخذ بقوائمه فيلقى في النار فيتبرأ منه يومئذ فقد يئس الله عذر خليله عليه السلام في استغفاره لأبيه وأما أمه فقد أسلمت وقيل المراد بالوالدين في قوله لوالدي آدم وحوى عليهما السلام والأول عليه الأكثر وأما قوله فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره الآية فالذرة هي النملة الصغيرة وعمومها مع ان حسنات الكافر محبطة بالكفر وسيئات المؤمن الصغائر مغفورة باجتناب الكبائر لأن المعنى فمن يعمل مثقال ذرة من فريق السعداء خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة من فريق الأشقياء شرا يره وقد ذكر الله سبحانه ذلك بعد قوله يومئذ يصدر الناس أشتاتا أي يرجع الناس عن موقف الحساب بعد

العرض متفرقين أهل التوحيد والايمان على حدة وأهل كل دين على حدة كقوله يومئذ يتفرقون ويومئذ يصدعون ليروا أعمالهم قال ابن عباس ليروا جزاء أعمالهم والمعنى انهم يرجعون عن الموقف فرقا لينزلوا منازلهم من الجنة والنار قال مقاتل فمن يعمل في الدنيا مثقال ذرة خيرا يره يوم القيامة في كتابه فيفرح بذلك وكذلك من الشر يراه في كتابه فيسوءه ذلك قال وكان أحدهم يستقل ان يعطي اليسير ويقول انما نؤجر على مانعطي ونحن نحبه واليسير ليس مما نحب ونتهاون بالذنب اليسير ونقول انما وعد الله النار على الكبائر فانزل الله هذه الآية يرغبهم في القليل من الخير ويحذرهم اليسير من الشر وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال قلت يارسول الله ماينتهي الناس يوم القيامة قال الى أعمالهم من يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره واستدلال صاحب المقدمة بهذه الآية على ان مرتكب الكبيرة ليس بكافر لايصلح له دليلا اذ لم يكفر به من الخوارج والمبتدعة ان يقولوا فمن يعمل مثقال ذرة من فريق المسلمين وأما الكافرون فيرجع فيه الى قوله وقدمنا الى ماعملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا ولكن الدليل لأهل السنة والجماعة ونحن ان شاء الله منهم ماقدمناه وقلناه وبيناه في بحث أهل الايمان * ومما أجمع عليه صالح سلف الأمة من دلائل الكتاب والسنة وعند قوله نقلا عن ابن القيم وهذا الجمع والتوقيف بهذا التفصيل هو قول الصحابة وعليه الاعتماد لأن أمثال هذه المسائل لاتتلقى الا منهم ولاتؤخذ الا عنهم فلله الحمد والمنة وهو مما قاله من الاستدلال بزعم انا نكفر بالذنوب وقد تكرر ذلك منه وهو بهتان علينا وجور وادعاء بلاتثبت وقول زور ومن وفق الانصاف حقق أمرنا ونهينا ومن الذي كفرنا وجاهدنا وكلامنا ودلائلنا فلا نقول علينا الا حقا ولا يعمل الا به * وأما قولكم ﴿ اذا تمهد هذا فنقول اما ماذكرت من تعظيم القبور وتشديد المنكر على من يفعله فهذا أمر مجمع عليه وعلى تحريمه ولايفعله الا جهلة الرعاع من العوام والاعراب واشباههم بل نقول ان الصلاة تكره كراهة تحريم بحضرة أي قبر كان بل عند الامام أحمد لاتنعقد أصلا لكن لايلزم من ذلك تكفير مرتكبه كفرا يخرج به عن الملة ويباح دمه وماله وعرضه نعم هو كفر عملي حيث يكون بفعله مرتكبا للمنهي عنه وحكمه كما قدمناه النصيحة والوعظ والزجر لاغير ذلك ﴾ فنقول معنى تمهد أي انتشر مبسوطا السامعه من تمهدت الارض تمهدا اذا اتسعت فراشا مبسوطة وتمهد الصبي تمهدا اذا سكن اضطرابه في المهاد ومهد اذا وضع فيه قاله أهل المعاني وأما تعظيم القبور بمعنى احترامها فان كانت للمسلمين فواجب لايجوز بول ولاتغوط ولاجلوس ووطء عليها لما في صحيح مسلم عن أبي مرثد الغنوي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لاتجلسوا على القبور ولاتصلوا اليها وفيه أيضا ان النبي صلى الله عليه وسلم رأى رجلا قد اتكأ على قبر فقال لاتؤذوا صاحب القبر وفيه أيضا عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن يجلس أحدكم على جمرة فتحرق ثيابه فتخلص الى جلده خير له من أن يجلس على قبر مسلم وأما تعظيمها بمعنى عبادتها فهو أكبر الكبائر عند الخاص والعام وأصل فتنة عباد الاصنام كما قاله السلف من الصحابة والتابعين والائمة المجتهدين الذين في قلوبهم وقار لله فيغضبون لاجله ويغارون على توحيده ويقبحون الشرك وأهله ويجاهدون أعداء الله من أجله ولكن من خالفهم فما الحيلة * ما لجرح بميت ايلام * ولا لمن خالف هؤلاء احترام * وان منشأ هذه الفتنة في الاسلام الفتنة في القبور حتى آل الامر فيها الى أن عبد أربابها من دون الله وعبدت قبورهم واتخذت أوثانا وبنيت عليها الهياكل فصارت تدعى وترجى وتخشى وكان أول هذا الداء العظيم في قوم نوح كما أخبر سبحانه عنهم

فى كتابه حيث يقول قال نوح رب انهم عصونى واتبعوا من لم يزده ماله و ولده الا خسارا ومكروا مكرا كبارا وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث و يعوق ونسرا وقد أضلوا كثيرا اذكر هذا البخارى فى صحيحه وأهل التفسير كابن جرير وغيره منهم ابن كثير وأبو الحسين البغوى وعلى بن أحمد الواحدى والرازى قال ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله كان الناس أمة واحدة قال على الاسلام وكان أول ما كادهم به الشيطان من تعظيم الصالحين كما ذكر الله ذلك فى كتابه فى قوله وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث و يعوق ونسرا قال الكلبى كان هؤلاء قوما صالحين فماتوا فى شهر فجزع عليهم أقاربهم وصوّروا صورهم وفى غير حديثه قال أصحابهم لو صورناهم كان أشوق لنا الى العبادة فكان الرجل يأتى أخاه وابن عمه فيعظمه حتى ذهب ذلك القرن ثم جاء قرن آخر فعظموهم أشد من الاول ثم جاء القرن الثالث فقالوا ما عظم أولنا هؤلاء الا وهم يرجون شفاعتهم فلما بعث الله نوحا وغرق من غرق أهبط الماء هذه الاصنام من أرض الى أرض حتى قذفها الى أرض جدة فلما نضب الماء بقيت على الشط فسفت الريح عليها حتى وارتها ثم عمر نوح عليه السلام وذريته الارض و بقوا على الاسلام ما شاء الله ثم حدث فيهم الشرك وما من أمة تخرج الا و يبعث الله فيهم رسولا يأمرهم بعبادة الله وحده لا شريك له و ينهاهم عن الشرك فمنهم عاد التى لم يخلق مثلها فى البلاد بعث الله لهم هودا وكانوا فى ناحية الجنوب بين اليمن وعمان فكذبوه فارسل الله عليهم الريح فاهلكتهم ونجى الله هودا ومن آمن معه ثم بعث الله صالحا الى ثمود وكانوا بالشمال بين الشام والحجاز فاستحبوا العمى على الهدى فارسل الله عليهم صيحة فاهلكتهم و نجى الله صالحا ومن معه ثم بعد ذلك أخرج الله ابراهيم عليه السلام وأهل الارض اذ ذاك كلهم كفار فكذبوه الا ابنة عمه سارة زوجته وآمن له لوط فاكرمه الله تعالى و رفع قدره وجعله اماما للناس وجعل فى ذريته الكتاب والنبوة ومنذ ظهر ابراهيم لم يعدم التوحيد فى الارض كما قال تعالى وجعلها كلمة باقية فى عقبه لعلهم يرجعون وكان له ابنان اسحق عليه السلام وهو أبو بنى اسرائيل واسرائيل يعقوب بن اسحق والثانى اسماعيل عليه السلام وهو أبو العرب وقصته وامه مشهورة لما وضعها عليه السلام فى مكة فنشأ اسمعيل فى أرض العرب وصار له ولاولاده ولاية البيت ومكة فلم يزالوا على دين أبيهم اسمعيل حتى نشأ فيهم عمرو بن لحى فملك مكة وكان معظما فيهم بسبب الدين والدنيا فسافر الى الشام و رآهم يعبدون الاوثان فاستحسن ذلك منهم وزينه لاهل مكة ثم اقتدى بهم أهل الحجاز فلم تزل تعبد حتى بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فكسرها وقال رايت عمرو بن عامر بن لحى يجر قصبه فى النار وكانت الجاهلية فيهم بقايا من دين ابراهيم مثل تعظيم البيت والطواف به والحج والعمرة واهداء البدن وكانت نزار تقول فى اهلالها لبيك لا شريك لك الا شريك هو لك تملكه وما ملك و روى محمد بن جرير باسناده الى الثورى عن موسى بن محمد بن قيس قال كان ود وسواع و يغوث و يعوق ونسرا قوما صالحين بين آدم ونوح عليهما السلام وكان لهم اتباع يقتدون بهم فلما ماتوا قال أصحابهم الذين كانوا يقتدون بهم لو صورناهم كان أشوق لنا الى عبادة ربنا اذا ذكرناهم فصوروهم فلما ماتوا وجاء آخرون دب اليهم ابليس فقال انما كانوا يعبدونهم بدعائهم فبهم يستشفعون و بهم يستسقون المطر فعبدوهم بذلك قال سفيان عن أبيه عن عكرمة قال كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الاسلام وقال محمد بن كعب هذه أسماء قوم صالحين كانوا بين آدم ونوح فنشأ قوم بعدهم يأخذون بأخذهم فى العبادة فقال لهم ابليس لو صورتموهم كان أنشط لكم

وأشوق الى عبادة ربكم ففعلوا ثم نشأ قوم بعدهم فقال لهم ابليس ان الذين من قبلكم كانوا يستسقون ويستشفعون بهم ويدعونهم ليشفعوا لهم فعبدوهم بذلك وابتداء عبادة الاوثان كان من ذلك الوقت وسميت تلك الصور بهذه الاسماء لانهم صوروها على صورة أولئك القوم المسلمين بهذه الاسماء وقال قتادة فى هذه الآية يعنى قوله ولا تذرن آلهتكم قال كانت آلهة يعبدها قوم نوح ثم عبدتها العرب بعد ذلك فكان ود لكلب بدومة الجندل وكان سواع لهذيل وكان يغوث لبنى غطيف وكان يعوق لهمدان وكان نسر لذى الكلاع من حمير وقال ابن عباس هذه أصنام كانت تعبد زمان نوح وقال البخارى عن عطاء عن ابن عباس صارت الأوثان التى كانت فى قوم نوح فى العرب بعد أما ود فكانت لكلب بدومة الجندل وأما سواع فكانت لهذيل وأما يغوث فكانت لمراد ثم لبنى غطيف بالجرف عند سبا وأما يعوق فكانت لهمدان وأما نسر فكانت لحمير وقال غير واحد من السلف كان هؤلاء قوما صالحين فى قوم نوح فلما ماتوا عكفوا على قبورهم ثم صوروا تماثيلهم ثم طال عليهم الامد فعبدوهم ليشفعوا لهم فهؤلاء قد جمعوا بين الفتنتين فتنة القبور وفتنة التماثيل وهما الفتنتان اللتان أشار اليهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الحديث المتفق على صحته عن عائشة رضى الله عنها أن أم سلمة ذكرت لرسول الله صلى الله عليه وسلم كنيسة بارض الحبشة يقال لها مارية وكانت أم سلمة وأم حبيبة أتتا أرض الحبشة فذكرتا من حسنها وتصاوير فيها فرفع النبى صلى الله عليه وسلم رأسه وقال أولئك اذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدا ثم صوروا فيه تلك الصور أولئك شرار الخلق عند الله وهذه الفتنة هى السبب فى عبادة اللات فروى ابن جرير باسناده عن سفيان عن منصور عن مجاهد فى قوله أفرأيتم اللات والعزى قال كان يلت السويق فمات فعكفوا على قبره وكذلك قال أبو الجوزجانى عن ابن عباس كان يلت السويق للحاج فسبب عبادة يغوث ويعوق ونسر واللات انما كانت من تعظيم قبور الاموات وهذه العلة التى نهى الشارع صلى الله عليه وسلم عن اتخاذ المساجد على القبور لاجلها هى التى أوقعت كثيرا من الامم اما فى الشرك الاكبر أو فيما دونه من الشرك فان النفوس قد أشركت بتماثيل القوم الصالحين وتماثيل يزعمون انها طلاسم الكواكب ونحو ذلك فان الشرك بقبر الرجل الذى يعتقد صلاحه أقرب الى النفوس من الشرك بخشبة أو حجر ولهذا أهل الشرك كثيرا ما يتضرعون عندها ويخشعون ويخضعون ويعبدون بقلوبهم عبادة لا يفعلونها فى بيوت الله ولا وقت الاسحار ومنهم من يسجد لها وأكثرهم يرجون من بركة الصلاة والدعاء عندها ما لا يرجونه فى المساجد فهم يعبدون أصحابها بدعائهم ورجائهم والاستغاثة بهم وسؤالهم النصرة والرزق والعافية وقضاء الديون وتفريج الكربات واغاثة اللهفات وبذل النذر لجلب ما أملوه ودفع الشر ورمع اتخاذ قبورهم اعيادا والصلاة اليها والطواف بها وتقبيلها واستلامها وتعفير الخدود على تربتها وغير ذلك من أنواع العبادات والطلبات التى كانوا عليها عباد الاوثان يسألون أوثانهم ليشفعوا لهم عند مليكهم فهؤلاء المشركون الغلاة قد جعلوا لاهل القبور أصناف العبادات واذا قدموا الى القبر عقروا له العقائر وتقربوا اليه بانواع القربات وقد أخرج أحمد وأبو داود من حديث أنس رضى الله عنه أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا عقر فى الاسلام قال عبد الرزاق كانوا يعقرون عند القبر بقرة أو شاة فنهوا عن ذلك وأخبر أنه فعل عباد الاصنام واذا رأوا قبته من مكان بعيد نزلوا عن الدواب واشتغلوا بدعائه والنحيب ووضعوا لها الجباه وقبلوا الارض وكشفوا الرؤس وارتفعت أصواتهم بالضجيج ورأوا انهم قد

زادوا في الربح على الحجيج فاستغاثوا بمن لا يبدي ولا يعيد ونادوه ولكن من مكان بعيد حتى اذا وصلوا اليه صلوا عند القبر ركعتين ورأوا انهم قد حازوا من الاجر كمن صلى الى القبلتين فهم حول القبر ركعا سجدا يبتغون فضلا من الميت ورضوانا وقد ملؤا أكفهم خيبة وخسرانا فللشيطان ما يراق هنالك من العبرات ويرتفع بالدعاء من الاصوات ويطلب من الميت أنواع الحاجات ويسأل من تفريج الكربات واغناء ذوي الفاقات ومعافات أولي العاهات والبليات ثم انثنوا بعد ذلك حول القبر طائفين تشبيها له بالبيت الحرام الذي جعله الله مباركا وهدى للعالمين ثم أخذوا في التقبيل والاستلام كأنه الحجر الاسود وما يفعل به وفد بيت الله الحرام ثم عفروا عنده تلك الجباه والخدود التي يعلم الله انها لم تعفر كذلك بين يديه في السجود واستمتعوا بخلاقهم من ذلك القبر فلم يكن لهم عند الله من خلاق وقربوا لذلك القرابين فكانت صلاتهم ونسكهم وقربانهم لغير رب العالمين وقد آل الامر الى فعل أنواع المنكرات من بذل الفروج ثلاثة أيام من كل سنة في مولد أحمد البدوي ومشهده الذي في القاهرة يخرجن اليه الغواني جاعلين ذلك في صحائفه ولينالوا من بركته وانهم محسوبون اليه زيادة على نعالهم عند قبر الست نفيسة ومشهد الحسين هذا والعلماء حاضرون والعباد شاهدون والمردان مع الفجار المدعين الولاية والمتزينين بها مجتمعون وفي فراش واحد بلا حائل ليلا ينامون وفي النهار معهم مختلون ويدعون انهم لهم يربون والعلماء والحالة هذه لا ينكرون والعباد لله لا يغارون ولا الحق يقولون بل كلا الفريقين يصنفون الكتب في ذلك ويعتذرون عنه باجوبة ليست صوابا ولا سديدة بل هي عن الحق بعيدة ﴿ومنها قولهم

تنبيه﴾ اعلم انه قد يعترض بعض الناس على أحمد البدوي وعلى هؤلاء المجتمعين عنده في حضرة ضريحه ويقولون اذا كان له هذا المولد العظيم والتصرف التام النافذ بعد الممات فكيف لا يتصرف في دفع أصحاب المعاصي عن حضور مولده فالجواب عن ذلك من أوجه أحدها انه في عنايته من زربه فكل من حضر مولده من أهل العصيان وافق نزول الرحمة والغفران فغفر له بسببه وتيب عليه ولو بعد حين من الزمان الثاني ان الغالب على حاله البسط وجاهه عريض يسع الخلق ولو وافقه جميع فساق أهل الارض كذلك كان مغفورا لهم بسببه الثالث انه قد خرج الى مقام لا تكليف فيه وهؤلاء العاملون عملهم لهم وعليهم ومنهم من صنف في ذلك طبقات كبرى وقال فيها ان سبب حضوري مولد أحمد البدوي عند ضريحه ان شيخي الشيخ العارف بالله الشناوي أحد أعيان بيته وكان قد أخذ على العهد في قبته تجاه القبر أن لا أخرج عن طريقته ثم أخذ بيدي وسلمني الى أحمد البدوي وقال يكون خاطرك على عبد الوهاب فاحفظه واجعله تحت نظرك فسمعته يقول من داخل القبر نعم من آوى الينا وجب حقه علينا ثم انه تراءى لي فرأيته وأنا بمصر هو وعبد العال وهما يقولان لي زرنا في مكاننا ونحن نطبخ لك ملوخية ضيافتك فجئت الى قبرهما واضافني غالب أهل الضيعة وجماعة المقام ملوخية ثم رأيته وقد واقفني على جسر قحافة تجاه طنده فوجدته كالسور محيطا بها فقال لي قف ههنا وادخل من شئت وامنع من شئت قال ولما دخلت بزوجتي أم عبد الرحمن وهي بكر مكثت خمسة أشهر لم أقدر عليها ولم أقرب منها فأتاني من قبره ليلة من الليالي فأخذ بيدي وهي معي في فراشي وفرش لنا فراشا بيده فوق ركن القبة الذي على يسار الداخل وأتى لنا بحلوى ودعا الاحياء والأموات من الأولياء وقال لي أزل بكارتها ههنا وهم مشغولون بالأكل فكان من أمرنا ما كان في تلك الليلة قال وقد تخلفت سنة من السنين عن الحضور للمولد وقد كان هناك الأولياء فاخبرت ان أحمد البدوي كان يكشف الستر

ذلك اليوم عن ضريح قبره ويقول ابطأ علينا عبد الوهاب ما جاءنا يحضر قال وأردت التخلف سنة من السنين فرأيت أحمد وفي يده جريدة خضراء قد خرج بها من قبره وهو يدعو الناس من سائر الأقطار والناس خلفه وامامه ويمينه وشماله وهم خلائق لا يحصون فرعلي وأنا بمصر وقال لي أما تذهب فتحضرنا فقلت انى وجيع فقال الوجع لا يمنع المحب ومنهم من يحكى عن القبور ويقول فلان استغاث بالقبر الفلاني في شدته فخلصه منها وفلان دعاه أو دعا به في حاجة فقضيت له وفلان نزل به ضر فاشتكى الى صاحب ذلك القبر فكشف ضره وعند هؤلاء العلماء في دين الشيطان وجنوده الجهلة بالله وما أنزل على رسوله وسدنة الاضرحة والمقابرية الذين هم من أشر البرية شئ كثير من هذه الحكايات والارادات والاعتقادات مالو ذكرناه لاحتمل مجلدات وهم من أكذب خلق الله على الاحياء والاموات والنفوس مولعة في قضاء حوائجها وازالة ضررها واذا سمعوا من هؤلاء الجهلة الضلال ان قبر فلان الترياق المجرب في اجابة الدعوة وكشف الشدة سمعوا لهم وأجابوا وخضعوا للقبور ودعوهم وأنابوا والشيطان له تلطف فيما يجلب اليه الدعوة فيدعو أولا هذا الداعي الى أن يدعو صاحب القبر أو عنده فيقع دعاء هذا الداعي بالمعون لا له وهذا نتيجة الجهل بحقيقة ما بعث الله به الرسل من تحقيق التوحيد وقطع أسباب الشرك فلم يكن له نصيب فيما جهلوه وادعوه وقد دعاهم ابليس الى الفتنة ولم يكن عندهم من العلم ما يبطل دعوته فاستجابوا له بحسب ما عندهم من الجهل وادعوا بقدر ما معهم من العلم الذي ظاهره قول معرب وحقيقة الجهل مركب حيث أو ردوا فيما اعتقدوه وقالوه أحاديث مكذوبة مختلقة موضوعة اختلقها عباد الاصنام من السدنة والمقابرية على رسول الله صلى الله عليه وسلم تناقض دينه وما جاء به كحديث اذا أعيتكم الامور فعليكم بأصحاب القبور وحديث لو حسن أحدكم ظنه بحجر نفعه وامثال هذه الاحاديث التي هي مناقضة لدين الاسلام وضعها المشركون وراجت على المدعين من الجهال والضلال الذين هم عن الحق معرضون والله بعث رسوله بقتل من حسن ظنه بالاحجار وجنب أمته الفتنة بالقبور كما جاءت به الآثار واستفاضت عنه في ذلك الاخبار بنقل أهل الصحيح ونقد أهل التصحيح فروى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قاتل الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد وفي رواية لمسلم لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد وفي صحيح مسلم عن جندب بن عبد الله البجلي رضي الله عنه قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يموت بخمس وهو يقول انى أبرأ الى الله أن يكون الى منكم خليل فان الله قد اتخذني خليلا كما اتخذ ابراهيم خليلا ولو كنت متخذا من أمتي خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا الا وان من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد فاني أنهاكم عن ذلك وعن عائشة وعبد الله بن عباس قالا لما نزل برسول الله صلى الله عليه وسلم طفق يطرح خميصة كانت على وجهه فاذا اغتم بها كشفها فقال وهو كذلك لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد يحذر أمته ما صنعوا متفق عليه قالت عائشة رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه الذي لم يقم منه لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ولولا ذلك لابرز قبره غير انه خشي أن يتخذ مسجدا متفق عليه وروى الامام أحمد في مسنده باسناد جيد عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء والذين يتخذون القبور مساجد وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم

زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج رواه الامام أحمد وأهل السنن وهذا حال من سجد لله عند قبر فكيف بمن يسجد للقبر نفسه أو دعاه وعدل عن اوضاع الشرع الى تعظيم أوضاع الجهال والطغام وضعوها لانفسهم بتلبيس ابليس عليهم فسهلت لهم وطابت بها قلوبهم من تعظيم القبور واكرامها بما نهى عنه الشرع ومن عبادتها بدعائها ورجائها والالتجاء اليها والتوكل عليها والنذر لها وكتب الرقاع فيها وخطاب الموتى بالحوائج ياسيدى يامولاى افعل بى كذا وكذا وأخذ تربتها والخرق التى عليها تبركا وايقاد السرج عليها وتقبيلها وتخليقها وشد الرحال اليها وينضاف الى ذلك القاء الخرق على الشجر ودعاؤها والذبح والنذر لها اقتداء بمن عبد اللات والعزى والويل كل الويل عندهم لمن عاب وأنكر عليهم ومن جمع بين سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى القبور وما أمر به ونهى عنه وما كان عليه أصحابه وبين ما عليه أكثر الناس اليوم رأى أحدهما مضادا للآخر مناقضا له بحيث لا يجتمعان أبدا فنهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الصلاة الى القبور وهؤلاء يصلون عندها ونهى عن اتخاذها مساجد وهؤلاء يبنون عليها القبب والمساجد ويسمونها مشاهد مضاهاة لبيوت الله ونهى عن ايقاد السرج عليها وهؤلاء يوقفون الوقوف على ايقادها بالقناديل والسرج فيها ونهى عن اتخاذها أعيادا وهؤلاء يتخذونها مناسك وأعيادا يجتمعون لها كاجتماعهم للعيد أو أكثر ونهى عن العقر والذبح لها وهؤلاء يعقرون عليها وينذرون لها ويدعونها وأمر بتسويتها كما روى مسلم فى صحيحه عن أبى الهياج الاسدى واسمه حيان بن حصين قال قال لى على بن أبى طالب رضى الله عنه ألا أبعثك على ما بعثنى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا أدع تمثالا الا طمسته ولا قبرا مشرفا الا سويته وفى صحيحه أيضا عن ثمامة بن شفى الهمدانى قال كنا مع فضالة بن عبيد بارض الروم فتوفى صاحب لنا فأمر فضالة بقبره فسوى ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر بتسويتها وهؤلاء يبالغون فى مخالفة هذين الحديثين فيرفعونها من الارض كالبيت ويعقدون عليها القباب ويضعون عليها التوابيت ويكسونها كما يكسى بيت الله الحرام ويفعلون عندها الموالد العظام ويجعلون لها السوائب من بهيمة الانعام ويكثر لديها رفع الاصوات والضجيج واختلاط الرجال بالنساء كالحجيج من ذلك ما يفعله عباد الشيطان عند قبر أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث خارج مكة وخديجة فى المعلى كل سنة ثلاثة أيام مولد يحصل فيه من الضجيج وارتفاع الاصوات والدعاء بالاستغاثات واختلاط النساء مع الرجال فى تلك الساحات وكذلك عند قبر عبد الرحمن المحجوب بالدفوف ذوات الصنوج والطبول والبيارق والمجامر داعين مستغيثين به راجينه بذلك ليكون عليهم ناظرا ولهم حافظا لانه المحب المحبوب وهكذا عند قبر أبى طالب وهم يعلمون ظاهر حاله وما هو عليه قبل الممات فالحكم لعلام الغيوب ولو تعلق مظلوم بأستار الكعبة جذبوه من تحتها وفعلوا به ما أرادوا ولو دخل ظالم بسرقة أو قتل أو نهب مال على قبر أحد هذين الرجلين الذين الله أعلم بهما من خلقه وهم فقراء اليه لم يقدموا ليأخذوه منه ولم يقدموا حدود الله عليه بل عندهم من فعل ذلك فقد تعدى وظلم وما له الى الندم ومن نهى عن فعل ما تقدم وأمر بما أرسل الله به الرسل الى سائر الامم والعمل بالاحاديث النبوية والآيات القرآنية التى هى نص على توحيده خرجوه وبدعوه وكفروه ونسبوه الينا وان كان لا يعرفنا وما ذنبنا الا ان أمرنا بما أمر الله به رسله ونهينا عما نهى الله ورسوله فبسبب ذلك عادونا وجلبوا بخيلهم ورجالهم ومدافعهم علينا وعن ج

بيت الله الحرام الذى قال الله فيه ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام الذى جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب أليم صدونا ومنعونا وهدى النبى صلى الله عليه وسلم صار شعارنا واتباع سنته علماء علينا فهم بذلك يعادوننا ويوبخوننا ويسبوننا ويجاهدوننا وماذاك منهم علينا الا اتباع الاهواء وعموم البلوى والطعن فى الدين والعناد فى اليقين أفرأيت من اتخذ الهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله وهم يفعلون المنكرات ويجعلونها قربات ونتيجتها صدقات زيادة على الشرك الاكبر فى تلك المعتقدات وذلك كله موجود فى حرم الله وغيره من الساحات وهل هذا كله الا افقد الاسلام وجهله والاستهانة به عند هؤلاء الخاص منهم والعام حيث جعلوا المنكر دينا ونتيجة حسنة يقينا لكن مصيبة فقد الدين تهون ماهو فعل الظالمين المعاندين ونهى عن الكتابة عليها كما روى مسلم فى صحيحه عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تجصيص القبر وان يقعد عليه وان يبنى عليه وروى أبو داود فى سننه عن جابر رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى أن تجصص القبور وان يكتب عليها قال الترمذى حديث حسن صحيح وهؤلاء يتخذون عليها الالواح ويكتبون عليها القرآن والاشعار ويعلقون عليها بيض النعام وقناديل الفضة والرخام فهؤلاء المعظمون للقبور المتخذونها أعيادا الموقدون عليها السرج الذين يبنون عليها المساجد والقباب مناقضون لما أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم محادون لما جاء به وأعظم ذلك اتخاذها مساجد وايقاد السرج عليها وهو من الكبائر ومن يزعم انا نكفر بمجردها فهو كاذب جائر انما نكفر بالشرك الذى لا يغفر وهو دعاؤها ورجاؤها والاستغاثة بها وذبح القربان والنذر لها لتدفع سوأ أو تجلب خيرا أو تكون واسطة فى ذلك نعم نحن نهدم القباب التى على القبور ونامر بهدمها كما هدم النبى صلى الله عليه وسلم قبة اللات فى الطائف وأمر على رضى الله عنه بهدمها وخفض القبور المشرفة مطلقا وتسويتها وقد أمر به وفعله الصحابة والتابعون والائمة المجتهدون قال الشافعى فى الام ورأيت الائمة بمكة يامرون بهدم ما يبنى على القبور ويؤيد الهدم قوله ولا قبرا مشرفا الا سويته وحديث جابر المتقدم ذكره الذى فى صحيح مسلم ولانها أسست على معصية الرسول لنهيه فبناء أسس على معصيته ومخالفته بناء غير محترم وهو أولى بالهدم من بناء الغاصب قطعا وأولى من هدم مسجد الضرار المأمور بهدمه شرعا اذ المفسدة هنا أعظم حماية للتوحيد وأما هذه الكبائر فقد صرح الفقهاء من أصحاب مالك وأحمد وأبى حنيفة والشافعى وغيرهم من الصحابة والتابعين على تحريمها وانها بدعة نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها قال أبو محمد المقدسى لو أبيح اتخاذ السرج عليها لم يلعن من فعله ولان فيه تضييعا للمال فى غير فائدة وافراطا فى تعظيم القبور وأشبه تعظيم الاصنام هذا وبيوت الله ظلمات لا يوقد فيها نور بل يرون ان الفضل عليها فى ذلك للقبور وقد آل الامر بهؤلاء المعتقدين تعظيم القبور وتعظيم عبادة للاحترام فى الصدور الى ان شرعوا لها حجا وضعوا له وقتا وجعلوه اضعاف حج بيت الله الحرام سيما هذا قبر ابن على الذى فى مرباط من بلاد اليمن قد شاع عند الخاص منهم والعام ان زيارته والتبتل اليه فى رجب تعدل سبع حجات وكذا الزيلعى الذى فى اللحية قد شاع عندهم وذاع ان من مات فيها ودفن حوله فى تلك البلاد انه فى لحيته ليس عليه حساب ولا عذاب وكذا قبر العيدروس الذى فى عدن وكذا قبر الشاذلى فى المخا فان أهل البر

والبحر ليس لهم الهة فى الشدة والرخاء الا ذكره زاعمين أنهم فى أمانه وتحت نظره وانه يغيث من دعاه فى الشدة نائيا كان أو قريبا فى البر أو فى البحر حتى صنف بعض غلاتهم فى ذلك كتابا سماه مناسك حج مشاهد الابرار لمن عنى اليهم من المقيمين والزوار وصنف بعضهم كتابا سماه روضة الابرار فى دعوة الاولياء الاخيار عند الشدائد المدلهمة الغزار ولا يخفى ان هذا بعينه مفارق دين الاسلام والدخول فى عبادة الاصنام ومن نظره نصفا بالخلاص الى هذا التباين العظيم فى هؤلاء المعتقدين من الناس عن الدين القويم والصراط المستقيم ماز وفرق بين ما شرعه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقصده من النهى عما تقدم ذكره فى القبور والاعتقاد وجاهد عليه و بين ما شرعه هؤلاء وقصدوه واعتقدوا فيه ودعوه ودعوا اليه وحينئذ يحق أنا انما ندعو الى صراط مستقيم صراط الله الذى له ما فى السموات وما فى الارض الا الى الله تصير الامور و يحقق تلك المفاسد الناشئة من خبث العقائد التى يعجز العادون عن حصرها وتشمئز قلوب العارفين لذكرها (فمنها) تعظيمها الموقع فى الافتتان بها من العكوف عليها والمجاورة عندها وتعليق الستور والألواح وبيض النعام وقناديل الفضة والرخام عليها وسدانتها وعبادها يرجحون المجاورة عندها على المجاورة عند البيت والمسجد الحرام و يرون ان سدانتها أفضل من خدمة المساجد والويل عندهم لقيمها ليلة يطفأ القنديل المعلق عليها (ومنها) بذل النذور لها واسدانتها لجلب الخير ودفع الشرور (ومنها) اعتقاد المشركين فيها ان بها يكشف البلاء و ينصر على الأعداء و ينزل غيث السماء وتفرج الكروب وتقضى الحوائج و ينصر المظلوم و يجار الخائف و يامن الحوادث الى غير ذلك من الشرك الاكبر الذى يفعل عندها (ومنها) الدخول فى اللعنة لعنة الله و رسوله باتخاذ المساجد عليها وايقاد السرج والقناديل فيها و وقفه عليها (ومنها) اجتماع الرجال مع النساء واختلاطهم وضجيجهم ودعاؤهم اياهم (ومنها) جعل المنكرات قربات (ومنها) ايذاء أصحابها بما يفعله المشركون بقبورهم فانهم يؤذيهم ما يفعل عند قبورهم و يكرهونه غاية الكراهة كما ان المسيح يكره ما تفعل النصارى عند قبره اذا وجد فى الارض وما يعتقدونه فى قلوبهم من الافراط والتفريط فى الحب وكذلك غيره من الأنبياء والأولياء والمشايخ يؤذيهم ما يفعله المعتقدون أشباه النصارى وأشكالهم عند قبورهم و يوم القيامة يتبرؤن منهم كما قال تعالى و يوم يحشرهم وما يعبدون من دون الله فيقول أأنتم أضللتم عبادى هؤلاء أم هم ضلوا السبيل قالوا سبحانك ما كان ينبغى لنا أن نتخذ من دونك من أولياء ولكن متعتهم و آباءهم حتى نسوا الذكر وكانوا قوما بورا قال الله للمشركين فقد كذبوكم بما تقولون وقال تعالى و يوم يحشرهم جميعا ثم يقول للملائكة أهؤلاء اياكم كانوا يعبدون قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون (ومنها) مشابهة اليهود والنصارى فى اتخاذها مساجد وايقاد السرج عليها (ومنها) محادة الله و رسوله ومناقضة ما شرعه فيها (ومنها) التعب والنصب بالبناء والتشييد و وضع الأبواب ونقشها والجدران والاعتقاد والتعظيم مع الوزر الكثير والاثم العظيم (ومنها) ان هذا الاعتقاد يؤول الى حبط العمل والخسران (ومنها) اماتة السنن واحياء البدع (ومنها) جعل البدعة واجبا وسنة والواجب والمسنون بدعة واثما وهم فى ذلك لا يعون ولا يتذكرون بل لمن خالفهم فيه ونهاهم عنه يبدعون و يخرجون و يكفرون (ومنها) تفضيلها على خير البقاع وأحبها الى الله فان عباد القبور يقصدونها مع التعظيم والاحترام والخشوع و رقة القلب والعكوف بالهمة والعزم على الموتى بما لا يفعلون فى المساجد بربع عشره

ولا يحصل لهم فيها نظيره ولا قريب من مثليه (ومنها) ان ذلك تضمن عمارة القبب والمشاهد وتنويرها وتعطيل المساجد من بيوت الله وعدم توقيرها ودين الله الذى بعث به رسله وأنزل كتبه بضد ذلك كله (ومنها) ان الذى شرعه الرسول صلى الله عليه وسلم عند زيارة القبور انما هو تذكار الآخرة والاحسان الى المزور بالدعاء له والترحم عليه والاستغفار له وسؤاله العافية للزائر وله فيكون الزائر محسنا الى الميت والى نفسه حتى لو كان نبيا أو وليا فالدعاء له مطلوب وهو اليه محبوب وقد أمرنا صلى الله عليه وسلم أن نسأل الله له الوسيلة والفضيلة وأن يبعثه المقام المحمود الذى وعده وذلك له محقق ولكن تنويها بذكره ورفعا لقدره وليعود ثواب الدعاء الى الداعى والكامل يقبل الكمال فقلب هؤلاء المشركون الأمر وعكسوا الدين وكانوا من الفريقين المغضوب عليهم والضالين بقصدهم زيارة الشرك الأموات يدعونهم ويدعون بهم ويسألونهم حوائجهم واستنزال الرحمة والبركات بهم ونصرتهم لهم على أعدائهم وتفريج كرباتهم وكشف شدائدهم واقالة عثراتهم والعفو عن زلاتهم والهتف بذكرهم لحاجاتهم فهم مسيؤن الى أنفسهم محبطون لأعمالهم مؤذون للأموات غالون فى العقائد والمعتقدات معرضون عن شريعة الرسول وما قال الله فى الآيات وقد روى خالد ابن دينار قال لما فتحنا تستر وجدنا فى بيت مال الهرمزان سريرا عليه رجل ميت عند رأسه مصحف له فأخذنا المصحف فحملناه الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فدعا له كعبا فنسخه بالعربية فأنا أول رجل من العرب قرأته مثل ما أقرأ القرآن قال خالد فقلت لأبى العالية ما كان فيه قال سيرتكم وأموركم ولحون كلامكم وما هو كائن بعد قلت فما صنعتم بالرجل قال حفرنا بالنهار ثلاثة عشر قبرا متفرقة فلما كان بالليل دفناه وسوينا القبور كلها مع الارض لنعميه على الناس لا ينبشونه فقلت وما يرجون منه قال كانت السماء اذا حبست عنهم أبرزوا السرير فيمطرون فقلت من كنتم تظنون الرجل قال رجل يقال له دانيال فقلت منذ كم وجدتموه مات قال منذ ثلاثمائة سنة قلت ما كان تغير منه شئ قال لا الا شعيرات من قفاه ان لحوم الأنبياء لا تبليها الارض ولا تأكلها السباع ففى هذه القصة ما فعله المهاجرون والأنصار من تعمية قبره لئلا يفتتن به الناس ولم يبرزوه للدعاء عنده والتبرك به ولو ظفر به هؤلاء المشركون وعلموا حقيقته وما يكون لجالدوا عليه بالسيوف ولعبدوه من دون الله فانهم قد اتخذوا من القبور أوثانا من لا يدانى هذا ولا يقاربه بل لعله عدو لله وأقاموا لها سدنة وجعلوها معابد أعظم من المساجد وهم يقولون ويعتقدون ان الصلاة عندها والدعاء حولها والتبرك بها لها أفضلية مخصوصة ليست فى المساجد ولو كان الأمر كما زعموا بل لو كان مباحا لنصب المهاجرون والأنصار هذا القبر علما لذلك ولما أخفوا قبره خشية الفتنة به وعليه بل دعوا عنده وسنوا ذلك لمن بعدهم ولكن كانوا أعلم بالله ورسوله من هؤلاء الخلوف التى خلفت بعدهم ولو حضروهم لجالدوهم لانهم قد اعتقدوا وقالوا ضد ما السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم باحسان عليه وما أحسن ما قال الامام مالك بن أنس رحمه الله تعالى ان يصلح آخر هذه الأمة الا ما أصلح أولها ولكن كلما ضعفت تمسك الأمم بعهود أنبيائهم ونقص ايمانهم عوضوا عن ذلك بما أحدثوه من البدع والشرك ولقد جرد السلف الصالح التوحيد وحموا جانبه حتى كان أحدهم اذا سلم على النبى صلى الله عليه وسلم ثم أراد الدعاء استقبل القبلة وجعل ظهره الى جدار القبر ثم دعا وقال سلمة بن وردان رأيت أنس بن مالك رضى الله عنه يسلم على النبى صلى الله عليه وسلم ثم يسند ظهره

الى جدار القبر ثم يدعو ونص على ذلك الأئمة الأربعة رحمهم الله تعالى ان المسلم اذا فرغ من السلام وأراد الدعاء استقبل القبلة حتى لا يدعو عند القبر فان الدعاء عبادة وفي الترمذي وغيره مرفوعا الدعاء هو العبادة فجرد السلف العبادة لله ولم يفعلوا عند القبور منها الا ما شرعه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأذن فيه من السلام على أصحابها والاستغفار لهم والترحم عليهم فان الميت قد انقطع عمله وهو محتاج الى من يدعو له ويشفع له ولهذا شرع في الصلاة عليه من الدعاء له وجوبا واستحبابا ما لم يشرع مثله في الدعاء للحي وعلى هذا مضى الصحابة والتابعون لهم باحسان فقد كان عندهم من قبور أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنهم بالأمصار عدد كثير وهم متوافرون فما منهم من استغاث عند قبر صاحب ولا دعاه ولا دعا به ولا دعا عنده ولا استسقى به ولا انتصر به ومن المعلوم ان مثل هذا مما تتوفر الهمم والدواعي على نقله بل على نقل ما هو دونه وحينئذ فلا يخلوا اما ان يكون الدعاء عندها والدعاء بأصحابها أفضل منه في غير تلك البقعة أولا يكون فان كان أفضل فكيف خفي علما وعملا على الصحابة والتابعين وتابعيهم فتكون القرون الثلاثة الفاضلة جاهلة علما وعملا بهذا الفضل العظيم وتظاهر به الخلوف علما وعملا ولا يجوز أن يعلم السابقون الأولون علما ويزهدون فيه عملا وهو يحثهم على الطاعة ويرغبهم فيها ثم لا ينقلونه أيضا الى من بعدهم مع حرصهم على كل خير لا سيما الدعاء فان المضطر يتشبث بكل سبب يعلم ان له فيه نفعا وان كان فيه كراهة هذا وهم قد عرضت عليهم شدائد واضطرارات وفتن وازعاجات وقحط وسنون مجدبات أفلا جاؤا الى قبر النبي صلى الله عليه وسلم أو أحد من أصحابه شاكين ولها مخاطبين وبكشفها عنهم وتفريج كرباتهم اياه داعين أم كيف يعلمون فضل الدعاء عند القبور ثم لا يقصدونها هذا محال طبعا وشرعا وقد أنكر الصحابة رضي الله عنهم ما هو دون هذا بكثير فروى غير واحد عن المعرور بن سويد قال صليت مع عمر بن الخطاب في طريق مكة صلاة الصبح فقرأ فيها ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل ولئيلاف قريش ثم رأى الناس يذهبون مذاهب فقال أين يذهبون هؤلاء فقيل يا أمير المؤمنين مسجد صلى فيه النبي صلى الله عليه وسلم فهم يصلون فيه فقال انما هلك من كان قبلكم بمثل هذا كانوا يتبعون آثار أنبيائهم يتخذونها كنائس وبيعا ويرغبون عن هديه ويعرضون عما جاء به فمن أدركته الصلاة منكم في هذه المساجد فليصل ومن لا فليمض ولا يتعمدها وكذلك أرسل عمر رضي الله عنه وأمر بقطع الشجرة السمرة التي بايع تحتها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بيعة الرضوان وذكرها الله في القرآن لما رأى الناس ينتابونها ويصلون عندها كأنها المسجد الحرام أو مسجد المدينة فقطعت بأمره بل قد أنكر رسول الله صلى الله عليه وسلم على أصحابه لما سألوه أن يجعل لهم شجرة يعلقون عليها أسلحتهم وأمتعتهم بخصوصها يعظمونها بذلك ويتنوطون أي يجتمعون عندها ويعلقون أسلحتهم عليها لتعظيمها كما في حديث أبي واقد الليثي قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل حنين ونحن حديثو عهد بكفر وللمشركين سدرة يعكفون حولها وينوطون بها أسلحتهم يقال لها ذات أنواط فمررنا بسدرة فقلنا يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط فقال النبي صلى الله عليه وسلم هذا كما قالت بنو اسرائيل اجعل لنا الها كما لهم آلهة قال انكم قوم تجهلون لتركبن سنن من كان قبلكم فاذا كان اتخاذ هذه الشجرة لتعليق الاسلحة والعكوف حولها لتعظيمها الها مع الله وهم لا يدعونها مع ذلك ولا يسألونها فما الظن بالعكوف حول القبر والدعاء به ودعائه ورجائه والتوكل عليه والذبح والنذر

له اجلب خيراً أو يدفع سوأ وأى نسبة للفتنة بشجرة الى الفتنة بالقبر ولكن لو كان أهل الشرك يعون ويعلمون الحق ولا فيه نعاندون ولا به يكذبون لما كانوا الناس يكفرون والفتنة يعتقدون والكفر يقولون ويفعلون قال أهل العلم من أصحاب مالك وغيرهم انظروا أينما وجدتم سدرة أو شجرة يقصدها الناس ويعظمونها ويرجون البرء منها والشفاء من قبلها ويضربون بها المسامير ويعقدون بها الخرق فهى ذات أنواط فاقطعوها وقال الحافظ أبو محمد عبد الرحمن بن اسمعيل المعروف بابى شامة فى كتابه الذى ألفه وبين فيه الحوادث والبدع وسماه كتاب الباعث على انكار البدع والحوادث ومن هذا القسم أيضاً قد عم الابتلاء به من تزيين الشيطان للعامة تخليق الحيطان والعمد وتعظيم مواضع مخصوصة من كل بلد يحكى لهم بها حاك انه رأى فى منامه بها أحداً ممن اشتهر بالصلاح والولاية أو فلان الولى له فيها وطأة فيعظمون تلك الاماكن فى قلوبهم وألسنتهم ويأتونهم لشفاء أمراضهم وقضاء حوائجهم بدعائها والنذر لها وهى من بين عيون وشجر وحائط وحجر فهم يفعلون هذا الشرك ويحافظون عليه مع تضييعهم فرائض الله وسننه ويظنون انهم يتقربون بذلك اليه الى ان قال فيه كلاما يجانس ما ذكرنا فما أسرع هذا الشرك الى اتخاذ الاوثان من دون الله ولو كانت ما كانت ويقولون ان هذا الحجر وهذه الشجرة وهذه الوطأة وهذه العين يضر وينفع ويشفع ويقبل النذر أى يقبل العبادة من دون الله فان النذر عبادة قربة يتقرب بها الناذر الى المنذور له فهم يتمسحون بتلك الانصاب ويستلمونها ولقد أنكر السلف التمسح بحجر مقام ابراهيم عليه السلام الذى أمرنا الله أن نتخذ منه مصلى كما ذكر ذلك الازريقى فى كتاب مكة عن قتادة فى قوله تعالى واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى قال انما أمروا أن يصلوا عنده ولم يؤمروا بمسحه ولقد تكلفت هذه الامة شيأ ما تكلفته الامم قبلها ولو ذكر أثر قدم أو أصبع عكفوا عليه ومسحوه حتى اخلولق الدين وغرب الاسلام وعاد اعتقاد المشركين وعظمت الفتنة بهذه الانصاب كفتنة أصحاب القبور التى هى أصل فتنة عباد الاصنام ذكره السلف من الصحابة والتابعين ولم يكفهم التمسح الآن بالمقام بل يدعونه ويرجونه وينذرون له ويسألونه شفاعته ويخاطبونه بقضاء حوائجهم وردهم الى أوطانهم ومن عاب ذلك وأنكره عليهم فهو عندهم منسوب الينا وقالوا له وهابى أو عارضى أو شرقى أو خارجى وما ذنب هذا المعيب المنكر الا انه شاركنا أو وافقنا بالامر فيما أمر الله به ورسوله والنهى عما نهى الله عنه ورسوله والعلماء بذلك يعلمون وقلوبهم مطمئنة غير كارهة فهم لا ينكرون ولا الحق يقولون وفى مقابلة المسجد الحرام والبيت والمقام جهة الشرق زقاق يقال له زقاق الحجر فيه حجر موضوع عرض الحائط يتمسحون به ويدعونه زاعمين انه الذى سلم على النبى صلى الله عليه وسلم وهو كذب وبهتان ليس هو فانه صلى الله عليه وسلم قال وهو فى المدينة انى لاعلم حجراً بمكة يسلم على ولم يعينه خشية الافتتان به بل لو تحقق انه هو ليس هو بافضل من مقام ابراهيم وجدار الكعبة المشرفة والسلف الصالح ينهون عن التمسح بشئ من ذلك الا الحجر الاسود سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم والسلام على النبى صلى الله عليه وسلم من جملة حب الله وذكره وان من شئ الا يسبح بحمده وجميع المخلوقات حتى الجمادات تعرفه صلى الله عليه وسلم لما جعل الله فيها من قوة الادراكات واذا فلا مزية فى حجر أو شجر الا الحجر الاسود خاصة فانه يمين الله فى الارض ومع سنية تقبيله ووضع اليمين عليه لا يدعى ولا يرجى ولا يتوكل عليه وان اعتقدنا شفاعته فى الآخرة ليس هو بافضل من الانبياء والاولياء ومع ذلك لا يشفعون الا من بعد اذن الله لهم لمن يرضى عنه واذا فسؤال الشفاعة

انما هو من الله فنسأل منه كما نسئل تعالى الثبات على الدين والوفاة على الايمان وهو أرحم الراحمين ويقابله حجر منقور على قدر المرفق يزعمون أن النبي صلى الله عليه وسلم ترفق عليه فاثر به وهو أيضا كذب لم ينقل عن الصحابة ولا عن التابعين ولا تابعيهم ولا عمن يعتد به من أهل العلم ولم ينقل ولا في حديث ضعيف انه صلى الله عليه وسلم وجد له أثر قدم أو أثر مرفق أو وضع في حجر وانما ذلك من تلبيس ابليس على هؤلاء ليغويهم ويحسن لهم شركهم وهم يزعمون انه حب لنبيهم وما محبته الا اتباع شرعه وما جاء به والعمل به ودحض ضده ومعاداته زيادة على حب ذاته صلى الله عليه وسلم ففي البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال والذي نفسي بيده لا يؤمن احدكم حتى أكون أحب اليه من والده وولده وفيه أيضا عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه من ولده و والده والناس أجمعين وفيه أيضا عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان من كان الله ورسوله أحب اليه مما سواهما ومن أحب عبدا لا يحبه الا الله ومن يكره أن يعود في الكفر بعد اذ أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى في النار وفيه أيضا عن عبد الله بن هشام قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم وهو آخذ بيد عمر بن الخطاب فقال عمر يا رسول الله لانت أحب الي من كل شئ الا من نفسي فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا والذي نفسي بيده حتى أكون أحب اليك من نفسك فقال له عمر فانه الآن يا رسول الله والله لأنت أحب الي من نفسي فقال النبي صلى الله عليه وسلم الآن يا عمر وليس حقوق الانبياء في تعزيرهم وتوقيرهم الا محبتهم محبة مقدمة على النفس والاهل والمال وايثار طاعتهم ومتابعتهم في سننهم وهديهم ونحو ذلك من الحقوق التي من قام بها لم يقم بعبادتهم والاشراك بهم كما ان عامة من يشرك بهم شركا أكبر أو أصغر يترك ما عليه من طاعتهم بقدر ما ابتدعه من الاشراك به فليس على المؤمن ولا له الا طلب طاعتهم قال تعالى وما أرسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله وقال تعالى ومن يطع الرسول فقد أطاع الله وكذلك حقوق الصديقين المحبة في القلب وتوقيرهم واجلالهم فيه ونحو ذلك من الحقوق التي جاء بها الكتاب والسنة وكان عليها سلف الامة لا عبادتهم ولا عبادة قبورهم أو آثارهم وقد قال صلى الله عليه وسلم اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد وفي المعلى زاوية تنسب لعبد القادر رحم الله روحه ونور ضريحه فيه دوحة عظيمة يعلقون عليها الخرق ويجعلون فيها البيارق والاعلام يرجون بركتها ويدعونها وليست الا ذات أنواط وفي المدعى زاوية أخرى فيها مثلها غير الزوايا والبنايا التي على القبور تدعى وترجى فقد وجد في حرم الله طهره الله وصانه وجعل المتقين أولياءه وسكانه جميع ما نهى الله عنه في قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل انتم منتهون فاما الخمر والميسر والازلام والزنا واللواط فهذا أمر مشهور دلائله قائمة عليه حتى في المسجد الحرام تجاه الكعبة المشرفة وأما الانصاب فهي كل ما نصب يعبد من دون الله أو معه من حجر أو شجر أو وثن أو قبر واحدها نصب كطنب والجمع أنصاب كاطناب قال ابن عباس كل معبود من دون الله أو معه فهو نصب قبرا كان أو حجرا أو شجرا وقال الزجاج أصلها الحجارة التي تتخذ على صورة من يعبدونه ثم استعملت في كل الاوثان وقال مجاهد وقتادة وابن جريج كانت الانصاب حول البيت أحجارا كان أهل الجاهلية يذبحون عليها وكانوا يعظمونها ويدعونها لتشفع لهم ويعبدونها وكل ما اتخذ لذلك فهو نصب والاصنام أخص من ذلك وقال الفراء الانصاب هي الآلهة التي

كانت تعبد من أحجار أو أشجار أو قبور أو غيرها وأصله من الشئ المنصوب الذى يقصده من أراده ورآه ومنه قوله تعالى يوم يخرجون من الأجداث سراعا كأنهم الى نصب يوفضون قال ابن عباس الى غاية أو علم يسرعون وهو قول أكثر المفسرين وقال الحسن يعنى الى أنصابهم أيهم يستلمها أول قال الزجاج وهذا على قراءة من قرأ نصب بضمتين كقوله وماذبح على النصب قال ومعناه أصنام لهم فالشيطان قد نصب للمشركين ما قصدوه فدعوه واعتقدوه وعبدوه كائنا من كان فى أى مكان كان ولا يخفى ما اعتقدوا فى عبد الرحمن المحجوب وأبى طالب ومحمود ولد ابراهيم بن أدهم وولد البدوى وسائر عباد الله من الانبياء والاولياء وابن عباس أو غيرهم من الشياطين والاخشاب والاحجار والاشجار والاعتقادات الغزار والمعتقدات حتى الطين والفخار فانهم يزعمون ان حماية مكة المشرفة بالقبرين المكتنفين لها اللذين فى أطرافها من أسفلها وأعلاها أحدهما محمود والآخر أبو طالب وانها فى حفظ البنايا التى بين ذلك وحماها ولم يحققوا معنى قوله تعالى وقضينا الى بنى اسرائيل فى الكتاب لتفسدن فى الارض مرتين ولتعلن علوا كبيرا فاذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولى بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا الآية فبعث عليهم بخت نصر فقتل منهم ألوفا وسبى ذريتهم وخرب بيت المقدس وهو أكثر أرض الله أنبياء فما حجوه ولا أغنوا عنه من الله شيأ ولكن الله الحافظ لبيته ولحرمه كما حفظه من أبرهة وأمثاله فبهذا يتبين ان الشيطان اللعين نصب لاهل الشرك قبورا يعظمونها ويعبدونها أوثانا من دون الله ثم يوحى الى أوليائه ان من نهى عن عبادتها واتخاذها أعيادا وجعلها والحالة هذه أوثانا فقد انتقصها وغمصها حقها وسبها فيسعى الجاهلون المشركون فى قتالهم وعقوباتهم وماذنبهم عند هؤلاء المشركين الا انهم أمروهم باخلاص توحيده ونهوهم عن الشرك أنواعه كالوا وتعطيله فعند ذلك غضب المشركون واشمأزت قلوبهم فهم لا يؤمنون وقالوا قد انتقصوا أهل المقامات والرتب فاستحقوا الويل والعتب وفى زعمهم انهم لا حرمة لهم ولا قدر ويسرى ذلك فى نفوس الجهال والطغام وكثير ممن ينتسب الى العلم والدين وحب الأولياء وأتباع المرسلين وبسبب ذلك عادونا وبالعظائم الكبائر والجرائم الغزار رمونا ونسبوا كل فعل قبيح الينا ونفروا الناس عنا وعاندوا اليه ووالوا أهل الشرك وظاهروهم علينا وزعموا انهم هم أولياء الله وأنصار دينه ورسوله وكتابه ويأبى الله ذلك فما كانوا أولياءه ان أولياؤه الا المتقون له الموافقون له العارفون به وبما جاء به والعاملون به والداعون اليه لا المتشبعون بما لم يعطوا اللابسون ثياب الزور والذين يصدون الناس عن دين نبيهم وهديه وسنته ويبغونها عوجا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا باتباعه واحترامه والعمل به وتعظيم الانبياء والاولياء واحترامهم ومتابعتهم لهم فيما يحبونه وتجنب ما يكرهونه وهم أعصى الناس لهم وأبعدهم منهم ومن هديهم ومتابعتهم كالنصارى مع المسيح واليهود مع موسى والرافضة مع على وأهل التوحيد أين كانوا أولى بهم وبمحبتهم ونصرة طريقهم وسنتهم وهديهم ومنهاجهم وأولى بالحق قولا وعملا من أهل الباطل فالمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض والمنافقون والمنافقات والمشركون والمشركات بعضهم من بعض ومن أصغى الى كلام الله بكلية قلبه وتدبره وتفهمه أغناه عن اتباع الشيطان وشركه الذى يصد عن ذكر الله وعن الصلاة وينبت النفاق فى القلب وكذلك من أصغى اليه والى حديث الرسول بكليته وحدث نفسه وعمل باقتباس الهدى والعلم منه لا من غيره أغناه عن البدع والشرك والآراء والتخرصات والشطحات والخيالات التى هى وساوس الشيطان والنفوس

وتخيلات

وتخيلات الهوى والبؤس ومن بعد عن ذلك فلا بد أن يتعوض بما لا ينفعه بل مضرة عليه كما ان من عمر قلبه بمحبة الله وذكره وخشيته والتوكل عليه والانابة اليه أغناه ذلك عن محبة غيره وخشيته والتوكل عليه وأغناه أيضا عن عشق الصور واذا خلا من ذلك صار عبد هواه أى شئ استحسنه ملكه واستعبده فالمعرض عن التوحيد عابد الشيطان مشرك شاء أم أبى والمعرض عن السنة مبتدع شاء أم أبى والمعرض عن محبة الله وذكره عبد الصورة شاء أم أبى والله المستعان وعليه التكلان وهو حسبنا ونعم الوكيل وأما الصلاة فى المقبرة فقد اختلف الفقهاء فيها هل هى محرمة أو مكروهة واذا قيل هى محرمة فهل تصح مع التحريم أم لا والمشهور عن الامام أحمد وموافقيه انها تحرم ولا تصح لما روى عبد الله بن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم انه نهى عن الصلاة فى سبعة مواطن وعد منها المقبرة وفى صحيح مسلم عن أبى مرثد الغنوى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تجلسوا على القبور ولا تصلوا اليها وقال أبو سعيد الخدرى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الارض كلها مسجد الا المقبرة والحمام رواه الامام أحمد وأهل السنن الاربعة وصححه أبو حاتم بن حبان وفى صحيح البخارى ان عمر ابن الخطاب رضى الله عنه رأى أنس بن مالك يصلى عند قبر فقال القبر القبر وهذا يدل بصريحه على أنه كان من المستقر عند الصحابة رضى الله عنهم مانهاهم عنه نبيهم من الصلاة عند القبور وفعل أنس لا يدل على اعتقاد جوازه فانه لعله لم يره أو لم يعلم انه قبر أو ذهل عنه فلما نبهه عمر تنبه ولم يصل ومن تامل النصوص المتقدمة تبين له انها محرمة بلا شك وان الصلاة فيها لا تصح وفى هذا ابطال قول من زعم ان النبى صلى الله عليه وسلم انما نهى عن الصلاة فيها لاجل النجاسة فهذا أبعد شئ عن مقاصد الرسول وهو باطل من عدة أوجه منها أن الاحاديث كلها ليس فيها فرق بين المقبرة الحديثة والمنبوشة كما يقوله المعللون بالنجاسة ومنها انه صلى الله عليه وسلم لعن اليهود والنصارى على اتخاذ قبور أنبيائهم مساجد ومعلوم قطعا ان هذا ليس لاجل النجاسة فان ذلك لا يختص بقبور الانبياء ولان قبور الانبياء من أطهر البقاع ليس للنجاسة عليها طريق ألبتة فان الله حرم على الارض أن تأكل أجسادهم فهم فى قبورهم طريون ومنها انه نهى عن الصلاة اليها (ومنها) انه أخبر ان الارض كلها مسجد الا المقبرة والحمام ولو كان ذلك لاجل النجاسة لكان ذكر الحشوش والمجازر أولى من ذكر القبور ولما ذكر الحمام (ومنها) ان موضع مسجده صلى الله عليه وسلم كان مقبرة للمشركين فنبشوا مكان قبورهم وسواها واتخذه مسجدا ولم ينقل ذلك التراب بل سوى الارض ومهدها وصلى وذلك كما ثبت فى الصحيحين عن أنس بن مالك قال لما قدم النبى صلى الله عليه وسلم المدينة فنزل باعلاها فى حى يقال لهم بنو عمرو بن عوف فاقام النبى صلى الله عليه وسلم فيهم أربع عشرة ليلة ثم أرسل الى ملأ بنى النجار فجاؤا متقلدين السيوف وكأنى أنظر الى النبى صلى الله عليه وسلم على راحلته وأبو بكر ردفه وملأ بنى النجار حوله حتى ألقى بفناء أبى أيوب وكان يحب أن يصلى حيث أدركته الصلاة ويصلى فى مرابض الغنم وانه أمر ببناء المسجد فارسل الى ملأ بنى النجار فقال يا بنى النجار ثامنونى بحائطكم هذا فقالوا لا والله لا نطلب ثمنه الا الى الله فكان فيه ما أقول لكم قبور المشركين وفيه خرب وفيه نخل فامر النبى صلى الله عليه وسلم بقبور المشركين فنبشت ثم بالخرب فسويت وبالنخيل فقطعت فصفوا النخيل قبلة المسجد وجعلوا عضادتيه الحجارة وجعلوا ينقلون الصخر وهم يرتجزون وذكر الحديث (ومنها) ان فتنة الشرك بالصلاة فى القبور ومشابهة عباد الاوثان أعظم بكثير من مفسدة الصلاة بعد العصر والفجر فاذا نهى عن ذلك سدا لذريعة التشبه

الذى لا يكاد يخطر ببال المصلى فكيف بهذه الذريعة القريبة التى كثيرا ما تدعو صاحبها الى الشرك من دعاء الموتى واستغاثتهم وطلب الحوائج منهم واعتقاد ان الصلاة عند قبورهم أفضل منها فى المساجد وغير ذلك مما هو محادة ظاهرة لله ورسوله فان قصد الصلاة عندها عين المحادة لله ولرسوله فأين التعليل بنجاسة البقعة من هذه المفسدة ومما يدل على ان النبى صلى الله عليه وسلم قصد منع الامة من الفتنة بالقبور كما افتتن بها قوم نوح ومن بعدهم ﴿ومنها﴾ انه لعن المتخذين عليها المساجد ولو كان ذلك لاجل النجاسة لامكن ان يتخذ عليها المسجد مع تطيينها بطين طاهر فتزول اللعنة وهو باطل قطعا ﴿ومنها﴾ انه قرن فى اللعنة متخذى المساجد عليها وموقدى السرج عليها فهما فى اللعنة قرينان وفى ارتكاب الكبيرة من أصل واحد مجتمعان فان كل ما لعن عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو من الكبائر ومعلوم ان ايقاد السرج عليها انما لعن فاعله لكونه وسيلة الى تعظيمها وجعلها نصبا يقصده المشركون لينالوا منه ما طلبوه ويحصل لهم ما قصدوه كما هو الواقع الآن من مشركى هذا الزمان فهكذا اتخاذ المساجد عليها ولهذا قرن بينهما فان اتخاذ المساجد عليها تعظيم لها وتعريض للفتنة بها ألا ترى الى ما حكى الله عن المتغلبين على أمر أصحاب الكهف انهم قالوا لنتخذن عليهم مسجدا ﴿ومنها﴾ انه صلى الله عليه وسلم قال اللهم لا تجعل قبرى وثنا يعبد اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور انبيائهم مساجد فذكر ذلك عقيب قوله اللهم لا تجعل قبرى وثنا يعبد تنبيه منه على سبب لحوق اللعن لهم وهو توسلهم بذلك الى ان تصير أوثانا تعبد بدعائها ورجائها وبالجملة فمن له معرفة بالشرك وأسبابه وذرائعه وفهم عن الرسول صلى الله عليه وسلم مقاصده جزم جزما لا احتمال معه للنقيض ان هذه المبالغة منه واللعن والنهى بصيغته صيغة لا تفعلوا أو صيغة انى أنهاكم عن ذلك ليس لاجل النجاسة بل هو لاجل نجاسة الشرك اللاحقة بمن عصاه وارتكاب ما عنه نهاه واتباع هواه وعموم بلواه ولم يخش الله ربه ومولاه وقل نصيبه أو عدم من تحقيق شهادة ان لا اله الا الله فان هذا وأمثاله من النبى صلى الله عليه وسلم صيانة لحمى التوحيد ان يلحقه الشرك ويغشاه وتجريد له وغضب لربه ان يعدل به سواه فابى المشركون الا معصية لامره وارتكابا لنهيه وغرهم الشيطان بان هذا التعظيم لقبور المشايخ والصالحين وكلما كنتم فيهم أشد غلوا كنتم بقربهم أسعد ومن أعدائهم أبعد والله ان من هذا الباب بعينه دخل على عباد يغوث ويعوق ونسر ومنه دخل على عباد الاصنام منذ كانوا الى يوم القيامة فجمع المشركون بين الغلو فيهم والطعن فى طريقتهم وهدى الله أهل التوحيد لسلوك طريقهم والعمل بهديهم وانزالهم منازلهم التى أنزلهم الله اياها من العبودية وسلب خصائص الالوهية عنهم وهذا غاية تعظيمهم وطاعتهم وأما المشركون فعصوا أمرهم وخالفوا طريقتهم فانتقصوهم بذلك وان عظموا صورهم قال الشافعى رحمه الله أكره شديدا ان يعظم مخلوق حتى يجعل قبره مسجدا مخافة الفتنة عليه وعلى من بعده من الناس وقال مالك لا يزاد القبر عن السلام عليه والدعاء له ولا يتحرى الدعاء ولا الصلاة عنده هذا شعار اليهود والنصارى المشركين وقال أبو حنيفة يسلم على الميت ويدعو له ولا يدعو به ولا يصلى عنده لانه من فعل المشركين وكذا قال أبو يوسف وممن علل بالشرك أيضا ومشابهة اليهود والنصارى الاثرم فى كتاب ناسخ الحديث ومنسوخه فقال بعد أن ذكر حديث أبى سعيد ان النبى صلى الله عليه وسلم قال جعلت لى الارض مسجدا وطهورا الا المقبرة والحمام وحديث سعيد بن جبير عن داود بن الحصين عن نافع عن ابن عمر أن النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن الصلاة فى سبع مواطن فذكر منها المقبرة انما

كرهت الصلاة فى المقبرة للتشبه باهل الكتاب لانهم يتخذون قبور أنبيائهم مساجد وهذه المسائل المشهورة عند أربابها معروفة انما الغرض التنبيه على ما يخفى من غيرها فمما يدخل فى هذا قصد القبور للدعاء عندها أو بها فان الدعاء عند القبور وغيرها من الاماكن ينقسم الى نوعين ﴿أحدهما﴾ ان يحصل الدعاء فى البقعة اتفاقيا لا قصد الدعاء فيها كمن يدعو الله فى طريقه و يتفق ان مروره بالقبور أو كمن يزورها فيسلم على أهلها فيسأل الله العافية له وللموتى كما جاءت به السنة فهذا ونحوه لا بأس به بل الثانى مأمور به ﴿الثانى﴾ ان يتحرى الدعاء عندها بحيث يعتقد ان الدعاء هنالك أحق بالاجابة منه فى غيره فهذا النوع منهى عنه نهى تحريم وما جاء عن الله أو رسوله كالدعاء والذكر فى أماكن نسك الحج التى هى من شعائر الله فالعمل به هو المندوب والقصور عليه هو المطلوب ﴿وقول صاحب المقدمه﴾ لكن لا يلزم من ذلك تكفير مرتكبه الخ دليل على أمور ﴿الاول منها﴾ انه لم يعرف الشرك وحقيقته لانه جعل تعظيم القبور وعبادتها بدعائها ورجائها والاستغاثة بها والنذر لها لتدفع سوأ أو تجلب خيرا انما فيه مجرد الحرمة فقط ﴿الثانى﴾ انه جاهل حقيقة ما عليه عباد الاوثان وكيف كان عبادتهم لها فانه يعتقد ان عبادتها مجرد السجود لها أو انها شريكة مع الله فى ملكه والله يقول والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وقال تعالى و يعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم و يقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله ﴿الثالث﴾ انه ناقض لحكم الله ورسوله فى أهل الشرك الاكبر فان حكم الله فيهم القتل والسبي ما لم يتوبوا قبل القدرة عليهم وهذا حكمه فيهم عدم القتل والسبي لانه قال وحكمه كما قدمناه النصيحة والوعظ والزجر لا غير ذلك ﴿الرابع﴾ حصره هذا الشرك فى العوام والاعراب ولم يعلم انه فى أكثر قلوب مدعى العلم والعبادة والزهاد و يتخذونه سببا من جملة الاسباب ﴿الخامس﴾ زعمه انا نكفر بمجرد الصلاة فى المقبرة وهذا أيضا مما يدل على عدم تحقيقه أمرنا ونهينا وانه من قول الزور والبهتان علينا لكن له فيمن قبله أسوة قبيحة حيث رمونا باكبر من ذلك فقالوا عنا انهم الكفرة الفجرة ونحن انما نكفر من قصد أصحاب القبور ليفرجوا كربته و يكشفوا شدته أو هتف بذكرهم نائيا عنهم أو قريبا منهم يدعوهم و يرجوهم و يتوكل عليهم و ينذر و يقرب لهم ليجلبوا له خيرا أو يدفعوا عنه سوأ أو ليكونوا واسطة ووسيلة ليشفعوا له فى ذلك أو من اعتقد ذلك فى الاشجار والاحجار أو من رضى فعلهم ذلك ممن ظاهرهم علينا وكفرنا بامرنا ونهينا ودلائل المنافى ذلك كتاب الله وسنة رسوله واجماع الصحابة والتابعين والائمة المجتهدين وقد تقدم بحثها مبسوطة مستوفاة فلا حاجة الى اعادتها فاما مجرد الصلاة بلا اعتقاد مما قدمناه وقلناه ففعلها فى المقبرة حرام على الصحيح ولا تنعقد فى القول المشهور وحكمها الوعظ والنصيحة والزجر والتعزير مع الاصرار واعادة الصلاة والتوبة من هذا الذنب لا غير ذلك مع انا نقول ان قصد الصلاة فيها من الشرك لنهى النبى صلى الله عليه وسلم عن الصلاة فيها ولعن فاعله وهو يشبه عبادة الاصنام لكن هو من الاصغر حيث لم يعتقد شيأ مما تقدم والله أعلم * وأما قولكم ﴿ما يفعل من زيارتها فهو أمر مندوب كما ورد فى الخبر الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم كنت نهيتكم عن زيارة القبور الا فزوروها فكيف يذهب الى تكفير من يزورها مع رعاية الادب لا سيما زيارة قبره الشريف فانها من أعظم القرب وأرجى الطاعات وفى شرح المختار هى أفضل المندوبات والمستحبات بل تقرب من درجة الواجبات وفى مناسك الطرابلسى نقلا عن مناسك الفارسى انها قريبة الواجب فى حق من كان له سعة قال تعالى ولو انهم اذ ظلموا أنفسهم جاؤك

فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما وروى الدارقطني وأبو بكر البزار عن النبي صلى الله عليه وسلم من زار قبري وجبت له شفاعتي وقال صلى الله عليه وسلم من جاءني زائرا لا تهمه الا زيارتي كان حقا على ان أكون شفيعا له يوم القيامة أخرجه الدارقطني وعن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا عذر لمن كان له سعة من أمته ولم يزره أخرجه الحافظ محمد بن عساكر وعنه صلى الله عليه وسلم قال من حج وزار قبري بعد موتي كمن زارني في حياتي أخرجه الدارقطني وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال من زارني في المدينة متعمدا كان في جواري الى يوم القيامة ﴿ فنقول كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أولا قد نهى الرجال عن زيارة القبور سدا للذريعة لانهم قريبو عهد بشرك بأهلها وبصورهم فلما تمكن التوحيد في قلوبهم أذن لهم في زيارتها على الوجه الذي شرعه ونهاهم ان يقولوا هجرا كما رواه الامام أحمد والنسائي عن بريدة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كنت نهيتكم عن زيارة القبور فمن أراد أن يزور فليزر ولا تقولوا هجرا ومن أعظمه الشرك عندها قولا وفعلا فزيارة القبور على الوجه المشروع الذي يحبه الله ورسوله هي من أفضل احترامها في الصدور وحيث أمر الشارع بها ونهى عن اهانة أهلها ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم زوروا القبور فانها تذكر الموت وعن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اني كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فانها تذكركم الآخرة رواه الامام أحمد وفي صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كانت ليلتي منه يخرج من آخر الليل الى البقيع فيقول السلام عليكم دار قوم مؤمنين وآتاكم ما توعدون غدا مؤجلون وانا ان شاء الله بكم لاحقون اللهم اغفر لاهل بقيع الغرقد وفي صحيحه أيضا عنها ان جبريل أتاه فقال ان ربك يأمرك ان تأتي أهل البقيع فتستغفر لهم وفي صحيحه أيضا عن سليمان بن بريدة عن أبيه انه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمهم اذا خرجوا الى المقابر ان يقولوا السلام على أهل الديار وفي لفظ السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين وانا ان شاء الله بكم لاحقون نسأل الله لنا ولكم العافية وعند الامام أحمد والترمذي وحسنه عن ابن عباس قال مر النبي صلى الله عليه وسلم بقبور المدينة فاقبل عليهم بوجهه فقال السلام عليكم أهل القبور يغفر الله لنا ولكم ونحن بالاثر وعند ابن ماجه عن ابن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروا القبور فانها تزهد في الدنيا وتذكر الآخرة وروى الامام أحمد عن أبي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فان فيها عبرة وفي الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم انه قال استأذنت ربي في أن أستغفر لامي فلم يأذن لي واستأذنته في ان أزور قبرها فاذن لي فزوروا القبور فانها تذكركم الآخرة فعلم من هذا أن زيارة الموحدين القبور مقصودها ثلاثة أشياء أحدها تذكار الآخرة والاعتبار والاتعاظ وقد أشار النبي صلى الله عليه وسلم الى ذلك بقوله زوروا القبور فانها تذكركم الآخرة الثاني الاحسان الى الميت وان لا يطول عهده به فيهجره ويتناساه كما اذا ترك زيارة الحي مدة طويلة تناساه فاذا زار الحي فرح بزيارته وسر بذلك فالميت أولى لانه قد صار في دار قد هجر أهلها اخوانهم وأهلوهم ومعارفهم فاذا زاروهم وأهدوا اليهم هدية من دعاء أو صدقة أو اهداء قراءة ازدادوا بذلك سرورا وفرحا كما يسر الحي بمن يزوره ويهدي له ولهذا شرع النبي صلى الله عليه وسلم للزائران يدعو لاهل القبور بالرحمة والمغفرة وسؤال العافية فقط ولم يشرع ان يدعوهم ولا يدعوا بهم ولا يصلي

عند قبورهم ﴿الثالث﴾ احسان الزائر الى نفسه باتباع السنة والوقوف عند ما شرعه الرسول صلى الله عليه وسلم فيحسن الى نفسه والى المزور وأما زيارة المشركين فاصلها مأخوذ عن عباد الأصنام قالوا ان الميت المعظم الذى لروحه قرب ومزية عند الله لا يزال تأتيه الالطاف من الله وتفيض على روحه الخيرات فاذا علق الزائر روحه به وأدناها منه فاض من روح المزور على روح الزائر من تلك الألطاف بواسطتها كما ينعكس شعاع المرآة الصافية والماء ونحوهما على الجسم المقابل له قالوا فتمام الزيارة ان يتوجه الزائر بروحه وقلبه الى الميت ويعكف بهمته عليه ويوجه قصده كله واقباله عليه بحيث لا يبقى فيه التفات الى غيره وكلما كان جمع الهمة والقلب عليه أعظم كان أقرب الى انتفاعه به وقد ذكر هذه الزيارة على هذا الوجه ابن سينا والفارابى وغيرهما وصرح بها عباد الكواكب فى عبادتها بدعائها ورجائها والتبتل اليها وتعظيمها بالتعلق عليها قالوا اذا تعلقت النفوس الناطقة بالأرواح العلوية فاض عليها منها النور والاعانة والبهجة والسرور وبهذا السر عبدت الكواكب واتخذت لها الهياكل وصنفت لها الدعوات وبها الاستغاثات وبهذا اتخذت الأصنام المجسدة وهذا بعينه هو الذى أوجب دعاء أصحاب القبور والهتف بذكرهم عند نزول الشدائد والشرور واتخاذها أعيادا وتعليق الستور عليها وايقاد السرج وبناء المساجد عليها وهذا هو الذى قصد رسول الله صلى الله عليه وسلم ابطاله ومحوه بالكلية وسد الذريعة المفضية اليه فوقف المشركون فى طريقه وناقضوه فى قصده وتفريقه وصار رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شق وهؤلاء فى شق وما ذكره هؤلاء المشركون فى زيارة القبور هو الشفاعة التى ظنوا ان آلهتهم تنفعهم بها وتشفع لهم عند الله وتقربهم منه قالوا فان العبد اذا تعلقت روحه بروح الوجيه المقرب عند الله وتوجه بهمته وعكف بقلبه عليه صار بينه وبينه اتصال يفيض به عليه منه نصيب مما يحصل له من الله وشبهوا ذلك بمن يخدم ذا جاه وحظوة وقرب من السلطان فهو شديد التعلق به فما يحصل لذلك من السلطان من الانعام والافضال والافاضة ينال ذلك المتعلق به بحسب تعلقه به فهذا سر عبادة الاصنام وهو الذى بعث الله رسله وأنزل كتبه بابطاله وتكفير أصحابه ولعنهم وأباح دماءهم وأموالهم وسبى ذراريهم وأوجب لهم النار والقرآن من أوله الى آخره مملوء من الرد على هؤلاء وابطال مذاهبهم قال تعالى أم اتخذوا من دون الله شفعاء قل أولو كانوا لا يملكون شيأ ولا يعقلون قل لله الشفاعة جميعا له ملك السموات والارض وهم وان صوروا صور الاتعدل فانها صور الانبياء والملائكة والصالحين ليتقربوا بهم وليشفعوا لهم ويدعوهم ويتألونهم فاخبر سبحانه ان الشفاعة لمن له ملك السموات والأرض وهو الله وحده فهو الذى يشفع بنفسه الى نفسه ليرحم عبده فيأذن هو لمن شاء أن يشفع فيمن رضى عنه فيشفع فيه فصارت الشفاعة فى الحقيقة انما هى له والذى شفع عنده انما شفع باذنه له وأمره بعد شفاعته سبحانه الى نفسه وهى ارادته من نفسه أن يرحم عبده وهذا ضد الشفاعة الشركية التى أثبتها هؤلاء المشركون ومن وافقهم فى عقيدتهم وهى التى أبطلها الله سبحانه فى كتابه بقوله واتقوا يوما لا تجزى نفس عن نفس شيأ ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة وقوله يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتى يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة وقال تعالى وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا الى ربهم ليس لهم من دونه ولى ولا شفيع لعلهم يتقون وقال ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض فى ستة أيام ثم استوى على العرش ما لكم من دونه من ولى ولا شفيع فاخبر سبحانه انه ليس للعباد شفيع من دونه بل اذا أراد سبحانه رحمة

عنده أذن هو لمن يشفع فيه كما قال تعالى ما من شفيع الا من بعد اذنه وقال من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه فالشفاعة باذنه ليست شفاعة من دونه ولا الشافع شفيع من دونه بل شفيع باذنه والفرق بين الشفيعين كالفرق بين الشريك والعبد المملوك المأمور فالشفاعة التى أبطلها شفاعة الشريك فانه لا شريك له والتى أثبتها شفاعة العبد المأمور الذى لا يشفع ولا يتقدم بين يدى مالكه حتى يأذن له ويقول اشفع فى فلان ولهذا كان أسعد بشفاعة سيد الشفعاء وأفضلهم يوم القيامة أهل التوحيد الذين جردوا التوحيد وأخلصوه من تعلقات الشرك وشوائبه وهم الذين ارتضى الله سبحانه قال تعالى ولا يشفعون الا لمن ارتضى وقال يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من أذن له الرحمن ورضى له قولا فاخبر سبحانه انه لا يحصل يومئذ شفاعة تنفع الا بعد رضاه قول المشفوع له واذنه للشافع فاما المشرك فانه لا يرضيه ولا يرضاه قولا فلا يأذن للشفعاء أن يشفعوا فيه فانه سبحانه علقها بأمرين أحدهما رضاه عن المشفوع له الثانى اذنه للشافع فتى لم يوجد مجموع الامرين لم توجد الشفاعة وسر ذلك وقوامه ان الأمر لله وحده فليس لأحد معه من الأمر شئ وأعلى الخلق وأفضلهم وأكرمهم عنده هم الرسل والملائكة المقربون وهم عبيد محض لا يسبقونه بالقول ولا يتقدمون بين يديه ولا يفعلون شيأ الا بعد اذنه لهم وأمره اياهم ولا سيما يوم لا تملك نفس لنفس شيأ والامر يومئذ لله واذن فهم مملوكون لا يتكلمون الا من بعد اذنه أفعالهم مقيدة بأمره فاذا أشرك بهم المشرك فدعاهم ورجاهم وتوكل عليهم واتخذهم له شفعاء من دون الله ظنا منه انه اذا فعل ذلك واعتقدهم ماهنالك تقدموا له وشفعوا عند الله فهو من أجهل الناس بحق الرب سبحانه وتعالى وما يجب له ويمتنع عليه فان هذا محال ممتنع تشبيه قياس الرب تبارك وتعالى على الملوك والكبراء حيث يتخذ الرجل من خواصهم أولياءهم من يشفع له عندهم فى قضاء الحوائج بهذا القياس الفاسد عبدت الاصنام واتخذ المشركون الشفيع والولى من دون الله والفرق بينهما هو الفرق بين الخالق والمخلوق والرب والمربوب والسيد المالك والعبد المملوك والغنى بالذات الذى لا حاجة به الى أحد قط والفقير بالذات المحتاج من كل وجه الى غيره فالشفعاء عند المخلوقين هم شركاؤهم فان قيام مصالحهم بهم وأعوانهم وأنصارهم الذين قيام أمر الملوك والاكابر بهم ولولاهم سبب لما انبسطت أيديهم وألسنتهم فى الناس فلحاجتهم اليهم احتاجوا الى قبول شفاعتهم وان لم يأذنوا فيها ولم يرضوا عن الشافع لانهم يخافون أن يردوا شفاعتهم فتنتقص طاعتهم لهم ويذهبوا الى غيرهم فلا يجدون بدا من قبول شفاعتهم على الكره والرضا فأما الغنى الذى غناه من لوازم ذاته وكل ما سواه فقير اليه بذاته وكل من فى السموات والارض عبد مقهور بقهره مصرفون بمشيئته لو أهلكهم جميعا لم ينقص من عزه وسلطانه وملكه وربوبيته والوهيته مثقال ذرة ولا انقص ولا أكثر قال تعالى لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم قل فمن يملك من الله شيأ ان أراد أن يهلك المسيح بن مريم وأمه ومن فى الارض جميعا ولله ملك السموات والارض وما بينهما الآية وقال سبحانه فى أفضل آية فى القرآن له ما فى السموات وما فى الارض من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه فأخبر ان حال ملكه للسموات والارض يوجب أن تكون الشفاعة كلها له وحده وان لا أحد يشفع عنده الا باذنه فانه ليس له شريك بل مملوك محض قال تعالى وقل الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك فى الملك ولم يكن له ولى من الذل وكبره تكبيرا بخلاف شفاعة أهل الدنيا بعضهم عند بعض فانهم لاخبارهم من أحوال الناس مالا يعرفه الملوك والله سبحانه

يعلم

يعلم السر وأخفى لا يخفى عليه شئ فى الارض ولا فى السماء يعلم السر واخفى وهو السميع البصير يسمع سبحانه ضجيج الاصوات باختلاف اللغات فى تفننها وما تنطق به من الكلمات لا يشغله سمع عن سمع ولا تغلطه المسائل ولا يبرمه الحاح الملحين بخلاف المخلوقين فانهم قد لا يريدون نفع الرعية ولا الاحسان اليهم أول وهلة ويتوقف ذلك على وجود محرك خارجى * فاذا خاطب الملك من ينصحه ويعظه أو من يرجوه ويخافه تحركت ارادة الملك وهمته فى قضاء حوائج رعيته أو ما لما يحصل فى قلبه من كلام الناصح الواعظ المشير وأما لما يحصل له من الرغبة والرهبة من كلام المدل عليه والله تعالى هو رب كل شئ ومليكه وهو أرحم بعباده من الوالدة بولدها وكل الاسباب ان تكون بمشيئته تعالى فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن وهو سبحانه الذى أجرى نفع العباد بعضهم على يد بعض فجعل هذا يحسن الى هذا أو يدعو له أو يشفع فيه وهو الذى خلق ذلك كله وهو الذى خلق فى قلب هذا المحسن والداعى والشافع ارادة الاحسان والدعاء والشفاعة ولا يجوز أن يكون فى الوجود من يكرهه على خلاف مراده أو يعلمه ما لم يكن يعلمه أو من يرجوه الرب أو يخافه * ولهذا قال النبى صلى الله عليه وسلم لا يقولن أحدكم اللهم اغفر لى ان شئت اللهم ارحمنى ان شئت ولكن ليعزم المسئلة فان الله لا مكره له * بخلاف المخلوق فانه يقبل شفاعة مملوكه لخوفه أن لا يطيعه أو أن يسعى فى ضرره وكذلك يقبل شفاعة ولده وزوجته لذلك فانه محتاج الى الزوجة والى الولد حتى لو أعرض عنه ولده أو زوجته أو مملوكه لتضرر بذلك وشفاعة العباد بعضهم لبعض عند بعض كلها من هذا الجنس فلا يقبل أحد شفاعة أحد الا لرغبة أو رهبة وقبول الشفاعة من باب النفع للغير والمخلوق لا ينفع غيره الا لما يحصل له من النفع اما من الله بالثواب واما من غيره بالمعاوضة والله لا يرجو أحدا ولا يخافه ولا يحتاج الى أحد بل هو الغنى سبحانه فبين سبحانه ان الشفاعة التى نفاها فى القرآن هى هذه الشفاعة الشركية التى يعرفها الناس بينهم ويفعلها بعضهم مع بعض ولهذا يطلق نفيها تارة بناء على انها هى المعروفة المتعاهدة عند الناس ويقيدها تارة بانها لا تنفع الا بعد اذنه وهذه الشفاعة فى الحقيقة هى منه فانه الذى أذن والذى قبل والذى رضى عن المشفوع فيه ومتخذ الرب وحده الهه ومعبوده ومحبوبه ومرجوه ومخوفه ومتوكله ومدعوه الذى يتقرب اليه وحده ويطلب رضاه باتباع رسله ويتباعد من سخطه هو الذى يأذن الله سبحانه للشفيع أن يشفع فيه قال تعالى أم اتخذوا من دون الله شفعاء الى قوله قل لله الشفاعة جميعا وقال تعالى ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل أتنبئون الله بما لا يعلم فى السموات ولا فى الارض سبحانه وتعالى عما يشركون فهذا انكار عليهم وتوبيخ لهم أى أتخبرونه بان لكم عنده شفعاء وهو لا يعلمها فى السموات ولا فى الارض ففيه تقريع وتهكم بهم لان ما لا يعلمه العالم بجميع المعلومات لا يكون له وجود ولا تحقيق وقال تعالى وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء ان يتبعون الا الظن وان هم الا يخرصون فبين سبحانه أن من اتبع من دون الله شركاء بشفاعتهم له عنده من دونه فليس معه الا الظن وخرص والظن المقرون بالخرص هو ظن باطل غير مطابق للحق فان الخرص هنا ضمن معنى الكذب لقوله تعالى قتل الخراصون ومن ظن ان ما هنا نافية فقد أبعد وفسر الآية بما هو خطأ بل معناها الاستفهام انكارى أى أى شئ يتبع الذين يدعون من دون الله فبين سبحانه ان المتخذين شفعاء مشركون وان الشفاعة لا تحصل باتخاذهم اياهم وانما تحصل باذنه للشافع ورضاه عن المشفوع له ﴿فالزيارة التى

شرعها رسول الله صلى الله عليه وسلم لامته وعلمهم اياها فنحن ان شاء الله تعالى نعملها ونأمر بها اهل يوجد فيها شيء مما يعتمده أهل الشرك والبدع أم هي مضادة لما هم عليه من كل وجه لكن ما احسن قول مالك بن أنس رحمه الله تعالى لن يصلح هذه الامة الا ما أصلح أولها وكلما ضعف تمسك الامم بعهود أنبيائهم ونقص ايمانهم عوضوا عن ذلك بما أحدثوه من البدع والشرك وجعلوه من الدين ولقد جرد السلف الصالح التوحيد وحموا جانبه حتى كان أحدهم اذا سلم على النبي صلى الله عليه وسلم ثم أراد الدعاء استقبل القبلة وجعل ظهره الى جدار القبر ثم يدعو ونص على ذلك الائمة الاربعة ان الداعي يستقبل القبلة وقت الدعاء لانه عبادة كما جاء في الترمذي وغيره مرفوعا الى النبي صلى الله عليه وسلم ان الدعاء هو العبادة بل هو مخها فجرد السلف هذه العبادة لله ولم يفعلوها عند القبور الا للاموات بعد السلام عليهم والاستغفار لهم لانقطاع عملهم ولهذا شرع في الصلاة عليهم من الدعاء ما لم يشرع مثله للاحياء قال عوف بن مالك صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على جنازة فحفظت من دعائه وهو يقول اللهم اغفر له وارحمه وعافه واعف عنه وأكرم نزله ووسع مدخله واغسله بالماء والثلج والبرد ونقه من الخطايا كما ينقى الثوب الابيض من الدنس وابدله دارا خيرا من داره وأهلا خيرا من أهله وزوجا خيرا من زوجه وأدخله الجنة وأعذه من عذاب القبر ومن عذاب النار حتى تمنيت ان أكون أنا الميت لدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم لذلك الميت رواه مسلم في صحيحه عنه وقال أبو هريرة رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في صلاته على الجنازة اللهم أنت ربها وأنت خلقتها وأنت هديتها للاسلام وأنت قبضت روحها وأنت أعلم بسرها وعلانيتها جئنا شفعاء له فاغفر له وارحمه رواه الامام أحمد وفي سنن أبي داود عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا صليتم على الميت فاخلصوا له الدعاء وقالت عائشة رضي الله عنها وأنس عن النبي صلى الله عليه وسلم ما من ميت يصلي عليه أمة من المسلمين يبلغون مائة كلهم يستغفرون له الا شفعوا فيه رواه مسلم في صحيحه عنه وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من رجل مسلم يموت فيقوم على جنازته أربعون رجلا لا يشركون بالله شيأ الا شفعهم الله فيه رواه مسلم فهذا مقصود الصلاة على الميت وهو الدعاء له والاستغفار له ومعلوم انه في قبره أشد حاجة منه وهو على نعشه فانه حينئذ معرض للسؤال وغيره وقد كان صلى الله عليه وسلم يقف على القبر بعد الدفن فيقول اسئلوا له التثبيت فانه الآن يسئل فعلم بهذا أن الميت أحوج الى الدعاء بعد الدفن فاذا قام المسلمون على جنازته ودعوا له لا دعوا به وشفعوا له لا استشفعوا به فبعد الدفن أولى وأحرى فبدل أهل الشرك والبدع قولا غير الذي قيل لهم بدلوا الدعاء له بدعائه والاستغفار له باستغفاره والشفاعة له بالاستشفاع به وقصدوا بالزيارة التي شرعها رسول الله صلى الله عليه وسلم احسانا الى الميت واحسانا الى الزائر وتذكيرا بالآخرة سؤال الميت نفسه وتخصيص تلك البقعة بالدعاء الذي هو مخ العبادة وحضور القلب عندها وخشوعه أعظم منه في الصلاة والمساجد ووقت الاسحار ﴿ومن المحال﴾ أن يكون دعاء الموتى والدعاء بهم والدعاء عندهم وسيلة مشروعة وعملا صالحا أمورا به وتصرف عنه القرون الثلاثة المفضلة بنص رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يرزقه الخلف الذين يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون فهذه سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم في أهل القبور بضعا وعشرين سنة حتى توفاه الله اليه واختار له ما لديه وهذه سنة الخلفاء الراشدين المهديين وهذه طريقتهم وجميع الصحابة والتابعين لهم باحسان الى

يوم الدين هل يمكن بشراً على وجه الارض أن يأتي عن أحد هم بنقل صحيح أو حسن أو ضعيف أو منقطع انهم كانوا اذا كانت لهم حاجة قصدوا القبور فدعوا عندها وتمسحوا بها فضلا أن يصلوا عندها أو يسألوها حوائجهم أو يسألوا الله بأصحابها فليوقفنا على أثر واحد أو حرف واحد فى ذلك بل يمكنهم أن يأتوا عن الخلوف التى خلفت بعدهم من المتبعين أهواءهم بكثير من المختلقات والحكايات المخترعات والكذبات والتمويهات وكلما تأخر الزمان وطال العهد كان ذلك أكثر حتى لقد وجد فى ذلك عدة مصنفات زور وبهتان ليس فيها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا عن خلفائه الراشدين المهديين ولا عن أصحابه ولا عن التابعين لهم باحسان حرف واحد من ذلك بل فيها ضد الاسلام وخلافه شئ كثير كما تقدم من قولهم اذا أعيتكم الامور فعليكم بأصحاب القبور وقولهم لو حسن أحدكم ظنه بحجر نفعه وأمثال ماهو مناقض لما بعث الله به الرسل وأنزل به الكتب * وأما زيارة قبر نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وسائر الانبياء عليهم الصلاة والسلام فقال العلماء لا يثبت قبر معروف لنبى الا نبينا صلى الله عليه وسلم وغيره انما هى ظنون لا يمكن تعيينه فى مكان معلوم وان علمت البقعة المدفون فيها كما صح عنه صلى الله عليه وسلم أنه أخبر بقبر موسى عند الكثيب الاحمر عن القدس رمية حجر قال فلو كنت ثم لأريتكم قبره الى جانب الطريق عند الكثيب الاحمر رواه البخارى والاقبرى صاحبيه رضى الله عنهما وزيارة قبره الشريف فيها تفصيل لائق ينبغى طلبه قد فصلها الصحابة والتابعون والأئمة المجتهدون وقسموها الى قسمين مشروع وغير مشروع * فاما المشروع منها فهو ما قاله الامام مالك وأحمد بن حنبل والشافعى وأبو حنيفة وغيرهم من المجتهدين كلهم قالوا ان من كان حاضرا فى المدينة فيشرع فى حقه أن يأتى الى القبر فيصلى ويسلم على النبى صلى الله عليه وسلم وعلى صاحبيه رضوان الله عليهما قالوا ولا يكثر من المجئ عليه ولا يكرره فى اليوم مرات احتراما له ولانه لم يفعله الصحابة ولا التابعون وان من قدم من سفر أو خرج اليه فيقف على قبر النبى صلى الله عليه وسلم فيصلى ويسلم عليه وعلى صاحبيه بعد أن يصلى لله فى المسجد ركعتين * وروى ابن بطة فى الابانة باسناد صحيح عن معاذ بن معاذ قال حدثنا ابن عوف قال سأل رجل نافعا فقال هل كان ابن عمر يسلم على القبر فقال نعم لقد رأيته مائة مرة أو أكثر منها كان يأتى الى القبر فيقوم عنده فيقول السلام على النبى السلام على أبى بكر السلام على أبى * وفى رواية أخرى ذكرها الامام أحمد محتجا بها ثم ينصرف وهذا الأثر رواه مالك فى الموطأ وكره غيره من العلماء أن يقول زرنا قبر النبى صلى الله عليه وسلم * وذكر بعضهم أنه علله بلعنه زوارات القبور * قال القاضى عياض والأولى أن يقال انما كرهه مالك لاضافة الزيارة الى قبر النبى وأنه لو قال زرنا النبى لم يكره لقوله اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد فلا تضاف الزيارة الى القبر للتشبه بأولئك واتفقوا على أنه اذا دعا بمسجد النبى صلى الله عليه وسلم لا يستقبل القبر وانما يستقبل القبلة وتنازعوا فى الاستقبال عند السلام عليه فقال مالك وأحمد وغيرهما يستقبل قبره ويسلم عليه وهو الذى ذكره أصحاب الشافعى وبعضهم يعزوه اليه * وقال أبو حنيفة رحمه الله تعالى بل يستقبل القبلة ويسلم عليه هكذا فى كتب أصحابه عنه وقال مالك فيما ذكره اسمعيل بن اسحق فى المبسوط والقاضى عياض فى الشفاء والمشارق وغيرهما من أصحاب مالك وعنه لا أرى أن يقف عند قبر النبى صلى الله عليه وسلم ويدعو ولكن يسلم ويمضى وقال أيضا فى المبسوط عن مالك لا بأس لمن قدم من سفر أو خرج اليه أن يقف على قبر النبى صلى الله عليه

وسلم ويسلم عليه ويدعو له ولأبي بكر فقيل له ان أناسا من أهل المدينة لا يقدمون من سفر ولا يريدونه الا وهم يفعلون ذلك في اليوم مرة أو أكثر يأتون عند القبر فيسلمون ويدعون ساعة فقال لم يبلغني هذا عن أحد من أهل الفقه ببلدنا الا من الصحابة ولا غيرهم ولا يصلح هذه الامة الا ما أصلح أولها ولم يبلغني عن أول هذه الامة وصدرها أنهم كانوا يفعلون ذلك ويكرهون المجيء الى القبر بل كانوا يكرهونه الا لمن جاء من سفر أو أراده ولا يختلف مذهبه المعروف بنقل الثقات من أصحابه عنه أن المسلم لا يستقبل القبر عند الدعاء * وقد نص أنه لا يقف عند الدعاء مطلقا * وذكر طائفة من أصحابه أنه يدنو من القبر ويسلم على النبي صلى الله عليه وسلم ثم يدعو مستقبل القبلة ويولي القبر ظهره وقيل لا يوليه ظهره فاتفقوا في استقبال القبلة وقت الدعاء وتنازعوا في تولية القبر ظهره وقت دعائه للنبي صلى الله عليه وسلم * وسبب هذا التنازع والله أعلم ان مالكا رحمه الله سئل عن استقبال القبر عند السلام على النبي صلى الله عليه وسلم والدعاء له فاختلفت الرواية عنه في ذلك هل هو وقت السلام عليه والدعاء له يستقبل القبر أو يوليه ظهره * وانما اختلفت الرواية عنه لان السلام على النبي صلى الله عليه وسلم يسمى دعاء * ولهذا ذهب أبو حنيفة ومن وافقه من فقهاء العراق الى أن المسلم يستقبل القبلة * والصحيح المشهور عن مالك استقبال القبر في هذه الحال كما تقدم وكما قال في رواية ابن وهب عنه اذا سلم على النبي صلى الله عليه وسلم يقف ووجهه الى القبر لا الى القبلة ويدنو ويسلم ويدعو ولا يمس القبر بيده * وما ذكره القاضي عياض عن محمد بن حميد قال ناظر أبو جعفر أمير المؤمنين مالكا في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له مالك يا أمير المؤمنين لا ترفع صوتك في هذا المسجد فان الله أدب قوما فقال لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي الآية ومدح قوما فقال ان الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله وذم قوما فقال ان الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون الآية وان حرمته ميتا كحرمته حيا فاستكان لها أبو جعفر وقال مالك يا أبا عبد الله استقبل القبلة وأدعو ثم لم يستقبل رسول الله بعد فقال ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم الى الله يوم القيامة بل استقبل واستشفع به فيشفعه الله قال تعالى ولو أنهم اذ ظلموا أنفسهم الآية * فهذا ضعيف لا يصح عنه فانه من أشد الناس انكارا على من يأتي الى القبر ليدعو عنده أو يستشفع به فان ثبت فلا بد أن يحمل على مذهبه وعدم لمخالفة له فقد تقدم قوله ان المسلم يدنو من القبر ويصلي ويسلم ويدعو له ومعلوم أن الصلاة عليه والدعاء له يوجب شفاعته للعبد يوم القيامة كما قال في الحديث الصحيح عنه عليه السلام اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا علي فانه من صلى علي مرة صلى الله عليه بها عشرا ثم سلوا الله لي الوسيلة فانها درجة في الجنة لا تنبغي الا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون ذلك العبد فمن سأل الله لي الوسيلة حلت عليه شفاعتي يوم القيامة فقول مالك ان ثبت معناه انك اذا استقبلته وصليت وسلمت عليه وسألت الله له الوسيلة يشفع فيك يوم القيامة فان الأمم يوم القيامة يتوسلون بشفاعته واستشفاع العبد به في الدنيا انما هو فعل ما هو سبب لحصول شفاعته له يوم القيامة كاتباعه فيما جاء به وسؤال الله له الوسيلة والصلاة والسلام عليه ونحو ذلك مما أمر النبي صلى الله عليه وسلم بفعله لا فعل ما ليس من شرعه مما نهى هو وأصحابه عنه * وكذلك ما نقل عن مالك في رواية ابن وهب اذا سلم على النبي صلى الله عليه وسلم ودعا يقف ووجهه الى القبر لا الى القبلة ويدعو ويسلم يعني الدعاء للنبي صلى الله عليه وسلم وصاحبيه كما تقدم موضحا عنه * فهذا هو

الدعاء المشروع هنالك كالدعاء عند زيارة قبور سائر المؤمنين وهو الدعاء لهم فانه صلى الله عليه وسلم أحق الناس بان يصلى ويسلم عليه ويدعى له * وبهذا تتفق قول مالك ويفرق بين الدعاء الذى أحبه والدعاء الذى كرهه وذكر انه بدعة *ونقل تلاوة هذه الآية عن مالك باطل وان ثبت أصل مانقله عياض تقديرا فان كلام مالك المنصوص عنه وعن أمثاله ينافى هذا ولم يذكر أحد من الائمة الاربعة فيما افعله ولا ذكر أحد منهم أن النبى صلى الله عليه وسلم يسأل بعد الموت لا استغفارا ولا غيره وانما يعرف مثل هذا فيما ذكره طائفة من متأخرى الفقهاء عن اعرابى انه أتى قبر النبى صلى الله عليه وسلم وتلا هذه الآية وأنشد بيتين

يا خير من دفنت بالقاع أعظمه * فطاب من طيبهن القاع والاكم

نفسى الفداء لقبر أنت ساكنه * فيه العفاف وفيه الجود والكرم

* وقد ذكر ذلك صاحب المواهب اللدنية أيضا * ولهذا استحب طائفة من متأخرى الفقهاء استغفار الله فى حضرة القبر وتلاوة هذه الآية عنده محتجين بهذه الحكاية التى لا يثبت بها حكم شرعى لاسيما فى مثل هذا الامر الذى لو كان مشروعا مندوبا لكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والتابعون أعلم به وأولى بالعمل من غيرهم فان العبادات مبناها التوقيف ولاسيما اذا نسب أمر الى هديه وشرعه وسنته والعقل لا مدخل لاستحسانه واستقباحه فى الدين وليس كل من قضيت حاجته بسبب يقتضى أن يكون السبب مشروعا مأمورا به فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأل فى حياته المسألة فيعطيها الابرد سائلا وتكون المسألة محرمة فى حق السائل حتى قال صلى الله عليه وسلم انى لأعطى أحدهم العطية فيخرج بها يتأبطها نارا قالوا يارسول الله فلم تعطهم قال يأبون الا أن يسألوا ويأبى الله لى البخل ومعلوم ان مالكا من أعلم الناس بمثل هذه الأمور فانه مقيم بالمدينة يرى ما يفعله التابعون وتابعوهم ويسمع ما ينقلونه عن الصحابة وأكابر التابعين وهو ينهى عن الوقوف على القبر للدعاء ويوبخ فاعله ويذكر انه لم يفعله السلف فكيف ينهى عن ذلك ثم يأمر به وهذا أمر توقيف لا اجتهاد فيه وقد أجدب الناس على عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه فاستسقى بالعباس ففى صحيح البخارى عن أنس بن مالك أن عمر رضى الله عنهما استسقى بالعباس وقال اللهم انا كنا اذا أجدبنا نتوسل اليك بنبينا فتسقينا وانا نتوسل اليك بعم نبينا فاسقنا فيسقون فاستسقوا به كما كانوا يستسقون بالنبى صلى الله عليه وسلم فى حياته فهم يتوسلون بدعائه لهم فيدعو لهم ويدعون معه كالامام والمأموم من غير أن يقسموا على الله بمخلوق ولا كانوا يأتون القبر فيدعون عنده بل كانوا يستسقون باهل الصلاح الاحياء لان المقصود دعاؤهم لا ذاتهم واذا كانوا من أقارب رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو أفضل *ولهذا حكى البخارى رحمه الله تعالى عن ابن عمر رضى الله عنهما أنه قال ربما ذكرت قول الشاعر وأنا انظر الى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فيستسقى على المنبر فما ينزل حتى يجيش كل ميزاب

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه * ثمال اليتامى عصمة للارامل

*اذا علم ذلك فان السلام على النبى صلى الله عليه وسلم يحتاج الى حضور قلب وادب ومنه وقوفه عن القبر مقدار أربعة أذرع والصحيح قبالة وجهه صلى الله عليه وسلم مستدبر القبلة مطرقا رأسه غاض البصر كانه يرى النبى صلى الله عليه وسلم فيسلم عليه *و يقول السلام عليك يارسول الله كان ابن عمر لا يزيد على ذلك * وكان بعض الصحابة يزيد النطق بالشهادتين والصلاة عليه و يقول أشهد أنك

بلغت رسالة ربك ونصحت لامتك ودعوت الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وعبدت الله حتى أتاك اليقين فصلى الله عليك كثيرا كما يحب ربنا ويرضى وان قال اللهم آته الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذى وعدته فحسن ثم اذا فرغ يتقدم قليلا من مقام سلامه نحو ذراع عن يمينه ويقول السلام عليك يا أبا بكر الصديق السلام عليك يا عمر الفاروق السلام عليكما ياصاحبي رسول الله صلى الله عليه وسلم وخليفتيه وضجيعيه اللهم اجزهما عن نبيهما وعن الاسلام خيرا سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار ثم ينصرف مستقبل القبلة ﴿وأما غير المشروع﴾ فهو قصده للدعاء واتخاذه عيدا بالاجتماع عنده والسفر اليه لما فى الصحيحين وغيرهما من المسانيد والسنن انه صلى الله عليه وسلم نهى ان يتخذ قبره مسجدا وقال اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد بعد قوله اللهم لا تجعل قبرى وثنا يعبد فانه صلى الله عليه وسلم لم ينه عن الصلاة عند القبور واتخاذها مساجد استهانة بأهلها بل لما يخاف على القاصدين لها من الفتنة بدعائها أو الدعاء عندها * فان أصل عبادة الاوثان بذلك سببها اتخاذ المساجد على القبور وقصدها لدعائها او الدعاء عندها كما تقدم بيان ذلك فلولا انه قد يحصل عند القبور ما يخاف به الافتتان لما نهى الناس عن ذلك ولهذا لم يقصد القبر للدعاء عنده أحد من الصحابة مع شدة احتياجهم واضطرارهم بكثرة الأمور والنوائب المدلهمة التى قرعتهم ولا أيضا التابعين ولا أئمة المسلمين ولا ذكره أحد من العلماء الصالحين المتقدمين بل كلهم كانوا ينهون عن ذلك وقد قال الشافعى فى الام أكره تعظيم قبور المخلوقين خشية الفتنة بها ومراده بتعظيمها الصلاة بحضرتها والدعاء عندها فضلا عن السجود لها أو دعائها وما يحكى عنه انه كان يقصد الدعاء عند قبر أبى حنيفة فهو كذب ظاهر لان الشافعى لما قدم بغداد لم يكن بها قبر ينتاب للدعاء عنده ألبتة ولم يكن هذا على عهده معروفا وقد رأى بالحجاز واليمن والشام من قبور الانبياء والتابعين من كان عنده أفضل من أبى حنيفة فما باله لم يتوخ الدعاء الا عنده وقد قال فى كتابه ما هو ثابت عنه من كراهة تعظيم قبور المخلوقين خشية الفتنة بها وانما يضع هذه الحكاية وأمثالها من قل علمه ودينه ممن لا خلاق له ﴿وأما النهى﴾ عن اتخاذه عيدا بالاجتماع عنده والسفر اليه فلما روى أبو داود فى سننه عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تجعلوا بيوتكم قبورا ولا تجعلوا قبرى عيدا وصلوا على فان صلاتكم تبلغنى حيث ما كنتم وهذا اسناده حسن ورواته كلهم ثقات مشاهير وقال أبو يعلى الموصلى فى مسنده الى أن ساق سند الحديث عن على بن الحسين أنه رأى رجلا يجىء الى فرجة كانت عند قبر النبى صلى الله عليه وسلم فيدخل فيها فيدعو فنهاه على بن الحسين وقال ألا أحدثكم حديثا سمعته من أبى عن جدى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تتخذوا قبرى عيدا ولا بيوتكم قبورا فان تسليمكم يبلغنى أينما كنتم رواه أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد المقدسى فى مختاراته وعند سعيد بن منصور فى السنن عن أبى سعيد مولى المهدى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تتخذوا بيتى عيدا ولا بيوتكم قبورا وصلوا على حيثما كنتم فان صلاتكم تبلغنى وقال سعيد عن أبى سهيل قال لما رآنى الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب عند القبر فنادانى وهو فى بيت فاطمة يتعشى فقال هلم الى العشاء فقلت لا أريده فقال مالى رأيتك عند القبر فقلت سلمت على النبى صلى الله عليه وسلم فقال اذا دخلت المسجد فسلم ثم قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تتخذوا بيتى عيدا ولا تتخذوا بيوتكم مقابر لعن الله اليهود اتخذوا

قبور أنبيائهم مساجد وصلوا على فان صلاتكم تبلغني حيث ما كنتم ما أنتم ومن بالاندلس الا سواء فهذان المرسلان من هذين الوجهين المختلفين يدلان على ثبوت الحديث لا سيما وقد احتج به من أرسله ولو لم يكن روى من وجوه مسندة غير هذين لكفى فكيف وقد تقدم مسندا وقبر النبي صلى الله عليه وسلم أفضل قبر على وجه الارض وقد نهى عن اتخاذه عيدا فقبر غيره أولى بالنهي كائنا من كان ثم انه أعقب النهي بقوله وصلوا على فان صلاتكم تبلغني حيث ما كنتم وفي الحديث الآخر فان تسليمكم يبلغني أينما كنتم يشير بذلك صلى الله عليه وسلم الى ان ما ينالني منكم من الصلاة والسلام يحصل مع قربكم من قبري وبعدكم منه فلا حاجة بكم الى اتخاذه عيدا والاحاديث عنه بان صلاتنا وسلامنا يعرض عليه كثيرة ﴿منها﴾ ما روى أبو داود في سننه من حديث أبي صخر حميد بن زياد عن يزيد بن عبد الله بن قسيط عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من أحد يسلم على الا رد الله على روحي حتى أرد عليه السلام وهذا الحديث على شرط مسلم ﴿ومنها﴾ ما روى أبو داود أيضا عن أوس بن أوس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أكثروا من الصلاة على يوم الجمعة وليلة الجمعة فان صلاتكم معروضة على قالوا يا رسول الله كيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت قال ان الله حرم على الارض ان تأكل لحوم الانبياء ثم ان أفضل التابعين من أهل بيته على بن الحسين رضي الله عنه نهى ذلك الرجل ان يتحرى الدعاء عند قبره صلى الله عليه وسلم واستدل بالحديث الذي سمعه من أبيه الحسين عن جده على وهو أعلم بمعناه من غيره فتبين بهذا ان قصده للدعاء ونحوه واتخاذه عيدا وكذلك ابن عمه حسن بن حسن شيخ أهل بيته كره ان يقصد الرجل القبر للسلام عليه ونحوه عنده غير دخول المسجد والصلاة فيه ورأى ان قصده ذلك من اتخاذه عيدا فقوله صلى الله عليه وسلم لا تجعلوا قبري عيدا مأخوذ من المعاودة والاعتياد ومنه ما هو اسم للزمان كقوله صلى الله عليه وسلم يوم عرفة ويوم النحر وأيام منى عيدنا أهل الاسلام رواه أبو داود وغيره ومنه ما هو اسم للمكان كما روى أبو داود في سننه ان رجلا قال يا رسول الله اني نذرت ان أنحر ببوانة فقال أبها وثن من أوثان المشركين أو عيد من أعيادهم قال لا قال أوف بنذرك واذا كان اسما للمكان فهو الذي يقصد للاجتماع فيه وانتيابه للعبادة أو لغيرها كما ان المسجد الحرام ومنى ومزدلفة وعرفة والمشاعر جعلها الله أعيادا للحنفاء مثابة للناس كما جعل أيام التعبد فيها عيدا وكان للمشركين اعياد زمانية ومكانية فلما جاء الله بالاسلام أبطلها وعوض الحنفاء منها عيد الفطر وعيد النحر وأيام منى كما عوضهم عن أعياد المشركين المكانية بالكعبة البيت الحرام وعرفة ومنى والمشاعر فاتخاذ القبور عيدا هو من أعياد المشركين التي كانوا عليها قبل الاسلام فلذلك نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قصد قبره من بعيد أو للدعاء عنده أو للاجتماع لديه فانه بذلك يكون عيدا وحينئذ فقصد القبر مجردة من الامصار في وقت معين أو في غير وقت معين هو الذي نهى عنه السلف الصالح لنهي النبي صلى الله عليه وسلم عنه في قوله لا تتخذوا قبري عيدا ولما في الصحيحين من حديث أبي هريرة وسعيد رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد المسجد الحرام والمسجد الاقصى ومسجدي هذا وقد روى هذا من وجوه أخر وهو حديث ثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم باتفاق أهل العلم يتلقى بالقبول عنه فالسفر الى هذه المساجد الثلاثة للصلاة فيها والدعاء والذكر وقراءة القرآن والاعتكاف هو من الاعمال الصالحة وما سوى هذه المساجد لا يشرع السفر اليه باتفاق أهل العلم حتى مسجد قباء يستحب قصده من المكان

القريب كالمدينة ولا يشرع شد الرحال اليه من بعيد فان فى الصحيحين عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال كان النبى صلى الله عليه وسلم يأتى مسجد قباء كل سبت ماشيا او راكبا وكان ابن عمر يفعله وفى لفظ مسلم فيصلى فيه ركعتين وذكره البخارى بغير اسناد وذلك ان الله سبحانه وتعالى نهى نبيه صلى الله عليه وسلم عن القيام فى مسجد الضرار وأمره بالقيام فى المسجد الذى أسس على التقوى ومسجده أعظم فى تأسيسه على التقوى من مسجد قباء كما ثبت فى الصحيحين عنه أنه سأل عن المسجد الذى أسس على التقوى فقال مسجدى هذا فكلا المسجدين أسس على التقوى ولكن اختص مسجده بأنه أكمل فى هذا الوصف من غيره فكان يقوم فى مسجده يوم الجمعة ويأتى مسجد قباء يوم السبت فاذا كان السفر الى مسجد غير المساجد الثلاثة ممتنع شرعا مع ان قصده لأهل مصر يجب تارة ويستحب أخرى وقد جاء فى قصد المساجد ما لا يحصى من الفضل فالسفر الى مجرد القبور أولى بالمنع ولا يغتر بكثرة العادات الفاسدة فان هذا من التشبه باهل الكتاب المتخذين قبور أنبيائهم مساجد وعيدة الذى أخبرنا النبى صلى الله عليه وسلم انه كائن فى هذه الأمة لا محالة وأصل ذلك انما هو اعتقاد فضل الدعاء عندها والا فلو لم يقم عندها هذا الاعتقاد بالقلوب لانمحى ذلك كله واذا كان قصدها للدعاء يجر هذه المفاسد كان حراما كالصلاة عندها او أولى وكان ذلك فتنة للخلق فتحا لباب الشرك واغلاقا لباب الخير والايمان وقد آل الأمر الى قصد مجرد القبر واتخاذه عيدا او مجمعا للنساء مع الرجال حتى ترتفع الاصوات عنده ويكثر الضجيج اضعافا مضاعفة على تلبية الحجيج كل يسأل حاجته وتفريج كربته وهم يعتقدون أن زيارته يحصل بها الغفران والنجاة من النيران وانها تجب ما قبلها من الآثام الا ترى أن أكثر الفجرة الساكنين بمكة المشرفة وجدة طول ايام السنة لا يتركون ذنبا موبقا الا ارتكبوه ولا اثما كبيرا الا اكتسبوه فاذا جاء شهر رجب أخذ على ذمته المعسر منهم واستدان وذهب الى القبر يسأل المغفرة من خاتم الرسل وأفضل ولد عدنان فأخذوا باللهتف بذكره وبكنيته قائلين جئنا اليك قاصدين تائبين لا تردنا أبا ابراهيم منذ يفارقون بلادهم الى ان يرجعوا يسألونه المغفرة وقضاء الديون وتفريج الكروب فاذا رجعوا خائبين اعتقدوا انهم خرجوا من آثامهم كيوم ولدتهم أمهاتهم مسرورين فعادوا على ما كانوا عليه من الباطل والطغيان ويقولون هم متوكلون على سيد ولد عدنان ولا نعنى العوام بل هم ذو العقائد من أهل العلم غير التام فهذا السفر اليه وقصده لفعل العبادة عنده من الدعاء والصلاة لا ريب فى حرمته والاثم فيه عند أهل العلم لا يختلف عنه متقدمهم ولا متأخرهم للعنه صلى الله عليه وسلم المتخذين قبور أنبيائهم مساجد واللعنة فى كلام الله ورسوله لا تجامع الا الحرام والاثم لا مجرد الكراهة ولقوله اللهم لا تجعل قبرى وثنا يعبد اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ولان المسافرين اليه والقاصدين له بعضهم يسميه الحج الى القبر لحصول المغفرة بذلك وأما ما حكاه أبو حامد الغزالى ومن وافقه من متأخرى الفقهاء فرادهم السفر المجرد لزيارة القبر لا القصد فعل العبادة من الصلاة والدعاء عنده قالوا والحديث مبنى على عدم تناوله النهى لزيارته اذا لم يتخذ عيدا ولم يحصل المحظور الذى نهى عنه كما لم يتناول النهى عن السفر الى الامكنة التى فيها الولدان والعلماء والمشايخ والاخوان أو بعض المقاصد من الامور الدينية المباحة وصدر صالح سلف الامة وخيارها جعلوا قوله عليه السلام لا تتخذوا قبرى عيدا وصلوا على حيث ما كنتم فان صلاتكم تبلغنى صريحا فى النهى مطلقا عن قصده من بعد لان الاجتماع عنده لازم له وذلك هو المنهى عنه وايضا نهيه عليه

السلام عن شد الرحال الى مسجد من المساجد غير الثلاثة مع فضل العبادة الحاصلة فى المساجد من صلاة وقراءة واعتكاف ووجوب قصده تارة على أهل عصره واستحبابه أخرى شامل للنهى عن شد الرحال الى مجرد زيارة القبور بالاولى اذ ليست زيارتها أفضل عند الله من عبادته فى خير بقاع الارض وقد نهى عن شد الرحل اليها فهذه أولى بالنهى قالوا ومن اعتقد ان السفر الى مجرد القبر أفضل من السفر الى المسجد أو مثله فهو اما جاهل بشريعة الرسول واما كافر به واذا وجد السفر المشروع الى مسجد الرسول لفعل العبادة فيه دخلت الزيارة تبعا فانها غير مقصودة بشد الرحال اليها بل الى المسجد نفسه وحينئذ فالزيارة شرعية مجمع على استحبابها بشرط عدم فعل المحظور عند القبر لا صلاة ولا دعاء وهو مستقبل القبر ولا يقصده له وان استقبل القبلة فى حال الدعاء ومن لم يفرق بين السفر المشروع الى مسجده صلى الله عليه وسلم وزيارة قبره الداخلة تبعا الشرعية المجمع على استحبابها وبين السفر الى غير قبره فهو اما جاهل بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم واما كافر به وادلاء صاحب المقدمة واحتجاجه على سنية السفر وشد الرحال الى مجرد زيارة القبر تارة وقرب وجوبه أخرى باطل من وجوه ﴿أحدها﴾ ان هذه الاحاديث كلها مكذوبة موضوعة باتفاق غالب أهل العلم ولم يجعلها فى درجة الضعيف الا القليل ولذلك تفرد بها الدارقطنى عن بقية أهل السنن والأئمة كلهم يروون بخلافه ومروياته مقدوح فيها خصوصا أحاديث زيارة القبر ومروياته فيها وهى أجل حديث روى فى هذا الباب من حديث أبى بكر البزار ومحمد بن عساكر ﴿الثانى﴾ انه لم يثبت عن النبى صلى الله عليه وسلم حديث واحد فى زيارة قبر مخصوص ولا روى فى ذلك شئ لأهل الصحيح ولا السنن ولا الأئمة المصنفين فى المسانيد كالامام أحمد وغيره وانما روى ذلك من جمع الموضوع وغيره المخالف لأهل الصحيح والتصحيح المميزين بين الحسن والضعيف والموضوع من أهل الترجيح فالاحاديث المروية فى زيارة قبره كقوله من زارنى وزار ابراهيم الخليل فى عام واحد ضمنت له على الله الجنة ومن زارنى بعد مماتى فكانما زارنى فى حياتى ومن حج ولم يزرنى فقد جفانى ونحو هذه الاحاديث كلها مكذوبة موضوعة باتفاق أهل المعرفة انما رخص فى زيارة القبور مطلقا بعد ان نهى عنها بلا شد رحال وسفر اليها كما ثبت عنه فى الصحيح ﴿الثالث﴾ نهيه صلى الله عليه وسلم عن اتخاذ قبره عيدا كما ثبت عنه من غير وجه رواه أبو داود من حديث أبى هريرة ورواه سعيد بن منصور فى سننه من حديث أبى سعيد مولى المهرى ورواه أيضا سعيد من حديث الحسن ابن الحسن بن على كرم الله وجوههم فكيف يقول لا تجعلوا قبرى عيدا وصلوا على فان صلاتكم تبلغنى حيث ما كنتم ثم يقول من حج ولم يزرنى فقد جفانى أو يقول من زار قبرى وجبت له شفاعتى أو يقول لاعذر لمن كانت له سعة من أمتى ولم يزرنى أو يقول من زارنى فى المدينة متعمدا كان فى جوارى يوم القيامة أو نحو من هذه المختلقات عليه والحشو المدلى بهذه المختلقات صان الله نبيه صلى الله عليه وسلم عنها ان يكون ممن قال صلى الله عليه وسلم فيه ان كذبا على ليس ككذب على أحد من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار الحديث مخرج فى الصحيحين من حديث أنس بن مالك رضى الله عنه ولو قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما نسبه اليه هؤلاء لم ينه عن اتخاذ قبور الانبياء مساجد ويلعن فاعل ذلك فانه اذا لعن من اتخذها مساجد يعبد الله فيها فكيف بملازمتها والعكوف عندها وعليها وان يعتاد قصدها واتيانها من بعيد وشد الرحال اليها بل هذا أولى باللعنة وكيف يسأل ربه ان لا يجعل قبره وثنا يعبد ثم يأمر بشد الرحال اليه وانه للدعاء عنده يقصد وكيف يقول اعلم الخلق من الصحابة بذلك ولولا ذلك

لا بر زقبره ولكن خشي ان يتخذ مسجدا وكيف يقول لا تجعلوا قبري عيدا وصلوا على حيث ما كنتم وكيف لم يفهم أصحابه وأهل بيته من ذلك ما فهمه هؤلاء المدعون ولم ينقلوا عنه ما نقله هؤلاء المختلقون ﴿الرابع﴾ انه ندب أمرا قد نهى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعله من سنته ودينه وانه يتقرب بفعله وأصل الضلال في الارض انما نشأ من اتخاذ دين لم يشرعه الله أو تحريم ما لم يحرمه الله ولهذا كان الاصل الذي بنى الامام أحمد والشافعي وغيرهما من الأئمة عليه مذاهبهم ان أعمال الخلق تنقسم الى عبادات يتخذونها دينا ينتفعون بها في الأخرى أو في الدنيا والآخرة والى عادات ينتفعون بها في معايشهم فالاصل في العبادات ان لا يشرع منها الا ما شرعه الله ورسوله وان استحسنه العقل اذ لا مدخل له في الدين والاصل في العادات ان لا يحظر منها الا ما حظره الله ورسوله فمن ندب الى شيء يتقرب به الى الله ويجعله من سنة رسول الله أو وجبه بقوله أو فعله من غير ان يشرعه الله فقد شرع من الدين ما لم يأذن به الله ومن تبعه في ذلك فقد اتخذه شريكا لله شرع له من الدين ما لم يأذن به الله ومن اعتقد ان أكثر هذه العادات المخالفة للسنة مجمع عليها بناء على ان الأمة قد أقرتها ولم تنكرها فهو مخطئ في هذا الاعتقاد فانه لم يزل ولا يزال في كل وقت من ينهى عن عامة العادات المحدثة المخالفة للسنة ولا يجوز دعوى اجماع بعمل بلد أو بلاد من بلاد المسلمين فكيف بعمل طوائف فالعادات لا تصرف الاحاديث الواردة في النهي عن الحظر به فان غالب العاملين بالعادات البدعية هم الملوك واشباههم ممن سلفهم واتبعهم ولا حجة في فعلهم ﴿الخامس﴾ زعمه انا نكفر من يزور القبور وهذا منه بهتان علينا وقول زور فانا نقول أصل زيارة القبور سنة مندوبة أمر بها الشارع بعد ان نهى عنها والترغيب في زيارتها لتذكار الآخرة والاحسان الى الميت بزيارته والدعاء والاستغفار له لكن بلا شد رحل اليه ونحن اذا نهينا عن شد الرحال كما نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه والأئمة من بعدهم لا يلزم من نهينا تكفير مرتكب المنهي عنه اذا لم يصدر منه ما يوجب كفره من الشرك الاكبر غير المغفور كدعاء الميت بما لا يقدر عليه الا الله من سلامة وعافية وتفريج كربة وكشف شدة وسؤال مغفرة أو ان يكون له واسطة ووسيلة في قضاء حوائجه وليشفع له في ذلك فهو متوكل عليه فيه كما تقدم بيانه موضحا وأما قصد الدعاء عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم أو غيره لنفس ذلك الداعي لا له وللميت فهو حرام ولا كفر حيث لم يدع الميت نفسه وانما حرم لقصد البقعة للدعاء فنحن نعمل ونأمر بالزيارة التي شرعها رسول الله صلى الله عليه وسلم لأمته وعلمهم اياها ونجتنب وننهى عن الزيارة التي نهى عنها أمته وأخبر انها فعل المشركين ﴿السادس﴾ ان متأخري الفقهاء القائلين بزيارة القبور من الشافعية وغيرهم حتى ابن حجر الهيتمي صرح في الامداد الذي شرح به الارشاد كلهم قالوا ينوي الزائر مع زيارته التقرب بالسفر الى مسجده صلى الله عليه وسلم وشد الرحل اليه والصلاة فيه لتكون زيارة القبر تابعة ويكثر في طريقه من الصلاة والتسليم عليه ومضمون كلام صاحب المقدمة معاكس لهم لجعله زيارة القبر هي الأصل استحبابا أو قربا من الواجب رأسا وزيارة المسجد تابعة وصريح الاحاديث المتقدمة وكلام الأئمة راد عليه في ذلك اذ هم القائلون من اعتقد ان السفر الى مجرد القبر أفضل من السفر الى المسجد أو مثله فهو اما جاهل بشريعة الرسول واما كافر به وممن صرح بذلك أيضا الامام الشافعي كغيره من السلف الصالح ﴿السابع﴾ انه لم يفرق بين الزيارتين ولم يميز بين الجنسين في الحضرية

والمشروعية بل هما عنده شئ واحد ولذلك نسبنا الى تكفير فاعل المحضور منه مامع انا نفصل بين ما فيه مجرد الاثم والحرمة وبين ما هو نفسه كفر حقيقي لا يحتمل الاول وبين ما هو من الدين قد شرعه رسول رب العالمين والله أعلم وأما اعتراضكم على الشيخ بقولكم ﴿وأما قوله وليعلم المتهاون بصلاته المستخف المسابق الامام فيها انه لا صلاة له وانه اذا ذهبت صلاته فقد ذهب دينه أخذ هذا القول من تشبيهه صلى الله عليه وسلم الدين بالخيمة والصلاة بعمود تلك الخيمة وقوله ان الفسطاط اذا سقط عموده سقط الفسطاط ولم ينتفع بالطنب ولا بالاوتاد واذا قام عمود الفسطاط انتفعت بالطنب والاوتاد فكذلك الصلاة من الاسلام فنقول لا نسلم ان سبق الامام يبطل صلاته نعم يكره ذلك الفعل منه بل ان ترك الموحد الصلاة رأسا مع اعتقاد فرضيتها لا يكفر كفرا اعتقاديا نعم عند الشافعي يقتل حدا لا كفرا فكيف يحكم بسبب المسابقة بخروجه من الدين ولا يلزم من التشبيه الذي بالحديث المذكور ذلك اذ لا يلزم من تشبيه شئ بشئ مشاركته له من جميع الوجوه مثلا لا يلزم من تشبيه زيد بالاسد في الشجاعة أن يقال الناس كالاسد نعم الصلاة أم العبادات ومعراج المؤمنين ومناجاة رب العالمين وفرضها أفضل الفرائض ونفلها أفضل النوافل كما هو مفصل في كتب التفسير والحديث والفقه﴾ فنقول هذا الاعتراض شاهد على المعترض به انه ليس له اطلاع على كلام الأئمة الاعلام ولا احاطة بمعاني الاحاديث النبوية الكرام وانما يقول من عند ياته و يستدل بظاهر ما خالف من مصنفاته غير محررات تناقضها نصوص كلام امامه ومرو ياته وذلك من وجوه ﴿أحدها﴾ ان هذا كلام للامام أحمد بن حنبل الشيباني لا لمحمد بن عبد الوهاب بل قاله الامام أحمد في رسالة له عدة ورقات كتبها في أحكام الصلاة والتهاون بها وما بلغه عنها وكان سبب كتابتها على ما ذكره انه صلى في جماعة ورآهم أو أكثرهم يسابقون الامام الاركان الفعلية فكتبها نصيحة لهم ولغيرهم ان صلاة المأموم مرتبطة بصلاة امامه تابع له في أفعاله لا يتقدم بها عليه لقول النبي صلى الله عليه وسلم انما جعل الامام ليؤتم به ولقوله أيضا أما يخشى أحدكم اذا رفع رأسه قبل الامام أن يحول الله رأسه رأس حمار أو يجعل صورته صورة حمار وهذان الحديثان في البخاري ومسلم ومعلوم ان المسابق لامامه متهاون بصلاته مستخف بها او وجود هذين الوصفين أو أحدهما لا يجامع الصحة واذا بطلت فخطرها عظيم ولهذا قال الامام أحمد في رسالته وليعلم المتهاون بصلاته المستخف بها المسابق للامام فيها انه لا صلاة له فاذا ذهبت صلاته فقد ذهب دينه فعظموا الصلاة وتمسكوا بها واتقوا الله فيها خاصة وفي أموركم عامة واعلموا أن الله عز وجل قد عظم حق الصلاة في القرآن وعظم أمرها وشرفها وشرف أهلها وخصها بالذكر من بين الطاعات كما في مواضع كثيرة من القرآن وأوصى بها خاصة فمن ذلك انه تعالى ذكر أعمال البر التي أوجب لاهلها الخلود في الفردوس فافتتح تلك الاعمال بالصلاة وختمها بالصلاة وجعل تلك الاعمال التي جعل لاهلها الفردوس بين ذكر الصلاة مرتين قال الله عز وجل قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون فبدأ من صفتهم بالصلاة عند مدحه اياهم ثم وصفهم بالاعمال الظاهرة الزكية المرضية الى قوله والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون والذين هم على صلواتهم يحافظون أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون فأوجب الله عز وجل لاهل هذه الاعمال الشريفة الزكية المرضية الخلود في الفردوس وجعل هذه الاعمال بين ذكر الصلاة مرتين ثم عاب الله عز وجل الناس كلهم وذمهم ونسبهم الى اللوم والهلع والجزع والمنع للخير الا أهل

الصلاة فانه استثناهم منهم فقال ان الانسان خلق هلوعا اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا ثم استثنى المصلين فقال الا المصلين الذين هم على صلاتهم دائمون والذين فى أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم ثم وصفهم بالاعمال الزكية الطاهرة المرضية الشريفة الى قوله والذين هم بشهاداتهم قائمون ثم ختم ثناءه عليهم ومدحه اياهم بان ذكرهم بمحافظتهم على الصلاة فقال والذين هم على صلاتهم يحافظون أولئك فى جنات مكرمون فاوجب لاهل هذه الاعمال الكرامة فى الجنة وافتتح ذكر هذه الاعمال المرتب على وجودها الكرامة بالصلاة وجعل ذكر هذه الاعمال بين ذكر الصلاة مرتين ثم ندب الى الطاعات كلها والصلاة هى أكبر الطاعات فقال عز من قائل اتل ما أوحى اليك من الكتاب وأقم الصلاة ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر وفى تلاوة الكتاب جميع الطاعات كلها واجتناب جميع المنهيات فخص الصلاة بالذكر فقال وأقم الصلاة ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر أى والصلاة خاصة وقد ندب سبحانه وتعالى أنبياءه عليها فقال وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى فامر الله نبيه أن يأمر أهله بالصلاة ويصطبر عليها ثم أمر الله المؤمنين بالاستعانة على طاعته بالصبر ثم خص الصلاة بالذكر من بين الطاعات فقرنها مع الصبر بقوله يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة ان الله مع الصابرين وكذلك أمر الله بنى اسرائيل بالاستعانة فى الصبر على جميع الطاعات ثم أفرد الصلاة من بين سائر الطاعات فقال واستعينوا بالصبر والصلاة وانها لكبيرة الا على الخاشعين ومثل ذلك ما أخبر الله عز وجل من حكمه ووصيته خليله ابراهيم ولوطا واسحق ويعقوب فقال وأوحينا اليهم فعل الخيرات واقام الصلاة فافردها بالذكر وأوصاهم بفعل الخيرات عامة وفعل الصلاة خاصة ومثل ذلك ما أخبر عن اسماعيل فى قوله وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضيا فبدأ بالصلاة ومثله عن موسى عليه السلام فى قوله هل أتاك حديث موسى الى قوله اننى أنا الله لا اله الا أنا فاعبدنى وأقم الصلاة لذكرى فاجمل الطاعات واجتناب المعاصى وأفرد الصلاة وأمر بها خاصة ثم قال عز من قائل والذين يمسكون بالكتاب وأقاموا الصلاة والتمسك بالكتاب لازمه فعل جميع الطاعات واجتناب جميع المنهيات ثم خص الصلاة بالذكر فقال وأقاموا الصلاة وأما تضييع الصلاة فهو تركها والتهاون بها واستخفافها وتعاطى ما يبطلها من فعل ما هو محظور فيها ككلام الناس بينهم وكثرة الحركات فيها عرفا لغير حاجة قتال مباح أو نحوه ومسابقة امامه بافعال الصلاة وعدم تعديل الاركان فيها بان لم يطمئن طمأنينة وان قلت أو لم يقرأ فيها بام القرآن فعن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال ان هذه الصلاة لا يصلح فيها شئ من كلام الناس انما هى التسبيح والتكبير وقراءة القرآن هذا الحديث رواه مسلم من حديث معاوية بن الحكم السلمى رضى الله عنه بلفظه وذكر الحديث بتمامه وعن زيد بن أرقم قال كنا نتكلم فى الصلاة يكلم أحدنا صاحبه وهو الى جنبه حتى نزلت وقوموا لله قانتين فامرنا بالسكوت ونهينا عن الكلام وهذا نهى عام فيشمل الاحوال كلها وعن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال صلوا كما رأيتمونى أصلى وعن أبى هريرة قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد ودخل رجل فصلى ثم جاء فسلم على النبى صلى الله عليه وسلم فقال ارجع فصل فانك لم تصل ثلاثا فقال والذى بعثك بالحق لا أحسن غيره فعلمنى فقال اذا قمت الى الصلاة فكبر ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن ثم اركع حتى تطمئن راكعا ثم ارفع حتى تعتدل قائما ثم اسجد حتى تطمئن ساجدا ثم ارفع حتى تطمئن جالسا ثم اسجد حتى تطمئن

ساجدا

ساجدا ثم ارفع حتى تطمئن جالسا ثم افعل ذلك فى صلاتك كلها وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال انما جعل الامام ليؤتم به فلا تختلفوا عليه واذا كبر فكبروا واذا ركع فاركعوا واذا سجد فاسجدوا وقال صلى الله عليه وسلم لا تسبقونى بالركوع ولا بالسجود ولا بالقيام وعن البراء بن عازب قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قال سمع الله لمن حمده لم يحن أحد منا ظهره حتى يقع النبى صلى الله عليه وسلم ساجدا ثم نقع سجودا بعده وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال انى أراكم من خلفى كما أراكم من أمامى يحذر مسابقته فيها وعن النبى صلى الله عليه وسلم انه كان يقرأ فى الظهر فى الاولتين بأم الكتاب وسورتين ويطول الاولى ويقصر الثانية ويسمع الآية أحيانا وفى الركعتين الأخيرتين بأم الكتاب وقال صلوا كما رأيتمونى أصلى وروى أبو سعيد أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لا صلاة لمن لم يقرأ فى كل ركعة بفاتحة الكتاب وعن عبادة بن الصامت قال أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان نقرأ بفاتحة الكتاب فى كل ركعة وعن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن فهى خداج هى خداج هى خداج وما روى عن على رضى الله عنه انه قال اقرأ فى الاولتين وسبح فى الاخيرتين فيرويه الاعور وقد قال الشعبى انه كذاب وعمر وجابر يخالفانه الى أن قال فالصلاة خطرها عظيم وأمرها جسيم وبالصلاة أمر الله تبارك وتعالى رسوله أول ما أوحى اليه بالصلاة قبل كل عمل وقبل كل فريضة وبالصلاة أوصى النبى صلى الله عليه وسلم عند خروجه من الدنيا فقال الله الله فى الصلاة وفيما ملكت أيمانكم هذا فى آخر وصيته اياهم * وجاء فى الحديث انها آخر وصية كل نبى لأمته وآخر عهده اليهم عند خروجه من الدنيا وجاء فى حديث آخر انه كان يجذب نفسه وهو يقول الصلاة الصلاة أول فريضة فرضت عليكم هى آخر ما يذهب من الاسلام وهى أول ما يسأل عنه العبد من عمله يوم القيامة وهى عمود الاسلام ليس بعدذهابها دين ولا اسلام والله الله فى أموركم عامة وفى صلاتكم خاصة فتمسكوا بها واحذر واتضييعها والاستخفاف بها ومسابقة الامام فيها وخداع الشيطان لكم عنها واخراجه اياكم عن دينكم فانها آخر الدين ومن ذهب آخر دينه فقد ذهب دينه كله فتمسكوا بآخر دينكم وقال فيها كلاما طويلا أعرضنا عنه طلبا للاختصار ﴿الوجه الثانى﴾ ان قوله لا نسلم أن يسبق الامام تبطل صلاته وقد قال أبو حنيفة وأبو يوسف رحمهما الله تعالى ان المسابق لامامه بركن أو ركنين تجب عليه اعادة الصلاة لافسادها حيث لم توجد المشاركة مع الامام أصلا فيما سبقه فيه فان سابقه اليه المشاركة مع الامام فمكروه فالاولى للمأموم تخلفه عن امامه يسيرا بحيث يتميز الامام عن المأموم بأفعاله واختلفت الرواية عنهما فى مقارنة المأموم لامامه فى تكبيرة الاحرام أو ذكر غيرها عوضها فعن أبى حنيفة رحمه الله تعالى الأولى المقارنة له حيث بدأ بها الامام أولا مسارعة الى الدخول فيها معه وعن أبى يوسف ومحمد رحمهما الله تعالى لا بد أن يتميز بها الامام عن المأموم ليكون تابعا له فيكبر بعد تكبيرة الامام والاصح ان الاختلاف فى الجواز لا فى الافضلية ولو كبر قبله ناويا الاقتداء به بطل الاقتداء وشروعه على الاصح عند الامام وأبى يوسف ومحمد وعند أحمد والشافعى رحمهما الله تعالى لا بد أن يفرغ الامام من راء أكبر حتى يبدأ الامام ويشرع بالهمزة من الله فلو وافقه فيها فصلاته باطلة وحجتهما قوله عليه السلام انما جعل الامام ليؤتم به فاذا كبر فكبروا واذا ركع فاركعوا واذا رفع فارفعوا واذا قال سمع الله لمن حمده فقولوا ربنا ولك الحمد أخرجه البخارى ومسلم من حديث أنس وظاهر كلامهم فى المسابقة التفصيل بين المسابقة بالركن والمسابقة

اليه لان المؤتم تارة يسبق امامه الى الركن بان يشرع فى فعله قبل شروع الامام فيه كان يركع قبل ركوع امامه أو يرفع من ركوعه قبل رفع امامه أو يشرع فى السجود قبل امامه أو يرفع منه قبله وتارة يسبق امامه بالركن بان يأتى به قبل امامه كان يركع و يرفع قبل امامه ولا يعد سابقا بركن حتى يتخلص منه الى غيره فلا يعد سابقا بالركوع حتى يرفع ولا بالرفع حتى يهوى قيل حتى يعتدل والأول هو الصحيح عند أحمد وقد يسبق امامه بركنين فاكثر واذا سبقه بركن فتارة يكون ركوعا وتارة لا واذا سبق بركنين فتارة يكون أحدهما ركوعا أولا اذا علم ذلك فحكم السبق الى الركن عند الامام أحمد والشافعى انه يحرم ولا تبطل صلاته به ولو مع المأموم مسابقته الامام عامدا أو هو جاهل الحكم وعليه ان يرجع ليأتى بذلك مع امامه فان لم يرجع حتى أدركه فيه الامام فان كان عالما المسابقة عمدا بطلت صلاته عند أحمد فى أصح الروايتين عنه ولا تبطل عند الشافعى فى القول المشهور عنه ومشى عليه أصحابه وان كان جاهلا أو ناسيا لم تبطل صلاته بل يعتد له بالذى سبقه اليه من ركوع وسجود ونحوهما من بقية الاركان لانه سبق يسير يعسر التحرز عنه ولانه اجتمع مع امامه فيه فلم يخل ذلك بالاقتداء لعذر الجهل أو النسيان بالسبق اليسير فان كان عالما بحكم البطلان فسبقه اليه عمدا ثم رفع منه وركع ثانيا بطلت صلاته لتعمد البطلان بزيادة الركوعين * وأما السبق بالركن فان كان ركوعا بطلت الصلاة فى القول المشهور عن أحمد ومشى عليه أصحابه حيث كان عالما عامدا وكذا ان كان غيره على ما فى المغنى والكافى والمحرر وغاية المطالب والانصاف وشرح الوجيز وغيرها * وما حكاه فى الشرح وشرح الوجيز كالانصاف والمحرر من الوجه بعدم البطلان بالسبق بالركن حيث كان عمدا وقيده فى المحرر ومن نحا نحوه بشرط كونه غير ركوع * فهذا قول مرجوح بل المذهب المعتمد بطلان الصلاة بتعمد السبق باى ركن مطلقا ولا سيما مع قولهم بالبطلان بالسبق اليه عمدا حتى أدركه امامه فيه والسبق بالركن يستلزم السبق اليه وزيادة وعدم العذر مفروض فما بقى لعدم البطلان مسوغ وأما السبق بالركن جاهلا أو ناسيا فان كان غير ركوع واستمر على ذلك لم تبطل صلاته ولم تلغ ركعته بل يعتد له بذلك * قال ابن نصر الله فى حاشية الكافى الصحيح لا تبطل صلاته و يعتد له بها وأما ان سبقه بركنين أو بركن الركوع خاصة فان كان عالما عامدا بطلت صلاته وان كان جاهلا أو ناسيا بطلت تلك الركعة ان لم يأت بما سبقه به مع الامام وكذا ما زاد على الركنين بالاولى وعند الشافعى ان كان عامدا بطلت وسهوا فلا ولا يعتد له بهذه الركعة وكذا القول فى التخلف عن الامام بركن فاكثر فمن تخلف بركن فان كان لعذر من نوم يسير لم ينقض الوضوء أو زحام أو غفلة أو عجلة الامام ونحو ذلك من الاعذار لم تبطل ومنها تتميم قراءة الفاتحة ان لم يكن المأموم مسبوقا بها عند الشافعى فى أحد القولين الموجب فيه القراءة على المأموم وذلك ان تخلف بطء قراءته لا لوسوسة صرح به فى عمدة السالك ومتى وجد العذر المسوغ للتخلف فانه لا تبطل صلاته وعليه ان يأتى بما تخلف به عن امامه فان لم يمكنه الاتيان به أو تركه غير عالم عامد مع الامكان لغت الركعة وسواء فى ذلك الركوع وغيره على الصحيح وان كان التخلف بلا عذر بطلت صلاته باى ركن من الاركان الفعلية * وان كان التخلف باكثر من ركن فان كان بلا عذر بطلت الصلاة وان كان لعذر فان أتى بما تركه مع أمن فوت ركعة آتية ولحق امامه صحت والا يأتى به أو خاف فوت آتية لغت الركعة المتروك منها وتابع امامه والتى تليها عوضها وعند الشافعى لو تخلف بركن بلا عذر كره أو بركنين بطلت (وأما) التخلف عن ركن امامه فانه مشروع عند أحمد

والشافعي لقول البراء بن عازب رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قال سمع الله لمن حمده لم يحن منا أحد ظهره حتى يقع النبي صلى الله عليه وسلم ساجدا ثم نقع سجودا بعده وقول أبي حنيفة وأبي يوسف رحمهما الله تعالى ان المسابق لامامه بركن أو ركنين تجب عليه اعادة الصلاة علله أصحابه بالاثم وكراهة التحريم قالوا وهذا الحكم في كل صلاة أديت مع كراهة التحريم كذا في ابن الهمام وان أديت مع كراهة التنزيه فالاعادة مستحبة ﴿فنقول﴾ صاحب المقدمة لانسلم لايخفى مافيه لانه وماصححه الا انه لايسلم من غير دليل عرضه ولا استدلال قصده وأما ما يبطل الصلاة من عدم تعديل الاركان في مذهب أبي حنيفة رحمه الله تعالى فعنه في رواية الكرخي ان تعديل الاركان يعني طمأنينة الركوع والسجود والقيام بينهما والرفع بين السجدتين واجب يأثم بتركه فان أخل به فعليه الاعادة وهذه الرواية عنه أصح من رواية الجرجاني لوجهين * الاول منهما انها هي الموافقة للائمة الثلاثة ولظاهر الاحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم وكذا فعل أصحابه وتابعيهم * الثاني ان أكثر أصحابه على ذلك ماعدا محمدا رحمه الله في رواية عنه حتى أبا يوسف رحمه الله تعالى فان عنده تعديل الاركان وهو الطمأنينة في الركوع والسجود وتمام القيام بين الركوع والسجود والجلوس بين السجدتين فرض تبطل الصلاة بتركه عنده وعند أكثر أصحاب أبي حنيفة وهو مذهب الشافعي وعند أبي حنيفة ومحمد رحمهما الله تعالى ان تركه سهوا يلزمه سجود السهو وان تركه عمدا أثم وتجب عليه الاعادة اذ هذا الحكم في كل صلاة أديت مع الاثم وكراهة التحريم وتستحب الاعادة مع كراهة التنزيه * قال في الظهيرية وعن أصحابنا انه يأثم بترك قومته ورفع ظهره من الركوع وشذ قوله في التتارخانية وشرح الطحاوي ولو ترك القومة جازت صلاته ويكره أشد الكراهة * فقوله جازت قول مرجوح مخالف للاصل * ولذلك جمع بين القولين في الجواز والكراهة التي فيها الاثم وهي لاتجامع الاجزاء بل لابد معها من الاعادة كما تقدم * وفي الحديث ان العبد اذا صلى الصلاة لوقتها وأداها باركانها وشروطها صعدت الى السماء ولها نور حتى تصل الى الله فتشفع في صاحبها وتقول حفظك الله كما حفظتني وان ضيعها ولم يتم ركوعها ولا سجودها صعدت ولها ظلمة حتى تنتهي الى أبواب السماء فتغلق دونها ثم تلف كما يلف الثوب الخلق فتضرب وجه صاحبها وتقول ضيعك الله كما ضيعتني * وفي السنن عن النبي صلى الله عليه وسلم أن العبد لينصرف من صلاته ولم يكتب له منها الا ثلثها الا ربعها الا خمسها حتى قال الا عشرها * فالصلاة اذا أتى بها كما أمر نهته عن الفحشاء والمنكر والم تنهه دل على تضييعه لحقوقها وان كان مصليا ﴿الوجه الثالث﴾ أن قوله بل ان ترك الموحد الصلاة رأسا مع اعتقاد فرضيتها لايكفر وهذا خرق لاجماع أكابر الصحابة والتابعين كما قال الحافظ عبد الحق الاشبيلي في كتابه في الصلاة ان جلة الصحابة ومن بعدهم رضي الله عنهم يكفرون تارك الصلاة متعمدا ويحكمون عليه بالارتداد اذا خرج وقتها منهم أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وابنه عبد الله ومعاذ بن جبل وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس وجابر بن عبد الله وأبو الدرداء وعبد الرحمن بن عوف وأبو هريرة وعلي بن أبي طالب ولانعلم عن صحابي خلافهم قال ومن غير الصحابة أحمد بن حنبل ومحمد بن ادريس الشافعي في الرواية الصحيحة المشهورة عن بعض أصحابه في الرجل الممتنع على حدته واسحق بن راهويه والامام مالك في احدى الروايتين عنه وعبد الله بن المبارك وابراهيم النخعي والحكم بن عيينة وأيوب السختياني وأبو داود الطيالسي وأبو بكر بن أبي شيبة

وأبو خيثمة زهير بن حرب قال يحيى بن معين قيل لعبد الله بن المبارك ان ناسا يقولون من لم يصم ولم يصل بعد ان يقر به فهو مسلم مؤمن فقال عبد الله لا نقول نحن كما يقول هؤلاء بل من ترك الصلاة متعمدا من غير علة حتى دخل وقت فى وقت فهو كافر يحل قتله * وقال ابن أبى شيبة قال النبى صلى الله عليه وسلم من ترك الصلاة فقد كفر فيقال له ارجع عن الكفر فان فعل والاقتل بعد وفى مسند الامام أحمد عن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ترك صلاة مكتوبة متعمدا فقد برئت منه ذمة الله * وعن أبى الدرداء قال أوصانى أبو القاسم صلى الله عليه وسلم ان لا أترك صلاة متعمدا فمن ترك صلاة متعمدا فقد برئت منه الذمة * رواه ابن أبى حاتم فى سننه قال أحمد بن سيار سمعت صدقة بن الفضل يسئل عن تارك الصلاة فقال هو كافر فقال له السائل أتبين منه امرأته فقال صدقة واين الكفر من الطلاق لو ان رجلا كفر ولم يطلق خرجت امرأته من عصمته لانه أعظم لكن قال أكثر العلماء ينتظر بها انقضاء عدتها ان كانت مدخولا بها الحديث صفوان بن أمية وامرأته بنت الوليد بن المغيرة ان صفوان أسلم بعدها بشهر فانها أسلمت يوم الفتح وهو بقى على كفره حتى شهد حنينا والطائف وهو كافر ثم أسلم بعد فلم يفرق النبى صلى الله عليه وسلم بينهما بل استقرت عنده امرأته بذلك النكاح وقال أبو عبد الله محمد بن نصر سمعت اسحق بن يسار يقول صح عن النبى صلى الله عليه وسلم ان تارك الصلاة كافر وكذلك كان رأى أهل العلم من لدن النبى صلى الله عليه وسلم الى يومنا هذا ان تارك الصلاة عمدا من غير عذر حتى يذهب وقتها كافر * وقال أبو حنيفة رحمه الله تعالى ومحمد بن شهاب الزهرى وداود بن على المزنى يحبس تارك الصلاة المفروضة حتى يموت أو يتوب والرواية التى عن الشافعى فى قتله تارك الصلاة حدا انما هى فى الرجل الممتنع منها على حدته والصحيح عنه كفره كما نقلها عنه عبد الحق الاشبيلى وتارك الصلاة رأسا وان وجد منه التصديق والاقرار بها فانه معدوم ما هو معتبر به ومتوقف صحته والعصمة به على وجوده وهو عمل القلب نيته واخلاصه ومحبته وانقياده لفعل الاوامر اذا وجد فعله انقادت له الاعضاء والا بان لم يوجد منه الا التصديق خاصة فذلك قول القلب مجردا من فعله وهو لا ينفع كما لم ينفع ابليس وفرعون والذين عرفوا النبى صلى الله عليه وسلم وعلموا صدقه وما جاء به من الحق فاعتقدوا صدقه وان ما جاء به هو الحق ثم لم يعملوا وهؤلاء وان كذب به بعضهم ظاهرا فالبعض الآخر يقر عنده وعند غيره ويعتذر عن العمل والاتباع والتكذيب ظاهرا سببه فقد عمل القلب مع ان قوله وهو التصديق موجود فلم ينفعه * وتقدمت الادلة على كفر تارك الصلاة مستوفاة من كتاب الله وسنة رسوله واجماع الصحابة والتابعين وانه لا خلاف فى قتل تاركها الا أن أبا حنيفة رحمه الله تعالى ومن وافقه قالوا يحبسه حتى يموت فى الرواية المشهورة عنهم ومافهمه صاحب المقدمة من كلام الامام أحمد فى قوله * وليعلم المتهاون بصلاته المستخف بها المسابق الامام فيها انه لا صلاة له صحيحة وانه اذا ذهبت صلاته فقد ذهب دينه من أنه يحكم على المسابق الامام بالخروج من الدين ولحوقه بالكفار المرتدين اذا بطلت صلاته بالسابقة فهو أحد الروايتين عنه فيمن ترك من الصلاة ركنا أو شرطا يعتقد التارك وجوبه أو أتى بمبطل لصلاته عالما عامدا الا ان ذلك كتركها فيقال فيه ما يقال فى تركها جميعها وقد قال ابن هبيرة فى قول حذيفة بن اليمان رضى الله عنه وقد رأى رجلا لا يتم ركوعه ولا سجوده ما صليت ولو مت مت على غير الفطرة التى فطر الله عليها محمدا صلى الله عليه وسلم فيه ان انكار المنكر فى مثل هذا يغلظ له

لفظ

لفظ الانكار وفيه اشارة الى تكفير تارك الصلاة والى تغليظ الامر فى الصلاة حتى انه من أساء فى صلاته ولا يتم ركوعها ولا سجودها فان حكمه حكم تاركها قال الامام أحمد فى رسالته الصلاة أول فريضة فرضت على النبى صلى الله عليه وسلم وهى آخر ما يذهب من الاسلام ليس بعد ذهابها اسلام ولا ايمان ولا دين وهو أول ما يسأل عنه العبد يوم القيامة من عمله وهى عمود الاسلام اذا سقط الفسطاط فلا ينتفع بالاطناب والاوتاد * وكذلك الصلاة اذا ذهبت فقد ذهب الاسلام ووجود المبطل لها من مسابقة او غيرها مذهب ومعدم لها والرواية الثانية انه لا يكفر الا بترك ما هو مجمع عليه مما لا خلاف فيه وان رأى التارك وجوبه لانها اذا بطلت تصير كانها فائتة ولا يكفر تاركها ومراعاة للقائلين بصحتها وان اعتقد الفاعل بطلانها ونحن وان قلنا ما قاله الامام أحمد رحمه الله تعالى من أن المسابقة للامام عمدا تخل بالصلاة وتصير معدومة لم نحكم على المسابق بالكفر والردة كما لم نحكم على تارك القراءة فى الركعتين الأخيرتين بام القرآن أو لم يعدل الاركان حيث يرى التارك صحتها بدونه اذ هذه مسائل اجتهادية لا يكفر بها ولا انكار فى مسائل الاجتهاد نعم نأمر المسيء فى صلاته ان يعدل أركانها وأن يتم قراءتها وركوعها وسجودها وأن لا يسابق الامام فيها فان فعل بعيدها وننصح ونغلظ القول فى ذلك كما نصح وغلظ فيه صدر الأمة السلف الاول ونخشى عليه من ذلك فقد قال صلى الله عليه وسلم وكرر ثلاثا للمسيء فى صلاته صل فانك لم تصل وعلمه كيفيتها كما فى البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه ﴿الوجه الرابع﴾ قوله ولا يلزم من التشبيه الذى بالحديث المذكور ذلك اذ لا يلزم من تشبيه شئ مشاركته له من جميع الوجوه فهو قد فهم ان التمثيل الذى فى كلام الله و رسوله هو التشبيه الواقع على المشبه والمشبه به والتمثيل غير التشبيه فى المعنى فان تشبيه زيد بالاسد فى قولنا زيد اسد أو كالاسد أو ما هو من معاكس التشبيه كقوله صلى الله عليه وسلم فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام ليس كالامثال التى ضربها الله فى القرآن أو رسوله فى السنة فانه سبحانه وتعالى ضرب قصة الشيطان اذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال انى برىء منك مثلا لبنى النضير حين اغتروا بالمنافقين ثم تبرؤا منهم عند الشدة فقال ألم تر الى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحدا أبدا وان قوتلتم لننصرنكم والله يشهد انهم لكاذبون لئن أخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم ليولن الادبار ثم لا ينصرون الى ان قال كمثل الذين من قبلهم قريبا ذاقوا وبال أمرهم ولهم عذاب أليم كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال انى برىء منك انى أخاف الله رب العالمين وكذلك ضرب سبحانه وتعالى الامثال فى القرآن كثيرا كقوله ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شئ الآية وكقوله ضرب لكم مثلا من أنفسكم هل لكم مما ملكت أيمانكم من شركاء فيما رزقناكم الآية الى غير ذلك من الامثال التى لا يعقلها الا العالمون فان هذه الممثل بها ليست أعلى ولا أتم من المثل بل هو فوقها وأتم منها حسا ومعنى وضرب به صلى الله عليه وسلم الامثال فى السنة كتمثيله الصلاة فى عمود الخيمة وهى بالدين فكما لم تستقم بدون عمود ولا ينتفع بها بدونه كذلك لا يستقيم الدين بدون الصلاة التى هى منه كالعمود بالنسبة الى الخيمة وكالرأس للجسد أو كالروح للبدن وكضرب الله الامثال فى القرآن فى أن المثل أعلا وأتم من المثل به حسا ومعنى فى الافضلية وفى عدم الوجود والانتفاع وأما المشبه فانه اذا كان بينه و بين المشبه به علاقة فى صفة من الصفات شبه به ولا يلزم منه مشابهته له ولا به

من كل الوجوه فان زيدا اذا قيل عنه أسد او كالاسد لا يشاركه فى جميع الصفات كما لا يشاركه فى الذات بل الاسد فيه من الصفات المختلفة ما لا توجد فى زيد وفى زيد منها ما لا يوجد فى الاسد اذ الصفات الانسانية أفضل وأتم من سائر الحيوانات والجمادات والشجاعة الموجودة فى الاسد والحسن الموجود فى البدر أتم وأكمل من الشجاعة والحسن الموجودين أو أحدهما فى زيد بخلاف الامثال التى ضربها الله فى القرآن أو رسوله فى السنة فان الممثل أتم وأكمل من الممثل به وهو تابع معناه اعداما وايجادا وجوبا وجوازا او وجوبا ﴿الوجه الخامس﴾ قوله ونفلها أفضل النوافل وعزاه الى كتب الأحاديث والتفسير والفقه والذى فيها أفضل النوافل الجهاد ثم النفقة فيه ثم العلم تعلمه وتعليمه ثم صلاة النافلة ففى الصحيحين عن أبى ذر الغفارى رضى الله عنه قال قلت يارسول الله أى الأعمال أفضل قال الايمان بالله وجهاد فى سبيل الله وفيهما أيضا عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال أفضل الاعمال ايمان بالله وجهاد فى سبيل الله وفى الصحيحين عن أبى هريرة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال فضل المجاهد فى سبيل الله كمثل القانت القائم الذى لا يفتر عن الصلاة ولا الصيام حتى يرجعه الله بما يرجعه من غنيمة أو أجر أو يتوفاه ليدخله الجنة وعند الامام أحمد والذى نفس محمد بيده ما شحبت ولا اغبرت قدما عبد فى عمل يبتغى فيه درجات الجنة بعد الصلاة المفروضة أفضل عند الله من الجهاد فى سبيل الله عز وجل وحديث معاذ بن جبل رضى الله عنه فى قوله صلى الله عليه وسلم رأس الامر الاسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد دال بصريحه على ان الجهاد أفضل الاعمال بعد الفرائض كما هو قول الامام أحمد وغيره من العلماء فانه عليه السلام عبر برأس الامر وعنى به الدين الذى بعث به الرسل وعموده وهو قوامه الذى يقوم به كما تقوم الخيمة بالفسطاط هو الصلاة وذروة سنامه وهو أعلى ما فيه وأرفعه وهو الجهاد وروى الامام أحمد فى مسنده عن عبد الله بن الزبير قال قال عثمان بن عفان وهو يخطب على منبره انى محدثكم حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن يمنعنى ان أحدثكم به الا الظن بكم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حرس ليلة فى سبيل الله أفضل من ألف ليلة يقام ليلها ويصام نهارها وقد ترجم ابن حبان فى صحيحه ذكر تضعيف النفقة فى سبيل الله على غيرها من الطاعات وذكر عن خريم بن فاتك مرفوعا من أنفق فى سبيل الله كتب له سبعمائة ضعف ورواه الامام أحمد والنسائى والترمذى وحسنه وعند الامام أحمد وغيره من عمل حسنة كانت له بعشر أمثالها ومن أنفق نفقة فى سبيل الله كانت له سبعمائة ضعف وفى الصحيحين عن أبى هريرة مرفوعا تجدون الناس معادن فخيارهم فى الجاهلية خيارهم فى الاسلام اذا فقهوا وممن صرح به من الائمة اسحق بن راهويه نقله عنه ابن منصور وان من العلم ما يقع نفلا وفى خطبة المحيط للحنفية أفضل العلوم عند الجمهور بعد معرفة أصل الدين وعلم اليقين معرفة الفقه قال الامام أحمد تذاكر بعض ليلة أحب من احيائها فى العلم الذى ينتفع به الناس فى أمر دينهم قال ابن منصور فقلت الصلاة والصوم والحج والطلاق ونحو هذا قال نعم والاشهر عنه الاعتناء بالحديث والفقه والتحريض على ذلك قال وليس قوم خيرا من أهل الحديث وعاب على محدث لا يتفقه وقال يعجبنى ان يكون الرجل فهيما فى الفقه الا ان الشافعى رحمه الله اختار فى القول المشهور تقديم نفلها على نفل العلم للاخبار فى انها أحب الاعمال الى الله وخيرها ولان مداومته صلى الله عليه وسلم على نفلها أشد من غيره واقتل من تركها تهاونا وكسلا ولتقديم فرضها وقال غيره العلم يتعدى نفعه فاشتغال فيه أفضل مما يقصر نفعه على الفاعل

ولذلك

ولذلك كان العالم العامل أفضل من العابد الا ان نفل الصلاة أفضل مما يتعدى نفعه سوى العلم كالصدقة وأمثالها وهل نفل الحج أفضل من نفل الصلاة أم نفلها أفضل فمن قال انه أفضل قال انه جهاد لما روت عائشة رضى الله عنها قالت قلت يارسول الله هل على النساء جهاد قال عليهن جهاد لاقتال فيه الحج والعمرة اسناده صحيح رواه الامام أحمد وابن ماجه وروى الامام أحمد والبخارى عنها قالت يارسول الله أترى الجهاد أفضل العمل أفلا نجاهد قال لكن أفضل الجهاد حج مبرور وعند الشافعى رحمه الله تعالى فى القول المشهور عنه نفل العلم أفضل من نفل الحج لتعديه وانما قدم نفل الصلاة للاخبار الواردة فى انها أحب الاعمال الى الله كما تقدم عنه وكذا القول فى تقديم نفل الصوم فمن قدمه قال لاضافته الى الله لما فى الحديث كل عمل ابن آدم له الا الصوم فانه لى وأنا أجزى به ومن لم يقدمه قال انما أضافه الله اليه لانه لا يعبد به غير الله فى جميع الملل بخلاف غيره ولان من نوى صلة رحمه وأن يصلى ويتصدق ويحج كانت نيته عبادة يثاب عليها ونطقه بما يسمعه الناس من كلمة التوحيد أفضل اجماعا وأما الصدقة فهى فى زمن غلاء وحاجة أفضل من عتق وفى غير زمن غلاء وحاجة فعتق أفضل وصدقة على قريب محتاج أفضل من عتق والله أعلم ﴿وأما قولكم وقوله من الشرك لبس الحلقة والخيط ونحوهما لرفع البلاء أودفعه وقول الله تعالى قل أرأيتم ماتدعون من دون الله ان أرادنى الله بضر هل هن كاشفات ضره الآية وعن عمران بن حصين ان النبى صلى الله عليه وسلم رأى رجلا فى يده حلقة من صفر فقال ماهذه قال من الواهنة فقال انزعها فانها لاتزيدك الا وهنا ولومت وهى عليك ما أفلحت أبدا فنقول لاشبهة فى ان لبس ماذكر حرام وصاحبه آثم لكن لا يلزم من كون مرتكبه كافرا مشركا خارجا عن دين الاسلام مباح الدم والمال وأيضا ليس مذهب لأحد من السلف الصالحين مع ان الواجب على كل أحد ان يحمل أخاه المؤمن على الصلاح كما قدمناه وماذكر فى معرض الاستدلال من الآية والاحاديث لا يدل عليه اذ المراد بالدعاء فى الآية الكريمة العبادة كما عليه المفسرون وأما الاحاديث فمحمولة على من يعتقد فيهما التأثير كما يجب حمل أمثالها من الاحاديث الواردة من هذا النمط على ذلك﴾ فنقول أما الحلقة فقال أهل اللغة كل ما كان بين بعضه من بعض كحلقة الذكر ووسط الصف ونحو ذلك فهو حلقة ووسط بالاسكان وما كان مصمتا لايبين بعضه من بعض كحلقة الباب ونحوها ووسط الدار والراس والراحة فهو حلقة ووسط بفتح اللام فى الحلقة والسين فى الوسط قاله الازهرى والجوهرى وغيرهما وقد أجاز و فى المفتوح الاسكان ولم يجيزوا فى الساكن الفتح والمقصود هنا حكم لبس حلقة الصفر والحديد ونحوهما ولاريب أن لبسهما وتعلق الخيط أو الخرزة أو العظم ونحوها من التمايم لدفع البلاء أورفعه ان ذلك من شرك تعطيل المعاملة التى تجب على العبيد المتعلقة بمعنى الوهية الخالق تعالى وتقدس فان الاله معناه كل مألوه فى القلب برجائه فيما هو مختص بجلال الله وعظمته والالتجاء اليه كما تقدم تعريفه فى بيان معاملته تعالى وماهو مختص به من سائر الطاعات والعبادات التى من أعظمها دعاؤه ورجاؤه والتوكل عليه واعتقاد ان الخير والشر بيده لا جالب لهما ولا دافعهما ولا رافعهما الا هو سبحانه وتعالى قال عز من قائل وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله فاذا اعتقد دفع البلاء والشر ودفعهما فى لبس الحلقة والخيط وتعليق العظم والتميمة فقد أشرك فى اعتقاده وعطل معاملة الله المأمور بها فوضعها فى غير موضعها بجعلها لغيره ولذلك قال النبى صلى الله عليه وسلم للرجل الحامل فى عضده الحلقة من الصفر عن الواهنة انزعها فانها لاتزيدك الا وهنا ولومت

وهى عليك ما أفلحت أبدا رواه الامام أحمد وغيره من حديث عمران بن حصين ونفى الفلاح فى الابد يقتضى الشرك الاكبر غير المغفور بل المخلد فى النار لاعتقاد المذكور وقول الله سبحانه وتعالى قل أرأيتم ماتدعون من دون الله ان أرادنى الله بضر هل هن كاشفات ضره أو أرادنى برحمة هل هن ممسكات رحمته دليل على ان كشف الضر وامساك الرحمة عند الله خاصة لا عند غيره من سائر الخلق الانبياء والملائكة وتماثيلهم ولا الحلقة والخرزة والخيط والعظم والتميمة بالاولى ولذلك قال عقبها قل حسبى الله عليه يتوكل المتوكلون والمتخذون تماثيل الانبياء والملائكة وسائل ووسائط يسمونها الآلهة يدعونها او يرجونها فى الرخاء لتشفع لهم عند الله فى قضاء حوائجهم وتقربهم منهم زلفى لم يعتقدوا فيها الضر ولا كشفه ولا امساك الرحمة عنهم كما تقدم بيان ذلك موضحا ولا استشفعوا بها واستقوا ودعوها راجين الشفاء والمطر وازالته منها كما ذكر الله ذلك عنهم فى عدة آيات بينات وكما قرعهم وانكر عليهم بالاستفهام الانكارى حيث قال تعالى هل هن كاشفات ضره هل هن ممسكات رحمته لانهم يعلمون و يعرفون ان الله وحده كاشف الضر وممسك الرحمة ومنزل الشفاء والرزق والمطر لا غيره ودعاؤها اشفاعتها ورجاؤها فى ذلك وتعلق القلوب بها لتكون واسطة ووسيلة وتألهها بذلك هو معنى عبادتها وصاحب المقدمة قد فهم ان الدعاء ليس هو العبادة ولا هى معناه لقوله اذ المراد بالدعاء فى الآية العبادة والظاهر انه يعنى بها خصوص السجود لتماثيل الانبياء والملائكة ولم يعلم انها اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من دعاء ورجاء وتوكل وصلاة وصوم وزكاة وصلة رحم وبر واذا جعل شيأ من ذلك لغير الله فقد عبده فيعبر عنها بما هى من معناه ولذلك قال سبحانه قل أرأيتم ماتدعون من دون الله فعبر عن العبادة بالدعاء لانها معناه ولانهم كانوا يدعونها التشفع لهم فيما يسألونه منها ولهذا قال تعالى فى موضع آخر ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم و يقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله وكل ما أمر به شرعا من غير اطراد عرفى ولا اقتضاء عقلى فهو العبادة ومن جعل ماهى من معناه المختص بجلال الله لغيره فقد عبده بما هو مأمور به شرعا لله وحده وقوله تعالى قل أرأيتم ماتدعون من دون الله ان أرادنى الله بضر هل هن كاشفات ضره قال ابن عباس ومقاتل بمرض أو فقر أو بلاء أو شدة هل هن كاشفات ضره أو أرادنى برحمة خير وصحة وكشف شدة ورفع بلاء هل هن ممسكات رحمته قال مقاتل فسألهم النبى صلى الله عليه وسلم فسكتوا لعلمهم ان ذلك لا يكون الا من الله وحده فقال الله لنبيه صلى الله عليه وسلم قل حسبى الله عليه يتوكل المتوكلون ولا يخفى ما فى الاستدلال بهذه الآية بل بالقرآن كله والسنة على من علق الخيط والخرزة وعلق العظم والتميمة لدفع البلاء أو رفعه أو حصول خير او نفعه من كمال مناسبة معناها لمن اعتقد فى شئ أعظم مما اعتقد فيه الاولون فعلقه ولبسه وتعلقه ليدفع عنه سوأ أو بلاء أو لرفعه أو ليكون سببا فى دفعه ورفعه اذ الاسباب لا يجوز ان يتعاطى منها الا ما شرعه الله ورسوله فلا يجعل الشرك أو المحرم سببا فى حصول غرض من الاغراض الدنيوية أو الأخروية ولا يتخذ سببا من الاسباب الا بعد علمه بحكمه وحيث جاز فلا يركن اليه ولا يتكل عليه وهذا وايم الله فى الجائز فما الظن فيمن جعل الحرام المجمع عليه حلالا واعتقد فيه وتوكل عليه هل هذا يجامع الايمان أو الاسلام أو يجلا يعدل به عن اعتقاده الى رتبة الفساق المرتكبين لانواع الحرام مع وجود الاسلام وأصل الايمان أم اعتقاده أفسد عليه فخرج به عن خطة دين الاسلام الذى أنزل به القرآن وعلق بوجوده الغفران ودخل فى خطة عباد الشياطين وتماثيل الانبياء والملائكة والمرسلين من الاحجار والاشخاص

والطلاسم

والطلاسم التى هى اسماء المعبودين والرسل لم يبعثهم الله الا بطال كل ما يخالف دينه وما شرعه ويكسروا الاحجار ويطمسوا التماثيل ويخبروا ان الأمر كله لله فلا يجعل لغيره تعالى ما هو مختص بجلاله من عبادته ومعاملته التى منشؤها القلب والاعتقاد ولقد زاد هؤلاء على أولئك باشياء كثيرة ولو لم يكن منها الا اعتقاد كشف الضر وجلب الخير فيما تعلقوا فيه وعلقوه على أنفسهم ودوابهم وحرثهم لكفى فانهم يتوكلون على ما علقوه وتعلقوه ويسندون كشف الضر وجلب الخير اليه وانه لولاه انزل به البلاء أو لوجدت الشدة أو اضربته العين أو لنزلت به لكن هى التى رفعت ذلك كله أو هى الدافعة له أو هى التى رفعته ونحو ذلك من المعتقدات التى لم توجد الا عند هؤلاء المعتقدين المفتونين فى عبادة الشياطين وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا ولو لم يعتقدوا فيهم ما اعتقدوه من هذا الاعتقاد الباطل لما علقوه وتعلقوه ومعلوم ان من لم يعتقد ذلك لم يكن ليفعله ولا ليرضى به ومع تقدير فعله من غير اعتقاد فيه ولا رضى به لا يكفر ولا نكفره نحن كما زعمه صاحب المقدمة بل حمله ذلك وتعليقه حرام والفاعل آثم فنحن ننهى عن ذلك ونغلظ فيه ويجب على العالم ان ينهى الجاهل عن ذلك ويحذره منه انما الرزية كل الرزية تغافل العالم عن الجاهل وعدم نهيه ونصحه عما يضره من ذلك فان وزر العالم أكبر من وزر الجاهل وأعظم وأفحش حيث فعلها هو بنفسه أو رأى من يفعلها جاهلا بها ولم ينبهه عليها او يبين له فيها فويل للعالم من الجاهل وويل له كما قال الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم ولم يكن هؤلاء العلماء الذين نعرفهم واجتمعنا بهم وسمعنا عنهم انهم لا ينهون عن ذلك بل قد استقر عندهم وفى نفوسهم ان من نهى عنه وعابه فهو وهابى أو عارضى أو شرقى وان لم ينسبوا ذاته بل عقيدته فتسافهوا عن الحق وأعرضوا عنه تكبرا وتجبرا وحسدا وبغيا والله يقول انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم ان يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون وهذا عمر بن الخطاب رضى الله عنه لما أراد تحجير النساء ان يزدن فى صداقهن على صداق بنات رسول الله صلى الله عليه وسلم قامت اليه امرأة وهو على منبره فى مجمع الناس فقالت كيف تمنعنا يا أمير المؤمنين وقد قال الله وآتيتم احداهن قنطارا فقال جهرا امرأة اصابت ورجل أخطأ فالحق أحق ان يتبع وهو ضالة المؤمن اينما وجدها التقطها وعلى العلماء البلاغ والتبليغ بالعلم والتعليم لا المعاندة والطعن فى الحق والدين ومثل المصر على ما ارتكبه المتغرر فيما اجترحه من اتباع هواه وعموم بلواه مع الناصح له المشفق عليه من عمله واتباع هواه كمثل مسافر فى مفازة ومعه دابته وماؤه وزاده فنفد الماء والزاد ثم انقطعت به الدابة وقد بقى من المسافة مدة طويلة وبقى يمشى على رجليه فاصابه الجهد من الظما والجوع والتعب وضل الطريق فصار فى طريق كثيرة السباع كثيرة اللصوص فيسر الله له من يريد انقاذه ويدله على طريق النجاة فأبى وامتنع الا الاقامة على طريق الخوف وأبى الا تلك الحال التى بلغه منها الجهد والتعب فلو سمع به وأمره المجانين لتعجبوا من أمره وانسبوا الجنون اليه لان المناسب فى حقه الرجوع عن المهالك الى طريق السلامة والامن وشكر الدليل المرشد المنقذ هذا وهو هلاك الجسد فى الموت خاصة فما حال من هلاكه النار أما الخلود فيها واما ما هو سبب له بريد له ينشأ منه شيأ فشيأ فهم من أكثر الناس عقدا ونفثا واعتقادا وتعلقا وتعليقا فى الخيط وغيره من التمائم ومن أكثر ما يكون النفث فى الخيط والعقد فيه اذا صعدوا المنبر لخطبة الجمعة أو غيرها يعقدون وينفثون للتعلق والتعليق من الحمى أو العين ولدفعهما وقد علم الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وسلم الاستعاذة من

شر النفاثات في العقد وهو وان كان السبب خاصا في بنات لبيد كن يعقدن في الخيط بشيء يقلنه وينفثن فيه بلا ريق فهو عام في كل نافث في الخيط ونافثة وعاقد وعاقدة فان الآية ظاهرها العموم فيمن نفث في الخيط وعقد فيه والعبرة هنا بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ومما يدل عليه وعلى حمل الآية على العموم قوله صلى الله عليه وسلم من نفث وعقد فقد سحر ومن سحر فقد أشرك ومن تعلق شيأ وكله الله اليه رواه النسائي من حديث أبي هريرة ومعنى من تعلق شيأ أي علق على نفسه العوذة والحرزة وامثالهما ويستوي في ذلك قاصد السحر أو الشفاء لان الله اذا حرم أمرا لا يغير حكمه عقيدة الفاعل والمفعول له وان تلا الفاعل في نفثه القرآن ثم عقد كمن استعمل آلة لهو في ذكر وقراءة ونفس الخيط وان كان الاصل فيه جواز الاستعمال فالنفث فيه لما قصد منه والعقد اقامه مقام الآلة بقطع النظر عن اعتقاد النافث والعاقد والمنفوث والمعقود له ولان السحر في العادة لا يكون من غير نفث ولا عقد وقد قال صلى الله عليه وسلم من تشبه بقوم فهو منهم فالنافثون والعاقدون والمعلقون والمتعلقون مشركون ومعطلون لحقيقة التوحيد الواجبة على العبيد ولا بكلام الله يعملون ولا يبالون به ولا بكلام نبيه يأخذون ولا اليه ينتهون وهم قد جمعوا بين الاثمين والفتنتين الشرك الاعتقادي وحرمة النفث والعقد مع وزر المنفوث والمعقود له من غير ان ينقص من وزره شيء فلا تصلى خلفهم الجمعة ولا الجماعة بالاولى لشركهم وتعطيلهم في اعتقادهم وصنيعهم ماداموا كذلك حتى يتوبوا ويرجعوا ومن رآهم فلم ينكر عليهم فهو شريك لهم في ذلك الاثم والوزر فان رضي باعتقادهم فهو مثلهم سواء بسواء انهى الشارع صلى الله عليه وسلم عن التعلق بشيء ورد على فاعله وقال لا يزيدك الا وهنا انبذها عنك لو مت وهي عليك ما أفلحت أبدا رواه الامام أحمد وغيره من حديث عمران بن حصين وطرق أخر غيره وروى أبو منصور بن طاهر التميمي عن محمد بن عبد الله بن علي بن زياد الدقاق عن محمد بن ابراهيم البوسنجي عن عبد الله بن محمد بن علي بن نفيل عن زهير بن محمد بن معاوية عن عمرو بن قيس الملائي عن المنهال عن سير بن أم أبي عبيدة بن عبد الله أن عبد الله دخل على امرأته وهي أم سير وأبي عبيدة وفي عنقها سير أو خيط معقود من مرض بها وعندها نسوة فاجتذبه حتى اختنقت فقطعه فنبذه ثم قال لقد أصبح ابن أم عبد غنيا عن ان يكون في بيته شرك فقال بعضهن أو شرك هذا قال نعم الرقى والتمايم والتولة شرك فقال بعضهن وما التولة قال ما يحببن به الى أزواجهن فقال بعضهن ان احدانا أخذها الضربان في عينها فاذا استرقت سكن فقال ذلك الشيطان عدو الله ينزغ في عين احداكن فاذا استرقت كف ولو انها اذا أحست شيأ من ذلك أخذت كفا من ماء فنضحت في عينها وقرأت قل هو الله أحد وقل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس لسكن وذهب فالاستعاذة مستعيذة مثلهما ومن لم يشفه القرآن فلا شفاه الله فيقرؤه المريض على نفسه أو يقرؤه الغير عليه أو يكتب ويسقاه أو يقرأ له في ماء وكذا اسماء الله تعالى وتقدس ومما ورد وضع المريض يده على الموضع الذي يؤلمه فيقول بسم الله أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر سبعا وتقدم ما يجوز من تعاطي الادوية التي شرعها الله وبينها رسوله صلى الله عليه وسلم من غير ركون اليها ولا توكل عليها واخرج أبو يعلى وابن مردويه والبيهقي في شعب الايمان عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أنعم الله على عبد من نعمة في مال أو اهل فيقول ماشاء الله لا قوة الا بالله الا دفع الله عنه كل آفة حتى تأتيه منيته وقرأ ولولا اذ دخلت جنتك قلت ماشاء الله لا قوة

الا بالله فيسن لمن أعجبه ماله أو ولده أو شيء من حاله أن يقول ما شاء الله لا قوة الا بالله فانه لا يرى فيما أعجبه مكروها للحديث المتقدم والله أعلم * وأما قوله كم ﴿ وقوله من تبرك بشجرة أو حجر الخ فعلم جوابه مما ذكرنا آنفا مع أنه أيضا ليس على اطلاقه اذ بعض الاحجار قد ينفع باذن الله وقد يكون لبعضها خواص ومنافع خلقها الله فيها كما نشاهده في حجر المغناطيس من جذب الحديد وأمثاله وكالحجر الاسود فان عمر بن الخطاب حين استلمه لما قال له انك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك أجابه عثمان بن عفان بقوله انه يضر وينفع اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انه ليشفع بمثل ربيعة ومضر فافهم ذلك يا ابن عبد الوهاب ﴾ فنقول معنى تبرك أي طلب البركة وقصدها من الشجرة أو الحجر نفسهما أو هما السببان في حصولها فالاول هو اعتقاد المتبركين بهما من غالب مشركي أهل هذا الزمان كما هو مشاهد لمن تأمل وتحقق والثاني هي ذات الانواط التي قال عنها أهل العلم من أصحاب مالك وغيرهم انظروا رحمكم الله أينما وجدتم سدرة أو شجرة يقصدها الناس ويعظمونها ويرجون بسببها البرء والشفاء ويضربون بها الخرق ويعلقونها عليها فاقطعوها فانها ذات أنواط وكما روى أبو داود والترمذي عن أبي واقد الليثي قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل حنين ونحن حديثو عهد بكفر وللمشركين سدرة يعكفون حولها وينوطون بها أسلحتهم يقال لها ذات أنواط فمررنا بسدرة فقلنا يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط فقال النبي صلى الله عليه وسلم هذا كما قالت بنو اسرائيل اجعل لنا الها كما لهم آلهة قال انكم قوم تجهلون لتركبن سنن من كان قبلكم وفي رواية للترمذي عنه انهم مروا بسمرة عظيمة خضراء يقال لها ذات أنواط قالوا يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط قال النبي صلى الله عليه وسلم الله أكبر هذا كما قال قوم موسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة قال انكم قوم تجهلون لتركبن سنن من كان قبلكم قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح فاذا كان اتخاذ هذه الشجرة لتعليق الاسلحة والعكوف حولها ليتبركوا بها وينتفعوا بسببها يكون اتخاذها بذلك الها مع الله مع أنهم لا يدعونها ولا يسألونها فما الظن فيمن يدعوها ويرجونها ومن بركتها وقد كانت العزى شجرة سمر بنخلة لغطفان يعبدونها بدعائها لتشفع خاصة لهم فبعث اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد فقطعها بالفاس وهو يقول يا عزى كفرانك لا سبحانك اني رأيت الله قد أهانك فخرجت منها شيطانة ناشرة شعرها داعية ويلها واضعة يدها على رأسها فجعل يضربها بالسيف حتى قتلها وكذلك مناة صخرة كانت لهذيل وخزاعة وقيل لثقيف وسميت بذلك لما كان يمنى أي يراق عندها من الدماء للتبرك بها رجاء شفاعتها وأخذوا اشتقاق اسمها من منى الله الامر اذا قدره زاعمين ان الله يقدر لهم بشفاعتها واراقة الدماء عندها ما أرادوه وطلبوه ودعوها التشفع لهم فيه وقد زعم صاحب المقدمة ان من تبرك بشجرة أو حجر فرجى منها ومن بركتها ما تفرج عنه الكروب وتشفى القلوب وتقضى الحوائج وتكشف الشدائد أو لتشفع له فيما رجاها ودعاها أن تشفع له فيه من ذلك فليس شركا أكبر غير مغفور الا بالتوبة منه والرجوع الى دين الاسلام والملة الحنيفية عنه لقوله فقد علم جوابه مما ذكرنا آنفا يعني قوله فيما تقدم فيمن لبس الحلقة والخيط ونحوهما لرفع البلاء ودفعه انه ليس فيه الا الحرمة والاثم ولا يلزم منه كون مرتكبه كافرا مشركا فكذلك من تبرك بشجرة أو حجر ليس فيه الا الحرمة والاثم لكن لا يلزم منه كون مرتكبه كافرا مشركا الخ ولم يعلم بحكم تعطيل معاملة الله تبارك وتعالى الواجبة على خلقه

وعبيده التي هي معنى ألوهيته وتفرده فيما هو مختص بجلاله وعظمته من صمديته التي مفتقر بها اليه
البر والفاجر والبائس والشاكر والمقل والمكثر المتفاخر وسائر خلقه كلهم بها له قانتون واياه يدعون
ومن بركاته يرجون انما كان شرك الاولين بما يظنونه مرضيا لرب العالمين ومقربا اليه في كل حين
ولذلك يخلصون له الدين في حال الشدة وكل أمر هائل مزعج متين قل أرأيتكم ان أتاكم عذاب الله أو
أتتكم الساعة أغير الله تدعون ان كنتم صادقين بل اياه تدعون فيكشف ما تدعون اليه ان شاء
وتنسون ما تشركون لكن هؤلاء الذين يستجاب لهم لاقرارهم بربوبيته وافتقارهم الى صمديته وانه
يجيب دعاء المضطرين لا يعطيهم بدعائهم الا متاعا في الحياة الدنيا وما لهم في الآخرة من خلاق لانهم
عطلوا معاملته المقتضية لعبادته وعصوا رسله قال تعالى من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن
نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحورا ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فاولئك كان
سعيهم مشكورا كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا وعدم فهمه معنى عبادة
الله ومعاملته وحكم تعطيلها هو الحامل له بان يحكم على من تبرك بشجرة أو حجر فرجى منها ومن بركتها
ما تفرج به عنه الكروب وتقضى الحوائج وتكشف الشدائد كحكمه فيمن لبس الحلقة والخيط ونحوهما
لرفع البلاء أو دفعه في أن ليس في ذلك الا مجرد الحرمة فقط ومما يدل على ما قلناه دلالة صريحة
اعتقاده وتصريحه في كلامه الذي في قوله مع أنه أي اثم التبرك بالاشجار والاحجار ليس على اطلاقه
اذ بعض الاحجار قد ينفع باذن الله وقد يكون لبعضها خواص ومنافع خلقها الله فيها كما نشاهد في حجر
المغناطيس من جذب الحديد وأمثاله فلا اثم على من دعاه وتبرك به لما فيه من النفع من جذب
الحديد وكذا الحجر الاسود لما فيه من نفع الشفاعة في مثل ربيعة ومضر ومن له أدنى لب من عقل
ومعرفة فيما بعث الله به الرسل وفضلهم وهديهم واقتباس نصيب من نور الله علم يقينا ان معتقد هذا
الاعتقاد وقائل هذا القول والحاكم بهذا الحكم محاد لله ولرسوله راد على الله ورسوله ناقض لحكم الله
ورسوله وأنه ليس عنده علم ومعرفة في دين الله الذي من يتبع غيره لن يقبل منه وهو في الآخرة من
الخاسرين ولم يفرق بينه وبين الانتفاع والاستمتاع فيما هو مخلوق من الارض ومعادنها للآدميين بل
عنده من ذلك مجرد الادعاء في القول والكتابة على حكمه في القول فان نظره الى الصنعة في الخلق
ولم ينظر الى الصانع الخالق رب كل شيء وخالقه ومليكه والهه الذي لم يخلق خلقا الا لحكمة
وجميع الكائنات شاهد بالوهيته كما هو دال على ربوبيته والارض وما حوته من أنواع المعادن
والنبات من حكمة موجدها وبركة الهها الموضوعة فيها انما وجودها دليل على وحدانية الله
وتفرده بالالوهية ليكون الدين كله له ولينتفع بها وبما فيها سائر الحيوانات التي على ظاهرها
وفي باطنها من بني آدم وغيرهم قال عز من قائل يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم
والذين من قبلكم لعلكم تتقون الذي جعل لكم الارض فراشا والسماء بناء وأنزل من السماء
ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون ثم قال هو الذي خلق
لكم ما في الارض جميعا فهذا الامتنان من الواحد المنان ناطق بأن الأرض وسائر ما فيها
من الاشجار والاحجار لا يعتقد فيها الضر والنفع ولا العطاء والمنع وانما ينتفع بها انتفاع استمتاع
لا اعتقاد نفع فيه اذ الاول من معاني الامتنان والثاني من وظائف الاله الواحد المنان واعتقاد
السببية الجائزة فيه من غير ركون اليه ولا توكل عليه من جملة الاستمتاع به وقد تقدمت الاسباب

الجائزة مستوفاة فى بحث الشرك وان الله خالق السبب والمسبب ومن وقع فى ظلمات الوهم وأبعد عن نور الفهم لم يميز بين النوعين ولم يفرق بين الجنسين ولو كلف المخاطبون أو أذن لهم فى الاقتصار فى العبادة على المصنوع والصنعة التى هى نتيجة الحكمة فعاطوه معاملة الصانع الحكيم أو التشريك بينهما لعد ذلك نقصا فى جانب الصانع ونفيا لحكمته التى لأجلها خلق الأرض والسموات بما فيهما وما بينهما من الآيات ولها أوجد جميع الكائنات فكيف وقد تعالى وتقدس ان يأمر الا بعبادته ومعاملته له وحده لاشريك له فيها ونصب على ذلك دلائل شاهدة بالوهيته وحده من ذلك الأرض وما أوجد فيها الاله من معادن الأحجار بأنواعها فان فيها خواص ومنافع للناس ونفعها أكثر من حجر المغناطيس كحجر الاثمد واللؤلؤ والجوهر والزبرجد واللزرنيخ والشب وغيرها من أنواع المعادن كل له خاصية ينتفع بها ليست فى الآخر وقلما يوجد حجر فيها الا ويصلح للانتفاع به دق أو جل كالبناء وغيره وكذا حجر الألماس والنار كل له خاصية ينتفع بها دالة على ألوهية خالقها واختلاف ألوانها فى كل لون يكون فيها أو منها كما هو مشاهد فى المعادن المستخرجة وكل لون ينقسم الى أنواع وألوان فان حمرة المرجان مختلفة كما ان حمرة الزبرجد والياقوت وخضرتهما مختلفة وكاختلاف بقاع الارض مع تجاورها قال تعالى انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا وقال تعالى وهو الذى مد الارض وجعل فيها رواسى وأنهارا ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يغشى الليل النهار ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون وفى الارض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الأكل ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون وكذلك اختلاف الأجساد من سائر الحيوانات والعقول والادراكات والأشجار وأنواع الثمرات مع اتحاد الأب والأم ان فى ذلك لآيات وهذا سر قوله تعالى يزيد فى الخلق ما يشاء ان الله على كل شئ قدير

﴿ومن الدلائل﴾ على ألوهية خالقها الطعام للبشر وسائر الحيوانات وما تتوارى به الاجسام والعورات من النبات كالقطن والكتان وما أبرزه الاله المعبود بالحق من الحيوانات كالابريسم والصوف والشعر والجلود وما لا تحيط به الاذهان ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثا ومتاعا امتن بها الاله الواحد المنان وكذا اختلاف الأخشاب بأنواعها واختلاف مصالحها وهذه الآيات لا تحصيها العبارات انما نشير الى اليسير منها لاعتبارات وفى اختلافها يقول موجد الكائنات والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذى خبث لا يخرج الا نكدا كذلك نصرف الآيات وكذلك الحال فى الطيب والخبيث يكون فى بنى آدم كما يكون فى الأرض وما يخرج فيها من النبات كما قيل

الناس كالأرض ومنهاهم * من حجر قاس ومن لين
فجامد تدمى به أرجل * واثمد يحمل فى الأعين

وهذا من نزع البركة عن بعضها ووضعها فى بعضها الآخر مع وجود الحكمة فى كل منهما وفى الحديث أحد يحبنا ونحبه وهو على باب من أبواب الجنة وهذا عير يبغضنا ونبغضه وهو على باب من أبواب النار أخرجه الطبرانى فى الأوسط عن أبى عيسى سعيد بن جبير رضى الله عنه وعن سهل بن سعد رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أحد جبل يحبنا ونحبه أخرجه البخارى فأحد طيب يرى الناظر اليه عليه آثار الأنوار وعير خبيث تنبو عن مشاهدته الأبصار وقد قال تعالى لنبيه المختار وربك يخلق ما يشاء ويختار ﴿ومن الدلائل﴾ على ألوهية خالقها وموحدها الكعبة

الشريفة فى البلد الأمين طهره الله وصانه وجعل عباده المتقين أولياءه وسكانه ان أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين وفيه من البراهين والآيات ما يسع الكائنات ولو لم يكن فيه الا انه منزل البركات من اله الكائنات تنزل عليه كل يوم مائة وعشرون رحمة تتفرق على أهل التوحيد من أهل الطاعات ومنها توجه وجوه أهل الاسلام فى جميع الصلوات من كل الجهات وكذلك توجه اليه من المسلمين كل الأموات ﴿ومنها﴾ مضاعفة الحسنات وتجسيم السيئات ﴿ومنها﴾ أن تجبى اليه جميع الثمرات ومنها البركة التى طلب الخليل صلى الله عليه وسلم فى الاقوات ﴿ومنها﴾ مقام ابراهيم وزمزم طعام طعم ولما شرب له عام ﴿وفيها﴾ يمين الله فى ارضه فانه يأتى يوم القيامة وله شفتان ولسان يشاهد لمن استلمه وقبله مؤمنا بالله غير مشرك به ومصدقا بجميع ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم متبعا الشرعه ومديه مخالفا ومعاديا ضده فشهادته لاهل التوحيد باعمالهم الصالحة هى حقيقة نفعه التى أخبر بها على بن أبى طالب عمر بن الخطاب رضى الله عنهما حيث صح وثبت جواب على لعمر والا فهذه الزيادة بعض العلماء على عدم ثبوتها انما الثابت صدر الحديث كما رواه البخارى من طريقين الاول عن عباس بن ربيعة عن عمر انه جاء الى الحجر فقبله وقال انى لأعلم انك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا انى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك الثانى عن زيد بن أسلم عن أبيه قال رأيت عمر بن الخطاب يقبل الحجر وقال لولا انى رأيت رسول الله يقبلك ما قبلتك وقول صاحب المقدمة اجابه عثمان بن عفان وهم انما المجيب على بن أبى طالب كما ذكره المثبتون لهذه الزيادة فى آخر الحديث فى بعض السير فاما شهادة الحجر لاهل التوحيد فهى ثابتة كما روى عمر رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم استقبل الحجر ووضع شفتيه عليه يبكى طويلا ثم التفت فاذا عمر بن الخطاب فقال يا عمر هاهنا تسكب العبرات رواه ابن ماجه وروى مسلم عن ابن عباس ان النبى صلى الله عليه وسلم استلم الحجر بيده وقبلها فتقبيله واستلامه والبكاء عنده لا يخلو ذلك من حكمة ولو لم يكن منها لا انه يمين الله فى أرضه وشهادته لاهل التوحيد توحيده باعمالهم وذلك لا يقتضى اعتقاد النفع أو الضر فيه بطبعه ولا بقوته فلا يدعى ولا يرجى ولا يتوكل عليه لفضله وشهادته وشفاعته ليستا بافضل ولا أكمل ولا أتم من شهادة الرسل وشفاعتهم ومع ذلك فلا يعتقد فيهم النفع ولا الضر ولا الاعطاء ولا المنع الا انهم يوم القيامة يشهدون على أممهم وعلى بعضهم بعضا بالبلاغ والتبليغ كما قال جل ذكره فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا ويشفعون فى أهل التوحيد بعد اذن الله لهم فيمن رضى عنه وذلك لا يقتضى انهم يملكون الضر ولا النفع ولا العطاء ولا المنع فالحجر أولى بعدم الاعتقاد فيه اذ الامر كله لمالكه وهو الله الذى خلق الرسل وفضلهم على سائر الخلق وخلق الارض وما فيها من الآيات الدالة على ألوهيته وتفرده بملك الضر والنفع والاعطاء والمنع ولقد قال عبد الله بن عمر رضى الله عنهما مخاطبا الكعبة الشريفة شرفها الله ما أطيبك وأطهرك ولحرمة المؤمن عند الله أعظم من حرمتك ومعلوم انه لا أعظم حرمة فى الخلق من الرسل عليهم الصلاة والسلام وهم لم يبعثهم الله عز وجل الا ليزيلوا هذا الاعتقاد فى الأحجار والأشجار من قلوب سائر الخلق الكبار والصغار ويخلصون لله الواحد القهار وقد حمى النبى صلى الله عليه وسلم التوحيد أعظم حماية أقل من هذا الاعتقاد وأظهره وغضب منه حين قال له القائل ما شاء الله وشئت فقال عليه السلام أجعلتنى لله ندا قل ما شاء الله وحده فكيف باعتقاد المشركين الاولين أو ما هو أعظم منه وقد ذكرنا مناسبة حكمة الله

في خلقه واظهار قدرته في مصنوعاته رشحة من الاستمتاع بما في المقالة ولم نتعرض لما في المطالة طلبا للاختصار ومخافة في القصور وذلك اذ الأرض بالنسبة اليها كحلقة ملقاة في فلاة واذا فتح الله فؤاد العبد للفكر في أمه رأى ببصيرة قلبه فنطق لسانه بعجائب المطالة فاستدل بذلك على ألوهية الخالق وتفرده فيما هو منفرد به عن خلقه وعبادته وحده لا شريك له في حقه ومعاملته والعبد من تراب اذا تكلم بالدليل على ألوهية خالقه فهو في محله انما الرزية كل الرزية الاعراض عن الآيات والتغافل عن المشاهدات والمبصرات والمسموعات والمحسوسات وكأين من آية في السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون ومن كان فكره في كل واد بهيم فهو من الأفكار الباطلة والاعتقادات الفاسدة في ليل بهيم ولهذا قال الاله تبصرة وذكرى لكل عبد منيب ﴿وأما قولكم وقوله من الشرك النذر لغير الله وقول الله يوفون بالنذر الآية وقال تعالى وما أنفقتم من نفقة أو نذرتم من نذر الآية وفي الصحيح عن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من نذر ان يطيع الله فليطعه ومن نذر ان يعصيه فلا يعصه فنقول هذا أيضا غير مسلم انه من الشرك الاعتقادي وما استدل عليه من الآية والحديث لا يدل عليه بل انما يدل على انه لا يلزم الوفاء به كما عليه اتفاق العلماء﴾ فنقول النذر لغة الايجاب يقال نذر فلان دم فلان أي أوجب قتله ومعناه شرعا الزام مكلف مختار نفسه عبادة لله تعالى غير لازمة له بأصل الشرع وهو مكروه اذا كان لله ولا يأت بخير ولا يرد قضاء وفاقا لأبي حنيفة رحمه الله تعالى لما في الصحيحين عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن النذر وقال انه لا يرد شيأ ولكن يستخرج به من البخيل وفي رواية للبخاري يقول ابن عمر أولم تنهوا عن النذر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان النذر لا يقدم شيأ ولا يؤخره وانما يستخرج بالنذر من البخيل وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان النذر لا يقرب من ابن آدم شيأ لم يكن الله قدره له ولكن النذر يوافق القدر فيخرج بذلك من البخيل ما لم يكن البخيل يريد ان يخرجه فقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن النذر وأخبر انه لا يأتي بخير وانه ليس من الاسباب الجالبة لخير أو الدافعة لشر أصلا وانما يوافق القدر موافقة كما يوافقه سائر الاسباب فيخرج من البخيل حينئذ ما لم يكن يخرجه قبل ذلك وأجمع أهل العلم في الجملة على انعقاد النذر الذي لله ولزوم الوفاء به لقوله سبحانه وتعالى وما أنفقتم من نفقة أو نذرتم من نذر فان الله يعلمه ولما روت عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم من نذر ان يطيع الله فليطعه ولحديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه يا رسول الله اني كنت نذرت في الجاهلية ان أعتكف ليلة وفي رواية يوما في المسجد الحرام فقال له النبي صلى الله عليه وسلم اوف بنذرك ومدح الوافين به يدل على جواز النذر اذا كان في طاعة الله لا على استحسانه ومشروعيته ولذلك لم يفعله النبي صلى الله عليه وسلم ولا أمر به بل نهى عنه وأخبر انه لا يأتي بخير ولا يرد قضاء وفي البخاري من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم خيركم قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم قال عمران لا أدري ذكر اثنتين أو ثلاثة بعد قرنه ثم يجيء قوم ينذرون ولا يوفون ويخونون ولا يؤتمنون ويشهدون ولا يستشهدون ويظهر فيهم السمن (ثم النذر) الجائز ثلاثة أقسام (أحدها) ما علق على وجود نعمة أو دفع نقمة فاذا وجد ذلك لزم الوفاء به لعموم قول النبي صلى الله عليه وسلم من نذر ان يطيع الله فليطعه ولذمه الذين ينذرون ولا يوفون كما في حديث عمران بن حصين المتقدم ﴿والثاني﴾ ما علق على شيء لقصد المنع منه أو الحث عليه كقوله ان دخلت الدار فعلي لله كذا وان لم أخبرك بما يكون فتنه على كذا وهذا

القسم هو نذر اللجاج والغضب وقد اختلفوا في لزوم الوفاء به وللشافعي قول موافق للرواية الصحيحة عن أحمد انه يخير بين الوفاء فيما نذر وبين كفارة يمين لما روى عمران بن حصين قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا نذر في غضب وكفارته كفارة يمين رواه سعيد بن منصور في سننه ولانها يمين فيخير فيها بين الامرين ﴿الثالث﴾ ما ينذر من الطاعة بلا تعليق كصلاة وصوم وحج واعتكاف وقراءة وعيادة مريض فيلزم الوفاء به عند عامة أهل العلم * وحكي عن أبي حنيفة رحمه الله تعالى انه لا يلزم الوفاء الا بما له نظير باصل الشرع ولا أصل له في الوجوب كالاعتكاف وعيادة المريض لان النذر فرع على المشروع فلا يجب به ما لا يجب له نظير باصل الشرع وحجة ملزمي الوفاء حديث عمر وعائشة بنت أبي بكر رضي الله عنهما وذم النبي صلى الله عليه وسلم الذين ينذرون ولا يوفون والنذر المطلق غير المقيد بشيء كقوله لله علي نذر أكثر أهل العلم منهم مالك يوجبون فيه كفارة يمين كقوله ان فعلت كذا فلله علي نذر وفعله ففيه كفارة يمين لما روى عقبة بن عامر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كفارة النذر اذا لم يسم كفارة يمين * رواه ابن ماجه والترمذي وقال هذا حديث حسن صحيح غريب قالوا وهذا نص في المسئلة فلا يعدل عنه ﴿والنذر﴾ غير الجائز قسمان ﴿أحدهما﴾ نذر فعل معصية كشرب خمر وقتل معصوم وصوم يوم عيد أو حيض أو أيام التشريق فيحرم الوفاء به لقول النبي صلى الله عليه وسلم من نذر أن يعصي الله فلا يعصه ولان معصية الله تبارك وتعالى لا تباح في حال من الاحوال وهل ينعقد أم لا جمهور العلماء على انه لا ينعقد لان في قوله فلا يعصه دليلا على عدم انعقاده ولقوله صلى الله عليه وسلم لا وفاء لنذر في معصية الله ولا فيما لا يملك ابن آدم رواه أبو داود وأصله في الصحيحين وقال بعضهم وهو الامام أحمد في الرواية المشهورة عنه ينعقد لان وجود النذر كوجود اليمين وعدم جواز الوفاء به لا يمنع انعقاده ويكفر كفارة يمين وهذا مروي عن عبد الله بن مسعود وابن عباس وعمران بن حصين وسمرة بن جندب رضي الله عنهم وبه قال الثوري وأبو حنيفة وأصحابه رحمهم الله تعالى الا ان أبا حنيفة رحمه الله تعالى قال فيمن نذر ذبح آدمي معصوم يلزمه ذبح كبش ويطعمه للمساكين وهذا القول أحد الروايتين عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ﴿الثاني﴾ النذر لغير الله ولاجله عقدت الترجمة كالنذر لابراهيم الخليل أو محمد النبي الامي صلى الله عليهما وسلم أو ابن عباس رضي الله عنهما أو الشيخ عبد القادر أو الخضر أو الملك من الملائكة أو جني أو شجرة فلا خلاف بين من يعتد به من علماء المسلمين انه من الشرك الاعتقادي لان الناذر لم ينذر هذا النذر الذي لغير الله الا لاعتقاده في المنذور له انه يضر وينفع ويعطي ويمنع اما بطبعه واما بقوة السببية فيه ويجلب الخير والبركة ويدفع الشر والعسرة والدليل على اعتقاد هؤلاء الناذرين وشركهم حكايتهم وقولهم انهم قد وقعوا في شدائد عظيمة فنذروا نذرا لفلان وفلان أصحاب القبور من الانبياء والمشايخ وللغار الفلاني والشجرة الفلانية فانكشفت شدائدهم واستراحت خواطرهم ويقول أحدهم مرضت فنذرت للشيخ فلان فشفاني وعافاني ويقول الآخر خرج علي المحاربون واشتد علي الامر فنذرت لشيخي ووسيلتي ومعتقدي الولي الفلاني وانتدبته فاجابني وكشف شدتي وفرج كربتي ويقول الآخر ركبت البحر فحصل العطف وكثرة الامواج والريح فنذرنا أصحاب السفينة ودعونا الولي الفلاني ومعتقدنا الذي في جزيرة أو محل كذا ونذرنا له كذا وكذا فاسكن الريح وأبطل الموج وركد سفينتنا فسلمنا واسترحنا فلما قدمنا الى مكانه ابتدرا الينا بادن

القبر يلاقينا قائلا ان الشيخ أخبرني وهو في قبره ان له عندكم نذر كذا وكذا وأرسلني اليكم لاقبضه منكم فيوفون فيتعجبون منه ويزيدون له في الاعتقاد فيه والنذر له وتثبت عندهم ولايته وضره ونفعه فيدعونه ويرجونه ويرسلون له من المكان البعيد شمع العسل يوقد في قبته عند قبره ويأتون اليه بالجوخ وأنواع الخرق يضعونها تغشية على تابوته واعلاما عند ضريحه * وقد قام بنفوسهم ان هذه النذور هي السبب في حصول مطلوبهم ودفع مرهوبهم ومن تأمل القرآن وسنة المبعوث به ونظر أحوال السلف الصالح علم ان هذا النذر نظير ما جعلته المشركون لآلهتهم في قوله تعالى هذا لله وهذا لشركائنا وقوله ويجعلون لما لا يعلمون نصيبا مما رزقناهم تالله لتسألن عما كنتم تفترون حذو القذة بالقذة واعتقاد هؤلاء في المنذور له أعظم من اعتقاد أولئك في المجعول له لانهم يعتقدون فيهم الضر والنفع والعطاء والمنع لا بهم اذ الأول شرك غالب الآخرين والثاني هو شرك الأولين ألا ترى ان الحالف بالله وحده عند هؤلاء لا يرضون به ولا يكتفون ولا يكون عندهم قسما بل لا يكون قسما مؤكدا الا اذا كان بمعتقدهم سواء كان ميتا أو غيره ولا يقدمون على الحالف به كاذبا خوفا منه نفسه أن يصيبه بضر في جسده أو ماله أو عياله ويقدمون عليه بالله كاذبا ولا يخافون ولا يبالون بل لا يعدونه يمينا هذه عقيدة الخواص منهم لا العوام الطغام فلذلك له ينذرون ومنه يرجون ويخافون وعليه يتوكلون واياه يدعون ويستعينون وبه يستغيثون ومن خالفهم في ذلك وأنكر عليهم يخرجونه ويبدعونه ويضللون منه ولا من الله يبالون ولا يخافون من ما اعتقدوه وقالوه هو الدين عندهم وكأنه هو المطلوب منهم فهؤلاء المشركون مبطلون يضيفون قضاء حوائجهم من المنذور له الى خصوص النذر مع أن جنسه لا أثر له في ذلك وقد أخبر الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم ان نذر طاعة الله فضلا عن معصيته ليس سببا لجلب خير ولا لدفع شر انما الخير الذي يحصل للناذر يوافق النذر موافقة كما يوافق سائر الاسباب فلا ينسب اليه أثر ولا سببية فاما نسبة التأثير اليه في جلب الخير أو دفع الشر أو رفعه وانه من المنذور له أو هو متسبب فيه بشفاعته وواسطة للناذر الذي يدعوه ويتوكل عليه ويرجوه يشفع له في كل ما نابه وكشف ما أهمه فلا شبهة ان هذا هو الشرك الأكبر والكفر الاعتقادي لعموم قوله تعالى ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله وقوله تعالى والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى والنذر عبادة قربة يتقرب بها الناذر الى المنذور له والتعلق قلبه بواسطته وتألهه له بدعائه اياه ونذره له وتوكله عليه ولحديث حصين بن المنذر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له يا حصين كم تعبد قال سبعة ستة في الارض وواحد في السماء قال فمن الذي تعد لرغبتك ورهبتك قال الذي في السماء فأمره النبي صلى الله عليه وسلم بالاسلام فأسلم خرجه الامام أحمد في مسنده والترمذي ولحديث القوم الصالحين الذين افتتن بهم قومهم خرجه البخاري في صحيحه وأهل التفسير كابن جرير وغيره ولاعتقاد قريش في اللات والعزى ومناة وأما نسبة السببية في النذر خاصة دون المنذور له فلا يعتقد فيه ضر ولا نفع ولا سببية لهما وانما نذر له ليكون النذر وحده سببا في حصول المطلوب فهذا نذر معصية لا كفر ولا يجوز الوفاء به لقوله صلى الله عليه وسلم من نذر أن يعصي الله فلا يعصه رواه البخاري عن عائشة ولنهيه صلى الله عليه وسلم عن وفاء نذر المعصية لله وعن العقر والذبح لغير الله رواه الامام أحمد وأبو داود من حديث

أنس والنذر لغير الله من ذلك وفي معناه ولا يجوز الوفاء به وان تصدق بما نذره من ذلك على مستحقي الصدقة من الفقراء الصالحين غير سدنة القبور وخادميها العاكفين عليها القبض النذور وكان خيراله وأنفع عند الله تبارك وتعالى وجواز الاعتقاد في ان هذا النذر هو السبب في حصول المطلوب لابد له من دليل لا يمكن وجوده على ذلك لنهي النبي صلى الله عليه وسلم عنه واخباره انه لا يرد شيأ ولا يقدمه ولا يؤخره ولا يقرب من ابن آدم شيأ لم يكن الله قدره له كل ذلك مروي في الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم ولو نذر فعل قربة من صلاة أو ذبح نسك في مكان معد على قبر نبي أو صالح أو تمثالهما أو أحدهما وذلك المكان يقصد لدعائه ورجائه أو للدعاء عنده أو لم يقصد لذلك ولكن نية الناذر التقرب بجعله لديه والتبتل اليه حرم النذر والوفاء مثل نحرهما في مكان فيه وثن من أوثان الجاهلية أو عيد من أعيادهم وذلك لما روى أبو داود عن أبي قلابة ان ثابت بن الضحاك حدثه قال نذر رجل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينحر ابلا ببوانة فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اني نذرت أن أنحر ابلا ببوانة فقال النبي صلى الله عليه وسلم هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يعبد قال لا قال فهل كان فيها عيد من أعيادهم قال لا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فأوف بنذرك فانه لا وفاء لنذر في معصية الله ولا فيما لا يملك ابن آدم وبوانة بضم الباء الموحدة من أسفل موضع في أرض اليمن ولا تخفى مناسبة الآية والحديث لذكر الترجمة اذ قوله تعالى وما أنفقتم من نفقة أو نذرتم من نذر فان الله يعلمه شامل لنذر الطاعة والقربة ونذر المعصية المغفورة والمحبطة وقوله تعالى يوفون بالنذر القرآن دال بمنطوقه ومفهومه وصريحه وكنايته ان الله لا يأمر الا بالطاعة قولا وعملا واعتقادا وينهى عن المعصية قولا وعملا واعتقادا فتعين أن يكون الحث على الوفاء بالنذر ومدح الوافين اذا كان في طاعة الله وقربة اليه والا فهو داخل في عموم قوله تعالى واجتنبوا قول الزور حنفاء لله غير مشركين به وقوله ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ومن أعظم الزور والفواحش معاصي الله بأنواعها الشاملة للنذر لغيره تعالى سواء كان نذر شرك أصغر أو كان شركا أكبر فان النذر لغير الله لا يتناول الا هذين النوعين ولا يخرج عنهما فلا ينعقد وجواز الوفاء به متوقف على انعقاده وعدم الاثم فيه فذاعن اللزوم هذا الذي عليه العلماء جملة لا كما زعمه صاحب المقدمة فانه انما نفى اللزوم خاصة وأسنده الى اتفاق العلماء وأبقى جواز الوفاء به وصنيعه يدل على عدم فهمه وقصور اطلاعه فان نصوص العلماء قاطبة ناطقة بعدم جواز الوفاء بنذر المعصية وعللوا بنهيه صلوات الله وسلامه عليه عن عصيان الله بالنذر وفيه ولان في الجواز تقرير المعصية الله وهي منتفية شرعا وعقلا هذا مع اختلافهم في انعقاد نذر فعل المعصية كقطيعة رحم وقتل معصوم وشرب خمر وصوم يوم عيد وتقدم أن الجمهور لا يرى انعقاده وان من رآه لا يجوز الوفاء به بل يوجب فيه كفارة اليمين وان أبا حنيفة رحمه الله تعالى يوجب في نذر قتل المعصوم ذبح كبش واطعامه المساكين وأما النذر لغير الله فانه وان كان نوعا منه فلا أحد ممن يعتد به من العلماء يقول بجوازه أو انعقاده أو جواز الوفاء به نعم قال بعض العلماء من الشافعية وغيرهم فيمن نذر لميت أو نحوه شمعا أو زيتا ونحوه وقصده أن يكون نذره وسيلة في قضاء مطلبه أو منع ما قصده ولم يقصد ذلك من الميت نفسه ولا أن يكون سببا فيه ان هذا النذر حرام لا يجوز الوفاء به وان تصدق بثمن ما نذره من ذلك أو عينه على المساكين المستحقين كان خيراله عند الله تبارك وتعالى وأنفع انتهى وقوله صلى الله عليه وسلم ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه وقوله انه لا وفاء لنذر في معصية

شامل لكل نذر معصية اما هو بنفسه أو ما هي وصف له وان لم يكن هو معصية كنذر الرجل نحر الابل وذبح النسك أو فعل قربة فى مكان معهود فيه شرك وما هو من أفعال الجاهلية فان الحكم يتبع الوصف ايجادا واعداما جوازا ومنعا وهو سبب للحكم فان وجد فهو مانع من الوفاء وان لم يكن النذر فى نفسه معصية لله كفعل القربة ولذلك سأل النبي صلى الله عليه وسلم الرجل لما قال يارسول الله انى نذرت أن أنحر ابلا ببوانة فقال هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يعبد قال لا قال فهل كان فيها عيد من أعيادهم قال لا قال فأوف بنذرك فانه لاوفاء لنذر فى معصية الله ولا فيما لا يملك ابن آدم * رواه أبو داود فى سننه وغيره فلما ظهر للنبي صلى الله عليه وسلم عدم المانع لجواز الوفاء وهو فقد الصفة المحرمة فى الصورتين قال له فأوف بنذرك يعنى حيث ليس هناك ما يوجب تحريم الذبح فى ذلك الموضع فكان جوابه صلى الله عليه وسلم فيه أمر بالوفاء عند الخلو من الصفة المانعة للنذر الجائز مع فقدها ونهى عن الوفاء به مع وجودها وأصل الوفاء بالنذر الجائز معلوم * فبين صلى الله عليه وسلم مالا وفاء فيه واللفظ العام اذا ورد على سبب فلا بد أن يكون السبب مندرجا فيه والله أعلم ﴿ وأما قولكم وقوله ومن الاشراك الاستعاذة بغير الله فهذا غير مسلم انه من الاشراك الاعتقادى وما استدل عليه من قوله وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن لادلالة فيه عليه أصلا ﴾ فنقول قد تقدم تعريف معنى الاستعاذة فى أول الكتاب عند قوله ونعوذ بالله من شرور أنفسنا والاستعاذة الالتجاء الى الله والملاذ يجانبه من كل شر والعياذ يكون لدفع الشر والملاذ لطلب الخير كما قال المتنبي

يامن ألوذ به فيما أؤمله * ومن أعوذ به فيما أحاذره
لا يجبر الناس عظما أنت كاسره * ولا يهضون عظما أنت جابره

ومن لاذ واستجار واعتصم بغير الله فقد خاب وخسر وأشرك فى قوله واعتقاده قال سبحانه وتعالى ان الله له ملك السموات والأرض يحيي ويميت وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير وقال تعالى قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء ان أنا الا نذير و بشير لقوم يؤمنون وقال تعالى واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه سميع عليم وقال تعالى واذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون انما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون فبين سبحانه وتعالى فى هذه الآيات بل بالقرآن كله ان ليس دونه لخلقه ولي ولا نصير وان لا أحد يملك لنفسه ولا لغيره نفعا ولا ضرا فلا يوجدان الا بتقديره ومشيئته وانه الخالق للسبب والمسبب وأن ما نزغ من الشيطان والاستعاذة منه لا تكون الا بالله السميع العليم وان ليس للعين سلطان قهر وغلبة واستيلاء على عباد الله المنقادين لأمره المؤمنين به وبرسله وما أرسلوا به المفوضين أمورهم الى خالقهم والههم فلا يتمكن من قلوبهم فيصدهم عن ذكره وتوحيده فيقعوا فى ذنب لا تجامعه المغفرة بل انما يكون ذلك على أوليائه المنقادين لأمره الذين يتولونه والذين هم به مشركون لاعراضهم عن توحيد خالقهم والاستعاذة بغير الله اعراض عن توحيده ونفى لتفرده تعالى بملك الضر والنفع والعطاء والمنع والاستغاثة والقرب وتعطيل لمعاملته وافضاله مزيده والمستعيذ بغيره متخذ وليا ونصيرا من دونه فقوله تعالى فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم الى قوله انما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون فمن استعاذ بغير الله

على هذا الوجه فهو عن استعاذ به مشرك فى قوله وعقيدته اذ تعلق قلبه فى المستعاذ به من المخلوقين برجائه والملاذة به والالتجاء اليه والتوكل عليه هو الحامل والمقتضى له على الاستعاذة به وذلك هو الشرك الاعتقادى ولهذا كان الرجل من العرب فى الجاهلية اذا سافر فامسى فى أرض قفرة أى خالية قال أعوذ بسيد هذا الوادى من شر سفهاء قومه فيبيت فى أمن وجوارهم حتى يصبح فانزل الله سبحانه وتعالى وانه كان رجال من الانس يعوذون أى يلوذون ويستعيذون برجال من الجن فزادوهم أى فزاد الانس الجن المستعاذ بهم رهقا سفها واثما وطغيانا بقولهم سدنا الانس والجن وكذا ما فى صحيح مسلم عن خولة بنت حكيم قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من دخل منزلا فقال أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم يضره شئ حتى يرتحل من منزله ذلك وفى المسند للامام أحمد عن أبان بن عثمان عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال بسم الله الذى لا يضر مع اسمه شئ فى الارض ولا فى السماء وهو السميع العليم لم يضره شئ قال الخطابى قال العلماء لا يستعاذ بغير الله أو صفاته اذ كل ما سواه تعالى وصفاته مخلوق ولذلك وصفت كلماته تعالى بالتمام وهو الكمال وما من مخلوق الا وفيه نقص والاستعاذة بالمخلوق شرك مناف لتوحيد الخالق لما فيه من تعطيل معاملته تعالى الواجبة له على عبيده انتهى وبهذا احتج السلف كالامام أحمد وغيره على ان كلام الله غير مخلوق قالوا وقد استعاذ النبى صلى الله عليه وسلم بكلمات الله التامات فلا يستعاذ بمخلوق ولما فى الصحيحين عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال لا بأس بالرقى ما لم تكن شركا فنهى عن الرقى التى فيها شرك كالتى فيها استعاذة بالمخلوقين الجن أو غيرهم قال تعالى وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال الآية ولهذا نهى العلماء عن التعازيم والاقسام التى يستعملها بعض الناس فى حق المصروع وغيره التى تتضمن الشرك بل نهوا عن كل ما لا يعرف معناه من ذلك كما تقدم خشية أن يكون فيه شرك بخلاف ما كان من الرقى المشروعة فانه جائز ومما يؤيد ان الاستعاذة بالمخلوق شرك اعتقادى جعل المستعيذ نصيبا من ماله ما كولا كان أو غيره لمن استعاذ به من الجن لائذا به وعائذا ليرفع عنه أو غيره ما حل به من المس والالم أو يدفع ما يحذره من سائر الالم قائلا أعوذ أو لوذ بفلان وفلان ومن ساد من انس وجان من شر كذا وكذا ثم ينحر النحيرة لسكان الارض من الجيران ليرفعوا عنه أو يدفعوا ما حل به وكان ويدس ما نحره لهم فى التراب ليكون لهم خالصا وبهم سائغا وبعضهم يقول أعوذ بأبى الجان وشهاب الشيطان من العين وما كان من شر كيت وكيت ونحو هذه الاستعاذات التى هى شرك اعتقادى من هؤلاء المفتونين عبدة الشياطين ولفظ الاستعاذة بالمخلوق شرك قولى ناشئ عن الاعتقادى فقول صاحب المقدمة الاستعاذة بغير الله غير مسلم انه من الاشراك الاعتقادى دال بصريحه على انه لم يميز اللازم من الملزوم ولم يعرف المقتضى المشؤم وذلك من وجوه ﴿أحدها﴾ انه ما دليله فيه الا انه لا يسلم من غير دليل من الكتاب والسنة وكلام الائمة غرضه ولا استدلال قصده ﴿الثانى﴾ ان قوله تعالى وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا دالة الآية بمنطوقها ومفهومها ان الاستعاذة بغيره تعالى من الجن واقعة اعتقادية لحديث كردم بن أبى السائب الانصارى قال خرجت مع أبى الى المدينة وذلك أول ما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة وآوانا المبيت الى راعى غنم فلما انتصف الليل جاء ذئب فاخذ حملا من الغنم فوثب الراعى فنادى يا عامر الوادى جارك فنادى مناد لا نراه يا سرحان أرسله فاذا الحمل يشتد حتى دخل فى الغنم لم تصبه كدمة

فانزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم الآية ﴿الثالث﴾ انه لولم يعتقد فيه القدرة على تحصيل ما يرومه منه ودفع ما يخشى شره لما استعاذ به ﴿الرابع﴾ نفيه الاستدلال بالآية على ان الاستعاذة بغير الله شرك اعتقادى لقوله لا دلالة فيه عليه أصلا والله قد أنزلها بسبب الشرك الاعتقادى فى عامر الوادى ﴿الخامس﴾ ان حكم الآية عام فى كل مستعيذ بغير الله فيما لا يقدر عليه الا هو سبحانه وتعالى اذ العبرة فى القرآن بعموم اللفظ لا بخصوص السبب مع ملاحظته وعدم القصور عليه ﴿السادس﴾ ما قاله عبد الرحمن الجلال السيوطى فى كتابه الخصائص الكبرى ان من التلاوة على الجن المستفاد من شرورهم بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد رسول رب العالمين الى من طرق الدار من العمار والزوار والصالحين لا طارق يطرق الا بخير يا رحمن أما بعد فان لنا ولكم فى الحق سعة فان تك عاشقا مولعا أو فاجرا مقتحما أو راعيا حقا مبطلا هذا كتاب الله ينطق علينا وعليكم بالحق انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون ورسلنا يكتبون ما تمكرون اتركوا صاحب كتابى هذا وانطلقوا الى عبدة الاصنام والى من يزعم ان مع الله الها آخر لا اله الا هو كل شئ هالك الا وجهه له الحكم واليه ترجعون تغلبون لا تنصرون تفرق أعداء الله بلغت حجة الله ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم دال بمنطوقه على ان الاستعاذة لا تكون الا بالله لانه ذكر صفة ما كانه فى كتاب النبى صلى الله عليه وسلم رسول الله الى سائر الانس والجن الى من طرق الدار من العمار والزوار والصالحين طالبا منهم فيه الحق على ضمن ما فى كتاب الله وهو القرآن من تحريم ظلم المسلمين عليهم فلا يظلمونهم ولا يتعدون عليهم بل يفعلون ما حكم عليهم القرآن وطلبه منهم ويتركون ما نهوا عنه ولذلك قال هذا كتاب الله ينطق علينا وعليكم بالحق فان القرآن الكريم ناطق بتحريم ظلم المسلمين بعضهم بعضا حاكم بذلك على الانس والجن ولهذا قال بلغت حجة الله وناسبت الحوقلة فى هذا الحال لانه أمرهم وما ذكرت على كل مهم الا فرجه الله ثم استكفاهم الله السميع العليم فقال فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم ﴿واما قولكم وقوله باب قوله تعالى أيشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون وقوله تعالى والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير يعنى من يدعو غير الله نبيا أو غيره يكون مشركا كما يدل عليه سياق كلامه قلنا ان أردت من الدعاء العبادة كما هو معنى الدعاء فى الآية فسلم لكن لا نسلم ان الداعى غير الله يعبده بل انما يناديه ولا يلزم من النداء ذلك والا لزم تكفير كل من نادى غيره ولا يقول به أحد من الامة بل من جميع الامم﴾ فنقول من له أدنى لب من عقل ومعرفة فى أى ذهن عرف به ما حق الله الخاص بجلاله وهو عبادته التى أمر بها فى النص المتضمنة السؤال من نيل افضاله وحق المسلمين بعضهم على بعض وما يقدرون عليه ففرق بين العادة والعبادة فانها اسم جامع لكل ما يحبه ويرضاه ويثيب عليه مما أمر به من الاقوال والاعمال الظاهرة والباطنة ثم ان كان ما أمر به مختصا بجلاله لفظه ومعناه فلا يصرف لغيره تعالى من ذلك الدعاء بما لا يقدر على جلبه أو دفعه أو رفعه الا الله وحده فمن دعا به غير الله من سائر الخلق واستعان به فيه فقد عبده به وهذا المعنى مما عناه المفسرون تحت قوله تعالى قل أرأيتم ما تدعون من دون الله فى قولهم أى تعبدون وقوله والذين تدعون من دونه أى تعبدون وأمثال ذلك ولهذا قال تعالى قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه ان عذاب ربك كان محذورا فان المشركين لما أحبوا مع الله كحب الله وظنوا

ان ماتألهته قلوبهم تشفع لهم عند الله وتقربهم منه دعوهم لذلك والتمسوا البركة عندهم راجين الشفاعة منهم واتخذوهم أسبابا فى قضاء حوائجهم من عند خالقهم ولذلك قال تعالى عنهم ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله واذا كان اتخاذهم أسبابا فى قضاء حوائجهم من عند الخالق ودعاؤهم ورجاؤهم اياهم فى ذلك كون عبادة لهم مع اقرارهم بربوبيته تعالى وملكه وجميع الكائنات وانه تعالى الذى بيده ملكوت كل شئ وهو الذى يجير ولا يجار عليه فهو الضار النافع المعطى المانع فكيف بمن اعتقد الضر والنفع والاعطاء والمنع فيمن دعاه وسماه وسيلة وزعم ان الله جل شانه قد أمر بذلك فهو يدعوه قضاء حوائجه وتفريج كرباته والبركة فى ماله وأولاده ويبتهل اليه فى ذلك وليس معه من التوحيد الا مجرد ادعاء لان صنيعه ذلك فى قوله وفعله وعقيدته مكذب له فيما ادعاه بجعله نداله مماثلا له فى عبادته ومعاملته المختصة بجلاله فمعنى قوله تعالى أيشركون أى يعبدون بما هو مختص بجلال الله خالق جميع المخلوقات ورب كل الكائنات من نسبة عبودية أسماء المخلوقين اليه وتوكلهم فى حوائجهم وجميع أمورهم عليه فيجعلون ذلك لغيره وهو مالا يقدر على خلق شئ وهم يخلقون أى مخلوقون ومالا يقدر على خلق شئ لا يتأله فى العبادة فلا يتخذ الها معبودا الا فى القول ولا فى الاعتقاد فى الصحيحين من حديث عبد الله بن مسعود رضى الله عنه حين سأل النبى صلى الله عليه وسلم أى الذنب أعظم قال ان تجعل لله ندا وهو خلقك والند المثل قال الله فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون وقال تعالى وجعل لله أندادا ليضل عن سبيله قل تمتع بكفرك قليلا انك من أصحاب النار والداعى غير الله فيما لا يقدر عليه غيره سبحانه وتعالى جاعل لله ندا من خلقه فيما يستحقه تعالى من الالوهية المقتضية للرهبة والرغبة والاستعانة وذلك كفر باجماع الامة لان الله سبحانه وتعالى هو المستحق للعبادة لذاته فانه المألوه المعبود الذى تألهه القلوب بالرغبة لديه والفزع عند الشدائد اليه وما سواه فهو مفتقر بالعبودية مقهور بها فكيف يصلح ان يكون الها مرغوبا مرهوبا مدعوا كما قال الله تعالى وجعلوا له من عباده جزءا ان الانسان لكفور مبين وقال تعالى ان كل من فى السموات والارض الا آتى الرحمن عبدا وقال لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون الآية وقال تعالى ولا تجعلوا مع الله الها آخر انى لكم منه نذير مبين وقال تعالى قل انى أمرت ان أعبد الله مخلصا له الدين فالله هو المستحق ان يدعى ويرجى ويعبد بكل ما أمر به لذاته قال الله الحمد لله رب العالمين فذكر الحمد بالالف واللام التى تقتضى الاستغراق لجميع المحامد فدل على ان الحمد كله لله ثم حصره فى قوله اياك نعبد واياك نستعين فهو تفصيل لقوله الحمد لله رب العالمين ﴿اذا علم هذا﴾ فالمقصود من قوله تعالى أيشركون مالا يخلق شيأ الآية وقوله والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير الآية اقامة الحجة على ان كل ما سوى الله لا يصلح الها معبودا لانه غير خالق لافعال نفسه ولا غيرها فلا يدعى بما لا يقدر على جلبه أو دفعه الا الله وحده ولا تنسب عبودية المخلوقين اليه ولا يرجى ولا يتوكل عليه بل لا اله الا الله وحده لا شريك له مخلصين له الدين ولو كره المشركون ولذلك قال والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير الذى هو قشر النواة ولفظ الدعاء والدعوة فى القرآن يتناول معنيين ﴿أحدهما﴾ دعاء العبادة وهو دعاء الله لامتثال أمره فى قوله عز وجل وقال ربكم ادعونى أستجب لكم الآية ﴿الثانى﴾ دعاء المسئلة وهو دعاؤه سبحانه فى جلب المنفعة ودفع المضرة بقطع النظر عن الامتثال ولفظ الصلاة فى اللغة أصله الدعاء وسميت الصلاة دعاء لتضمنها معناه وهو الدعاء الشامل

للعبادة والمسئلة وقد فسر قوله تعالى وقال ربكم ادعونى أستجب لكم بوجهين ﴿أحدهما﴾ ماهو عام فى الدعاء وغيره وهو العبادة وامتثال الامر له سبحانه وتعالى أستجب لكم أى أثبكم كما قال فى الآية الاخرى ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات أى يثيبهم على أحد التفسيرين ويزيدهم من فضله ﴿الثانى﴾ ماهو خاص معناه سلونى أعطكم كما فى الصحيحين عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ينزل ربنا كل ليلة الى السماء الدنيا لمثلث الليل الآخر فيقول من يدعونى فأستجيب له من يسألنى فأعطيه من يستغفرنى فأغفر له فذكر أولا لفظ الدعاء ثم ذكر السؤال والاستغفار والمستغفر سائل كما أن السائل داع لكن ذكر السائل لدفع الشر بعد السائل الطالب للخير وذكرهما جميعا بعد ذكر الداعى الذى يتناولهما وغيرهما فهو من باب عطف الخاص على العام وهذا المعنى الثانى أعنى الخاص هو الاظهر لوجهين ﴿أحدهما﴾ مارواه النعمان بن بشير قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الدعاء هو العبادة وفى رواية مخ العبادة ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ربكم ادعونى أستجب لكم الآية رواه أبو داود والترمذى وقال حديث حسن صحيح فاستدلاله عليه الصلاة والسلام بهذه الآية على الدعاء دليل على ان المراد منها سلونى وخطاب الله لعباده المكلفين بصيغة الامر منصرف عند الاصوليين الى الوجوب مالم يقم دليل يصرفه الى الاستحباب ومفيد أيضا قصره وفعله على الله فلا يجعل لغيره حيث كان عبادة قولية أو فعلية ولهذا أمر الله الخلق بسؤاله فقال تعالى واسألوا الله من فضله وفى الترمذى عن ابن مسعود مرفوعا سلوا الله من فضله فانه يحب أن يسأل وفيه عن أبى هريرة مرفوعا من لا يسأل الله يغضب عليه وفيه أيضا ان الله يحب الملحين فى الدعاء وفى حديث آخر ليسأل أحدكم ربه حاجته كلها حتى يسأله شسع نعله اذا انقطع وفى المعنى أحاديث كثيرة صحيحة ﴿الثانى﴾ قوله تعالى واذا سألك عبادى عنى فانى قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان وكل سائل راغب فهو عابد للمسؤول وكل عابد له فهو أيضا راغب وراهب يرجو رحمته ويخاف عذابه فكل عابد سائل وكل سائل عابد قال تعالى انهم كانوا يسارعون فى الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وقال تعالى تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ولا يتصور ان يخلو داع الله دعاء عبادة أو دعاء مسئلة من الرغب والرهب والخوف والطمع والرغبة الى الله والرهبة والخوف منه والطمع عنده ليس ذلك يكون لغيره فلا يصرف ماهو مستحق به الى غيره من سائر الخلق اذ فيه تعطيل معاملته المقتضية لالوهيته وصمديته مع عجز المدعو وضعفه وافتقاره الى خالقه فان توحيد الالهية يتضمن اخلاص ذلك كله له قال جل شأنه له دعوة الحق وقال فلا تدعوا مع الله أحدا وقال ولا تدع من دون الله مالا ينفعك ولا يضرك وقال قل لا أملك لكم ضرا ولا رشدا قل انى لن يجيرنى من الله أحد ولن أجد من دونه ملتحدا وقال قل لا أملك لنفسى نفعا ولا ضرا الا ماشاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء ان أنا الا نذير وبشير لقوم يؤمنون وقال تعالى ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير يا أيها الناس أنتم الفقراء الى الله والله هو الغنى الحميد ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز والشرك بالرجل المعتقد صلاحه وقربه وولايته أو بقبره أقرب الى النفوس وأحب اليها من الشرك بخشبة أو حجر مصور على صورته وتمثاله فمن دعا غير الله بما لا يقدر عليه الخلق أو قال ان المعطى أو المانع أو الضار أو النافع أو المعز أو المذل أحد غير الله أو معه فقد أشرك فى ربوبيته وعطل معاملته وعبادته المقتضية

لالوهيته وصمديته ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم لابن عباس رضى الله عنهما واعلم ان الامة لو اجتمعت على أن ينفعوك لم ينفعوك الا بشئ قد كتبه الله لك أو اجتمعت على أن يضروك لم يضروك الا بشئ قد كتبه الله عليك رفعت الاقلام وجفت الصحف قال الترمذى هذا حديث حسن صحيح فهذا يدل بصريحه على انه لا نفع ولا ضر ولا قبض ولا بسط ولا خفض ولا رفع ولا حركة ولا سكون الا والله سبحانه هو فاعله وخالقه وقابضه وباسطه ورافعه وحافظه فلا يدعى ولا يرجى غير الله ولا يتوكل الا عليه ولا يستعان الا به كما قال على رضى الله عنه لا يرجون عبد الا ربه ولا يخافن عبد الا ذنبه والرجاء بفضل الله ورحمته وهذا المشهد فيه الكلمات الكونيات وهو علم معرفة صفة الربوبية فى الاول وعلم معرفة صفة الالوهية فى الثانى وهو كشف التكليفات فالتحقيق بالامر والنهى والمحبة والخوف والرجاء يكون عن كشف علم الالوهية والتحقيق بالتوكل والتفويض والتسليم يكون بعد كشف علم الربوبية وهو علم التدبير السارى فى الاكوان كما قال تعالى انما قولنا لشئ اذا أردناه ان نقول له كن فيكون فاذا تحقق بهذا المشهد ووفقه الله تعالى لذلك بحيث لا يحجبه مشهد الربوبية عن مشهد الالوهية فهو السعيد فى العبودية فان هذين المشهدين عليهما مدار الدين فان جميع مشاهد الرحمة واللطف والكرم والجمال داخل فى مشهد الالوهية وجميع مشاهد العظمة والكبرياء والملك والقهر والجلال داخل فى مشهد الربوبية ولهذا قيل ان هذه الآية جمعت سر القرآن بل سائر الكتب الالهية كلها ترجع اليها وتدور عليها أعنى اياك نعبد واياك نستعين لان أولها اقتضى عبادته بالامر والنهى والمحبة والخوف والرجاء الذى لازمه الدعاء والانابة والرغبة والرهبة والتوكل وآخرها اقتضى عبادته بالتفويض والتسليم وترك الاختيار وجميع العبوديات داخلة فى ذلك فلا يدعى بما لا يقدر عليه الا الله غيره ولا يرجى فيه الا هو ولا يستغاث الا به لانه لا حول وهى الحركة والتحول من حال الى حال ولا قوة على ذلك الحول الا بالله سواء ذلك الحول والقوة الموجود فى السماء والارض والآدميين والملائكة والجن وسائر الدواب وغيرها قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة فى السموات ولا فى الارض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له وقال تعالى ما من شفيع الا من بعد اذنه ذلكم الله ربكم فاعبدوه أفلا تذكرون وقال النبى صلى الله عليه وسلم لحصين كم تعبد قال ستة فى الارض وواحدا فى السماء قال فمن الذى تعد لرغبتك ورهبتك قال الذى فى السماء الحديث رواه الامام أحمد والترمذى فهذا يوجب انقطاع تعلق القلب بغيره تعالى وان كان ملكا أو نبيا فكيف بالمشايخ الاولياء العلماء أو بالفجار الدجالين الاشقياء فان غاية الراجى لهم الداعى منهم المتوكل عليهم ان يقول مرادى يشفعون لى فقطع سبحانه مادة ذلك كله قطعا شافيا فاخبر تعالى فى محكم كتابه انه ما من شفيع الا من بعد اذنه ونفى ان يشفع أحد لاحد الا باذنه وأعلن بان سائر الشفعاء لا يشفعون الا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون وقال يومئذ لا تنفع الشفاعة الا لمن أذن له الرحمن ورضى له قولا ولهذا اذا جاء سيد الشفعاء وأفضلهم صلى الله عليه وسلم يوم القيامة ورأى ربه سجد له وحمده بمحامد يفتحها عليه ولا يبتدئ بسؤال الشفاعة حتى يقال له أى محمد ارفع رأسك وقل يسمع وسل تعط واشفع تشفع والموفق اذا حقق قيام الله تبارك وتعالى على جميع الاشياء وتصرفه فى جميع الكائنات وتدبيره أمور كل المخلوقات أغناه ذلك عن التعلق على سواه فاخلص له توكله ورجاءه ودعاءه والتجاءه بقصوره

ذلك على سيده ومولاه فيما أسره وابداه من جلب خير ينفعه أو كشف ضر يضره وهو القائم على كل نفس بما كسبت فامره نافذ فيها وقضاؤه وقدره حاكم عليها وازمة الامور كلها في يده ومرجعها اليه ومدعي الايمان بذلك لازمه الشهادة في قوله وعقيدته بان المعطي والمانع والضار والنافع والخافض والرافع والمعز والمذل هو الله وحده وان الامر كله له والشفاعة كلها له والدين هو له وحده مختص بجلاله فلا يتأله بدعاء مالا يقدر عليه الا الله غيره ولا يرجو الا هو ولا يتوكل الا عليه ولا يعتقد ان جالب الخير أو كاشف الضر الا الله وحده فان أسدى اليه أحد من الخلق معروفا اقدرتهم عليه كان نظره أولا الى الخالق فيشكره على ما أولاه من نعمه فانه سبحانه المعطي للمخلوق ما أسداه وحببه اليه وقواه عليه ثم لينظر الى من أسدى اليه المعروف فيكافئه عليه ويثني عليه خيرا لقوله عليه السلام من أسدى اليكم معروفا فكافئوه فان لم تكافئوه فادعوا له حتى تعلموا أن قد كافأتموه وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يشكر الله من لا يشكر الناس رواه أبو داود في سننه وأخرجه الترمذي وقال صحيح وعن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صنع اليه معروف فقال لفاعله جزاك الله خيرا فقد أبلغ في الثناء رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أعطى عطاء فوجد شيأ فليكافئ به فان لم يجد فيثني فمن أثنى به فقد شكره ومن كتمه فقد كفره رواه أبو داود وذلك لان النعم كلها من الله سبحانه وتعالى كما قال تعالى وما بكم من نعمة فمن الله وقال كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك فان الله سبحانه هو المعطي على الحقيقة فانه الذي خلق الارزاق كلها وقدرها وساقها الى من يشاء من عباده واذا حقق ذلك عاملا به كان مستعينا بالله متوكلا عليه راغبا وراهبا اليه ولان في استعانة الله وحده فائدتين ﴿الاولى﴾ ان العبد عاجز عن الاستقلال بنفسه في أعمال الطاعات ﴿الثانية﴾ انه لا معين له على مصالح دينه ودنياه الا الله عز وجل فمن أعانه الله فهو المعان ومن خذله فهو المخذول وفي الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجزن وكان صلى الله عليه وسلم يقول في خطبته ويعلم أصحابه ان يقولوا الحمد لله نستعينه ونستهديه ومن دعاء القنوت الذي كان يدعو به عمر وغيره اللهم انا نستعينك ونستهديك وأمر معاذ بن جبل ان لا يدع في دبر كل صلاة ان يقول اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك وكان من دعائه صلى الله عليه وسلم رب أعني ولا تعن علي وفي دعائه أيضا صلى الله عليه وسلم لما فعل به أهل الطائف ما فعلوا اللهم أشكو اليك ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس أنت رب المستضعفين وأنت ربي الى من تكلني الى بعيد يتجهمني أو الى عدو ملكته أمري ان لم يكن بك علي غضب فلا أبالي غير ان عافيتك أوسع لي أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة أن ينزل بي سخطك أو يحل علي غضبك لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة الا بك وكان من دعاء موسى عليه الصلاة والسلام لما ضرب البحر فانفلق اللهم لك الحمد واليك المشتكى وأنت المستعان وبك المستغاث وعليك التكلان ولا حول ولا قوة الا بك واذا كان هذا الدعاء وأمثاله هو دعاء العبادة المشتمل على الاستعانة من رب العالمين بالنص عند كل علماء المسلمين فلو صرف لغير الله من سائر الخلق لكان معبودا به والداعي عابد المدعو ومستعين به ومتوكل عليه ولا يقال ليس هو عابدا ولا مستعينا لانه انما يناديه فقط فيصرف العبادة والاستعانة وجود النداء كما فهمه صاحب المقدمة معللا بعدم لزوم العبادة كل منادى وعدم تكفير

كل من نادى غيره لانا نقول علة التكفير وجود دعاء العبادة الشاملة لدعاء المسئلة التى هى حق الله وصرفه الى غيره سواء وجد النداء أولم يوجد وليس العلة وجود النداء نفسه خاليا من العبادة وبهذا يعلم ماذكره المفسرون تحت قوله تعالى قل أرأيتم ماتدعون من دون الله أى تعبدون والذين تدعون من دون الله أى تعبدون وأمثاله وذلك لان العبد محتاج الى الاستعانة بالله فى كل الافعال المأمورات وفى ترك المحظورات وفى الصبر على المقدورات كما قال يعقوب عليه السلام لبنيه فصبر جميل والله المستعان على ماتصفون ولهذا قالت عائشة هذه الكلمة لما قال لها أهل الافك ماقالوا فبرأها الله مما قالوا وقال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا وقال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم وقل رب احكم بالحق وربنا الرحمن المستعان على ماتصفون ولما بشر النبى صلى الله عليه وسلم عثمان بالجنة على بلوى تصيبه قال الله المستعان ولما دخلوا على عثمان فضربوه جعل يقول والدماء تسيل عليه لااله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين اللهم انى أستعينك عليهم وأستعينك على جميع أمورى وأسألك الصبر على ما ابتليتنى وروى أبو طلحة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال فى بعض غزواته حين لقى العدو يامالك يوم الدين اياك نعبد واياك نستعين قال أبو طلحة فلقد رأيت الرجال تصرع أخرجه أبو الفتح الاصبهانى فالعبد محتاج فى مصالح دينه ودنياه وكل مالا يقدر عليه الا الله منهما لايجوز ان يسئل من غيره فلا يعبد الا الله ولا يتوكل الا عليه ولا يستعان الا به لان ماسواه مفتقر اليه مقهور بالعبودية فكيف يصلح ان يكون معبودا قال عزمن قائل وجعلوا له من عباده جزأ ان الانسان لكفور مبين ولهذا لما سأل ربيعة بن كعب الاسلمى خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم مرافقته فى الجنة وكان خادما له يأتيه بوضوئه وحاجته فقال سلنى فقلت أسألك مرافقتك فى الجنة وقال أوغير ذلك فقلت هو ذلك قال فاعنى على نفسك بكثرة السجود رواه مسلم لم يبادر صلى الله عليه وسلم بقوله نعم افعل أجعلك معى اشارة الى ان الامر بيد الله وان كثرة السجود بالاخلاص هى الوسيلة فى قضاء الحاجة ونيل المسؤل والسائل لم يسأل النبى صلى الله عليه وسلم أن يدخله الجنة وانما سأله أن يكون رفيقا له فى الجنة ومعناه محبته وعدم فراقه فيها لحالته معه فى الدنيا فاجابه صلى الله عليه وسلم بقوله فاعنى على نفسك بكثرة السجود تعليما له أن نفس دخول الجنة ثابت بوعد الله تعالى لمن مات لايشرك به شيأ فهو رحمة من الله وفضل ورفع الدرجات ومرافقة الصالحين الأحباب بسبب كثرة الأعمال الصالحة واخلاصها لله على ان سؤاله النبى صلى الله عليه وسلم مرافقته الجنة معناه دعاء الله ان يكون كذلك كما قاله المحققون من أهل العلم واتفقوا على ان النبى صلى الله عليه وسلم لايسأل بعد موته لا استغفارا ولا دعاء ولا غيرهما فان الدعاء عبادة ومبناها على التوقيف والاتباع لا على الاهواء والابتداع ولو كان هذا من العبادات لسنه الرسول صلى الله عليه وسلم ولكان أصحابه أعلم بذلك وأتبع له وقوله تعالى ولو انهم اذ ظلموا أنفسهم جاؤك الآية فاتيانه صلى الله عليه وسلم للاستغفار مخصوص بوجوده فى الدنيا ولهذا لم يفعله أحد من الصحابة ولا التابعين مع شدة احتياجهم وكثرة ملماتهم وهم أعلم بمعانى كتاب الله وسنة رسوله وأحرص اتباعا لملته من غيرهم بل كانوا ينهون عنه وعن الوقوف عند القبر للدعاء عنده منهم الامام مالك وأبو حنيفة وأحمد والشافعى وغيرهم من خير القرون التى قد نص عليها النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله خيركم قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم قال عمران لاأدرى أذكر ثنتين أوثلاثا بعد قرنه رواه البخارى فى صحيحه مع أنه صلى الله عليه وسلم حى فى قبره حياة برزخية أقوى من حياة الشهداء ولكنه

قد انتقل من هذه الدار الى دار القرار بنص الكتاب والسنة واجماع الامة ولهذا استسقى أصحابه بعمه العباس كما رواه البخاري عن أنس ولم يأتوا الى قبره ولا وقفوا عنده وما ذهب اليه طائفة من متأخري الفقهاء من استغفار الله في حضرة القبر مستندين الى الآية وقصة الاعرابي فلا يعتد به لما تقدم عن الصحابة والتابعين والأئمة المجتهدين وقولهم في معنى الآية ومثل هذه الحكاية لا تثبت بها احكام شرعي لاسيما في مثل هذا الامر الذي لو كان مشروعا مندوبا لكان الصحابة والتابعون اعلم به وأولى بالعمل من غيرهم بل لولم يكن منكرا وما عندهم شديد المنع عنه وعن فعله وليس الدين بالعقل انما هو بالتوقيف والنقل كيف وقد آل بهم هذا الامر الى الفتنة العظمى التي هي الشرك بالله من دعائه ورجائه والتوكل عليه صلى الله عليه وسلم ﴿وأما حق المسلمين﴾ بعضهم على بعض مما يقدرون عليه والعادة جارية فيه بينهم فمنه توادهم وتعاطفهم وتراحمهم والنصح لهم والتيسير على معسرهم ومعاونة أخرقهم وفي الصحيحين عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال مثل المؤمنين في توادهم وتعاطفهم وتراحمهم مثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر وفي رواية لمسلم المؤمنون كرجل واحد اذا اشتكى رأسه تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر وفي رواية له أيضا المسلمون كرجل واحد اذا اشتكى عينه اشتكى كله واذا اشتكى رأسه اشتكى كله وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا وفيه أيضا عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة ومن ستر مسلما ستره الله في الدنيا والآخرة والله في عون العبد ما كان في عون أخيه الحديث وفي الصحيحين من حديث ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته ومن فرج عن مسلم فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة وخرج الطبراني من حديث كعب بن عجرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من نفس عن مؤمن كربة من كربه نفس الله عنه كربه يوم القيامة ومن ستر على مؤمن عورته ستر الله عورته ومن فرج عن مؤمن كربة فرج الله عنه كربته وخرج الامام أحمد من حديث مسلمة بن مخلد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من ستر مؤمنا في الدنيا ستره الله في الدنيا والآخرة ومن نجى مكروبا فك الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته فقوله صلى الله عليه وسلم من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة هذا يرجع الى ان الجزاء من جنس العمل وقد تكاثرت النصوص من هذا المعنى كقوله صلى الله عليه وسلم انما يرحم الله من عباده الرحماء وقوله ان الله يعذب الذين يعذبون الناس في الدنيا والكربة هي الشدة العظيمة التي توقع صاحبها في الكرب وتنفيسها أن يخفف عنه منها مأخوذ من تنفيس الخناق كأنه يرخى له الخناق حتى يأخذ نفسا والتفريج أعظم من ذلك وهو أن يزيل عنه الكربة فتنفرج عنه كربته ويزول همه وغمه فجزاء التنفيس التنفيس وجزاء التفريج التفريج كما في حديث ابن عمر رضي الله عنهما وقد جمع بينهما في حديث كعب بن عجرة رضي الله عنه وعن أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حق المسلم على المسلم خمس رد السلام وعيادة المريض واتباع الجنازة واجابة الدعوة وتشميت

العاطس متفق عليه والاحاديث في هذا الباب كثيرة جدا ولا ننكر ثبوت حق المسلمين بعضهم على بعض ولا منافاة بعضهم بعضا فيما يقدر عليه الخلق من سائر امور دهم الجارية بينهم وانما قولنا وارادتنا في عبادة الله وحده التي ليس لخلقه منها شئ البتة وذلك يوجب الاعتماد على الله في القول والاعتقاد الشامل جميع الأحوال ولهذا ذكر الله الاسباب وينهى عن الاعتماد عليها ويامر بان لا يرجى الا الله وحده كما قال تعالى لما أنزل الملائكة وما جعله الله الا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم وقال ان ينصركم الله فلا غالب لكم وان يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده وعلى الله فليتوكل المؤمنون وقد قدمنا ان الدعاء نوعان دعاء عبادة ودعاء مسئلة وكلاهما لا يصلح الا لله فمن جعل مع الله الها آخر قعد مذموما مخذولا والراجي سائل طالب فلا يصلح ان يرجو الا الله ولا يسأل غيره ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح ما أتاك من هذا المال وأنت غير سائل ولا مشرف فخذه ومالا فلا تتبعه نفسك والمشرف الذي يستشرف بقلبه والسائل الذي يسأل بلسانه وفي الحديث الذي في الصحيحين عن أبي سعيد الخدري قال أصابتنا فاقة فجئت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لاسأله فوجدته يخطب الناس وهو يقول أيها الناس والله مهما يكن عندنا من خير فلن ندخره عنكم وانه من يستغن يغنه الله ومن يستعفف يعفه الله ومن يتصبر يصبره الله وما أعطى أحد عطاء خيرا وأوسع من الصبر والاستغناء أن لا يرجو بقلبه أحدا فيستشرف اليه ولهذا كان الغنى غنى القلب كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ليس الغنى عن كثرة العرض انما الغنى غنى النفس ولهذا قيل

اذا رزقت من الدنيا قناعة * فأنت ومالكها سواء

والاستعفاف أن لا يسأل بلسانه أحدا ولهذا لما سئل الامام أحمد بن حنبل عن التوكل فقال قطع الاستشراف الى الخلق أي لا يكون في قلبك ان أحدا يأتيك بشئ فقيل له فما الحجة في ذلك فقال قول الخليل لما قال له جبريل هل لك من حاجة فقال أما اليك فلا فهذا وما يشبهه مما يبين ان العبد في طلب ما ينفعه ودفع ما يضره لا يوجه قلبه الا الى الله ولهذا قال المكروب لا اله الا أنت ومثل هذا ما في الصحيحين عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول عند الكرب لا اله الا الله العظيم الحليم لا اله الا الله رب العرش العظيم لا اله الا الله رب السموات ورب الارض ورب العرش الكريم فان هذه الكلمات فيها تحقيق التوحيد ومسئلة العبد به وتعلق رجائه به وحده لا شريك له وهي لفظ خبر يتضمن الطلب والناس وان كانوا يقولون بألسنتهم لا اله الا الله فقول العبد مخلصا من قلبه له حقيقة أخرى وبحسب تحقيق التوحيد تكمل طاعة الله فيتيقن محقق التوحيد العامل بالطاعة انه لا نفع ولا ضر ولا عطاء ولا منع الا من الله وحده فان سأل مخلوقا شيأ يقدر عليه الخلق من امور دهم الجارية بينهم فحصل له ما سأله أو منع منه كان نظره الى الخالق في انه سبحانه المعطي لهذا المسؤل ما أسداه وحببه اليه وقواه عليه أو لم يقدر منه شيأ بل كره دفعه اليه فمنعه عنه وان يكن الدفع واجبا فمنعه المسؤل قادرا عليه عوقب شرعا مع بقائه مكلفا مختارا لعموم خطاب الشرع له ومع جواز سؤال الخلق بعضهم بعضا مما يقدرون عليه من أمورهم الدنيوية فسؤال الله دون خلقه مطلقا هو المتعين عقلا وشرعا وذلك من وجوه متعددة (منها) * أن السؤال فيه بذل لماء الوجه وذلة للسائل وذلك لا يصلح الا لله وحده وهذا هو حقيقة العبادة التي تختص بالاله الخالق كلهم ولهذا كان الامام أحمد يقول في دعائه اللهم كما صنت وجهي عن السجود لغيرك فصنه عن المسئلة لغيرك وفي هذا المعنى يقول بعضهم

ما اعتاض

ما اعتاض باذل وجهه بسؤاله * بدلا وان نال الغنى بسؤال
واذا السؤال مع النوال وزنته * رجح السؤال وخف كل نوال
فاذا ابتليت ببذل وجهك سائلا * فابذله للمتكرم المفضال

ولهذا المعنى كان عقوبة من أكثر المسئلة بغير حاجة ان يأتى يوم القيامة وليس على وجهه مزعة لحم كما ثبت ذلك فى الصحيحين لانه أذهب عز وجهه وصيانته وماءه فى الدنيا فاذهب الله من وجهه فى الآخرة جماله وبهاءه المعنوى فلا يبقى له عند الله وجاهة وقد بايع النبى صلى الله عليه وسلم جماعة من الصحابة أن لا يسألوا الناس شيأ منهم الصديق وأبوذر وثوبان فكان أحدهم يسقط سوطه أوخطام ناقته فلا يسأل أحدا أن يناوله رضى الله عنهم ﴿ومنها﴾ ان سؤال الله عبودية عظيمة لانها اظهار للافتقار اليه واعتراف بقدرته على قضاء الحوائج وفى سؤال المخلوق ظلم لان المخلوق عاجز عن جلب الخير لنفسه ودفع الضر عنها فكيف يقدر على ذلك لغيره وسؤاله اقامة له مقام من يقدر وليس هو بقادر ويشهد لهذا المعنى الحديث الذى فى صحيح مسلم عن أبى ذر عن النبى صلى الله عليه وسلم ياعبادى لوان أولكم وآخركم وانسكم وجنكم قاموا فى صعيد واحد فسألونى فأعطيت كل انسان مسألته مانقص ذلك مما عندى الا كما ينقص المخيط اذا أدخل البحر وفى الترمذى وغيره زيادة فى هذا الحديث وذلك بانى جواد واجد ماجد أفعل ماأريد عطائى كلام وعذابى كلام اذا أردت شيأ فانما أقول له كن فيكون فكيف يسأل الفقير العاجز ويترك الغنى القادر ان هذا لاعجب العجب ﴿ومنها أن الله﴾ يحب أن يسأل ويغضب على من لا يسأله فانه يريد من عباده أن يرغبوا اليه ويسألوه ويدعوه ويفتقروا اليه ويحب الملحين فى الدعاء ﴿ومنها﴾ ان الله يستدعى من عباده سؤله وينادى كل ليلة هل من سائل فاعطيه سؤله هل من داع فاستجيب له وقد قال تعالى واذا سألك عبادى عنى فانى قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان فاى وقت دعاه العبد وجده سميعا قريبا مجيبا ليس بينه وبينه حجاب ولا بواب ﴿واما قول﴾ كم وقوله من الشرك أن يستغيث بغير الله أو يدعو غيره فنقول ان أراد بالاستغاثة التى جعل مرتكبها كافرا الاستغاثة به على اعتقاد أن غيره تعالى قادر بقدرته مؤثرة على جلب نفع له أودفع مضرة عنه فلا شبهة فى كفر من يعتقد ذلك وان أراد مطلق الاستغاثة يكون المرتكب مشركا فغير مسلم اذ لاشك فى ان للعبد قدرة كاسبة وما فعل من فعل فهو بتأثير الله وكسب من العبد وحال دعاء غيره تعالى قد علم مما تقدم آنفا والآية المذكورة فى معرض الاستدلال لا تصلح له دليلا ﴿فنقول هذا مما يؤيد ماقلناه من ان صاحب المقدمة انما يقول من عند ياته وانه لم يعلم معانى كلام الله وآياته وسنة الرسول وأصحابه وماقاله أهل اللغة فى معنى الاستغاثة من انها طلب الغوث من الغير قال اهل اللغة المستغاث به هو المطلوب منه الغوث والمستغيث هو الذى يطلب الاغاثة من غيره وكذلك ماذكره النحاة كلهم فى باب الاستغاثة وما نقلوه عن العرب من الفرق بين المستغاث به والمستغاث من أجله كقولهم يالله للمسلمين بفتح لام المستغاث به وخفض لام المستغاث من أجله ومنه قول المهاجرى ياللمهاجرين وقول الانصارى ياللانصار فاستغاث هذا بالمهاجرين وهذا بالانصار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم فالمستغاث به عندهم هو الذى يدعى ويسئل ويطلب منه الغوث والمنادى هو داعى المنادى لكن فرقوا بين دعاء المستغاث به وغيره كما فرقوا بين دعاء الندبة وغيره كقوله ياحسرتا على مافرطت وقولهم يا ابتاه ياعمراه ونحو ذلك مما يلحقون فى آخره ألفا لاجل مد الصوت اذ النادب الحزين يمد صوته وهو يندب

ماقدفات فيمد الصوت فى آخر دعائه كقوله يا أسداه يا ركناه يا أبتاه حتى قالوا يا أمير المؤمنيناه يا عبد
الملكاه اذ نداء الندبة يقوله الانسان عند حدوث أمر عظيم و يقوله للتعجب كقول سارة حين بشرت
باسحق يا ويلتى بخلاف المستغيث فانه يدعو المستغاث به كما يدعو غيره فيقول يا زيد كقوله يا زيد
لكن دل بهذه الصيغة انه يطلب منه الاعانة على مهمه من أموره مطلقا بخلاف النداء المجرد فانه
لا يدل على ذلك فالمستغيث بالشئ داعيه مع زيادة طلب الاغاثة ومن المعلوم بالاضطرار من لغة العرب
وهو موجود فى جميع الكتب المتداولة التى يذكر فيها مثل هذا فى كتب اللغة والنحو والتفسير
ودواوين العرب وغير ذلك أن المستغيث بالشئ هو الذى يطلب منه الغوث وهم يقولون استغثته
واستغثت به كما يقولون استعنته واستعنت به ودعوته ودعوت به وبين المعنيين فرق لطيف وهو انهم اذا
عدوه بنفسه لاحظوا انه فاعل الغوث بنفسه واذا عدوه بالباء لاحظوا انه معين على ذلك فكأنه اذا قال
استغثت فلانا قال طلبت منه ان يغيثنى واذا قال استغثت به تضمن معنى استغثته واستغثت به على ان
يغيثنى فالباء فيه متضمنة معنى كتبت بالقلم فالاستغاثة عامة فى المعنى الاستغاثة وزيادة هذا هو معناها
فى القرآن فى قوله تعالى اذ تستغيثون ربكم أى تستجيرون به من عدوكم وتطلبون منه الغوث والنصر
عليه وكذلك السنة فى قوله صلى الله عليه وسلم والله لا يأخذ أحدكم شيأ بغير حقه الا لقى الله يحمله يوم
القيامة فيأتى أحدكم يوم القيامة بشاة يحملها على رقبته لها يعار فيقول يا محمد فاقول لا أملك لك شيأ قد
بلغت ويأتى ببعير يحمله على رقبته له رغاء فيقول يا محمد فاقول لا أملك لك من الله شيأ قد بلغت رواه
البخارى فالمستغاث به مسؤول مطلوب * ومن المعلوم ضرورة ان ماجاء به الرسول صلى الله عليه وسلم لم
يشرع فيه للامة ان تدعو أحدا من الاموات لا الانبياء ولا الصالحين ولا غيرهم لا بلفظ الاستغاثة ولا
غيرها ولا بلفظ الاستعاذة ولا غيرها كما انه لم يشرع لها السجود لغيره تعالى بل نهى عن ذلك كله
واخبر انه من الشرك المنافى لما جاء به لكن لغلبة الجهل وقلة العلم بآثار الرسالة جعل ذلك مما لا بأس به
ولهذا عمت دعوة الاموات والاستغاثة بهم عند نزول الكربات يسألونهم ويستجيرون بهم ويتضرعون
اليهم فكان ما يفعلونه بالاموات أعظم من عباداتهم واعتقادهم فى رب الارض والسموات لانهم انما
يقصدونهم فى ضرورة نزلت بهم فيدعونهم دعاء المضطرين ولقضاء حاجاتهم منهم أو بهم راجين بخلاف
عباداتهم لله ودعائهم اياه فانما يفعلونه على وجه العادة واشتراط صاحب المقدمة اعتقاد قدرة
مؤثرة على جلب نفع له أو دفع مضرة عنه دال على عدم معرفته أقسام الشرك الموجب للكفر
الاعتقادى وخلود أهله فى النار فان ذلك المشروط انما هو شرك الملاحدة القائلين بقدم العالم وأبديته
وانه لم يكن معدوما أصلا بل لم يزل ولا يزال والموجد للحوادث أسباب أثرت فيها واقتضت ايجادها هى
بنفسها أو شرك القدرية القائلين بان الحيوان توجد منه قدرة على خلق أفعال نفسه وانها تحدث
بدون مشيئة الله تعالى أو شرك الجهمية والقرامطة الذين لم يبقوا لله اسما ولا صفة ولا قدرة تامة بل
جعلوا المخلوق له قدرة مؤثرة واما تعطيل معاملته تعالى عما أوجب على عبيده والشرك فيها فليس عنده
من ذلك تمييز ولا معرفة والحاجب له عن ذلك شهود القيومية التى يشترك فيها وفى معرفتها المؤمن
والكافر والبر والفاجر وأما شهود الالوهية التى دعت اليه الرسل حيث أمروا بعبادة الله وحده وطاعته
فان العبد اذا فتحت عين بصيرته له فرق بينه وبين قسيمه الاول ففعل ما أمر به وترك مانهى عنه وعلم
حكم المأمور به فعلا وتركا كفرا أو معصية والمنهى عنه كذلك ووالى أولياء الله وعادى أعداءه وصار

على ملة ابراهيم ودين محمد صلى الله عليه وسلم ومن لم يقل بالفرق بين القسمين كان خارجا عن حقيقة الايمان كما أنه خارج عن شريعة الاسلام فليس معه حقيقة ايمانية ولا شريعة اسلامية وانما معه حقيقة خلقية قد أقر بها عباد الاصنام الذين هم مشركون وذلك ان شهود القيومية بلا جمع بينه وبين شهود الالوهية ممتنع طبعا وشرعا اذ لا يغنى أحدهما عن الآخر فمن لم يشهد الفرق الشرعى الالهى كان مع الفرق الطبيعى النفسانى أو فرق شيطانى ومن لم يعبد الرحمن عبد الشيطان ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين الى قوله فبئس القرين وذكر الرحمن يراد به الذكر الذى أنزله الله كما قال تعالى فاما يأتينكم منى هدى فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى الى قوله وكذلك اليوم تنسى فمن أعرض عن هدى الله الذى أرسل به رسله وأنزل به كتبه فلم يفرق بين ما أمر الله به وما نهى عنه كان معرضا عن ذكره المنزل فيقيض له شيطانا يصده عن سبيل الله فيقول ويعمل بمجرد هواه ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ولو كان مثل هذا ذكر الله ولم يشهد الا القيومية العامة لم يشهد ما جاء به الكتاب المنزل بل يكون من أعظم أتباع الشياطين الخارجين من الدين كما تخرج الشعرة من العجين ومع كون العبد له قدرة وقوة كسبية لا يخرج من مشيئة رب البرية فلا يستغاث به فيما لا يقدر عليه الا الله ولا يستعان به ولا يتوكل عليه فيه ولا يطلب من الغائب أو الميت ما يطلب من الحى الحاضر فليس فى المخلوقات شئ ينفع ويضر استقلالا اذ ليس فيها ما يستقل باحداث غيره ونفعه ولا يفعل شيأ الا باذن الله كما ليس فيها من يعطى ويمنع بهذا الاعتبار وكان من أسمائه تعالى المعطى المانع الضار النافع وكان النبى صلى الله عليه وسلم يقول فى دبر كل صلاة اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطى لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد وكان يقول فى رقيته اذهب الباس رب الناس لا شفاء الا شفاؤك وفى رواية لا شافى الا أنت شفاء لا يغادر سقما وكذلك النفع والضر المعتاد كالصحة والمرض والغنى والفقر والامن والخوف واليسر والعسر الحقيقيين لا يفعله رسول ولا غيره وهذا ليس يخفى على عموم المؤمنين فضلا عن علمائهم وان وقع فى كثير من ذلك ما وقع من العامة ونحوهم ممن ينتسب الى الزهد والصلاح فهؤلاء وأمثالهم حقهم ان يرجعوا الى العلم الموروث عن الرسول صلى الله عليه وسلم وتكون عباداتهم وأعمالهم مقيدة بالشريعة النبوية والعلم الموروث لا بما يخطر لهم من الآراء والاهواء قال سبحانه وتعالى أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله وفى الصحيحين من حديث عائشة عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال من أحدث فى أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد وفى رواية من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد وقال عبد الله بن مسعود وأبى بن كعب اقتصاد فى سنة خير من اجتهاد فى بدعة وقد اتفق المسلمون على انه ليس لاحد ان يعبد الله بما أحبه ورآه بل لا يعبده الا بما كان عبادة عند الله وهى العبادة الشرعية ودين الاسلام مبنى على أصلين ﴿أحدهما﴾ ان لا نعبد الا الله ﴿الثانى﴾ أن نعبده بما شرع لا نعبده بالبدع كما قال الفضيل بن عياض فى قوله تعالى ليبلوكم أيكم أحسن عملا قال أخلصه وأصوبه قالوا يا أبا على ما أخلصه وأصوبه قال ان العمل اذا كان خالصا ولم يكن صوابا لم يقبل واذا كان صوابا ولم يكن خالصا لم يقبل حتى يكون خالصا والخالص أن يكون لله والصواب أن يكون على السنة ولهذا قال الامام أحمد ان أصول الاسلام تدور على ثلاثة أحاديث حديث الحلال بين والحرام بين الحديث وحديث انما الاعمال بالنيات الحديث وحديث من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد وذلك أن الدين فعل ما أمر الله به وترك ما نهى الله عنه فالمنهى عنه ذكره فى حديث الحلال بين والحرام

بين والمأمور به أمران عمل باطن وهو اخلاص الدين لله وعمل ظاهر وهو ماشرع لنا من واجب ومستحب وأهل الضلال كالمشركين والنصارى يفارقون هذين الاصلين يعبدون غير الله ويبتدعون عبادة لم يأذن بها الله كما ذكر الله ذلك عنهم فى سورة الانعام والاعراف وبراءة وغيرهن من السور وقد أمرنا الله أن نقول فى صلاتنا اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين وصح عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال اليهود مغضوب عليهم والنصارى ضالون وهم مبتدعون والمشركون يذهبون الى ماذهب اليه الضالون ابتدعوا ايشرعون دينا لم يأذن به الله فهم يدعون غير الله ويستغيثونه بما لا يقدر عليه الخالق فلا يكون عملهم لله خالصا ولا للشريعة موافقا وبذلك كانوا ضالين فان قيل يجوز ان يكون لفظ الاستغاثة بغير الله بمعنى التوسل ففى قول المستغيث أستغيث برسول الله وبفلان الولى اى أتوسل برسول الله أو بالولى ويصح حينئذ أن يقال تجوز الاستغاثة فى كل ما يطلب من الله بالانبياء والصالحين بمعنى انه يجوز التوسل بهم فى ذلك ويصح لفظا ومعنى * الجواب ان هذا باطل من وجوه أحدها أن لفظ الاستغاثة فى الكتاب والسنة وكلام العرب انما هو مستعمل بمعنى الطلب من المستغاث به فقول القائل استغثت فلانا واستغثت به بمعنى طلبت منه الاغاثة لا بمعنى توسلت به وقد اتفق من يعتد به من أهل العلم على ان الاستغاثة لا تجوز بغير الله فيما لا يقدر عليه الا الله وقول القائل استغثت به بمعنى توسلت بجاهه هذا كلام لم ينطق به أحد من الامم لا حقيقة ولا مجازا ولم يقل أحد مثل هذا ولا معناه لا مسلم ولا كافر والقائل أستغيث بفلان عندك ان تفعل بى كذا وكذا ناطق بما لم ينطق به أحد فى اللغة بل ولا من سائر الامم الثانى انه لا يقال استغثت اليك يا فلان بفلان ان تفعل بى كذا وانما يقال استغثت بفلان ان يفعل بى كذا فاهل اللغة يجعلون فاعل المطلوب هو المستغاث به نفسه ولا يجعلون المستغاث به واحدا والمطلوب آخر فالاستغاثة طلب منه لا به وقولهم بالله للمسلمين أحدهما مطلوب والآخر مطلوب له لا مطلوب به الثالث ان من سأل بشئ أو توسل به لا يكون مخاطبا له ولا مستغيثا به لان قول السائل المتوسل أتوسل اليك يا الهى بفلان انما هو خطاب لله لا لذلك المتوسل به بخلاف المستغاث به فانه مخاطب مسؤل منه الغوث فيما سأل من الله فحصلت المشاركة فى سؤال ما لا يقدر عليه الا الله وكل دعاء شرعى لا بد أن يكون الله هو المدعو فيه كالادعية التى جاء بها الكتاب والسنة مما قص الله عن عباده الصالحين من أهل السموات والارضين ومما شرعه لعباده المؤمنين ومما أخبر به عن خلقه واحتج به عليهم فى ان لا يعبدوا غيره كما قال تعالى ولقد نادانا نوح فلنعم المجيبون. ونجيناه وأهله من الكرب العظيم وقال ونوحا اذ نادى من قبل فاستجبنا له ونجيناه من الكرب العظيم وقال عن ابراهيم رب اغفر لى ولوالدى وللمؤمنين والمؤمنات وقال رب هب لى حكما وألحقنى بالصالحين واجعل لى لسان صدق فى الآخرين الآية الى غير ذلك من الآيات الدالة على هذا المعنى فالاستغاثة بالنبى صلى الله عليه وسلم أو بغيره من الانبياء والصالحين وغيرهم فى كل ما يستغاث الله فيه على معنى انه وسيلة من وسائل الله قول لم يقل به أحد من علماء المسلمين ولا من الصحابة ولا التابعين ولا تابعيهم ولا أئمة الفتيا المعتد بهم ولا علماء الحديث والتفسير بل قائل هذا القول مفتر على الله ملبس على المسلمين ولا يخرج مدلول كلام ذلك فى اللغة المعروفة عن أن يكون كفرا اذ معناه طلب الاغاثة والتخليص من جنس الكربة والشدة سواء كان طلب ذلك من الخالق أو المخلوق واذا كان كذلك فهذا القول يقتضى انه يطلب من المخلوق الحى أو الميت ازالة

الامراض

الامراض والاسقام وكشف الجدب والقحط بانزال المطر واسقام الانام وكشف كل شدة وتفريج كل غمة والنصر على الاعداء فى الدين وازالة الكفار والمشركين وذلك هو الكفر برب العالمين والمضاهاة للنصارى والمشركين مع اعتقاد هذا المستغيث السائل ان لمن استغاثه وسأله من المخلوقين قدرة كاسبة وان سائر فعله كائن بتأثير الله وكسب من العبد ولكنه سأله ما استغاث فيه ملاحظا وجه المسؤل اما نفس المخلوق المستغاث أو على معنى ان جاهه قادر على تحصيل ما طلب منه استقلالا ولا يخرج مدلول استغاثته عن أن يكون مسؤلا مأمولا هو بنفسه ما طلب منه مما لا يقدر عليه الا الله زيادة على اعتقاده قدرة الجاه على ايجاد المطلوب وتحصيله الرابع ان لفظ التوسل والتوجه ومعناهما يراد به أن يتوسل الى الله و يتوجه اليه بدعاء الانبياء والصالحين وشفاعتهم عند خالقهم فى حال دعائهم اياه فهذا هو الذى جاء فى ألفاظ السلف من الصحابة رضوان الله عليهم كما فى صحيح البخارى ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه استسقى بالعباس وقال اللهم انا كنا اذا أجدبنا توسلنا اليك بنبينا فتسقينا وانا نتوسل اليك بعم نبينا فاسقنا فيسقون فهذا اخبار عن عمر رضى الله عنه عما كانوا يفعلون وتوسل منهم بدعاء العباس كما كانوا يفعلون بدعاء النبى صلى الله عليه وسلم وكذلك معاوية بن أبى سفيان لما استسقى باهل الشام توسل بدعاء يزيد بن الاسود الجرشى وهذا هو الذى عناه الفقهاء فى كتاب الاستسقاء فى قولهم يستحب ان يستسقى بالصالحين واذا كانوا من أقارب رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو أفضل وكذلك الاعمى الذى أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال ادع الله أن يعافينى قال ان شئت دعوت لك وان شئت صبرت فهو خير لك قال ادع لى فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه ويدعو بهذا الدعاء اللهم انى أسألك وأتوجه اليك بنبيك سيدنا محمد نبى الرحمة محمد انى أتوجه بك الى ربى فى حاجتى هذه لتقضى اللهم فشفعه فى" وقد طلب من النبى صلى الله عليه وسلم الدعاء ليشفعه الله بدعائه صلى الله عليه وسلم كما طلب الصحابة من النبى الاستسقاء فدعا الله له وأمره صلى الله عليه وسلم ان يسأل الله قبول شفاعته فيه وقوله يا محمد انى أتوجه بك الى ربى فى حاجتى هذه لتقضى خطاب لحاضر معاين فى قلبه كقولنا فى صلاتنا السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته وكاستحضار الانسان محبه أو مبغضه فى قلبه فيخاطبه بما يهواه بلسانه وهذا كثير فى لسان الخاصة دون العامة ومعناه أتوجه اليك بدعاء نبيك أو شفاعته المشتملة على الدعاء لى ولهذا قال فى تمام الحديث اللهم شفعه فى وهذا متفق على جوازه وقد مضت السنة ان الحى يطلب منه الدعاء كما يطلب منه سائر ما يقدر عليه سواء كان بلفظ الاستغاثة أم بغيرها ومنه ما قص الله عن الاسرائيلى المستغيث بموسى على القبطى فى قوله تعالى فاستغاثه الذى من شيعته على الذى من عدوه فوكزه موسى أو كاستشفاع الامة من أهل الموقف بالانبياء والطواف عليهم يسألونهم أن يشفعوا الى الله من أهل الموقف عامة وأما المخلوق الغائب أو الميت فلا يستغاث ولا يطلب منه ما لا يقدر عليه الا الله ألبتة ﴿الخامس﴾ أن التوسل فيه اجمال واشتراك بحسب الاصطلاح فمعناه فى لغة الصحابة والتابعين طلب الدعاء من النبى أو الصالح أو التوجه بدعائه كما تقدم عنهم ودعاؤه صلى الله عليه وسلم من أعظم الوسائل عند الله وأما معناه فى لغة هؤلاء المعاندين فهو أن يسأل الله عز وجل بذات ذلك المخلوق ويقسم عليه تعالى به أو يسأل ذلك المخلوق نفسه على معنى انه وسيلة من وسائل الله يتقرب بذاته ويسأل منه شفاعته والله تعالى واحد لا شريك له فى عبادته ولا فى معاملته بل هو أحد صمد متعال عن الانداد والاضداد ولا يقسم عليه تعالى بشئ من مخلوقاته فلا

يقال أقسمت عليك يارب بنبيك أو بجاهه ولا بملائكتك ولا بعبادك الصالحين ولا بكعبتك كما لا يجوز القسم بهذه الاشياء وبمجرد ذوات الانبياء والصالحين ومحبة الله لهم وحصول الجاه لهم عنده ليس بها ما يوجب حصول مقصود السائل بلا سبب بينه وبينهم من محبتهم وطاعتهم واتباعهم فيما جاءت الرسل به فيثاب على ذلك ويكون محبا لله طائعا أمره راضيا عنه فيستجيب له ويزيده من فضله ويقبل دعاءهم له وشفاعتهم فيه كما قال جل شأنه ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله وعلامة محبة الله اتباع الرسول في كل ما جاء به قال تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم فاما بمجرد سؤاله بهم وبجاههم من غير اتباع لما جاء به الرسول فلا ينفعه وان عظم جاه المسؤل به عند الله ولا ينال نصيبا من شفاعته لوجود المنافي الذي هو عدم الاتباع فيما جاء به الرسول من التوحيد لا له كل العبيد ومع عدم المنافي ووجود التوحيد فلا نقول ان سؤال الله بأحد من خلقه كفر بل مكروه كراهة تحريم على الاصح كما قال به جمهور العلماء لما فيه من الاقسام على الله بخلقه وهو تعالى لا يقسم عليه بشئ من المخلوقات ولكن كثير من الناس تعود ذلك كما تعود الحلف بهم حتى يقول أحدهم وحقك على الله أو وحق هذه الشيبة على الله والله انما يقسم عليه باسمائه وصفاته كما قال جل شأنه ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها وكالاحاديث الواردة في السنن عن بريدة بن الحصيب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع رجلا يقول اللهم انى اسألك بأنك أنت الله لا اله الا أنت الاحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد فقال لقد سألت بالاسم الذي اذا سئل به أعطى واذا دعي به أجاب أخرجه أبو داود وغيره وأخرجه أبو حاتم في صحيحه ولفظه عن بريدة أنه كان مع النبي صلى الله عليه وسلم في المسجد فاذا رجل يصلي ويدعو اللهم انى اسألك بانى أشهد أن لا اله الا أنت الاحد الصمد وذكر الحديث بتمامه وفي السنن عن أنس أنه كان مع النبي صلى الله عليه وسلم جالسا في حلقة ورجل قائم يصلي فلما ركع وسجد وتشهد دعا فقال في دعائه اللهم انى أسألك بان لك الحمد لا اله الا أنت الحنان المنان بديع السموات والارض ياذا الجلال والاكرام ياحي ياقيوم فقال النبي صلى الله عليه وسلم أتدرون بما دعا فقالوا الله ورسوله أعلم فقال والذي نفسي بيده لقد دعا الله باسمه الاعظم الذي اذا دعي به أجاب واذا سئل به أعطى رواه أبو داود وغيره ورواه أبو حاتم في صحيحه واللفظ له عن أنس ومن قال أسألك بايماني بك وبرسولك ومحبتي له ونحو ذلك فقد أحسن قال تعالى في دعاء المؤمنين ربنا اننا سمعنا مناديا ينادي للايمان أن آمنوا بربكم فآمنا الآية وقال تعالى الذين يقولون ربنا اننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار وقال تعالى عن الحواريين ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين وكان ابن مسعود رضي الله عنه يقول اللهم انك أمرتني فاطعتك ودعوتني فاجبتك فاغفر لي ومن هذا الباب حديث الثلاثة الذين أصابهم المطر فآووا الى الغار فانطبقت عليهم الصخرة ثم دعوا الله باعمالهم ففرج عنهم الحديث في الصحيحين عن ابن عمر وأما توسل السائل في قوله اللهم انى أسألك بمعاقد العز من عرشك ففيه قولان للعلماء قال الشيخ أبو الحسن القدوري في كتابه المسمى بشرح الكرخي المعروف والمشهور عنه وقد عقد فيه فصلا في باب الكراهية ونقل فيه عن بشر بن الوليد أنه قال سمعت أبا يوسف يقول قال أبو حنيفة رضي الله عنه لا ينبغي لأحد أن يدعو الله الا به وأكره أن يقول بمعاقد العز من عرشك أو بحق خلقك وهو قول أبي يوسف فانه قال بمعاقد العز من عرشك هو الله فلا أكره هذا وأكره بحق فلان أو بحق أنبيائك ورسلك وبحق البيت والمشعر الحرام قال

القدوري المسئلة بخلقه تعالى لا يجوز لانه لا حق للمخلوق على الخالق فلا تجوز وقاله البلدجي في شرح المختار أيضا ﴿ وأما حديث أبي سعيد أسألك بحق السائلين عليك وبحق ممشاي هذا فقد رواه عطية العوفي وفيه وهن ومع تقدير ثبوته انما هو سؤال الله بافعاله لان حق السائلين ان يجيبهم وحق المطيعين ان يثيبهم كقوله وكان حقا علينا نصر المؤمنين وقوله وعدا عليه حقا في التوراة والانجيل والقرآن وقوله كتب ربكم على نفسه الرحمة وقوله صلى الله عليه وسلم في حديث معاذ بن جبل حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيأ وحق العباد على الله اذا فعلوا ذلك أن لا يعذبهم أو هو سؤاله باعمالهم لان المشي الى الطاعة وسؤاله امتثالا لأمره عمل طاعة وذلك من أعظم الوسائل المأمور بها في قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة وقد أجمع العلماء انها القربة ولا قربة أعظم من عمل الطاعة والله أعلم ﴿ وأما قولكم وقوله من الشرك ارادة الانسان بعمله الدنيا فنقول لا شبهة في ان مرتكبه عاص بقصده آثم لكن لا يكون بهذا مشركا وما ذكره في معرض الاستدلال على مدعاه من قوله تعالى من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم أعمالهم فيها ومن الحديث ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم تعس عبد الخميصة تعس عبد الخميلة ان أعطى رضي وان لم يعط سخط تعس وانتكس واذا شيك فلا انتقش الحديث لا دلالة فيه على ما ادعاه نعم فيه دلالة على قبح حاله ولا شك انه آثم عاص فيما ارتكبه من هذا القصد لا يقال هو كبيرة مرتكبها كافر لانا نقول هذا مذهب الخوارج المارقين من الدين كما تقدم ﴾ فنقول أيضا مما يوضح ما قلناه من ان صاحب المقدمة لم يعرف الشرك وأقسامه ولم يتأمل ماذا يقول في كلامه اذ قد نفى الشرك عمن عمل عملا يبتغي به ثواب الآخرة مريدا به غير وجه الله وعمن فرغ قلبه ولسانه للدنيا وما حوته من زينتها وأمتعتها مقبلا بكليته عليها ومعرضا عن الله ورحمته وما يوصل اليها زاعما صاحب المقدمة ان ذلك لا يسمى الا معصية مجردة عن الشرك فلا هو سببها ولا مسماه في هذا الباب يراد فهاتم انه لم يفهم معنى الآية والحديث وما قاله أهل العلم في القديم والحديث من المفسرين وشراح الحديث فلذلك تجلى له وهمه وخاطبه كفا حاطنه انه ليس قصدنا من الترجمة وذكر الآية والحديث الا الشرك الأكبر والكفر المخلد في النار الموجب لأنواع الشر فصدق ما قاله علينا ظنه واخطأ المعنى فهمه وذلك ان قوله سبحانه وتعالى من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها الآية نزلت في كل من عمل عملا يريد به غير الله قاله المفسرون منهم أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي في كتابه معالم التنزيل وروى فيه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر قالوا يا رسول الله وما الشرك الأصغر قال الرياء وحكاه البكري تلخيصا من السنة في معنى الآية ان المرائي لا ثواب له في عمله وانما يعجل له حظه في الدنيا من صحة وسعة لا ينقص منه شيأ وهذا مع مشيئة الله وارادته كقوله سبحانه من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد الآية وقوله من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه الآية ثم ان كان المرائي مسلما ففعله ذلك ذنب كبير يؤاخذ به الا ان يرحمه الله وان كان كافرا عجل له ما سبق ويقطع له بالخزي في الآخرة وقال العوفي عن ابن عباس ان أهل الرياء يعطون بحسناتهم في الدنيا وذلك انهم لا يظلمون نقيرا فمن عمل صالحا من صوم أو صلاة أو تهجد في الليل لا يعمله لا لالتماس الدنيا يقول الله أوفيه الذي التمسه من الدنيا وأحبط عمله في الآخرة وهو من الخاسرين وروى ذلك عن مجاهد وغيره قالوا ان هذه الآية نزلت في أهل الرياء وقال ابن عباس في رواية

عطاء من كان يريد عاجل الدنيا فلا يؤمن بالبعث والثواب والعقاب وقال أنس والحسن نزلت في اليهود والنصارى وقال قتادة من كانت الدنيا همه ونيته وطلبته جازاه الله في الدنيا بحسناته ثم يفضي الى الآخرة وليس له حسنة يجازى بها هذا في الكافر وأما المؤمن فارادته الآخرة غالبة فيجزى في الدنيا بحسناته ويثاب عليها في الآخرة وذلك قوله نوف اليهم أعمالهم فيها وفي حديث أنس المرفوع الى النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ان الله لا يظلم المؤمن حسنة يثاب عليها الرزق في الدنيا ويجزى بها في الآخرة وأما الكافر فيطعم بحسناته في الدنيا حتى اذا قبض الى الآخرة لم يكن له حسنة يعطى بها خيرا انتهى فاذا عمل المؤمن عملا يبتغي به غير الله فاما ان يعمله ملتمسا به منه تعجيل أمر من أمور الدنيا كصحة وعافية وكالذى يعبد الله ليكثر ماله وولده أو يكرمه في الدنيا أو يسلمه من آفاتها لا امتثالا لامره تعالى واجلالا لعظمته وقياما بحق عبوديته لان العمل لذلك من أعلى درجات الاخلاص واما أن يعمله ملتمسا به اكتساب محمدة عند الناس أو محبة ومدح منهم فيظهر في عمله التصنع لهم فالأول داخل في عموم قول ابن عباس في رواية العوفي عنه ان معنى الآية فيمن عمل صالحا لا يعمله الا لالتماس الدنيا يقول الله فيه أوفيه الذى التمسه من الدنيا وأحبط عمله في الآخرة وهو من الخاسرين فلا ثواب له في عمله ذلك ﴿فان قيل﴾ باقي الآية وهو قوله أولئك الذين ليس لهم في الآخرة الا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون دال بصريحه على ان المقصود منها الكفار المنكرون للبعث واشباههم أو اليهود والنصارى كما هو قول ابن عباس في رواية عطاء ان من كان يريد عاجل الدنيا فلا يؤمن بالبعث والثواب والعقاب وقول أنس والحسن انها نزلت في اليهود والنصارى ﴿الجواب﴾ ان منكرى البعث واليهود والنصارى وسائر أنواع الكفار لا يخرجون عن مضمون معنى الآية وغيرها من سائر القرآن ان من رغب عن الله وما عنده من الجزاء لأوليائه المؤمنين وعصى رسله واتبع هواه مريدا للدنيا وزينتها ومؤثرها على اتباع أوامره تعالى واجتناب مناهيه رائى في عمله أو لم يراء انه ليس له في الآخرة الا النار وحبط ما صنعوا فيها أى ذهب ما عملوا في الدنيا من حسنة لانهم وقت البعث والجزاء لم يروا لها ثوابا وباطل ما كانوا يعملون أى ماحق مضمحل وعبر أولا بالحبوط باعتبار وقت حصول المأمول وثانيا بالبطلان باعتبار وقت العمل وهى في المؤمن العامل لارادة الحياة الدنيا وزينتها زجر وتهديد لحبوط ثواب ما عمله وخسرانه في الآخرة واستحقاقه دخول النار بذلك الا ان يرحمه الله ويغفر له والاشارة ترجع اليه بهذا المعنى ولهذا قال ابن عباس في الرواية الأخرى عنه وغيره ان هذه الآية فيمن عمل صالحا من صلاة وصوم ونحوهما لالتماس شئ من الدنيا والا فقد تواترت الأخبار الصحيحة والنقول الصريحة من كلام الله وسنة رسوله ان المؤمن العاصى لا يخلد في النار وأكثر الصحابة وأهل العلم من المفسرين وغيرهم على ان هذه الآية نازلة في المرائى بعمله والثاني أعنى من يعمل ملتمسا بعمله اكتساب محمدة عند الناس ونحوها فهو أكبر من الأول لان العبادات هنا باطلة من أصلها مع بطلان ثوابها فان كانت فرضا لا تصح منه ولا تجزئه مع مقارنة الرياء أول العبادة وفعلها لاجله وهذا هو الذى ذكره مجاهد وغيره ان الآية نزلت فيه ولما ذكر لمعاوية حديث أبي هريرة حديث الثلاثة الذين أول من تسعر بهم النار وهم الذى تعلم العلم ليقال عالم وتصدق ليقال جواد وجاهد ليقال شجاع بكى معاوية بكاء شديدا ثم قرأ هذه الآية فالعمل لغير الله شرك سواء كان لارادة الدنيا هى بنفسها او للسلامة من آفاتها لا لامتثال الأمر والقيام بحق العبودية أو لالتماس محمدة أو محبة ومدح من أهلها وقد عقدت

الترجمة لذلك مقصودا بها الشرك الاصغر وصريح كلام صاحب المقدمة نافى الشرك عن هذا العمل زاعما انا نكفر به لانه كبيرة والخوارج يكفرون بها وقد نسبنا اليهم والى مذهبهم وما هذا الاجراءة وبهتان وقول زور وطغيان * لانا نقول لاشك انه شرك أصغر وهو كبيرة لورود الوعيد والعقوبة على فاعله بنص التنزيل والاحاديث الصحيحة المتواترة المشهورة والمصونة عن الاباطيل لكن فاعل الكبائر اذا مات موحدا لايخلد فى النار ولا يكفر صاحبها بمجرد فعلها قال سبحانه وتعالى ان الله لا يغفران يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء ولحديث عبادة بن الصامت المتقدم ذكره وحديث أبى ذر وغيره المتفق عليه ولان الشرك الاصغر دون الاكبر فيدخل تحت المشيئة والآية واردة فى الشرك الاكبر بخصوصه على ان طائفة من العلماء مشوا فى الآية على ظاهرها للعموم فقالوا ان الشرك الاصغر لا يغفر الا بالتوبة منه والا فلا بد من تطهير فاعله فى النار ثم يخرج منها كبقية أهل الكبائر لان الآية نص فى عدم غفران الشرك من حيث هو لكن الاكبر اهله مخلدون بنص الكتاب والسنة والاصغر اهله مسلمون بنصهما غير محكوم على صاحبه بالكفر واطلاق الآية فى عدم غفرانه فارق بينه وبين سائر المعاصى التى هى دونه قابلة للغفران والجواب عن ذلك ماتقدم من انه داخل فى الدون فهو تحت المشيئة ويصدر من خواص الامة ولا قائل بوجوب العذاب والحكم به عليهم اذ لا يسلم منه غالبا الا من عصمه الله وهم الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ولأن الغفران اضمحلال الذنب ومحوه وهو عدم وجوده وبقاؤه موجب للعذاب مابقى وذلك مخالف للقاعدة فى ان أهل الكبائر لا يخلدون لان خروجهم منها بعد دخولها بالذنب لأمرين ﴿الاول﴾ منهما ان الذنب الذى استحق به دخول النار قابل للمغفرة وان لم يوجد الدخول ﴿الثانى﴾ وجود الايمان الذى ماتوا عليه بخلاف الذنب الذى لا يغفر فانه يقتضى العذاب الاليم أبدا ولا يضمحل بعذاب مرتكبه لانه غير قابل للمغفرة قبل العذاب وكل مالا يقبل المغفرة قبل العذاب لا يضمحل بوجوده ألا ترى الى عذاب الكفار قال سبحانه كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب وليس هنا ذنب غير قابل المغفرة الا الشرك الاكبر فانه لا يغفر بل يعذب أهله العذاب الاكبر فتعين ان يكون الشرك الاصغر ذنبا كبيرا كبقية الذنوب التى تقبل الغفران من علام الغيوب ومن الدليل أيضا على ان المريد بعمله غير الله يكون مشركا قوله سبحانه وتعالى فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا ولما فى المتفق عليه من حديث جندب بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سمع سمع الله به ومن راآى راآى الله به وفى المتفق عليه أيضا من حديث عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما الاعمال بالنيات ولمسلم من حديث أبى هريرة فى الثلاثة الذين أول من تسعر بهم النار وله أيضا من حديثه مرفوعا قال الله أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا أشرك فيه غيرى تركته وشركه وله أيضا من حديث أبى سعيد مرفوعا الا أخبركم بما هو أخوف عندى عليكم من المسيح الدجال قالوا بلى يارسول الله قال الشرك الخفى يقوم الرجل فيصلى فيحسن صلاته لما يرى من نظر الرجل اليه وأخرج أبو يعلى عن ابن مسعود مرفوعا من حسن الصلاة حيث يراه الناس واساءها حيث يخلو فتلك استهانة استهان بها ربه عز وجل وأخرج الامام أحمد والترمذى وابن ماجه من حديث أبى سعيد بن أبى فضالة الانصارى قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا جمع

الله الأولين والآخرين ليوم لاريب فيه نادى منادٍ من كان أشرك فى عمل عمله لله أحدا فليطلب ثوابه من عند غير الله فان الله أغنى الشركاء عن الشرك وأخرج البزار باسناد لا بأس به عن أنس مرفوعا تعرض أعمال بنى آدم بين يدى الله عز وجل فى صحف مختمة فيقول الله ألقوا هذا واقبلوا هذا فتقول الملائكة يارب والله مارأينا منه الاخيرا فيقول ان عمله كان لغير وجهى ولا أقبل من العمل الا ما أريد به وجهى ﴿اذا علم ذلك﴾ فالمشركون فى هذا الباب يتفاضلون فيه تفاضلا عظيما كتفاضل المؤمنين فى حقيقة الايمان وتفاضلهم فيه بحسب مقاصدهم ولهذا كان الشرك فى هذه الأمة أخفى من دبيب النمل والقيام بحق العبودية انما يتم بانقطاع القلب الى الله وتعلقه به فكلما التفت العبد الى غيره وأعرض عنه كان فيه من العبودية لذلك الغير بحسب تعلقه به وانقطاعه اليه ففى الصحيح عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال تعس عبد الدرهم تعس عبد الدينار تعس عبد القطيفة تعس عبد الخميصة تعس وانتكس واذا شيك فلا انتقش ان أعطى رضى وان لم يعط سخط فسماه النبى صلى الله عليه وسلم عبد الدرهم وعبد الدينار وعبد القطيفة وعبد الخميصة وذكر فيه ما هو بصيغته وخبر بمعناه والانتقاش اخراج الشوكة مما هى فيه وهذه حال من عبد المال وامتعة الدنيا فرغب فيها ومال اليها واعرض عن الله لم يفلح واذا أصابه شر لم يخرج منه لكونه تعس وانتكس هلك وخاب فلا نال المطلوب ولا خلص من المكروه وقد وصف ذلك بأنه اذا أعطى رضى واذا منع سخط كما قال تعالى ومنهم من يلمزك فى الصدقات فان أعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون لغير الله فرضاهم وسخطهم لغير الله وهذا حال عبد ما يهواه من ذلك فهو رقيق له والرق عبودية وكلما استرق القلب واستعبده من الامور فالقلب عبده ورقيقه ولهذا يقال العبد حر ما قنع والحر عبد ما طمع ومنه قول القائل

قصدت الشام أطلب مستقرا * فلم أجد لى بأرض مستقرا
أطعت مطامعى فاستعبدتنى * ولو انى قنعت لكنت حرا

ويقال الطمع غل فى العنق وقيد فى الرجل فاذا زال الغل من العنق زال القيد من الرجل ويروى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه قال الطمع فقر واليأس غنى وان أحدكم اذا أيس من شئ استغنى عنه وهذا مشاهد فان ما لا طمع فيه اذا أيس منه القلب لا يطلبه ولا يطمع فيه فلا يبقى فقيرا اليه رقيقا له الا عاشق الصورة وقد يحصل مع الاياس أيضا وقال الخليل صلاة الله وسلامه عليه فابتغوا عند الله الرزق وذلك أن العبد لابد له من رزق وهو محتاج اليه فان طلبه من الله كان عبدا لله فقيرا اليه وان طلبه من مخلوق كان عبدا لذلك المخلوق فقيرا اليه ولهذا كانت مسئلة المخلوق محرمة فى الاصل وانما تباح عند الضرورة وقد ورد النهى عنها فى أحاديث كثيرة مذكورة فى الصحاح والمسانيد والسنن كقوله صلى الله عليه وسلم لا تزال المسئلة بأحدهم حتى يأتى يوم القيامة وليس على وجهه مزعة لحم وقال من سأل الناس وله ما يغنيه جاءت مسئلته يوم القيامة خدوشا أو خموشا أو كدوحا فى وجهه وقوله لا تحل المسئلة الا لذى غرم مقطع أو دم موجع أو فقر مدقع وهذا المعنى فى الصحيح وفيه أيضا لان يأخذ أحدكم حبله فيذهب فيحتطب خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه وقد تقدم الكلام على هذا مبسوطا فى بحث الدعاء فطمع العبد فى ربه ورجاؤه منه يوجب عبوديته له واعراض القلب عن الله وعن رجائه يوجب انصراف قلبه عن عبوديته لاسيما من كان يرجو المخلوق ولا يرجو الخالق بحيث

يكون قلبه معتمدا اما على رياسته وجنوده وأتباعه ومماليكه واما على أهله وأصدقائه واما على أمواله وذخائره واما على ساداته وكبرائه كمالكه وملكه وشيخه ومخدومه وغيرهم ممن هو حي قد مات أو يموت قال الله تعالى وتوكل على الحي الذي لا يموت وسبح بحمده وكفى به بذنوب عباده خبيرا وكل من علق قلبه بالمخلوقين أن يرزقوه أو ينصروه أو يهدوه خضع قلبه لهم وصار فيه من العبودية لهم بقدر ذلك وان كان في الظاهر أميرا لهم مدبرا لهم متصرفا بهم فالعاقل ينظر الى الحقائق لا الى الظواهر فالرجل الذي قد تعلق قلبه بامرأة ولو كانت مباحة له يبقى قلبه أسيرا لها تحكم فيه وتتصرف بما تريد وهو في الظاهر سيدها لانه زوجها وفي الحقيقة هو أسيرها ومملوكها لا سيما اذا علمت بفقره اليها وعشقه لها وأنه لا يعتاض عنها بغيرها فانها حينئذ تحتكم فيه حكم السيد القاهر الظالم في عبده المقهور الذي لا يستطيع الخلاص منه بل أعظم فان أسر القلب أعظم من أسر البدن واستعباد القلب أعظم من استعباد البدن لان من استعبد بدنه واسترق وأسر لا يبالي اذا كان قلبه مستريحا من ذلك مطمئنا بل يمكنه الاحتيال في الخلاص من ذلك وأما استرقاق القلب واستعباده لغير الله فهو الذل والأسر والاسترقاق المحض وما العبودية الا ما استعبد القلب واسترقه وأسره وهذا هو الذي يترتب عليه الثواب والعقاب فان المسلم لو أسره كافر أو استرقه فاجر بغير حق لم يضره ذلك مع قيامه بما يقدر عليه مما أمر به من الواجبات ولهذا من استعبد بحق فادى حق الله وحق مواليه فله اجران ولو أكره على الكفر فتكلم به وقلبه مطمئن بالايمان لم يضره ذلك وهذا بخلاف ما استعبد قلبه لغير الله فصار رقيقا له فهذا هو الضار في الدين المنقص عن درجة الموحدين وان كان ملك الناس ظاهرا فالحرية في هذا الباب حرية القلب والعبودية عبوديته كما أن الغنى غنى القلب وهذا اذا استعبدت صورة مباحة قلبه فكيف بالمحرمة كالمرأة الاجنبية او الصبي الامرد او الدرهم او الدينار المحرم فهذا هو العذاب الأليم دنيا ودينا والعاشق لصورة اذا بقي قلبه متعلقا بها او استعبدته رقيقا لها اجتمع عليه من أنواع الشر والفساد ما لا يحصيه الا رب العباد ولو سلم من فعل الفاحشة الكبرى فدوام تعلق القلب بها بلا فعلها أشد ضررا ممن يفعل ذنبا ثم يقلع عنه ويتوب منه ويزول من قلبه أثره اذ تعلق القلب بالفواحش والظلم والشرك والكذب وابتغاء العلو في الارض موجب لبقاء عبودية القلب لها ما بقي متعلقا بها وهو رقيق أيضا لمن يعينه عليها وان كان دونه رتبة والامور الدنيوية نوعان منها ما يحتاج اليه العبد كاحتياجه الى طعامه وشرابه ومسكنه ومنكحه ونحو ذلك فهذا يطلبه من الله ويرغب اليه فيه كما قال تعالى وابتغوا عند الله الرزق ويكون المال عنده بهذا النوع يستعمله في حاجته بمنزلة دابته التي يركب عليها او بساطه الذي يجلس عليه بل بمنزلة الكنيف الذي يقضي فيه حاجته فلا هو عبده بذلك ولا رقيقه ومنها ما لا يحتاج اليه فهذا لا ينبغي له أن يعلق قلبه بها لانه اذا تعلق قلبه بها أقبل بكليته عليها وأعرض عن الله فصار عبدا لها وربما يكون معتمدا على غير الله فيها فلا تبقى معه حقيقة العبادة لله ولا حقيقة التوكل عليه بل فيه شعبة من العبادة لغير الله وشعبة من التوكل على غير الله فهذا من أحق الناس بقوله صلى الله عليه وسلم تعس عبد الدرهم تعس عبد الدينار تعس عبد القطيفة تعس عبد الخميصة وهذا هو عبد هذه الامور وان طلبها من غير الله وهو يسخط ان منعها او يعتمد فيها على غيره لعدم اقباله على الله ورضاه ما رضيه له وانما عبد الله من يرضيه ما يرضي الله ويسخطه ما يسخط الله ويحب ما يحب الله ورسوله ويبغض ما يبغضه

الله ورسوله ويوالي أولياء الله ويعادي أعداء الله هذا هو الذي يستكمل الايمان كما في الحديث من أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الايمان لا من أحب لغير الله وسخط لغيره واعتمد على غير الله وتوكل على غيره وعمل لغيره فان قلبه رقيق عبد لذلك الغير مشرك به شاء أم أبى * وأما قولكم وقوله ماشاء الله وشئت وتضليل قائله وتفريعه عليه تضليل من قال

يا أكرم الخلق مالى من ألوذ به * سواك عند حلول الحادث العمم

فنقول حاشاه ثم حاشاه من الضلال والعجب ثم العجب من جراءتك على السلف وتضليل الصالحين الذين قد شاع وذاع بل ملأ الاسماع علمهم وصلاحهم وزهدهم بل ان كان صاحب بردة المديح مشركا فليس على وجه الارض موحد وقد علمت أن الواجب على كل مسلم حمل كلام هذا الرجل الصالح الورع الزاهد وامثاله على محمل حسن وحسن الظن بالمسلمين واجب ايضا مع ظهور ان الحصر الذى فى هذا البيت وأمثاله اضافى بالنسبة الى المخلوق والمعنى مالى من ألوذ به من المخلوقات لاجل الشفاعة سواك وليت شعرى ما الذى حملك على تضليل هذا الرجل الذى قد توفاه الله قبل ان تخلق باعوام عديدة أى عداوة حصلت بينك و بينه أم على أى خصومة لاجلها تعاميت عن هذا الوجه الظاهر الصحيح الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وحملت كلامه على محمل بعيد غير لائق بحال آحاد عوام الناس وهو الحمل على الحصر الحقيقى حتى حكمت بتضليله بسبب هذه المقالة وما اشبهها من قول صاحب البردة * وان يضيق رسول الله جاهك بى * الابيات كما نقلها عنه اذ لاشك ان مراده منها ان يضيق جاهك عن الشفاعة لى وهذا ظاهر جدا فالويل بل كل الويل لمن يحكم بتضليل اساطين هذه الأمة بامثال هذه التمويهات ويظهر الطعن فى السلف الصالح لجلب قلوب العوام أو لحب رياسة أو عصبية أو لغرض من الاغراض الفاسدة * فنقول أما قول القائل ماشاء الله وشئت أو ماشاء الله وشاء فلان فقد ورد النهى عنه فيما رواه النسائى وصححه عن ابن عباس رضى الله عنهما ان رجلا قال للنبى صلى الله عليه وسلم ماشاء الله وشئت فقال النبى أجعلتنى لله ندا بل قل ماشاء الله وحده وعن حذيفة بن اليمان رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تقولوا ماشاء الله وشاء فلان ولكن قولوا ماشاء الله ثم شاء فلان رواه أبو داود بسند صحيح وعن الطفيل أخى عائشة لامها قال رأيت كانى اتيت على نفر من اليهود قلت أنكم لانتم القوم لولا أنكم تقولون عزير ابن الله قالوا وأنتم القوم لولا أنكم تقولون ماشاء الله وشاء محمد ثم مررت بنفر من النصارى فقلت انكم لانتم القوم لولا أنكم تقولون المسيح ابن الله قالوا وانكم لانتم القوم لولا أنكم تقولون ماشاء الله وشاء محمد فلما أصبحت أخبرت بها من أخبرت ثم أتيت النبى صلى الله عليه وسلم فاخبرته فقال هل أخبرت بها احدا قلت نعم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد فان طفيلا رأى رؤيا اخبر بها من أخبر منكم وانكم قلتم كلمة كان يمنعنى كذا وكذا ان أنهاكم عنها فلا تقولوا ماشاء الله وشاء محمد ولكن قولوا ماشاء الله وحده رواه ابن ماجه باسناد قوى وعن قتيلة بن معبد الجهنى أن يهوديا أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال انكم تشركون تقولون ماشاء الله وشئت وتقولون والكعبة فامرهم النبى صلى الله عليه وسلم اذا ارادوا ان يحلفوا ان يقولوا ورب الكعبة وان يقولوا ماشاء الله ثم شئت رواه النسائى وصححه وروى ابن أبى حاتم فى مستدركه

عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله سبحانه وتعالى فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون قال هو الشرك أخفى من دبيب النمل على صفاة سوداء فى ظلمة الليل ومنه قول الرجل لصاحبه ما شاء الله وشئت ولولا الله وفلان وقال أبو عبد الله الند هو الضد والله تعالى منزه عن الاضداد والأمثال المتخذين من دونه أو معه ذكره أهل التفسير واثبات الله سبحانه المشيئة للعباد فى قوله تعالى لمن شاء منكم أن يستقيم قال المفسرون فى معناه لمن شاء منكم بدل من العالمين باعادة الجار يقول سبحانه وتعالى ما القرآن الا موعظة للخلق أجمعين ثم أبدل منهم لمن شاء منكم أن يستقيم على الحق والايمان بدل بعض من كل ومعناه ان القرآن انما يتعظ به من استقام على الحق ثم رد سبحانه وتعالى المشيئة الى نفسه فقال وما تشاؤن الا أن يشاء الله رب العالمين فاعلمهم ان المشيئة فى التوفيق اليه وانهم لا يقدرون على ذلك الا بمشيئة الله وتوفيقه وهذا اعلام منه تعالى بان الانسان لا يعمل خيرا الا بتوفيق الله له ولا شرا الا بخذلانه وقد ذكر عبد الله بن المبارك عن سعيد بن عبد العزيز عن سلمان بن موسى قال لما نزلت لمن شاء منكم ان يستقيم قال أبو جهل الأمر الينا ان شئنا استقمنا وان شئنا لم نستقم فانزل الله عز وجل وما تشاؤن الا أن يشاء الله رب العالمين وقال عبد الله بن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ان الضمير فى من شاء أى فمن شاء الله ايمانه آمن ومن شاء كفره كفر فالمشيئة حقيقة لله وحده ومشيئة العبد تحت مشيئة الله وقدرته وارادته خيرها وشرها وحسنها وقبيحها ولا يخرج شئ عن مشيئته وقدرته تعالى فان العبد وأعماله مخلوقة لله قال تعالى والله خلقكم وما تعملون وأعمال العبد كسب له فالله خالق لا مكتسب والعبد مكتسب لا خالق هذا مذهب أهل السنة والله تعالى يحاسب العبد بميل هواه واختياره المعصية وميله اليها وله الحجة البالغة لا يسئل عما يفعل ولو شاء لهدى الناس أجمعين ونهى الشارع صلى الله عليه وسلم عن التشريك فى مشيئة الخالق والمخلوق بالواو دليل على الحضر به اذ قد صرح الأصوليون بان حد النهى استدعاء كف بالقول على سبيل الوجوب وهو الحتم وانه دال على فساد المنهى عنه فى العبادات سواء نهى عنها لعينها كعبادة الحائض أو لأمر لازم لها كالصلاة أوقات النهى وصوم يوم العيد أو لأمر مطلق على أصح الوجهين كالوضوء بماء مغصوب والبيع وقت نداء الجمعة وفى المعاملات أيضا سواء رجع النهى الى نفس العقد كبيع الحصاة أو الى أمر داخل فيه كالنهى عن بيع الملاقيح وهو ما فى بطون الأمهات أو الأمر بالشئ نهى عن ضده والنهى عن الشئ أمر بضده فاذا قال اسكن كان ناهيا له عن التحرك أو لا تتحرك كان آمرا له بالسكون فتعين أن يكون النهى عن التشريك أمرا بالتوحيد وذلك منصرف الى الوجوب اذ هو متحتم على كل أحد كالنهى فى قوله تعالى قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم أن لا تشركوا به شيأ وبالوالدين احسانا ولا تقتلوا أولادكم من املاق نحن نرزقكم واياهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق فكل هذا النهى وما فى معناه متضمن الحتم على الخلق عن المنهى عنه سواء كان كفرا أو معصية وقول القائل ما شاء الله وشئت معصية بعد النهى الوارد عن هذه الصيغة بالواو ولا يكفر مرتكبها الا أنه مشرك شركا أصغر يجب الكف عنه والتوبة منه تغليبا لجانب أصل الايمان المستصحب على وجود المعصية الصادرة ممن حكم باسلامه وفاعل المعصية المتلبس بها ضال ما لم يتب منها ويتحاد عنها فالعبادات التى شرعها الله كلها تتضمن اخلاص الدين وقوامه كله لله تحقيقا لقوله تعالى وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة

وذلك دين القيمة فقوله

يا أكرم الخلق مالى من ألوذ به * سواك عند حلول الحادث العمم

أولى بنهى النبى صلى الله عليه وسلم ذلك الرجل عن قوله ما شاء الله وشئت من وجوه ﴿منها﴾ ان الرسول صلى الله عليه وسلم مبعوث بتحقيق هذا التوحيد وتحريره ونفى الشرك بكل وجه حتى فى الالفاظ كقوله لا يقولن أحدكم ما شاء الله وشاء محمد بل ما شاء الله وحده وكقوله للرجل القائل ما شاء الله وشئت أجعلتنى لله ندا بل ما شاء الله وحده ﴿ومنها﴾ ان الله سبحانه أثبت لعباده مشيئة كقوله لمن شاء منكم أن يستقيم وقوله لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر وكان لله الشفاعة لمن شاء من خلقه فيمن رضى عنه بعد اذنه فالعبد له مشيئة كسبية ولابد ولكنها تحت مشيئة الله وارادته لا توجد الا بها ولا تصدر الا عنه اذ هو الخالق تعالى لافعال العباد كلها وهو الباعث مقام المحمودية للنبى صلى الله عليه وسلم مقاما محمودا الذى يحمده فيه الأولون والآخرون وهو المشفع فيمن رضى عنه من أمته بخلاف الامور والتصرفات الكونيات التى أسندها سبحانه الى نفسه كقوله بل لله الأمر جميعا وقوله يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والامر يومئذ لله وما يكون الاله لا يسند لغيره لا حقيقة ولا مجازا الا فى الشفاعة ولا فى غيرها مما لا يقدر على وجوده الا الله وهو متوقف على اذنه تعالى ورضاه فلا يقال فيه لأحد من الخلق مالى من ألوذ به سواك اذ الأمر كله لله والشفاعة كلها له لعدم وجودها من النبى وغيره الا من بعد اذن الله له صلى الله عليه وسلم ورضا الله عن المشفوع له كغيره من سائر الشفعاء واسناد الشفاعة للانبياء أو غيرهم انما هو باعتبار وتحقق الاذن لهم فيها لمن رضى الله عنه وارتضى عمله والسائل لم يحقق فى نفسه وجود الشرطين المعتبرين فلا يعلم أهو ممن يأذن الله فيه أم لا وهل هو ممن ارتضى أم لا فتعين عليه صرف همته وعزائم أمره فى طلب ما هو السبب الموصل والمقتضى من الاعمال الباطنة والظاهرة لرضاء عنه والاذن فيه ولهذا قال النبى صلى الله عليه وسلم فى الحديث الذى رواه أبو هريرة عنه أسعد الناس بشفاعتى يوم القيامة من قال لا اله الا الله يبتغى بها وجه الله وفى رواية خالصا من قلبه وقال صلى الله عليه وسلم لربيعة بن كعب الاسلمى خادمه وقد سأله مرافقته فى الجنة فأعنى على نفسك بكثرة السجود فكل ما كان الرجل أتم اخلاصا لله عاملا بطاعته كان أحق بالشفاعة وكل ما كان مشغوفا بالتعلق على أحد من المخلوقين يدعوه ويرجوه كان أبعد الناس عن الشفاعة ﴿ومنها﴾ أن سلف الأمة وأئمتها ومن تبعهم من أهل السنة والجماعة قد اتفقوا على ان النبى صلى الله عليه وسلم لا يسأل فى قبره بعد موته لا استغفارا ولا شفاعة ولا غيرهما وقالوا ان الشفيع يطلب من الله ويسأله ولا تنفع الشفاعة الا باذنه قال تعالى من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه ولا يشفعون الا لمن ارتضى وكم من ملك فى السموات لا تغنى شفاعتهم شيأ الا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى وقد ثبت فى الصحيح أن سيد الشفعاء صلى الله عليه وسلم اذا طلبت منه الشفاعة بعد أن تطلب من آدم وأولى العزم نوح وابراهيم وموسى وعيسى فيردونها الى محمد صلى الله عليه وسلم العبد الذى غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر قال فاذهب الى ربى فاذا رأيته خررت ساجدا فاحمد ربى بمحامد يفتحها على لا أحسنها الآن فيقول أى محمد ارفع رأسك وقل يسمع وسل تعط واشفع تشفع فأقول رب أمتى أمتى فيحد لى حدا فادخلهم الجنة فالشفاعة كلها لله وهو تعالى غنى عن العالمين وهو وحده يدبرهم كلهم فما من شفيع الا من بعد اذنه لانه الذى يأذن للشفيع فى الشفاعة وهو الذى يقبل

شفاعته كما ألهم الداعي الدعاء ثم يجيب دعاءه فالأمر كله له واذا كان العبد يرجو شفعاء من المخلوقين فقد لا يختار ذلك الشفيع أن يشفع له وان اختار فقد لا يأذن الله له في الشفاعة ولا يقبل شفاعته فيه قال تعالى قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه ان عذاب ربك كان محذورا قال طائفة من السلف كان قوم يدعون العزير والمسيح والملائكة شفعاءهم فأنزل الله هذه الآية وأخبر فيها أن هؤلاء المسؤلين يتقربون الى الله ويبتغون مرضاته ويرجون رحمته ويخافون عذابه وانهم لا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا فلا يملكون الشفاعة من دونه ولا يشفعون الا باذنه لمن رضي عنه وأفضل الخلق محمد ثم ابراهيم صلى الله عليهما وعلى سائر الأنبياء وسلم وقد منعوا من الاستغفار لمن لم يرض عنه والا ارتضى عمله وما ذاك الا انه تعلق على غير الله وأعرض بقلبه عنه فلم يخلص قلبه ولسانه بل ما أجد واجتهد في دعاء غير الله ورجائه فيما لا يقدر عليه الا الله واما شابه وفرغ قلبه ولسانه فيما هو الموقع في الشرك نفسه مما هو الأصل في علة عبادة الأصنام الذين قال الله عنهم والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وقال تعالى أم اتخذوا من دون الله شفعاء الى قوله قل لله الشفاعة جميعا له ملك السموات والأرض وقال تعالى أفحسب الذين كفروا أن يتخذوا عبادي من دوني أولياء الآية فحسمه سبحانه عن غيره في عدة مواضع من القرآن وعلق على وجوده اذنه للشافع ورضاه عن المشفوع له حسما لمادة الاشراك وقطعا لمادتهم في علته من رجاء الشفاعة والتقريب فكيف عن المعلول ويعمل فيما جاء به الرسول فيكون الدين كله لله وقد ثبت في الصحيح ان أبا هريرة قال يا رسول الله أي الناس أسعد بشفاعتك يوم القيامة قال يا أبا هريرة لقد ظننت أن لا يسألني عن هذا الحديث أحد أول منك لما رأيت من حرصك على الحديث أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا اله الا الله يبتغي بها وجه الله ومعلوم ان اخلاص هذه الكلمة الطيبة ابتغاء وجه الله هو تجريدها من شوائب الشرك فلا يأله القلب أحدا غير الله فمن علق قلبه على غير الله وتوكل عليه كان فيه من الشرك بحسب ذلك التعلق قل أو كثر دق أو جل فان دعاه ورجاه والتجأ اليه فيما وجوده لا يكون الا من الله فلا يقدر عليه حتى المسئول لا يناله الا منه فهذا الداعي الراجي من أبعد الناس من الشفاعة لتألهه مع الله فان أخلص قائل الكلمة الطيبة عمله لله وعلق قلبه ولسانه على الله كان من أحق الناس بالشفاعة واذا أملها ورجاها من الله وسأله أن يشفع فيه نبيه ووليه حقق الله أمله واستجاب سؤاله فقبل له وشفع فيه حيث مات قائلا لا اله الا الله خالصا من قلبه مبتغيا بذلك وجه الله فانه سبحانه يستجيب للذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله والفاسق لا يخرج بفسقه عن حكم الاسلام الموجب للتوارث والمناكحة والولاية الاسلامية فلا يخرج به عن حد الشفاعة لان هذا مذهب الخوارج المنكرين للشفاعة مستدلين بقوله تعالى ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع وأما سلف الامة وأئمتها ومن تبعهم من أهل السنة والجماعة فاثبتوا ما جاءت به السنة عن النبي صلى الله عليه وسلم من شفاعته لأهل الكبائر من أمته وغير ذلك من أنواع شفاعته وشفاعة غيره من الأنبياء والملائكة وقالوا انه لا يخلد في النار من أهل التوحيد أحد قالوا وثبوت الشفاعة بالوصف لا بالشخص اذا لم يقع عليه التعيين من النبي صلى الله عليه وسلم كما وصف عليه الصلاة والسلام الذين هم أسعد الناس

بشفاعته يوم القيامة وهم الذين يقولون لا اله الا الله يبتغون بها وجه الله الى ان لقوا الله وكما وصف أهل الكبائر من أمته ولم يبين شخصا من النوعين فى هذين الحديثين واذا كان كذلك تعين على الشخص دعاء الله أن يجعله من أهل الوصف الذين هم أسعد الناس بشفاعة النبى صلى الله عليه وسلم فان كان من أهل الكبائر فقد سأل الله أن يتوب عليه و يجعله من المخلصين واذا كان من المخلصين فقد رغب الى الله وسأله أن يزيده مما هو فيه من العمل الصالح والقول الراجح ويثبته عليه حتى يلقاه فينال السعادة الابدية ﴿ومنها﴾ ان هذه المقالة مشاكلة قول المشركين وعقيدتهم حيث اتخذوا من دون الله أولياء وشفعاء يشفعون لهم عنده و يقربونهم لديه كقوله تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى وكما دعوا العزير والمسيح والملائكة يقربونهم الى الله و يحببونهم اليه و يشفعون لهم لديه فرد عليهم وعابهم بذلك ولامهم عليه وأخبر ان الولاية كلها له فليس لخلقه من دونه ولى ولا نصير ولا شفيع الا من بعد اذنه وانه لا يأذن لهم بها الا لمن رضى عنه كقوله جل شأنه الله الذى خلق السموات والارض وما بينهما فى ستة أيام ثم استوى على العرش ما لكم من دونه من ولى ولا شفيع أفلا تتذكرون وقوله عن الملائكة بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون الا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون وقوله وكم من ملك فى السموات لا تغنى شفاعتهم شيأ الا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء و يرضى وقوله عن الرسل وله من فى السموات والارض ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون يسبحون الليل والنهار لا يفترون الى قوله وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحى اليه أنه لا اله الا أنا فاعبدون ﴿ومنها﴾ ان الله سبحانه وتعالى نفى الملك فى ذلك اليوم عن غيره فلا يملك أحد عن أحد شيأ ولا يغنى عنه شيأ يوم لا تملك نفس لنفس شيأ بل أخبر ان الامر كله له فقال والامر يومئذ لله وقال مالك يوم الدين وفى القراءة الاخرى ملك يوم الدين وقال سبحانه وتعالى اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم ان الله سريع الحساب والآيات فى هذا الباب كثيرة جدا وفى حديث أبى ذر الذى رواه مسلم قال الله يا عبادى انما هى أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم اياها فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن الا نفسه ﴿ومنها﴾ ان الله سبحانه وتعالى أمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن ينذر عشيرته الأقربين وانه لا يخلص أحدا منهم الا ايمانه بربه عز وجل وأمره أن يلين جانبه لمن اتبعه من عباد الله المؤمنين ومن عصاه من الخلق كائنا من كان فليتبرأ منه فقال عز وجل وأنذر عشيرتك الأقربين واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين فان عصوك فقل انى برىء مما تعملون وتوكل على العزيز الرحيم الذى يراك حين تقوم وتقلبك فى الساجدين انه هو السميع العليم وهذه النذارة الخاصة لا تنافى العامة بل هى فرد من أجزائها كما قال لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم فهم غافلون وقال لتنذر أم القرى ومن حولها وقال وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا الى ربهم ليس لهم من دونه ولى ولا شفيع لعلهم يتقون وفى صحيح مسلم والذى نفسى بيده لا يسمع بى أحد من هذه الامة يهودى ولا نصرانى ثم لا يؤمن بى الا دخل النار وروى البخارى ومسلم والترمذى والنسائى عن ابن عباس قال لما أنزل الله عز وجل وأنذر عشيرتك الأقربين أتى النبى صلى الله عليه وسلم الصفا فصعد عليه ثم نادى يا صباحاه فاجتمع الناس اليه بين رجل يجىء و رجل يبعث رسوله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا بنى عبد المطلب يا بنى فهر أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلا بسفح هذا الجبل تريد أن تغير عليكم

صدقتموني قالوا نعم قال فاني لكم نذير بين يدي عذاب شديد قال أبو لهب تبا لك سائر اليوم ما دعوتنا الا لهذا وفي رواية عنه ألهذا دعوتنا جميعا وفي رواية أخرى ألهذا جمعتنا فأنزل الله تبت يدا أبي لهب وروى البخاري عن عائشة قالت لما أنزل الله وأنذر عشيرتك الاقربين قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا فاطمة ابنة محمد يا صفية ابنة عبد المطلب يا عباس بن عبد المطلب لا أملك لكم من الله شيأ سلوني من مالي ما شئتم وروى مسلم والترمذي عن أبي هريرة قال لما أنزل الله هذه الآية وأنذر عشيرتك الاقربين دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فعم وخص فقال يا معشر قريش أنقذوا أنفسكم من النار يا معشر بني كعب أنقذوا أنفسكم من النار يا معشر بني هاشم أنقذوا أنفسكم من النار يا معشر بني عبد المطلب أنقذوا أنفسكم من النار يا فاطمة بنت محمد أنقذي نفسك من النار فاني والله ما أملك لكم من الله شيأ وخرجا في الصحيحين من حديث الزهري عن سعيد بن المسيب وأبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا بني عبد المطلب اشتروا أنفسكم من الله يا صفية عمة رسول الله ويا فاطمة بنت رسول الله اشتريا أنفسكما من الله لا أغني عنكما من الله شيأ سلاني من مالي ما شئتما وتفرد به البخاري عن معاوية عن زائدة عن أبي الزناد عن الاعرج عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه وقوله صلى الله عليه وسلم يا صفية عمة رسول الله يا فاطمة بنت رسول الله اشتريا أنفسكما من الله لا أغني عنكما من الله شيأ أمر منه عليه الصلاة والسلام لهما بالحقيقة في فعل الطاعة وعمل الايمان ونهي لهما عن الاتكال عليه مع وجودهما لانهما ان فارقت قوله مؤمنتين به عاملتين بما أمرهما وقد كانا غيرهما أيضا فلا يغني عن الله أحد كما لا يجير عليه أحد وقوله تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى ذكر جماعة من المفسرين ان هذه الآية في الشفاعة وهو قول علي والحسن وعطاء عن ابن عباس قال هو الشفاعة في أمته وقال محمد بن علي يا أهل العراق تزعمون أن أرجى آية في كتاب الله قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله وانا أهل البيت نقول ان أرجى آية في كتاب الله قوله تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى وهي والله الشفاعة ليعطينها في أهل لا اله الا الله حتى يقول يا رب رضيت وزدتني على أمتي في أمتي فكل هذا نؤمن به ونسلمه ولكن لا يخرج عما قاله أهل السنة والجماعة من أن ثبوت الشفاعة في أهل لا اله الا الله وهم الموصوفون بهذه الكلمة الطيبة فيرضيه ربه فيهم لا جلها لا بالشخص فلا نعين لأحد بعينه اذا لم يرد فيه نص فيتعين على كل أحد صرف همته ورجاؤه في تلك الكلمة الطيبة التي هي السبب في وجود الشفاعة مع الايمان بكل ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم لا في مجرد ذات النبي صلى الله عليه وسلم وشفاعته أهمل ما جاء به أو عمله لقوله تعالى ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع أفلا تتذكرون وقوله صلى الله عليه وسلم لصفية وفاطمة لا أغني عنكما من الله شيأ مع ايمانهما وعلمهما رضي الله عنهما يشير الى عدم الاتكال عليه وعلى شفاعته كما قدمناه انفا وأمرهما باخلاص العمل لله والدوام والاستمرار عليه وليكون توجههما واتكالهما على الله وغيرهما بالاولى (ومنها) ان هذه المقالة قد اتخذها أولو التزيي من العباد والزهاد وأولي العلم المتزيين به أوراداً يتلونها في الصباح والمساء بل جعلوها تضاهي كلام الله وذكره في البركة يتلونها ويتلونها عقب ما تبركا بها وبعد ختم كلام الله والصلاة على نبيه كذلك ويزعمون ان الختمة المقروءة من القرآن اذا لم تتل هذه المقالة عقبها ولا توجد في ضمنها فتلك الختمة ناقصة الثواب وليس لها رونق يزداد ويتزايد ولا أنس فيها

يحضر ويشاهدوا والويل كل الويل عندهم لمن عاب عليهم ذلك أو أنكر صنيعهم فيما هنالك فهم قد اتخذوه هادينا وقربة حتى في المسجد الحرام تجاه الكعبة طهره الله وصانه وجعل المتقين أولياءه وسكانه بل في كل آن ومكان والله يقول أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين مالم يأذن به الله وفي حديث عائشة الذي في الصحيح من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد (وقول) صاحب المقدمة العجب ثم العجب من جراءتك على السلف دعوى بغير علم وتعجب بلا فهم وتزكية على الله وحكم لمن قولهم غير مناسب في الشريعة والله بهم أعلم وثناء على ما اعتقدوه وتقريرًا لما قالوه في القصيدة من الاوراد ونشدوه لحصول البركة ورفع كل شدة ودليل ما قلناه فيه أمور (منها) مخالفة الكتاب والسنة اما الكتاب فقوله تعالى ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤلا وقوله تعالى فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا وأما السنة فأخرج مسلم في صحيحه من حديث عبد الرحمن ابن أبي بكرة عن أبيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان كان أحدكم مادحا أخاه لا محالة فليقل أحسب فلانا ان كان يرى انه كذا وكذا ولا أزكي على الله أحدا فقد أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لا نزكي على الله أحدا وأمرنا ان نقول في التزكية أحسبه كذا والله حسيبه ولا أزكي على الله أحدا ومما قالت أم العلاء رضي الله عنها لعثمان بن مظعون أخي رسول الله صلى الله عليه وسلم من الرضاعة وقد انتقل الى رحمة الله شهادتي عليك لقد أكرمك الله قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يدريك ان الله أكرمه قالت بأبي أنت وأمي والله لا أدري فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما عثمان فقد أتاه اليقين واني لارجو له الخير ووالله ما أدري وأنا رسول الله ما يفعل بي أخرجه البخاري وهو قد طعن علينا في عقيدتنا وعاب أمرنا ونهينا وزكاه على الله قاطعا علينا في صريح كلامه بما تخيله في باله وقام في ذهنه مما يهواه ومرامه فلذلك زكى على الله هذا الرجل الذي الله أعلم به وبأمره منا ومنه وعلمه وزهده فان وجدا ظاهرا فاسناد علم حقيقتهما او باطنهما الى الله أنسب وأصوب اذ ما من أحد يظهر انه منه حسن عمله الا الله والله أعلم به وقد انعقد اجماع أهل السنة على عدم الجزم لاحد بعينه بجنة أو نار الا من نص عليه النبي صلى الله عليه وسلم ولكن نرجو للمحسن ونخاف على المسيء حتى الكلام في سبيل الله المفضي الى الشهادة التي أثنى الله عليها في كتابه أسند النبي صلى الله عليه وسلم علمه الى الله كما في المتفق عليه من حديث ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال والذي نفسي بيده لا يكلم أحد في سبيل الله والله أعلم بمن يكلم في سبيله الا جاء يوم القيامة اللون لون الدم والريح ريح المسك اعلاما منه صلى الله عليه وسلم بان علم حقائق اعمال العباد وصلاحهم بصلاح نياتهم وأعمالهم وعلم ذلك عند الله سبحانه وتعالى ومع المعاملة بالظاهر فلا جزم ويتوقى كل كلام معلول مخالف (ومنها) تعليقه توحيد أهل الملة الحنيفية الذين قال الله فيهم كنتم خير امة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وقال عنهم نبيهم صلى الله عليه وسلم لا تزال طائفة من أمتي قائمة على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله على وجود توحيد هذا الرجل الواحد الذي الله أعلم به وبحقيقة أمره واثباته شركهم بشركه (ومنها) نفيه التوحيد عن جميع من على وجه الارض وتكفيرهم واثبات شركهم بوجود شرك رجل واحد ليس عند الامة نص فيه في قوله بل ان كان صاحب بردة المديح مشركا فليس على وجه الارض موحد فكلامه عرف قدره وعلم انه قد تعدى طوره (ومنها) تعليقه مستحيلا وجوده وهو نفي التوحيد عن جميع الامة واثبات شركهم على ممكن وهو

وجود شريك رجل واحد ليس عند الامة من حقيقة أمره نص اذا الرجل الواحد الذى ليس فيه نص قد وقد وأما الامة فلا بالنص القطعى ﴿ومنها﴾ اثباته الايهام فى تلك المقالة وانها تحتاج الى محمل حسن يليق بها او بقائلها والمقرر عند الامة المحفوظ عنها ان الكلام الموهم اذا لم يكن من كلام الله ورسوله المتشابه لا تجوز قراءته ولا النظر اليه بخلاف كلام الله ورسوله فيجب الايمان به وتلقيه وان لم يفهم معناه وهؤلاء يتخذون هذا الكلام الموهم أصلا فى عقيدتهم ويتلونه أورادا فى الصباح والمساء وبعد ختم القرآن فى كل آن ومكان (ومنها) مبادرة فهمه الذى قام فى ذهنه الى أن ما فهمناه من المقالة فى نفيه فيها ذات الخالق نفسه تعالى وتقدس ولذلك قال ان الحصر الذى فى هذا البيت وأمثاله اضافى بالنسبة الى المخلوق والمعنى مالى من ألوذ به من المخلوقات لاجل الشفاعة سواك ولم يعلم ويحقق أن هذا المفهوم معطل لا يقول به أحد بل ذات الله تعالى وتقدس ووجوده ثابت عند الخاص والعام حتى عباد الاصنام مقرون بخالقهم ورازقهم ومحييهم ومميتهم ومدبر أمورهم كما قررهم فى سورة يونس والمؤمنين والزخرف وأمثالها من السور التى أخبر الله فيها انهم يعرفون خالقهم ورازقهم فاقروا واعترفوا انه الله مدبر كل شئ ومليكه ولكن أشركوا معه فى عبادته وعطلوا معاملته الشاملة لاخلاص الوهيته وتكذيب رسله فيما جاؤوا به من عنده ومنهم من يكذبهم ظاهرا وباطنا ومنهم من يكذبهم ظاهرا وهو متيقن صدقهم باطنا كما قال جل شانه فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون وكما اختلفت أقوالهم فى الرسل كذلك اختلفت أقوالهم وآراؤهم فى الكتاب بين مكذب وقائل انه شعر انه سحر وكل ذلك لا يدل على انهم مكذبون بذات الله بل أقروا به تعالى وعرفوه ولكنهم لم يوحدوه والقصد بالقرآن والرسول توحيد الله بعبادته وافراده تعالى بمعاملته المختصة بجلاله من الاعمال الظاهرة والباطنة ونبذ ما خالفهما من الاقوال والافعال والاعتقادات فبذلك يحصل الايمان بهما واتباعهما ولا أعظم مخالفة من اعتقاد ما جاءا بخلافه ولم ينزل القرآن ويرسل الرسل الا بنفيه وليكون الدين كله لله والامر كله له والجاعل الدين أو بعضه لغير الله قولا أو فعلا أو اعتقادا لم يؤمن بالقرآن معنى وان آمن به لفظا ولم يؤمن بالرسول حقا وان آمن به ظاهرا وليس احتلافنا مع أعدائنا الا بذلك لانا نقول الدين كله لله والامر كله له فليس للخلق من دونه ولى ولا نصير قال سبحانه وتعالى ما لكم من دونه من ولى ولا شفيع أفلا تتذكرون وقال ان ينصركم الله فلا غالب لكم وان يخذلكم فمن ذا الذى ينصركم من بعده الآية وقال أفحسب الذين كفروا أن يتخذوا عبادى من دونى أولياء الآية وهم يقولون بل لهم ولى ونصير ويستدلون بقوله تعالى وابتغوا اليه الوسيلة وبقوله لهم ما يشاؤن وتقدم معنى ذلك فى بحثه فنحن حول هذه المسألة من أول أمرنا الى آخر عصرنا ندندن لا نشير الا اليها ولا نجاهد الا عليها مع انهم بدؤنا أولا ليرجعونا الى ما كنا عليه من عبادة الطين والاحجار من الشياطين ويأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون وقد قدمنا الكلام على قوله * يا أكرم الخلق مالى من ألوذ به * سواك وان هذه المقالة مردودة من أوجه تقدم ذكرها آنفا (ومنها) قوله ليت شعرى ما الذى حملك على تضليل هذا الرجل الذى قد توفاه الله قبل أن تخلق اعوام عديدة أى عداوة حصلت بينك وبينه أم على أى خصومة لاجلها تعاميت عن هذا الوجه الظاهر الصحيح الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وحملت كلامه على محمل بعيد غير لائق بحال آحاد عوام

الناس وهو الحمل على الحصر الحقيقي يعني به نفي ذات الله حتى حكمت بتضليله بسبب هذه المقالة الى قوله فالويل بل كل الويل لمن يحكم بتضليل أساطين هذه الامة بأمثال هذه التمويهات ويظهر الطعن في السلف الصالح لجلب قلوب العوام أو لحب رياسة أو عصبية أو لغرض من الاغراض الفاسدة نهو وقد قال فينا وافترى علينا تضليل هذا الرجل الذي قولنا فيه والله أعلم به منا ومن غيرنا الآن كلامه ذلك غير مناسب من مثله بل الواجب عليه وعلى جميع الخلق الانقطاع الى الله وتفويض الامر اليه والتوكل عليه والاستقامة على ما هو السبب في حصول شفاعته صلى الله عليه وسلم من الاعمال المرضية لرب العالمين والمقربة اليه في كل حين الشاملة خصال الايمان وأركان الاسلام فيكون كالذين حكى الله عنهم في القرآن انهم توسلوا اليه فيما يرضيه مما أمرهم به ونهاهم عن ضده في كتابه وعلى السنة رسله ولكن أبى الله أن يصلح بالحفظ الا كتابه أو يمنع بالعصمة الا رسوله والذي يعتري العقول اما قصدا واما شططا والواجب على كل مسلم يشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله أن يكون أصل قصده توحيد الله بعبادته واخلاص معاملته لله وحده لا شريك له وطاعة رسوله ويدور على ذلك ويتبعه أين وجده ويعادي فيه ويوالي فيه ونحن لم نعاد هذا الرجل ولم نحكم عليه بالضلال بل قولنا فيه الله أعلم وأولى به ولكن مقالته لا تقبل بل يكف عنها ويرد النهي عنها وعن أمثالها ولان الامر كله لله والخلق لا يغنون عن الحق شيأ بل من رحمه الله فهو المرحوم ومن أبعده فهو المبعد فلا أحد كائنا من كان يدخل الجنة الا بفضل الله ورحمته حتى الانبياء فغيرهم بالاولى وكل من حكم باسلامه شرعا فهو المسلم والله أعلم بعاقبة أمره فلا نشهد لمعين بالنار وان ارتكب المعاصي في الدنيا لامكان انه تاب أو كانت له حسنات محت سيآته أو كفر الله عنه بمصائب أو غير ذلك مما هو من فضل الله وعفوه وان ارتكب كفرا عاملناه بما ظهر لنا منه وأمره الى الله ولا لمعين بجنة وان اكتسب أعمالا صالحة في الدنيا اذ لا يعلم ما في نفس الامر الا الله فلا نقطع لمعين بشيء من دونه بلا نص من الشارع صلى الله عليه وسلم وللعلماء في الشهادة بالجنة ثلاثة أقوال منهم من لا يشهد بالجنة لاحد الا للانبياء وهذا قول محمد بن الحنفية والاوزاعي والثاني أنه يشهد بالجنة لكل مؤمن جاء فيه نص وهذا قول أكثر أهل الحديث والثالث نشهد بالجنة لهؤلاء ولمن شهد له المؤمنون كما في البخاري من حديث أنس بن مالك قال مر بجنازة فأثنوا عليها خيرا فقال النبي صلى الله عليه وسلم وجبت ثم مر بأخرى فأثنوا عليها شرا فقال وجبت فقال عمر ابن الخطاب رضي الله عنه ما وجبت يا رسول الله قال هذا أثنيتم عليه خيرا فوجبت له الجنة وهذا أثنيتم عليه شرا فوجبت له النار أنتم شهداء الله في الارض وقال صلى الله عليه وسلم توشكوا أن تعلموا أهل الجنة من أهل النار قالوا بم يا رسول الله قال بالثناء الحسن والثناء السيء فأخبر ان ذلك مما يعلم به أهل الجنة وأهل النار وكان أبو ثور يقول أشهد أن أحمد بن حنبل في الجنة ويحتج بهذا والمؤمن بالله ورسوله باطنا وظاهرا الذي قصد اتباع الحق وما جاء به الرسول اذا أخطأ ولم يعرف الحق كان أولى أن يعذره الله في الآخرة من المتعمد العالم بالذنب فان هذا عاص مستحق للعذاب بلا ريب وأما ذاك فليس متعمدا للذنب بل هو مخطئ والله قد تجاوز لهذه الامة الخطأ والنسيان والعقوبة الحاصلة في الدنيا تكون لدفع ضرره عن المسلمين وان كان في الآخرة خيرا ممن لم يعاقب كما يعاقب المسلم المتعدي للحدود ولا يعاقب أهل الذمة من النصارى واليهود والمسلم خير منهم في الآخرة والمسلم المذنب الذي ذنبه خاص أخف شرا عند الله ممن ذنبه اكتسبه الناس منه وأفضل الخلق بعد الأنبياء هم الصحابة ثم بعدهم التابعون فلا

ينتصر

ينتصر لشخص انتصارا عاما مطلقا الا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا لطائفة انتصارا مطلقا عاما الا للصحابة فان الهدى يدور مع الرسول حيث دار ويدور مع أصحابه حيث داروا وكذا التابعون لهم باحسان فاذا أجمعوا لم يجمعوا على خطأ قط بخلاف عالم من العلماء أو قائل قولا فقد يصيب وقد يخطئ بل جل أصحاب مجتهد من المجتهدين قد يكون الصواب معهم وقد يكون مع غيرهم ممن قد خالفهم وكل قول لم يرد به الكتاب والسنة ولا قاله صدر سلف هذه الامة استنباطا منهما أو من أحدهما بل قالوا خلافه فهو خطأ لا يعمل به ولا يقر عليه قائله فكيف وصاحب المقدمة قد افترى وأصمته حمية الجاهلية فيما منه جرى بقوله أم على أى خصومة لاجلها تعاميت عن هذا الوجه الظاهر الصحيح الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فهو قد أثبت بيننا خصومة رجما بالغيب مع انها لا تكون الا بين موجودين فى الدنيا الا بين معدومين أو أحدهما الا من ورد فيه النص بعينه بعداوته لله ورسوله كأبى جهل وأبى لهب وأمثالهما من عينته السنة فعداوته محتمة على العالم به وان لم يعاصره أو من تواترت عنه الاخبار بين المسلمين بانه محاد لله ورسوله متعد لحدوده فانه يكره ويعمل له لظاهر اساءته والله متولى أمره والحامل له على هذا الافتراء اثباته تلك المقالة واستحسانه اياها التى قد خالفت الكتاب والسنة واجماع صالح سلف الامة وجعل تأويله لها مماثلا كلام الله الذى قال تعالى فيه وانه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد فجعل ذلك التأويل لتلك المقالة وماشاكلها مما بعدها مماثلا للتنزيل مشابها له فى صحته واعجازه والايمان به وتلقيه وعدم رده والاعتراض عليه وأهل التصحيح يردون على أهل الصحيح ويناظرونهم وكل يؤخذ من قوله ويترك الا كلام الله ورسوله ومالم يوافقهما فهو باطل مردود لا يعمل به وشفاعة الرسول صلى الله عليه وسلم ثابتة فى الكتاب والسنة واجماع صالح سلف الامة ولكن بالوصف لا بالشخص ومن مات لا يشرك بالله شيأ فهو من ذوى الوصف وكذا شفاعة غيره صلى الله عليه وسلم فعلى الانسان الاجتهاد فيما هو الموجب لها لينالها بفضل الله ورحمته ورضاه عنه واذنه للشافع وعليه أيضا اخلاص عمله لله وقصده طاعة الله فيما أمر به والانتهاء عما نهى عنه وهو يحب صلاح المأمور به واقامة الحجة عليه قاصدا أن يكون الدين كله لله وأن تكون كلمة الله هى العليا فلا يغضب على من خالفه مجتهدا معذورا لا يغضب الله عليه ولا يرضى عمن كان جاهلا سيئ القصد ليس له علم ولا حسن قصد بل يحمد من حمده الله ورسوله ويذم من ذمه الله ورسوله وتصير موالاته ومعاداته على دين الله ورسوله لا على هوى النفس وأصل الدين الذى لا فتنة فيه أن يكون الحب لله والبغض لله والموالاة لله والمعاداة لله والعبادة لله والاستعانة بالله والاتكال على الله والخوف من الله والرجاء لله والاعطاء لله والمنع لله وهذا انما يكون بمتابعة رسول الله الذى أمره أمر الله ونهيه نهى الله ومعاداته معاداة الله وطاعته طاعة الله ومعصيته معصية الله وصاحب الهوى يعميه هواه ويصمه فلا يستحضر فى قوله وعقيدته ما لله ورسوله فى ذلك ولا يغضب لغضب الله ورسوله بل يرضى اذا حصل ما يرضاه هواه ويغضب لما يغضب له هواه فلم يكن قصده أن يكون الدين كله لله وأن تكون كلمة الله هى العليا بل قوله وعقيدته وحميته مجرد هوى وهذا حال المختلفين الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا جانبوا قوله تعالى وان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون فكانوا ممن قال الله فيهم فتقطعوا أمرهم بينهم زبرا كل حزب بما لديهم فرحون واذا كان المسلم الذى يقاتل الكفار قد يقاتلهم شجاعة وحمية ورياء وذلك ليس فى سبيل الله فكيف باهل البدع الذين يخاصمون ويقاتلون عليها فانهم

يفعلون ذلك شجاعة وحمية وميل نفس وهوى ورعاية لقبول لما اتبعوا أهواءهم بغير هدى من الله لا بعيرد الخطأ الذى اجتهد وافيه ولهذا قال الامام الشافعى رحمه الله تعالى لان أتكلم فى علم يقال لى فيه اخطأت أحب الى من أن أتكلم فى علم يقال لى فيه كفرت والله أعلم *وأما قوله كم (وقوله تعالى فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما) وما ذكر فيه من الرواية عن عبد الله بن عباس انهما آدم وحواء وان الشيطان أتاهما ولم يزل بهما حتى سميا ولدهما عبد الحرث الخ ما قال فنقول هذه الرواية وما أشبهها لا أصل لها أساسا بل لا يلتفت اليها فى حق الانبياء المعصومين عن أمثال هذه الامور بل الواجب على كل مؤمن أن يحكم بكذبها ويحمل قوله جعلا له شركاء فيما آتاهما على أن الخطاب فى خلقكم لقريش وحدهم لا لبنى آدم كلهم والنفس الواحدة قصى وجعل منها زوجها أى جعلها عربية قرشية من جنسه لانه خلقها منه واشركهما بتسميتهما ابنيهما عبد مناف وعبد العزى وعبد الدار وعبد قصى والضمير فى يشركون لهما ولاعقابهما وعلى هذا فليس الضمير فى جعلا لآدم وحواء وهذا الذى عليه أكثر المفسرين وان صح انه لآدم وزوجته فاين الدليل على الشرك فى ألوهيته ولعله أى الشرك المذكور فى الآية هو الميل الى طاعة الشيطان وقبول وسوسته مع الرجوع الى الله تعالى بلا مطاوعة للشيطان وذلك الميل المتفرع على الوسوسة غير داخل تحت الاختيار فلا يكون معصية وذنبا ولعله كان قبل وان أبيت عن هذا كله فهو على تقدير المضاف أى جعل أولادهما له شركاء فيما آتى أولادهما وكيف لمن فى قلبه ذرة من ايمان ان يصدق بهذه الحكاية مع ان الآية التى تتلوها تنادى على كذبها وهى قوله تعالى أيشركون ما لا يخلق شيأ وهم يخلقون وهم الاصنام كما عليه المفسرون مع ان الاصنام لم تعبد من دون الله الا قريبا من زمن نوح) فنقول هذا مما يؤيد ما قلناه فى صاحب المقدمة من انه يرد من تلقاء نفسه بلا تحقيق ولا تحقق فيما قاله لأئمة الاعلام من أولى العلم والفهم وما نقلته الرواة وتلقته بالقبول الجهابذة الثقات فانه قد فهم من معنى الشرك المذكور فى هذه الآية شرك الالوهية فى آدم وحواء عليهما الصلاة والسلام فلذلك أوجب نفى رجوع الضمير الذى فى الآية عنهما وجعل من لازم جواز ثبوته اليهما شركهما فى الالوهية ونسبنا الى تكفير الانبياء والصالحين وما ذلك الا لعدم فهمه وعدم معرفته معنى الشرك الذى فى الآية مع ما نقله السلف من صحة رجوع الضمير اليهما بل فى معرفة معنى الشرك من حيث هو وأقسامه والجهل فينا وفى عقيدتنا وفيما قلناه وعنيناه وذلك من وجوه (الوجه الاول) ما رواه الامام أحمد فى مسنده عن سمرة بن جندب عن النبى صلى الله عليه وسلم قال لما ولدت حواء طاف بها ابليس وكان لا يعيش لها ولد فقال سميه عبد الحرث فعاش فكان ذلك من وحى الشيطان وأمره وهكذا رواه ابن جرير عن محمد بن بشار عن عبد الصمد بن عبد الوارث ورواه الترمذى فى تفسير هذه الآية عن محمد بن المثنى عن عبد الصمد مرفوعا وقال هذا حديث حسن غريب لا نعرفه الا من حديث عمر بن ابراهيم ورواه بعضهم عن عبد الصمد ولم يرفعه ورواه الحاكم فى مستدركه من حديث عبد الصمد مرفوعا وقال هذا صحيح الاسناد ولم يخرجاه ورواه الحاكم أيضا وصححه عن سمرة عن النبى صلى الله عليه وسلم بلفظه المتقدم ورواه الامام أبو محمد بن أبى حاتم فى تفسيره عن هلال بن فياض عن عمر بن ابراهيم مرفوعا ورواه الحافظ أبو بكر بن مردويه فى تفسيره من حديث هلال بن فياض قال الحافظ ابن كثير وشاذ لقب هلال وعمر بن ابراهيم هو البصرى قد وثقه ابن معين وقال أبو حاتم الرازى لا يحتج به ولكن رواه ابن مردويه من حديث المعتمر عن أبيه عن

الحسن عن سمرة وقد روى الحديث عنه مرفوعا وموقوفا ﴿الثاني﴾ ما قاله أهل التفسير قاطبة عند قوله تعالى هو الذي خلقكم من نفس واحدة يعني آدم وخلق منها زوجها يعني حواء ثم انتشر الناس منهما كما قال تعالى يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وقال يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها الآية فكلهم قد فسروا قوله تعالى هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها الآية بآدم وحواء عليهما الصلاة والسلام وأسندوا بيان النفس الواحدة المخلوق منها سائر البشر وبيان الزوج المجعول منها الى سائر الآيات المعني بها آدم وزوجته حواء والتثنية التي في قوله فلما آتاهما صالحا جعلا له راجعة لهما ﴿الثالث﴾ ما أجمع عليه المفسرون وقالوا بعبارات متفقة المعنى مختلفة اللفظ عن ابن عباس من طريقين أو ثلاثة الاول منها ما قاله محمد ابن اسحق بن يسار عن داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس قال كانت حواء تلد لآدم عليهما الصلاة والسلام أولادا فيعبدهم لله نحو عبد الله وعبد الرحمن فيصيبهم الموت فأتى ابليس آدم وحواء فقال انكما لو تسميانه بغير الذي تسميانه أولادا لعاش فولدت له غلاما فسمياه عبد الحرث ففيه أنزل الله هو الذي خلقكم من نفس واحدة الى آخر الآية الثاني ما قاله العوفي عن ابن عباس أيضا في قوله تعالى هو الذي خلقكم من نفس واحدة الى قوله فمرت به فشكت أحملت أم لا نخفته فلما أثقلت دعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحا لنكونن من الشاكرين فأتاهما الشيطان فقال هل تدريان ما يكون بهيمة أم لا وزين لهما الباطل انه غوي مبين وقد كانت قبل ذلك ولدت ولدين فماتا فقال لهما انكما ان لم تسمياه عبد الحرث وكان اسم ابليس في الملائكة الحرث لم يخرج سويا ومات كالاول فسمياه عبد الحرث فذلك قول الله فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما الثالث ما قاله عبد الله بن المبارك عن شريك عن خصيف عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما يعني آدم وحواء أتاهما ابليس وقد حملت حواء فقال اني صاحبكما الذي أخرجتكما من الجنة لتطيعاني أو لأجعلن له قرني ايل فيخرج من بطنك فيشقه ولأفعلن ولأفعلن فأبيا أن يطيعاه فخرج ميتا ثم حملت الثانية فأتاهما أيضا فقال أنا صاحبكما الذي فعلت ما فعلت لتفعلن وتطيعاني أو لأفعلن يخوفهما فأبيا ان يطيعاه فخرج ميتا ثم حملت الثالثة فأتاهما أيضا فذكر لهما ما قاله أولا فأدركهما حب الولد فسمياه عبد الحرث فذلك قول الله فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما رواه ابن أبي حاتم في مستدركه وجاء في الحديث خدعهما ابليس مرتين مرة في الجنة ومرة في الارض وقد تلقى الأثر الوارد في خدع ابليس لآدم وحواء جماعة من السلف كمجاهد وعكرمة وسعيد ابن جبير وسعيد بن المسيب وقتادة والسدي وجماعة آخرون من السلف والخلف ومن المفسرين المتأخرين جماعة لا تحصى كثرتهم الا ما ذهب اليه الحسن البصري رحمه الله تعالى من انه ليس المراد من سياق الآية آدم وحواء بل المراد من ذلك المشركون من ذريتهما ولهذا قال تعالى فتعالى الله عما يشركون وذكره تعالى آدم وحواء في أول الآية كالتوطئة لما بعدها من الوالدين وهو كالاستطراد من ذكر الشخص الى الجنس كما قال تعالى ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين ومعلوم ان المصابيح وهي النجوم المزين بها ليست هي التي يرجم بها وانما هو استطراد من شخص المصابيح الى جنسها ولهذا نظائر في القرآن كثيرة قال الامام أبو الحسين بن مسعود البغوي وهذا القول حسن لولا قول السلف مثل عبد الله بن عباس ومجاهد وسعيد بن المسيب وجماعة من المفسرين

انه آدم وحواء ومعنى ما تأوله الحسن وعكرمة أي جعل أولادهما له شركاء فيما آتاهما بقرينة قوله
أيشركون بالجمع فحذف الاولاد وأقامهما مقامهم كما أقام الآباء مقام الابناء في اضافة الفعل الى الابناء
والفاعل انما هو الآباء كقوله تعالى مخاطبا اليهود الموجودين في زمن النبي صلى الله عليه وسلم ثم اتخذتم
العجل وقوله فلم تقتلون أنبياء الله من قبل واذ قتلتم نفسا وأمثال ذلك ﴿الرابع﴾ ما قاله ابن كيسان
هم الكفار سموا أولادهم بعبد العزى وعبد مناف وعبد شمس وعبد اللات وعبد مناة ﴿الخامس﴾
قولنا وعقيدتنا ما قاله السلف واعتقدوه في قوله تعالى جعلا له شركاء فيما آتاهما يعني في طاعته ولم
يكن شركهما في عبادته فان كل اسم معبد لغير الله كعبد الحرث وعبد العزى وعبد هبل وعبد عمرو وعبد
الكعبة وما أشبه ذلك حرام لا يجوز التسمية به باتفاق من يعتد به من أهل العلم وتحرم طاعة الآمر بذلك
فلا يحل التسمية بعبد علي ولا عبد الحسين ولا عبد الكعبة فكيف بكاتب علي وعبد الحرث الذي هو
الشيطان وقد روى ابن أبي شيبة من حديث هانئ بن شريح قال قدم على النبي صلى الله عليه وسلم
قوم فسمعهم يسمون رجلا عبد الحجر فقال ما اسمك قال عبد الحجر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما
أنت عبد الله وقد تقدم حديث عبد الصمد بن عبد الوارث وسمرة بن جندب عن النبي صلى الله عليه
وسلم انه قال لما ولدت حواء طاف بها ابليس وكان لا يعيش لها ولد فقال سميه عبد الحرث فعاش فكان
ذلك من وحي الشيطان وأمره رواه الامام أحمد في مسنده ورواه الترمذي في تفسير الآية ورواه
الحاكم في مستدركه وصححه ورواه ابن مردويه في تفسيره من حديث هلال بن فياض والشرك في
طاعته هو امتثال أمره وقبول قوله وليس ذلك شركا في العبادة كما قلناه وقررناه ولكنهما زعما أن
الحرث سبب نجاة الولد وسلامة أمه فلذلك أضافا الولد اليه لا على جهة ان الحرث مالكه ومعبوده
وقد يطلق اسم العبد على من لا يراد به انه مملوكه كما يستعمل اسم الرب مضافا الى من لا يراد انه معبوده
ولمن نزل به ضيف يسمي نفسه عبد الضيف على جهة الكرم والتواضع لا على ان الضيف ربه ومعبوده
قال يوسف صلى الله على محمد وعليه وسلم لعزيز مصر انه ربي ولم يرد انه معبوده فكذلك هنا ولكن
المناسب لهما عدم طاعته وعدم قبول قوله وامتثال أمره اذ هو الذي قد غرهما وخدعهما فأخرجهما
وفرق بينهما العداوة الأزلية لهما ولذريتهما أبد الآبدين ودهر الداهرين و بعد يوم الدين واتفقوا على
عصمة الانبياء من تعمد الكبائر قبل الوحي وبعده وتنازعوا هل تقع منهم بعض الصغائر مع التوبة منها
أو لا تقع بحال فقال كثير من المتكلمين من الشيعة والمعتزلة وبعض أهل الحديث من أهل السنة
منهم ابن السبكي وغيره لا تقع منهم الصغيرة بحال ولا قبل النبوة ولا بعدها وزادت الشيعة لا يمكن وقوعها
منهم خطأ ولا عمدا والصحيح عند السلف وجمهور أهل الفقه والحديث والتفسير لا تقع الصغائر منهم عمدا
واتفقوا على وقوعها منهم سهوا وخطأ كما نقله السعد التفتازاني في حاشية الكشاف الا ما يدل على
الخسة كسرقة لقمة والتطفيف بحبة فلا يجوز عليهم واشترط جمع من المحققين ان ينبهوا على ما فعلوه
سهوا فينتهوا عنه وقال قوم من علماء أهل السنة من أهل الحديث من أصحاب الأشعري وغيرهم
وقد دلت نصوص الكتاب والسنة على ان الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين تقع منهم بعض
الصغائر مع التوبة منها والله يحب التوابين ويحب المتطهرين واذا ابتلي بعض الاكابر بما يتوب منه
فذلك لكمال النهاية لا لنقص البداية كما قال بعضهم لو لم تكن التوبة أحب الأشياء اليه لما ابتلى
بالذنب أكرم الخلق عليه وفي الآثار ان العبد ليعمل السيئة فيدخل بها الجنة وان العبد ليعمل الحسنة

فيدخل بها النار يعني ان السيئة يذكرها و يتوب منها فيدخله ذلك الجنة والحسنة يعجب بها و يستكبر فيدخله ذلك النار وأيضا فالحسنات والسيئات تتنوع بحسب المقامات كما يقال حسنات الأبرار سيآت المقربين فمن فهم ماتمحوه التوبة وترفع صاحبها اليه من الدرجات وماتفاوت الناس فيه من الحسنات والسيآت زالت عنهم الشبه في هذا الباب وأقر الكتاب والسنة على مافيهما من الهدى والصواب وقد اتفقت الامة على أن من سوى الأنبياء ليس بمعصوم لامن الخطأ ولامن الصواب سواء كان صديقا أولا وعلى ان محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم معصوم فيما يبلغه عن الله تبارك وتعالى فان مقصود الرسالة لايتم الابذلك وكل مادل على انه رسول الله من معجزة فهو يدل على ماقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فانى لا أكذب على الله واتفقوا أيضا على انه لايقر على الخطأ كما انه لاينطق عن الهوى وعلى انه صلى الله عليه وسلم أخوف الأمة لمولاه وأشدهم خشية منه وتضرعا اليه ورغبة فيما لديه فقد ثبت في الصحيح انه صلى الله عليه وسلم كان يدعو ربه ويعترف له بذنبه كما في قوله اللهم أنت الملك لا اله الا أنت أنت ربي وأنا عبدك ظلمت نفسي واعترفت بذنبي فاغفر لي ذنوبي جميعا فانه لايغفر الذنوب الا أنت الحديث وأمثاله اظهارا للعبودية وافتقارا للصمدية وتشريعا للامة وبيانا للشكر النعمة قال الائمة كل يؤخذ من قوله ويترك الا رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه الذى أوجب الله على أهل الارض الايمان به وطاعته بحيث يجب عليهم ان يصدقوه بكل ماأخبر ويطيعوه في كل ماأمر فقد ذكر الله طاعته واتباعه في قريب من أربعين موضعا في القرآن قال عز من قائل من يطع الرسول فقد أطاع الله وقال وما أرسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله وقال فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم الآية وقال لاتجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا الى قوله فليحذر الذين يخالفون عن أمره ان تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم وقال والله ورسوله أحق أن يرضوه وقال قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله وقال فان تنازعتم في شئ فردوه الى الله والرسول وقال ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين الآية وطاعة الله والرسول هي عبادة الله التى خلق لها الجن والانس فهي غايتهم التى يحبها الله ورسوله ويرضاها ويأمرهم بها وان كان قد شاهد من بعضهم ماهو خلاف ذلك وخلقهم له فتلك غاية شاءها وقدرها وهذه غاية يحبها ويأمر بها ويرضاها والعبادة لله ان تجمع غاية الحب له بغاية الذل له والانقياد اليه فكل خير وكمال ومقام وما يقرب اليه مما يحمد من العباد ويطلب منهم شرعا ويرضاه لهم فهو داخل في طاعة الله ورسوله ومستلزم لذلك والنص في وجوب الطاعة قاض في عصمة صاحب الرسالة ﴿فان قيل﴾ قد اتفقوا على ان الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين معصومون من تعمد الكبائر قبل الوحي وبعده كما قلتم به وقاعدتكم في الشرك الاصغر أن حكمه من أكبر الكبائر عندكم وذلك مناف لجعل الضمير في قوله تعالى جعلا له شركاء فيما آتاهما عائدا الى آدم وحواء صلى الله عليهما وسلم اذا كان آدم نبيا معصوما عن الكبائر ان يفعلها هو بنفسه وكيف يوافق حواء على الشرك بالله ﴿الجواب﴾ ان آدم وحواء عليهما السلام لم يعتقدا أن ذلك الاسم معصية لله ولم يقصدا به مضارة نهيه تعالى أو عدم فعل أمره بل اغتاظ وعا اللعين فيما قاله لهما مكاوأة اشره وخوفا على ولدهما من ضره بتوعده لهما فيه وهما لم يطاوعاه ولاعلاهما بعداوته وانه الذى أخرجهما مما كانا فيه من النعيم المقيم ثم أدركتهما شفقة الولد فطاوعاه في التسمية فبذلك أشركا في طاعته لا في عبادته وكذلك قوله تعالى وعصى آدم ربه فغوى مع قوله فدلاهما بغرور وفان

اللعين غرهما بالقسم لهما انه ناصح في قوله لهما ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين فخدعهما لظنهما ان لا أحد يحلف بالله كاذبا فأكلا ولم يقصدا المعصية لانهما لم يعتقدا أن النهي راجع الا لما قال لهما وأقسم لهما فيه فتعين نفي تعمد الكبائر على الانبياء كلهم عليهم الصلاة والسلام وقوله تعالى فعصى آدم ربه فغوى باعتبار الاكل من الشجرة المنهي عنها بطاوعة الغار (فان قيل) كيف يتفقون على تحريم الاسم المعبد لغير الله وقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم تعس عبد الخميلة تعس عبد القطيفة وصح عنه صلى الله عليه وسلم انه قال أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب ودخل عليه رجل وهو جالس بين أصحابه فقال أيكم ابن عبد المطلب فقالوا هذا وأشاروا اليه (الجواب) ان قوله تعس عبد الدينار الحديث لم يرد به الاسم وانما أراد به الوصف والدعاء على من يعبد قلبه الدينار والدرهم واختارهما على عبودية ربه تبارك وتعالى وقوله أنا ابن عبد المطلب ليس من باب انشاء التسمية بذلك وانما هو من باب الاخبار بالاسم الذي عرف به المسمى دون غيره والاخبار بمثل ذلك على وجه تعريف المسمى لا يحرم وقد كان الصحابة رضي الله عنهم يسمون بني عبد شمس و بني عبد الدار باسمائهم ولا ينكر عليهم النبي صلى الله عليه وسلم لان باب الاخبار واسع يجوز فيه ما لا يجوز في الانشاء فتحرم التسمية أيضا بملك الملوك وسلطان السلاطين وشاهنشاه لما ثبت في الصحيحين من حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان اخنع اسم عند الله رجل يسمى ملك الاملاك وفي رواية اخنى بدل اخنع وفي رواية لمسلم ابغض رجل عند الله يوم القيامة وأخبثه رجل كان يسمى بملك الاملاك لا ملك الا الله ومعنى اخنع واخنى أوضع وأما الاسماء المكروهة فمنها ما رواه مسلم في صحيحه عن سمرة بن جندب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسمين غلامك يسارا ولا رباحا ولا نجاحا ولا أفلح فانك تقول أثم فلان فيقال لا قال ابن القيم والمذكور في الحديث انما هن أربع لا يزدن عليها وهذه الجملة الاخيرة ليست من كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما هي من كلام الراوي وقال أيضا قلت وفي معنى هذا مبارك ومفلح وخير وسرور ونعمة وما أشبه ذلك لوجود المعنى الذي كرهت تلك الامور الاربعة لاجله فانه يقال أعندك خير أعندك سرور أعندك نعمة فيقول لا فتشمئز القلوب من ذلك وتتطير منه ومنها التسمية باسماء الشياطين كخنزب والولهان وأسماء الفراعنة والجبابرة كفرعون وقارون وهامان والاسماء التي تكرهها النفوس ولا تلائمها كحرب ومرة وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يشق عليه الاسم القبيح ويكرهه جدا من الاشخاص والاماكن والقبائل والجبال حتى انه مر في مسيره بين جبلين فسأل عن اسمهما فقيل فاضح ومخز فعدل عنهما ولم يمر بينهما وكان صلى الله عليه وسلم شديد الاعتناء بذلك ومن تأمل السنة وجد معاني الاسماء مرتبطا بها حتى كأن معانيها مأخوذة منها وكأن الاسماء مشتقة من معانيها فتأمل قوله صلى الله عليه وسلم أسلم سالمها الله وغفار غفر الله لها وعصية عصت الله وقوله لما جاء سهيل بن عمرو يوم الصلح سهل أمركم وتأمل تغييره الاسماء غير المناسبة كما في الصحيحين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أتي بالمنذر بن أسيد حين ولد فوضعه على فخذه فأقاموه فقال أين الصبي فقال أبوه أسيد قلبناه يا رسول الله قال ما اسمه قال فلان قال ولكن اسمه المنذر وفي سنن أبي داود من حديث سعيد بن المسيب عن أبيه عن جده أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما اسمك قال حزن قال أنت سهل قال لا السهل يوطأ ويمتهن قال سعيد فظننت انه سيصيبنا بعده حزونة قال أبو داود وغير رسول الله صلى الله عليه وسلم اسم العاص والعتلة

وشيطان والحكم وغراب وشهاب وحباب فسماه هاشما وسمى حربا سلما وسمى المضطجع المنبعث وأرضا قال لها عفرة خضرة وشعب الضلالة سماه شعب الهدى و بنو الزنية سماهم بنو الرشدة وسمى بنى معاوية بنى رشدة قال أبو داود وتركت أسانيدها للاختصار وتأمل أيضا حديثه لى تحسين الاسم كما فى حديث أبى الدرداء رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انكم تدعون يوم القيامة باسمائكم وأسماء آبائكم فحسنوا أسماءكم رواه أبو داود باسناد حسن وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أحب أسمائكم الى الله عز وجل عبد الله وعبد الرحمن رواه مسلم فى صحيحه وقوله ان الاصنام لم تعبد من دون الله الا قريبا من زمن نوح فقد ذكر المفسرون عند قوله تعالى كان الناس أمة واحدة عن قتادة عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما قال كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على شريعة من الحق فاختلفوا فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين قال وكذلك فى قراءة عبد الله كان الناس امة واحدة فاختلفوا ورواه الحاكم فى مستدركه من حديث محمد ابن بشار ثم قال صحيح الاسناد ولم يخرجاه وكذا رواه أبو جعفر الرازى عن أبى العالية عن أبى بن كعب انه كان يقرأها كان الناس أمة واحدة فاختلفوا فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين قال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن قتادة فى الآية قال كانوا على الهدى جميعا فاختلفوا فبعث الله النبيين فكان أول من بعث نوح وهكذا قال مجاهد كما قال ابن عباس أولا وقال العوفى عن ابن عباس فى قوله أمة واحدة يقول كفارا فبعث الله النبيين قال الحافظ ابن كثير والاول عن ابن عباس أصح اسنادا ومعنى لان الناس كانوا على ملة آدم حتى عبدوا الاصنام فبعث الله اليهم نوحا عليه السلام فكان أول رسول الى أهل الارض ولهذا ذكر سبحانه فى سورة يونس ما كان الناس الا أمة واحدة فاختلفوا فذمهم على الاختلاف بعد أن كانوا على دين واحد فعلم ان ما كانوا عليه حق والله أعلم وأما قول صاحب المقدمة * كيف يكون قوله تعالى ادعونى استجب لكم بيانا لمعنى العبادة الى قوله اعلم ان للطاعة مراتب الاولى ان يلاحظ فيها الثواب ودرء العقاب مع الامتثال وتسمى عبادة والثانية ان لا يلاحظ الا تشرف النفس بالتقرب الى الله وتسمى عبودة الثالثة ان لا يلاحظ الا الله ويسمى عبودية وهذه أعلى المراتب وقد تقدم لك على هذا اشارة اليه * فنقول قد قال الجوهرى العبادة والطاعة والخضوع والتذلل ولا يستحقه الا الله سبحانه وتعالى ويسمى العبد عبد الذلته وانقياده لمولاه وقال الفخر اعمل أبو البقاء العبادة ما أمر به شرعا من غير اطراد عرفى ولا اقتضاء عقلى وقوله تعالى ادعونى استجب لكم أمر منه تعالى بدعائه فهو عبادة بل هو مخها كما قدمناه قال أبو على الدقاق ليس شئ أشرف ولا أتم للمؤمن من الوصف بالعبودية قال فى المطالع ولهذا وصف الله تعالى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بالعبودية فى أشرف مقاماته حين دعا الخلق الى توحيد الحق وعبادته قال تعالى وانه لما قام عبد الله يدعوه وحين أنزل عليه القرآن قال عز من قائل وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا وقال الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب وقال سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى مع انه صلى الله عليه وسلم حبيب الله وخليله كما ثبتت خلته فى الصحيح قال بعضهم

لا تدعنى الا بياعبدها * فانه أشرف أسمائى

ونحن قد قدمنا مراتب العبادة فى بحث ارادة الانسان بعمله الدنيا وانها على ثلاثة أنواع باعتبار نياتهم فى طاعة الله تبارك وتعالى لان العبد اما ان يلتمس بعمله من ربه أمرا من أمور الدنيا كصحة وعافية

وتكثير ماله وولده أو علامته ما واما ان يلتمس به محمدة عند الناس ومحبة ومدحا منهم واما أن يعمل امتثالا لأمره تعالى وتقدس واجلالا لعظمته وقياما بحق عبوديته وهذا الثالث من أعلى درجات الاخلاص كما عليه الصحابة والتابعون وتبعهم فيه المحققون من علماء كل مذهب وان شابه خوف من الله ورجاء وأما الاول والثانى فقد تقدم الكلام عليهما مبسوطا وهذه المراتب التى ذكرها صاحب المقدمة لا يخرج كل منها عن الاخلاص لان الموحد لا يخلو عن أن يكون خائفا من ربه راجيا فهى فى الحقيقة ترجع الى معنى واحد اذ من لاحظ بعمله الله لا يعلم هو مقبول منه أم لا فهو خائف راج قال تعالى ولله يسجد ما فى السموات وما فى الارض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون وما ذكر عن بعض الشيوخ انه جعل الخوف والرجاء من مقامات العامة فالمراد به ان المقربين يلاحظون بعبادتهم وجه الله ويقصدون رضاء الله والتلذذ بالنظر اليه كما قال الجنيد فهم يرجون حصول هذا المقصود المطلوب ويخافون حرمانه فلم يخلوا عن الخوف والرجاء لكن مرجوهم ومخوفهم بحسب مطلوبهم ومن قال منهم لم أعبدك شوقا الى جنتك ولا خوفا من نارك فهو يظن ان الجنة اسم لما يتمتع فيه من نعيم المخلوقات والنار اسم لما يعذب فيه من ألم المخلوقات وهذا قصور وتقصير منهم عن فهم مسمى الجنة بل كل ما أعد الله لاوليائه فهو فى الجنة والنظر اليه فى الجنة ولهذا كان أفضل الخلق صلى الله عليه وسلم يسأل الله الجنة ويتعوذ به من النار ولما سئل بعض أصحابه عما يقول فى صلاته قال انى أسأل الله الجنة وأعوذ به من النار اما انى لا أحسن دندنتك ولا دندنة معاذ قال حولها ندندن وأما التألم بالنار فهو أمر ضرورى ومن قال لو أدخلتنى النار لكنت راضيا فهو عزم منه على الرضا والعزائم قد تنفسخ عند وجود الحقائق ومثل هذا يقع فى كلام بعض القوم مثل ما قال سمنون

فليس لى فى سواك حظ • فكيف ما شئت فامتحنى

فابتلى بعسر البول فجعل يطوف على صبيان المكاتب ويقول ادعوا لعمكم الكذاب وبعض من تكلم فى علل المقامات جعل الحب والرضا والخوف والرجاء من مقامات العامة بناء على مشاهدة القدر وان من نظر الى القدر فشهد توحيد الافعال حتى فنى من لم يكن وبقى من لم يزل وهذا الكلام مستدرك حقيقة وشرعا اما الحقيقة فان الحى لا يتصور ان لا يكون حساسا محبا لما يلائمه مبغضا لما ينافره ومن قال ان الحى يستوى عنده جميع المقدورات فهو أحد رجلين اما انه لا يتصور ما يقول بل هو جاهل واما انه مكابر معاند وأما الشرع فمن زعم أن المشاهد لتوحيد الربوبية يدخل الى مقام الجمع والفناء فلا يشهد فرقا فانه غالط بل لا بد من الفرق لانه أمر ضرورى لكن من خرج عن الفرق الشرعى بقى فى الفرق الطبيعى ويبقى متبعا لهواه لا مطيعا لمولاه ولهذا لما وقعت هذه المسئلة بين الجنيد وأصحابه ذكر لهم الفرق وهو ان يفرق العبد بين المأمور والمحظور وبين ما يحبه الله وما يكرهه مع شهوده القدر الجامع فيشهد الفرق فى الجميع فيكون عابدا لله قاصدا المطلوب خائفا حرمانه ومن دعائه رضى الله عنه اللهم انى أسئلك منك ما هو لك وأستعيذ بك من كل أمر يسخطك اللهم لا تشغلنى بشغل من شغله عنك ما اراده منك الا ان يكون لك اللهم اجعل غاية قصدى بك ما هو لك ولا تجعل قصدى اليك ما أطلبه منك يا أرحم الراحمين وقال الشيخ عبد القادر الجيلى رحم الله روحه ونور ضريحه خصال الاولياء أربعة أوصاف العبودية بالخوف من الله ورجائه ونعوت الربوبية بمشاهدة المقدورات والاشراف

على ما كان وما يكون بعلم الشريعة والوقوف عندها والدخول على الله فى كل يوم سبعين مرة بتجديد التوبة وكثرة الاستغفار انتهى وقال محمد بن الحنفية ليس لابدانكم قيمة الا الجنة فلا تبيعوها الا بها وما كرمت على عبد نفسه الا هانت عليه الشهوات انتهى قال سبحانه وتعالى من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون والمؤمن العامل اذا رجا من الله ما وعده عليه من ولاه لا يخرج برجائه ذلك عن الاخلاص الذى هو أعلى مراتب العبودية واعلم اختلاف الناس فى مقاصد العبادات وصفاتها فمنهم من يقول كلما كان أشق على النفس وأشد ابانة للشهوات فهو أفضل ومنهم من يقول ان أفضلها ما كان ادعى الى تحصيل الواجبات العقلية ومنهم من يقول فضل بعضها على بعض لا لعلة بل يرجع فيه الى محض المشيئة والصواب ان أفضلها ما كان لله أطوع وللعبد أنفع فما كان صاحبه أكثر انتفاعا به وكان صاحبه أطوع لله به من غيره فهو أفضل وذلك ان تكون العبادة تابعة لما جاء به الرسول فعلا أو تركا والجواب لاهل القول الاول أن يقال لهم الجهاد أعظم مشقة من هذا كله فانه بذل النفس وتعريضها للموت ففيه غاية الزهد المتضمن لترك الدنيا كلها وفيه جهاد النفس فى الباطن وجهاد العدو فى الظاهر فهو أفضل من الجوع والسهر والصمت والخلوة ونحو ذلك وعن الثانى فلا ريب ان عبادات الموحدين كصلاتهم وصيامهم وحجهم ادعى الى العدل الذى هو جماع الواجبات العقلية من عبادات غيرهم التى ابتدعوها فانها متضمنة للظلم المنافى للعدل وعن الثالث أن يكون الامر فى ذلك راجعا الى محض مشيئة الله وتعبده للخلق وحينئذ فمن تكون عبادته تابعة لامر الله الذى جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ليكون متعبدا بما أمر الله به بخلاف من تكون عباداته من عندياته ابتدعها من غير أن يأتى بها الرسول من عند الله فانها غير مقبولة بل وزرها أعظم وليس شئ من أعمال البر الا ودونه عقبة تحتاج الى الصبر فيها فمن صبر على شدتها أفضى الى السهولة والراحة وأعلاها مجاهدة النفس ثم مخالفة الهوى ثم مكابدة ترك الدنيا ثم الاقبال على ربه خائفا راجيا ثم اللذة والنعيم هكذا ذكره شارح الحكم محمد المغربى الفاسى وقول صاحب المقدمة وفى تقديم اياك على نعبد اشارة اليه ليس كذلك لان معنى التقديم الحصر وهو نفى العبادة عما سوى الله واثباتها له وحده وليس له تخصص فى بعض تلك المراتب التى ذكرها دون بعض اذ من لاحظ بطاعته امتثال أمر الله تبارك وتعالى مع خوفه ورجائه لا يقال انه مشترك مع الله فى العبادة ولا يحتملها بعدم ملاحظته الله وحده لوجود ملاحظة أمره تعالى مع ملاحظة الثواب ودرء العقاب اذ هو مخلص بذلك باجماع الامة ولا فيه ما يوهم عدمه وخوف الله ورجاؤه وامتثال أمره عبادة وحيث لوحظت تلك العبادة لا تكون معبودة ولا احتمال فيها والله تعالى أعلم * وأما قوله ﴿لا يلزم من دعاء غيره تعالى ان يكون ذلك الداعى مشركا فى العبادة كما تقدم﴾ فنقول قد بين الله سبحانه وتعالى فى غير موضع من القرآن أن النفس ليس لها نجاة ولا سعادة ولا كمال الا بان يكون الله وحده معبودها ومحبوبها الذى لا أحب اليها منه ولفظ العبادة يتضمن كمال الذل بكمال الحب فلابد أن يكون العابد محبا للاله المعبود كمال الحب ولابد أن يكون ذليلا له كمال الذل وهما لا يصلحان الا لله وحده فهو الاله المستحق للعبادة الذى لا يستحقها الا هو وذلك يتضمن كمال الحب والذل والاجلال والتوكل والدعاء بما لا يقدر عليه الا الله والنفوس محتاجة الى الله من حيث انه معبودها الذى هو محبوبها ومنتهى مرادها وبغيتها من حيث هو ربها وخالقها فمن آمن بان الله هو رب كل شئ وخالقه ولم يعبد الله وحده بحيث يكون الله

أحب اليه من كل ماسواه وأخشى عنده من كل ماسواه وأعظم عنده مماسواه وأرجى عنده من كل ماسواه بل من سوى بين الله وبين بعض المخلوقات في الحب بحيث يحبه مثل ما يحب الله ويخشاه مثل ما يخشى الله ويرجوه مثل ما يرجو الله ويدعوه بما لا يقدر عليه الا الله مثل ما يدعو به الله فهو المشرك الشرك الذي لا يغفره الله ولو كان مع ذلك عفيفا في طعامه ونكاحه وكان حليما شجاعا فان أبا بكر رضى الله عنه وغيره من الصحابة كانوا قبل الاسلام لا يرضون ان يفعلوا الذنوب الكبار كالزنا والسرقة ولما بايع النبي صلى الله عليه وسلم هند بنت عتبة بن ربيعة أم معاوية بيعة النساء على أن لا يسرقن ولا يزنين قالت أوتزنى الحرة فما كانوا في الجاهلية يعرفون الزنا الا للاماء ولهذا عنت بقولها الحرة العفيفة لان الحرائر كن عفائف قال سبحانه له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشئ الا كباسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه وماهو ببالغه وما دعاء الكافرين الا في ضلال وقال وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون فما خلق العبد الا لاجله وطلب منه من سائر العبادة لابد من اخلاصه لله وحده فان الغاية الحميدة التي بها يحصل كمال بنى آدم وسعادتهم ونجاتهم عبادة الله وحده وهى حقيقة قول القائل لا اله الا الله وبهذا بعث الله جميع الرسل وأنزل جميع الكتب ولا تصلح النفوس وتزكو وتكمل الا بهذا كما قال تعالى ويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة أى ماتزكو به أنفسهم من التوحيد والايمان وكل من لم يحصل له هذا الاخلاص في سائر العبادات المأمور بها شرعا لم يكن من أهل النجاة والسعادة قال تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء ذكر ذلك في موضعين من كتابه فليس الموحد الا المخلص بعبادته لله وحده لا شريك له المتبع ماجاءت به الرسل على محمد وعليهم الصلاة والسلام وضده هو المشرك الشرك الذى لا يغفر بجعله ما هو مختص بجلال الله لغير الله أوله ولغيره وقد قدمنا الكلام على هذا البحث مبسوطا والله تعالى أعلم * وأما قوله ﴿ اذ مع الاعتراف بانه صلى الله عليه وسلم الشافع المشفع ورجاؤه شفاعته كيف يقول طالب شفاعته اشراك في العبادة ﴾ فنقول وانه وجب على كل مسلم الايمان بشفاعته صلى الله عليه وسلم فرجاؤها من الله وسؤاله أن يشفع نبيه فيه هو المطلوب اذ شفاعته باذن الله لمن رضى عنه ولا يعلم هو ممن يأذن فيه ويرضى عنه أم لا فتعين عليه صرف همته وعزمه أمره الى ربه بالاقبال عليه والاتكال عليه والقيام بحق عبوديته لينال الشفاعة وان حصل منه تقصير بنوع من المعاصى بخلاف من أهمل ذلك وتركه وارتكب ضده من الاقبال على غير الله بالتوكل عليه ورجائه فيما لا يمكن وجوده الا من عند الله والالتجاء اليه مقبلا على الشفاعة متوكلا عليها طالبها من النبي صلى الله عليه وسلم فان هذا بعينه فعل المشركين واعتقادهم ولا نشأت فتنة في الوجود الا بهذا الاعتقاد فلاجلها وقد حسم سبحانه مواد المشركين وما يتعلقون به ويرجونه حسما قاطعا في كتابه المبين ولا أعظم لهم تعلقا منها فجعلها كلها له وعلق وجودها بشرطين وجود اذنه للشافع ورضاه عن المشفوع له فلا تسأل من غيره سبحانه وتعالى وقد قدمنا الكلام عليها مرارا متعددة مبسوطا في محالها * وأما قوله ﴿ تنبيه * الشفاعة السعى في اصلاح حال المشفوع فيه عند المشفوع الى آخر كلامه ﴾ فهو خطأ اذ المشفوع له ليس المشفوع عنده بل هو المشفوع فيه فصوابه ان يقول عند المشفوع عنده وهو المشفع بكسر الفاء اسم فاعل وأما اشتقاقها فقد قال أهل المعانى ان الشفاعة مأخوذة من الشفع المقابل للوتر فاستعملت في الشفيع باعتبارين * الاول منهما كونه شافعا صاحب الحاجة حتى يجتمع معه على المسئلة * الثانى كونه شافعا المسؤل منه قضاء الحاجة

في

فى قضائها اذهى لم تقض الا بسبب شفاعته فكأنه شاركه وشفعه فيها فمن الاول قوله سبحانه وتعالى من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها الآية ومن الثانى قوله تعالى ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله ﴿ وأما معناها ﴾ فانها تكون فى الخير كالاصلاح بين الناس فى الدنيا قال تعالى من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها وفى الآخرة هى توجه المأذون له فيها لمن ارتضى الله عنه اما برفع درجاته واما بدخوله الجنة أول وهلة بلا حساب واما بعدم دخوله النار التى قد استحق دخولها باعمال سيئة كانت قد صدرت منه واما باخراجه منها بعد ان دخلها وكما تكون فى الخير تكون فى الشر كالمشى فى الغيبة والنميمة واساءة القول فى الناس قال سبحانه وتعالى ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها واستعمل الكفل فى الشر على جهة التهكم كقوله فبشرهم بعذاب أليم وقد قدمنا ان الناس قد افترقوا فى الشفاعة ثلاث فرق طرفان ووسط بين مثبت ما نفاه القرآن وبين ناف ما اثبتته السنة وهم الخوارج والمعتزلة وبين مثبت ما أثبته الله ورسوله وناف ما نفاه الله ورسوله وهم أهل السنة والجماعة ولكن من حقق معنى الشفاعة ومن هى نائلة علق قلبه بما هو السبب لها من اتباع ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم من الدين الذى أوله وآخره وظاهره وباطنه هو التوحيد واخلاص الدين كله لله وتحقيق قول لا اله الا الله فان المسلمين وان اشتركوا فى الاقرار بها فهم متفاضلون فى تحقيقها تفاضلا لا نقدر ان نضبطه حتى ان كثيرا منهم يظنون ان التوحيد المفروض هو الاقرار والتصديق بان الله خالق كل شئ وربه وان ليس لاله معنى الا ذلك ولا يميزون بين الاقرار بتوحيد الربوبية الذى أقر به مشركو العرب وبين توحيد الالهية الذى دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يجمعون بين التوحيد القولى والعملى فان المشركين ما كانوا يقولون العالم خلقه اثنان ولا ان مع الله ربا ينفرد دونه بخلق شئ بل كانوا كما قال الله عنهم ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله وقال تعالى وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون وقال تعالى قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل أفلا تذكرون قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله قل أفلا تتقون قل من بيده ملكوت كل شئ وهو يجير ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل فانى تسحرون وكانوا مع اقرارهم بان الله هو الخالق وحده يجعلون معه آلهة أخرى يجعلونهم شفعاء لهم اليه ويقولون انما نعبدهم ليقربونا الى الله زلفى ويحبونهم كحبه والاشراك فى الحب والعبادة والدعاء غير مغفور قال تعالى ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله فمن أحب مخلوقا كما يحب الخالق فهو به مشرك قد اتخذ من دون الله أندادا وان كان مقرا بان الله خالقه ولهذا فرق الله ورسوله بين من أحب مخلوقا لله وبين من أحب مخلوقا مع الله فالاول يكون الله هو محبوبه ومعبوده الذى هو منتهى حبه وعبادته لا يحب معه غيره لكنه لما علم ان الله يحب أنبياءه وعباده الصالحين أحبهم لاجله وكذلك لما علم ان الله يحب فعل المأمور وترك المحظور أحب ذلك فكان حبه لما يحبه تابعا لمحبة الله وفرعا عليه وداخلا فيه بخلاف من أحب مع الله فجعله ندا لله يرجوه ويخافه ويطيعه من غير ان يعلم ان طاعته طاعة الله ويتخذه شفيعا له من غير أن يعلم ان الله أذن له ان يشفع فيه كما قال تعالى ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله وقال تعالى اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح بن مريم وما أمروا الا ليعبدوا الها واحدا لا اله الا هو سبحانه عما يشركون وقد قال عدى بن حاتم للنبى صلى الله عليه وسلم

ما عبدوهم قال احلوا لهم الحرام فاطاعوهم وحرموا عليهم الحلال فاطاعوهم فكانت تلك عبادتهم اياهم قال تعالى أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله وقال تعالى ويوم يعض الظالم على يديه يقول ياليتنى اتخذت مع الرسول سبيلا ياويلتى ليتنى لم أتخذ فلانا خليلا لقد أضلنى عن الذكر بعد اذ جاءنى وكان الشيطان للانسان خذولا فالرسول وجبت طاعته لانه من يطع الرسول فقد أطاع الله فالحلال ما حلله والحرام ما حرمه والدين ما شرعه ومن سوى الرسول من العلماء والمشايخ والامراء والملوك انما تجب طاعتهم اذا كانت طاعتهم طاعة الله وهؤلاء اذا أمروا بطاعة الرسول بطاعتهم فطاعتهم داخلة فى طاعة الرسول قال تعالى ياأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم فلم يقل وأطيعوا الرسول وأطيعوا أولى الامر منكم بل جعل طاعة أولى الامر داخلة فى طاعة الرسول وطاعة الرسول طاعة الله وأعاد الفعل فى طاعة الرسول دون طاعة أولى الامر فانه من يطع الرسول فقد أطاع الله فليس لاحد اذا أمره الرسول بامر أن ينظر هل أمر الله به أم لا بخلاف أولى الامر فانهم قد يامرون بمعصية الله فليس كل من أطاعهم مطيعا لله بل لا بد فيما يأمرون به أن يعلم انه ليس معصية لله وينظر هل أمر الله به أم لا سواء كان ولى الامر من العلماء أو الامراء ويدخل فى هذا تقليد العلماء وطاعة أمراء السرايا وقبول ما ينسب عن المشايخ الصوفية كأبى يزيد البسطامى وغيره فان كل أحد من الناس يؤخذ من قوله ويترك الا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد جمع أبو الفضل كتابا من كلام أبى يزيد البسطامى سماه النور من كلام طيفور فيه شئ كثير لاريب انه كذب على أبى يزيد البسطامى وفيه أشياء من غلط أبى يزيد رحمه الله وفيه أشياء موافقة لامر الشرع فمن قيل له عن أبى يزيد أوغيره من المشايخ انه قال لمريديه ان تركتم أحدا من أمة محمد يدخل النار فانا منكم برىء وتعقبه الآخر وقال قلت لمريدى ان تركتم أحدا من أمة محمد يدخل النار فانا منكم برىء فصدق هذا النقل عنه ثم جعل هذا المصدق لهذا عن أبى يزيد أوغيره يستحسنه ويستعظم حاله فقد دل على عظيم جهله أو نفاقه فانه ان كان قد علم ما أخبر به الرسول من دخول من يدخل النار من أهل الكبائر وان النبى صلى الله عليه وسلم هو أول من يشفع فيهم بعد ان تطلب الشفاعة من الرسل الكبار كنوح وابراهيم وموسى وعيسى فيمتنعون ويعتذرون ثم صدق ان مريدى أبى يزيد أوغيره يمنعون أحدا من الامة من دخول النار أو يخرجون كل من دخلها منهم كان ذلك كفرا منه بما أخبر به الصادق المصدوق بحكاية منقولة كذب ناقلها او أخطأ قائلها ان لم يكن تعمد الكذب وان كان لا يعلم ما أخبر به الرسول كان من أجهل الناس باصول الايمان ﴿فعلى المسلم﴾ الاعتصام بالكتاب والسنة وان يجتهد أن يعرف ما أخبر به الرسول وأمر به علما يقينا وحينئذ فلا يدع المحكم المعلوم للمشتبه المجهول فان مثال ذلك من كان سائرا الى مكة فى طريق معروفة لا شك انها توصله الى مكة اذا سلكها فعدل عنها الى طريق مجهولة لا يعرفها ولا يعرف منتهاها وهذا مثال من عدل عن الكتاب والسنة الى كلام من لا يدرى هل يوافق الكتاب والسنة أو يخالف ذلك ﴿وأما﴾ من عارض الكتاب والسنة بما يخالف ذلك فهو بمنزلة من كان يسير على الطريق المعروفة الى مكة فذهب الى طريق قبرص يطلب الوصول منها الى مكة فان هذه حال من ترك المعلوم من الكتاب والسنة الى ما يخالف ذلك من كلام زيد وعمرو ولهذا قال تعالى لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب فاخبر انه أرسل الرسل وأنزل الكتاب والميزان

لاجل قيام الناس بالقسط وذكر انه أنزل الحديد الذي به ينصر هذا الحق فالكتاب يهدي والسيف ينصر وكفى بربك هاديا ونصيرا ولهذا كان قوام الناس باهل الكتاب الذي هو القرآن وأهل الحديد كما قال من قال من السلف صنفان اذا صلحوا صلح الناس العلماء والامراء وقالوا في قوله تعالى أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم أقوال العلماء والامراء ولهذا نص الامام أحمد وغيره على دخول الصنفين في هذه الآية اذ كل منهما تجب طاعته فيما يقوم به من طاعة الله وكان نواب رسول الله صلى الله عليه وسلم في حياته كعلي ومعاذ وأبي موسى وعتاب بن أسيد وعثمان بن أبي العاص وأمثالهم يجمعون الصنفين وكذلك خلفاؤه من بعده كأبي بكر وعمر وعثمان وعلي ونوابهم ولهذا كانت السنة ان الذي يصلي بالناس صاحب القرآن والذي يقوم بالجهاد صاحب الحديد الى ان تفرق الامر بعد ذلك فاذا تفرق صار كل من قام بامر الحرب من جهاد الكفار وعقوبات الفجار يجب أن يطاع فيما أمر به من طاعة الله في ذلك وكذلك من قام بجمع الاموال وقسمها يجب أن يطاع فيما أمر به من طاعة الله في ذلك وكذلك من قام بالكتاب بتبليغ اخباره وأوامره وبيانها يجب ان يصدق ويطاع فيما أخبر به من الصدق في ذلك وفيما يأمر به من طاعة الله في ذلك والمقصود بهذا كله هو أن يقوم الناس بالقسط الذي هو التوحيد وهو عبادة الله وحده لاشريك له قال عز من قائل قل أمر ربي بالقسط وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين وقال تعالى وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه أنه لا اله الا أنا فاعبدون وقال واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون وقال ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت وقال شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه وقال وان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون ودين الاسلام العام الذي اتفقت عليه جميع النبيين هو المذكور في قوله تعالى ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين وقال نوح عليه السلام وأمرت أن أكون من المسلمين وقال الله عن ابراهيم اذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين الى قوله فلا تموتن الا وأنتم مسلمون وقال عن موسى ياقوم ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين فهذا التوحيد الذي هو أصل الدين وقوامه هو أعظم العدل وأصوبه وذلك بان يكون الدين كله لله قولا وعملا واعتقادا باخلاص هذه الكلمة في لفظها ومعناها شهادة أن لا اله الا الله وحده لاشريك له وأن محمدا عبده ورسوله * اللهم اجعلنا ممن توجه اليك بها مخلصا حتى يلقاك وأنت عنه راض فثبتنا اللهم عليها واجعلنا من أهلها مطيعين لامرك آمرين بعدلك ناهين بنهيك * هذا آخر ما أردنا املاءه على تلك المقدمة العجالة في تلك الورقات الرسالة فلله الحمد أولا وآخرا ظاهرا وباطنا اللهم اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معاصيك ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا ومتعنا باسماعنا وأبصارنا وقواتنا أبدا ما أحييتنا واجعله الوارث منا واجعل ثارنا على من ظلمنا وانصرنا على من عادانا ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا ولا تسلط علينا بذنوبنا من لا يخافك ولا يرحمنا ياأرحم الراحمين آمين اللهم صل وسلم على أفضل خلقك سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين

نحمدك يامن أنزلت النور المبين وحفظته من تحريف المضلين الغاوين وجعلته هدى
ورحمة للمؤمنين ونصلي ونسلم على صفوة الصفوة سيدنا محمد وآله وصحبه ومن نحا نحوه
(وبعد) فقد تم طبع كتاب التوضيح عن توحيد الخلاق في جواب أهل العراق
تأليف العلامة سليمان ابن عبد الله ابن الشيخ محمد بن عبد الوهاب
على نفقة الشيخ (صالح بن دخيل الجار الله) وذلك بالمطبعة
العامرة الشرفية الثابت محل ادارتها بشارع الخرنفش
من مصر المحمية وكان انتهاء هذا الطبع وتمثيل
هذا الوضع أواخر رجب الحرام من
سنة ١٣١٩ من هجرة النبي
عليه الصلاة والسلام
ما تعاقب الليالي
والأيام

﴿فهرست كتاب التوضيح﴾

﴿تمت﴾

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT
UT VITAM HABEANT ABUNDANTIUS HABEANT
1866
الجامعة الاميركية في بيروت